نايف سلوم

أوزبر جبرائيل

أو

تفسير رواية عزازيل

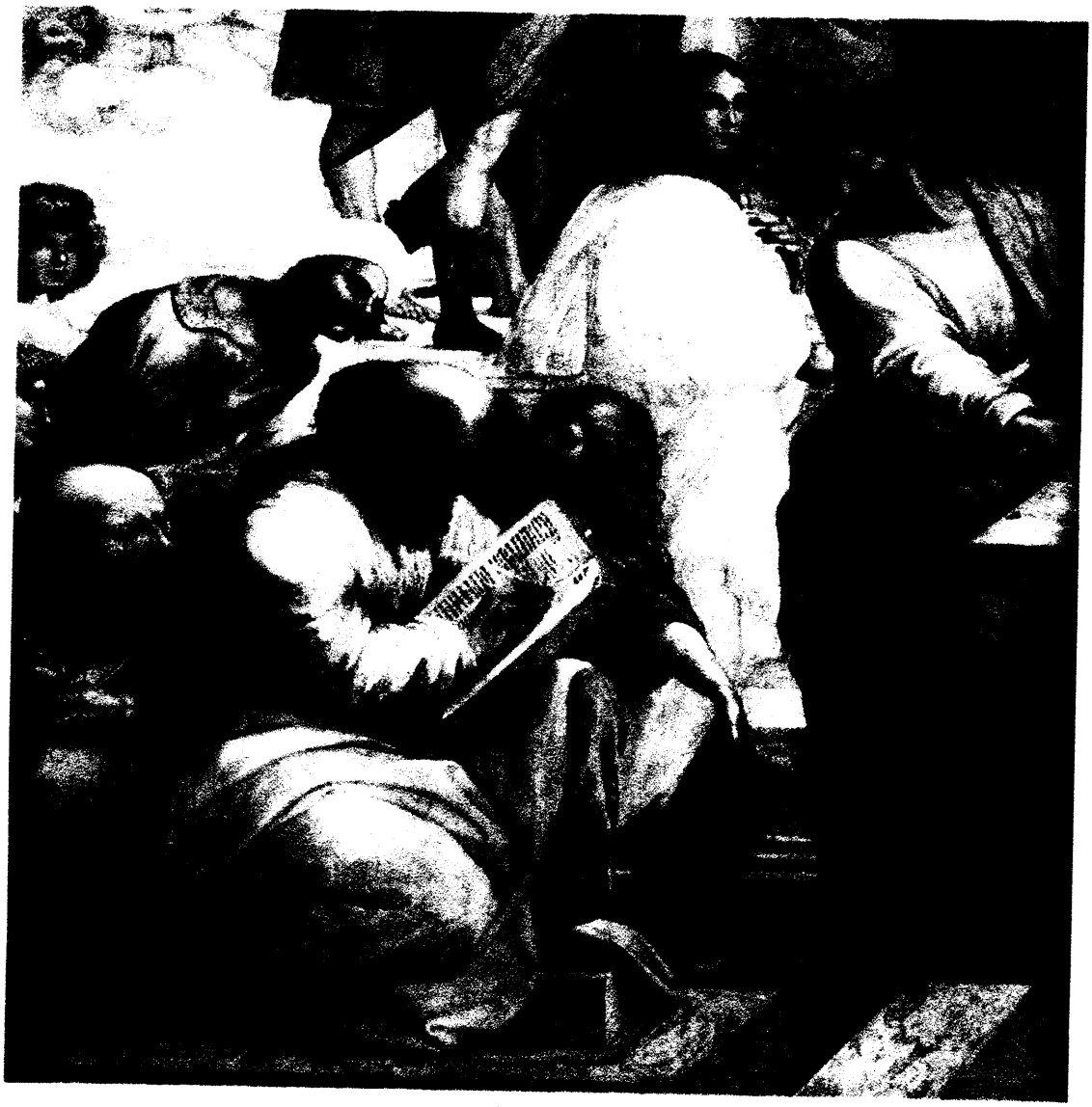

أُوزْبَر جبرائيل

أو

تفسير رواية "عزازيل"

تأليف

نايف سلّوم

- أوزبر جبرائيل.
- المؤلف: نايف سلوم.
- الطبعة الأولى ٢٠١٦.

- جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.

- التنضيد والإخراج الطباعي

إياد الشعار للطباعة (حمص-سوريا)

هـ٠٦٤٨٠٣١٢٧٥٤٨٠٦ - ٠٩٣٣٥٩١٩٧٣

٠٩٦٥٣٥٢٤٧٣

دار التوحيد للنشر

سورية-حمص ص.ب ٣١١٧ - ٢١٣١٩٦٣

DAR ALTAWHIDI

موافقة وزارة الإعلام:

/ ١١٣٤٧٥ / تاريخ ١١ / ٥ / ٢٠١٦

إهداء

إلى **Somia**

أيُّ ضبابٍ متكاثف يسلبُني نظرتكِ

تقديم الكتاب

سنحت لي رواية "عزازيل" ليوسف زيدان بأغراضها ولغتها فرصة مواتية للتعبير عن مجموعة أفكار كنت اشتهيت صياغتها دائماً ، خاصة رغبتي بالتعليق النقدي على أعمال أساسية ككتاب تزفيتان تودوروف "المبدأ الحواري" والتي يعرض فيه أعمال ميخائيل باختين ويعلق عليها. وككتاب باختين "الماركسية وفلسفة اللغة" . كما سنحت لي الفرصة هنا لإتمام فكرة كنت قد لامستها في كتابي "ما بعد الحداثة" الصادرعن دار التوحيدي بحمص سنة *1998* ، الفكرة تتعلق بعمل الحلاج الأساسي ومن سار على درب آلامه من المتصوفة المسلمين، خاصة السهروردي المقتول. فقد اعتمد هؤلاء طريقة سميت ب"علم القلب" في مقابل "علم العقل" ابتغاء ممارسة العلم في شروط تاريخية غير مواتية، أو ما يسمى في الماركسية بالممارسة العملية في ظروف ابتعاد حالية الثورة الاجتماعية وهو ما دعاه جاك ديريد "بالزمن خارج الوصل، أو الزمن خارج محاوره".

سوف يلاحظ القارئ أن رواية"عزازيل" تعرج على واحدة من أكثر فترات التاريخ الديني والعالمي جدلاً وصخباً ومأساوية في سبيل البحث عن حقيقة الوجود الإنساني، وهي الفترة ما بين رسالة عيسى ورسالة محمد ، فترة ظهرت فيها تيارات هائلة في النصرانية الآسيوية والمسيحية الإمبراطورية الغربية والشرقية، وهي ذات الفترة التي يظهر فيها تنظير أفلوطين الأساسي في كتابه الوحيد "التاسوعات" والذي لا يمكن أبداً غض النظر عنه. لقد

شكلت هذه الفترة فراشاً ومهاداً حاسماً لفهم اسهام الإسلام النظراني.

يتكون هذا الكتاب من ثلاثة أقسام: متن الكتاب وهو القسم الأول، وشروح على الرواية وهو القسم الثاني، وحواشي وتحقيقات وتعليقات وهو القسم الثالث، وقد يشير ذلك إلى التأليفات الدينية القديمة . وقد انفتح القسم الأول على ستة أبواب في محاولة للإحاطة بجميع مداخل الرؤية التي تقدمها رواية "عزازيل" والتي يعتمد السرد فيها على مبدأ التداعي الحر الفرويدي، حيث تظهر تقنية الكتابة في الرواية (الترجمة) بما يشبه عمليات الحلم في التكثيف والنقل[1]. و حيث تغمرها العبارة الدينية ذات الشعرية العالية المسفوحة على وجه الوجدان والمخضبة بحمرة الفجر. فلما قضى الأجل وأتم سيرته خرج في الصباح الباكر من الدير واضعاً الرقوق في صندوق حيث وارى سوءته تحت التراب والحجارة الكبيرة عند بوابة الدير، وقد دفن معه خوفه الموروث وأوهامه القديمة كلها، ثم رحل مع شروق الشمس حراً

الكتاب الذي أقدمه لك فسيح وصعب، حيث لا يخلو من الإهمال واللامبالاة تجاه القارئ المتعجّل!

نايف سلوم

---

1 ـ هذا الشخص المتولد عن المزج أو التعيين يدرج الآن في محتوى الحلم حراً من الرقابة، بينما أكون من جانبي قد ارضيت هذه الرقابة بإعمال التكثيف " تفسير الأحلام ص 332 التكثيف هنا يتضمن نقل للطاقة من الشخص موضع الانفعال إلى نائبه أو شبيهه وممثله. التكثيف بالعموم هدفه الافلات من الرقابة، رقابة النُّظُم المستبطنة.

" لقد بدأ الأمر حينما تجرأ هيراقليطس على القول؛ لدى الإصغاء، ليس لدى الأنا ، بل إلى اللوغوس ، كونوا موقنين. ولكن لا تصغوا لهيراقليطس. إن هذا التصاغر ليس سوى ذروة الغطرسة. ليس اللوغوس هو ما تصغون إليه؛ إنه دوماً أحد، مثلما هو وحيث يكون، هو الذي يتكلم على مسؤوليته الخاصة، ولكن أيضاً على مسؤوليتكم أنتم." [٢]

I

متن الكتاب

(القسم الأول)

الباب الأول

أزيز أجنحة جبريل

(زَبَر) : أصلان: أحدهما يدل على إحكام الشيء وتوثيقه، والآخر يدل على قراءة وكتابة.. زَبرت الكتاب إذا كتبته، ومنه الزَّبور. ويقولون في الكلمة: "أنا أعرف تَزْبرتي" أي كتابتي"[3] قال امرؤ القيس:

لمن طَلَلٌ أبصرتُه فشجاني كخط زَبورٍ في عَسيب يمانِ

---

[2] كورنيليوس كاستورياديس: "تأسيس المجتمع تخيلياً " ص 8-9

[3] - مقاييس اللغة لابن فارس المجلد 3 ص 44-45

أي أن الطّلل قد درس وخفيت آثاره ، فلا يُرى منه إلا مثل **الكتاب في الخفاء**.. وكان أهل اليمن يكتبون في عسيب النخلة عهودهم وصكاكهم.."[4] والعسيب جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يُكشط خُوصها، والذي لم ينبت عليه الخُوص من السَّعف"[5]

أزَّ: يدل على التحرّك والتحريك والإزعاج. قال الخليل: الأزُّ: حمل الإنسان الإنسانَ على الأمر برفق واحتيال. الشيطان يأزّ الإنسان على المعصية أزّاً (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤُزُّهم أزّاً). قال الخليل، الأزّ: غليان القِدْر. وصوت الرعد والأزيز: القُر(الحَرّ) الشديد . وشدة السير(المكابدة)؛ و أزتنا الريح: ساقتنا.[6] و أزّت السحابة صوتت من بعيد (أرعدت وارتعدت). والأزيز: البرد، والبارد. وائتُزّ: استعجل"[7]. والأزز: حساب من مجاري القمر، وهو فضول ما يدخل بين الشهور والسنين[8] "

حيث راح تحوت *Tahot* - الذي يتمتع بسلطان حسابي على نشأة التقويم وسيرورته - وزاد الأيام الإضافية الخمسة " وتحوت هذا هو إله الكتابة والحساب من صعيد مصر وهو بديل رَعْ وممثله. من هذه الفضلة (الفضول) أو **الزيادة** وَلَدت نوت *Nout* خمسة أبناء[9]: حارورياس، سيث، إيزيس، نفتيس، أوزيريس"[10] ..

---

4 - الزجّاجي : كتاب اللامات ص 48

5 القاموس المحيط ، ص 114-115 الخُوص: ورق النّخل

6 - مقاييس اللغة لابن فارس المجلد الأول ص 15

7 - هذا بعض ما جاء في القاموس المحيط. ص 502 [والأزيز صوت الرصاص]

8 - السنة 12 شهراً شمسياً كل شهر 30 يوماً بعدد رقوق الرواية ، يبقى فضلة من خمسة أيام لتكتمل السنة إلى 365 يوماً.

9 - خمسة أشخاص لكل يوم من الأيام الخمسة شخص

10 - جاك دريدا : صيدلية أفلاطون .. ص 43

و"**نوت**" هذه حلّت عليها لعنة **رَغْ**، لُعن إبليس لازدياد الزيادة في زيادته، والزيادة هنا نقص -*hypo*. ومفردة إبليس خمسة حروف، وهي : إب- ليس المقطع الثاني *(ليس)*: كلمة دالة على نفي الحال، وتنفي غيره بالقرينة[11]؛ ودالة على التفكك وعدم الذات، والمقطع الأول*(إبْ)*: أن إبليس أبى واستكبر: أبى يدل على الامتناع: قال ما منعك أن تسجد، قال أنا خير منه. ومنه الإباء أن تعرض على الرجل الشيء فيأبى قبوله"[12] وأبْت: الحرّ وشدته.[13]

النسيء معناها في اللغة "**العقيب**"، و التأخير، وعرف بالقبطية باسم الشهر الصغير، وهو **خمسة** أيام في ثلاث سنوات متتالية وفي السنة الرابعة يكون فيها **ستة** أيام. والعقيب هو العاقب أو المحاسب . كانت نجران حين الهجرة -كما بين ذلك لامانس في كتابه عن يزيد الأول- المركز الوحيد لصناعة النسيج في الجزيرة العربية؛ وهذا هو السبب في أن معاهدة *(10 هـ)* بين النبي محمد ووفد نصارى نجران اشترطت أن تقدم نجران كل سنة ألفي حلة من الديباج المطرز بالذهب ؛ كما كانت نجران المركز الوحيد الذي كانت الأموال فيه في يد النصارى ، لا في يد اليهود كما كانت الحال في الحجاز . وهذا هو مصدر عداوة نجران لليهود ، عداوة نجدها عند الوزراء الحارثيين في القرن الثالث الهجري. ومن المعلوم أن سعر العملة في المدن الإسلامية كان يتوقف على مستودعات الثياب الثمينة المطرزة بالذهب والفضة في أسواق

---

11 - مغني اللبيب لابن هشام الجزء الأول ص 563

12 - مقاييس اللغة لابن فارس المجلد الأول ص 45

13 - مقاييس اللغة لابن فارس المجلد الأول ص 23

خاصة تسمى "القيساريات" . ونجران هي الأصل في هذا كله ؛ ووظيفة **العاقب** أن يقوم على تنظيم هذه العملية"[14]

بدأ التقويم القبطي عام *4241* قبل الميلاد ، وقد اخترع هذا التقويم **"توت"** *(تحوت)* الذي تسمى أولى شهور التقويم القبطي باسمه.

تم حساب بداية العام القبطي مع بداية شروق ألمع نجوم السماء وهو نجم "الشِّعرى اليمانية *(Sirius)* " في نفس الوقت مع شروق الشمس وهو ما يسمى "بالشروق الاحتراقي للنجم" لأن الشمس تحرقه عند شروقها وبمعنى أدق تُخفيه الشمس بقوة شعاعها وتزيله، فكانوا يراقبون ظهوره الاحتراقيّ قبل شروق الشمس قبالة أنف أبي الهول الذي كان يحدد موقع ظهور هذا النجم في السماء. ومن ناحية أخرى ارتبط هذا الزمان بقدوم "فيضان النيل". وعلى هذا الأساس تكون السنة القبطية هي المدة بين كل ظهورين لهذا النجم ، فقسموا السنة إلى ثلاثة فصول كبيرة هى: **الفيضان والزراعة والحصاد** . ولا يزال الفلاح المصري يتبع هذا التقويم إلى يومنا هذا نظرا لدقته الشديدة للمواسم الزراعية . ثم تم تقسيم السنة القبطية إلى اثني عشر شهرا ، كل منها ثلاثون يوماً، وجعلوا الخمسة أيام والربع الباقية شهرا آخر أسموه **الشهر الصغير** *(نسيئ)*، وصارت السنة القبطية البسيطة *365* يوما، والسنة القبطية الكبيسة *366* يوما. وعلى هذا الأساس تحتفل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بعيد رأس السنة القبطية في الحادي عشر من سبتمبر من كل عام ، وتسميه عيد *(**النيروز**)*. والنيروز كلمه

---

14 ـ عبد الرحمن بدوي: شخصيات قلقة ص 171-172

فارسيه أستخدمها الفرس عندما دخلوا مصر وأطلقوا لفظ (نيو روز)[15] على أول يوم في التقويم ومعناها (العهد الجديد).

النسئ : هي شعيرة من شعائر العرب في الجاهلية كان يقوم بها بنو فقيم من قبيلة كنانة العدنانية من أهل الحرم المكّي، حيث كانوا ينسؤون الشهور على العرب فيحلون الشهر من الأشهر الحُرُم ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحِلّ ، **ويؤخرون** ذلك الشهر. كان التقويم العربي يستخدم شهر التقويم: النسيء قبل الرسالة المحمدية[16]. وقد نهى القرآن عن النسيء ؛ أي عن التأخير، فقال : "إنما النسيء زيادة في الكفر."[17] ، وثبتت مواعيد الأشهر الحرم مع اكتمال **الكون المحمديّ**.

وجنح: مال. وجنوح الليل: إقباله. والجوانح: الضلوع. والجَناح: اليَدّ، ونفس الشيء، **وكل ما جعلته في نظام**. والجناح هي السوداء. والجُناح بالضم: الإثم.. و التجنُّح في الناقة: الإسراع، أو أن يكون مؤخرها يسند على مقدمها لشدة اندفاعها.."[18] و (جَناح جبريل). وقد ضَرب المثل بجناح جبريل في البركة والشفاء بعض أهل العصر ، فقال في وصف رُقعة في العيادة وردت عليه:

---

15 - ne- or neo- بادئة معناها ، جديد ، مُحْدث وبخاصة؛ عهد جديد مختلف لعقيدة أو مذهب أو لغة . rose: وردة ؛ شيء على شكل وردة ، ماسة أو جوهرة، امرأة فائقة الحسن.. under the rose: سراً ؛ في الخفاء .

16 - كان النسئ في بنى فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر .وكان "أبو ثمامة"، وهو "جنادة بن أمية الكناني" من نسأة الشهور على قبائل معد، وكان يقف عند "**جمرة العقبة**، ويقول: اللهم إني ناسئ الشهور وواضعها مواضعها ولا أعاب ولا "أحاب" أجاب، اللهم إني قد أحللت أحد الصفرين وحرمت صفر المؤخر، وكذلك في الرجبين، يعني: رجبًا وشعبان. ثم يقول: انفروا على اسم الله تعالى..

17 التوبة / 37

18 - القاموس المحيط ص 216

أرقعة في عيادتي وردت أم رُقْيةٌ قد شفّت لتِعْجيلِ

أم عُوذةٌ عن نبيّنا صدرت أم مَسْحة من جَناح جِبْريلِ[19]

جَبَر: أصل واحد هو جنس من العظمة والعلوّ والاستقامة[20]. الجَبْر: خلاف الكسر، والمَلِك، والعبد (أضداد اللغة)، وخلاف القَدَر، والغُلام. وجبر العظم والفقير جبراً. واجتبره (اجتباه) فتجبَّر: أحسن إليه ، أو أغناه بعد فقر[21]. وجبره على الأمر: اكرهه. وتجبّر: تكبّر و الجبّار: هو الله تعالى لتكبره. عندما أراد إبليس أن يتكبر في عالم العقل/ الروح - وإبليس من عالم النفس- الحسيات (النفس وحواسها المدركة الخمس)[22]- طُرد من العالم العلوي لأنه لا يحق له التكبر في غير عالمه: "ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين، قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال **"أنا خير من هو"** خلقتني [أنا] من نار وخلقته [هو] من طين ، قال فاهبط منها فما يكون لك [أنت] أن تتكبّر فيها فاخرج إنك من الصاغرين، قال فبما أغويتني [أنا] لأقعدن لهم [هم] صراطك المستقيم"[23] لقد فتن الطين إبليس وظن أن آدم من **خالص الطين وليّنه**. " فأول من عمل بالقياس إبليس فقال: خلقتني من نار وخلقته من طين ، ولو علم إبليس ما جعل الله في آدم لم يفتخر عليه

---

19 - الثعالبي : ثمار القلوب ص 66

20 مقاييس اللغة المجلد الأول ص 501

21 - (ولسوف يعطيك ربك فترضى، .. ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى) الضحى

22 - يذكر ابن عربي أن الشياطين قسمان : قسم معنوي وقسم حسي .. حيث يفتح الشيطان باباً لقويّ النظر والمدقق فيقوده فضوله وقوة تحقيقه إلى معاني مهلكة لا يقدر على ردها.. والشيطان يجهل مآلات هذا الباب الذي دفع الإنسان إليه." الفتوحات المكية, السفر الرابع الباب الخامس والخمسون.

23 - الأعراف /11-16

. ثم قال الإمام الصادق جعفر بن محمد: إن الله عز وجل خلق الملائكة من النور وخلق الجان من النار وخلق الجن- صنفاً من الجان- من الريح وخلق صنفاً من الجن من الماء، وخلق آدم من صفحة الطين ثم أجرى في آدم النور والنار والريح والماء (خصال خمسة) فالبنور أبصر وعقل وفهم وبالنار أكل وشرب ولولا الريح ما اشتعلت النار ولولا الماء لأحرقت النار جوفه. فجمع في آدم الخمس الخصال وكانت في إبليس خصلة فافتخر بها على آدم"[24] .

فقياس إبليس قياس فاسد يوقع في الحيرة والتعجُّب؛ إنه قياس الحسي على الحسي؛ هي مقابلة بين جسد بضاعة وجسد بضاعة أخرى مقابلة مدوّخة تُبعد الباحث عن معرفة حقيقة قيمة البضاعة ومعناها. لم يستطع إبليس إذن رؤية عين الحق و صورته و مثاله في نفس آدم لافتتانه بالحسيات(تغيرت عليه العين) . و الحسيات مجاز للعقليات وعقبة من عقبات المعرفة العلمية؛ "حيث يتلهى العقل بالصور الأولى للظاهرة، ويعتمد على أدبيات فلسفية تمجد الطبيعة ، وتغنّي بطرافة وبآن واحد لوحدة العالم وتنوعه الغني"[25].. وهكذا في قاعة الكيمياء الحديثة كما في معمل السيميائي[26] ، لا يظهر التلميذ والصانع كأنهما عقلان نقيان للوهلة الأولى. فالمادة ذاتها ليست سبباً كافياً ، عندهما لبلوغ موضوعية هادئة. فالإنسان، أمام مشهد الظواهر الأكثر إثارة للاهتمام والأكثر إدهاشاً، يسير

---

24 ـ راجع الاختصاص للشيخ المفيد صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري ص 109

25 ـ غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي ص 9-10

26 ـ السيمياء أو الخيمياء (الكيمياء الصوفية)

طبعاً بكل رغباته ، بكل أهوائه، بكل طبيعته. إذن لا داعي للاندهاش من كون المعرفة الموضوعية الأولى هي خطأ أول"[27]

وتجبّر المريض: صلح حاله. والجَبَريّة بالتحريك خلاف القدرية[28]. والجَبْريّ بالتسكين: التحريك للازدواج (الشطن)." [29] وجابر بن حيان سمي "جابراً " لأنه هو الذي "جبر العلم" ؛ أي أعاد تنظيمه بعد فوضى .[30] وعلم الديالكتيك حسب الثوري الروسي هرزن هو "جبر الثورة"؛ أي هو منظم جميع شؤون الثورة النظرية والعملية والرابط بينها. وهو جبر رأس المال لماركس . قال لينين في الدفاتر الفلسفية: لم يترك لنا ماركس منطقاً بل ترك منطق الرأسمال.[31] قال ديونوسوس: خرجت من هيئة إله، إلى هيئة بشر فان"[32] ؛ أي من منطق الرأسمال إلى صور الرأسمال.

وجبرائيل، أي عبد الله (عبد الأمر الإلهي)، فيه لغات: كجبرعيل، وحِزْقيل، وجبرعِل، وسَمْويل، وجبراعِل، وجبراعيل، وجَبرعِلّ، وخَزْعال، وطِرْبال، وبسكون الباء بلا همز: جَبْريل، وبفتح الباء : جَبْرئَل، وبياءين: جَبْرييل، وجَبْرين بالنون ويكسر : جِبْرين"[33]

وجبرائيل هو الملاك الهابط على النفس؛ هو الوحي وهو الروح القدس، وهو ذو الجناح الحامل للوحي الوسيط بين الأمر الإلهي

---

27 ـ تكوين العقل العلمي مرجع مذكور ص 45

28 ـ (من لا يملك العلم بالشيء تلعب به الأقدار : ويقال: يا من لعبت به الشمول؛ ما أجمل هذه الشمائل): جمالية الحيرة و التحير: حيرة تنقذ الدنيا من الظلم.

29 ـ القاموس المحيط ص 360

30 ـ الدكتور زكي نجيب محمود: جابر بن حيان ص 12

31 لينين: الدفاتر الفلسفية ، المجلد الأول ترجمة الياس مرقص

32 نقد النساء ـمذكور ص 58

33 ـ القاموس المحيط ص 361

والنفس؛ هو السيمرغ[34] عند السهروردي وهو الحمامة عند ابن عربي الحمامة رسول نوح؛ هو الروح النازل على النفس الناطقة الراكب عليها كالريح تركب السحاب. هو (لام) "الم" في بداية سورة البقرة؛ العقل الفعال أوسط الوجود مظهر العلم فهو اسمه العليم"[35] و حسب ما يقول جابر بن حيان "النفس لا تكون عالمة أولاً بالضرورة " أي أنها محال عليها أن تولد مزودة بالعلم كاملاً، لكنها مستعدة للتقبل بطبيعتها، فهي "قادرة فاعلة جاهلة" أول الأمر، ثم تراض بعد ذلك بفضل قدرتها وفاعليتها، فيتحول الجهل علماً"[36]. والعلم حسب جابر مصدره الوحي النازل من عالم الأمر (تنزيل الوحي؛ والتنزيل يعني التجريد و الترتيب). وعلى ضوء هذا نفهم لماذا أطلق اسم "الكيميا على مثل هذه الأبحاث التي قام بها ؛ فهي لفظة معربة من اللفظ العبراني ، وأصله "كيم يِه"، ومعناه أنه من الله "[37]

و"أوزْبَر جبرائيل" أو (**أزيز أجنحة جبريل**) هي رسالة كتبها الشيخ الشهيد أو "السهروردي المقتول" تمييزاً له. و هو شهاب الدين بن يحي بن حبش بن أميرك السهروردي. لا نملك إلا بعض الترجمات أو النشرات الحديثة لمؤلفاته الصغيرة دون أن يكون لدينا عرض شامل لأنحاء مذهبه . علينا أن نُقرّ أن هذا المذهب يلوح أمامنا كأنه مركّب من عناصر متباينة معقدة ؛ كأنه مادة حلم أو **صورة حلم ظاهر**، نجد وحدتها في الطابع الخاص لشخصيته، وفي موته،

---

34 في كتابه "منطق الطير" يجعل الشاعر الصوفي العظيم فريد الدين العطار(1119-1190م) الصين مكان السيمرغ , الطائر الأسطوري الذي يرمز إلى الحقيقة ؛ إلى الإلهي. راجع: "نداء إلأى الأحياء" ص221

35 راجع تفسير ابن عربي الجزء الأول تفسير سورة البقرة ص 9

36 - جابر بن حيان مرجع مذكور ص 46

37 - جابر بن حيان مرجع نذكور ص 46-47

حتى أن كل محاولة لإيجاد عرض شامل لفكره تضطرنا إلى توزيع العمل على ميادين عدة . كما أن هذا التحليل سوف يقود إلى سر النهاية المحزنة لمؤسسه . حيث قتل وعمره لم يصل الأربعين . لقد كُرس هيكله في الشهر السابع حيث توفي في *29* يوليو/تموز سنة *1191* م.(أواخر القرن السادس الهجري) وقد أطلق عليه اسم "الشيخ المقتول" تمييزاً له عن أسماء مشابهة"[38]. **إن موته كمالُ فعل** ، وهو يذكّرنا بموت الإله الشاب تموز في الديانات الكونية/ الطبيعية في آسيا الغربية[39].

ذكر أحد تلامذته المخلصين وهو الشهرزوري *(49)* مؤلفاً للسهروردي المقتول. القسم الأكبر منها ألفت بالعربية والأخرى بالفارسية وعلى رأسها جميعاً كتاب "حكمة الإشراق" مؤلفه الرئيسي فيه عرض كامل لمذهب الإشراق . والإشراق يدل على أن: ظاهر إشعاع النور الأصيل هي الظاهرة الأصلية المولدة للوجود[40] والكشف عن الوجود. بهذه الفكرة الرئيسية "الإشراق " ندخل تواً في صميم الحكمة الأفلاطونية المحدثة"[41] إنها لحظة محو الأنا وحضور نبع الكائن المتدفق.

حالة السهروردي هي دعوة لنا إلى دراسة الأفلاطونيين المحدثين وبخاصة المتأخرين منهم من أمثال أبرقلس (برقلس) و من أمثال

---

38 ـ راجع تقديسات الشيخ السهروردي الشهيد

39 ـ شخصيات قلقة مرجع مذكور ص 149

40 ـ نميز هنا بين الموجود والوجود كما ورد عند هايدغر ؛ حيث الوجود يعني إدراك الكائن وفهمه وإنارته بهذا الإدراك وبهذا الفهم . بينما الموجود هو موضوع الوجود؛ أو الكائن لجهة الشيء ولجهة الذاتية وقد ظهر بعينه.. موضوع في الرأس وموضوع خارج الرأس.

41 ـ شخصيات قلقة مرجع مذكور ص 158

الأتباع المتأخرين لمدرسة أثينا في الغرب أمثال دمسقيوس ويونيثيوس وديونيس الأريوباجي وفي الجنوب في الإسكندرية أمثال أمّونيوس وفيلوبونوس المعروف عند العرب بـ يحي النحوي وألمبيودوروس، فعند هؤلاء الممثلين المتأخرين للاهوت الأفلاطوني المحدث الذي ربما لم يتفوق عليه لاهوت آخر حتى اليوم في عمقه النظري، نشاهد وجود حال للكيان الديني يعبر عن نفسه لدى أبرقلس (برقلس) بنظم التراتيل التي هي عناصر ليتورجيا شخصية[42]. وهذا التحقيق بالفعل لرؤية نظرية تماثل تماماً التراتيل والمزامير التي نجدها ونقرؤها عند السهر وردي "[43] وهي تنتسب إلى كل الكيان الديني لهؤلاء الأفلاطونيين المحدثين المتأخرين ـ والتي يمكن أن ننعتها بأنها "كتابية" بالمعنى الاشتقاقي الأوسع الذي يجعل محاورات أفلاطون والكتب "المستورة" (السرية أو الباطنية) و"الوحي الكلداني" في نظرهم نوع من "الكتاب المقدس" يمارس فيه الفكر نشاطاً تفسيرياً في جوهره"[44]. وكلمة (λειτουργια / *leitourgia*) تشير إلى طقوس دينية تعبدية دورية الغاية منها تحيين طقسي للفعل الأولي المقدس، أي استحضار للحدث المقدس الأصلي بالتعزيم الطقسي؛ و تكرار للفعل الأصلي عن طريق الطقوس التعبدية. إنه اغتباط العقل بالتفسير الباطنيّ ، سعادة العقل في رفع حقيقة الأمر أو حقيقة الواقع إلى مستوى الوعي الفردي (التفريد أو التفرد) ؛ أو ما نسميه رفع حقيقة المجتمع البورجوازي في مرحلته الصاعدة إلى مستوى الوعي الفلسفي عند هيغل، حيث يقول: "إن مهمة الفلسفة أن تفهم

42- ترتيل شخصي ؛ تسبيح وتعزيم: يقابله موضوعياً ، زمن أسطوري دوري؛ زمن إعادة الإنتاج لذاته.

43 - شخصيات قلقة – مذكور ص 159

44 - شخصيات قلقة –مذكور ص 159

ما هو موجود ، لأن ما هو موجود هو العقل (انعكاس نظراني *speculative*)". إن مهمة الفلسفة لتنحصر في تصور ما هو كائن . الدرس الذي يتضمنه هذا القول لا ينبغي أن يعتمد على تعليم ما ينبغي أن تكون عليه الدولة ، إنه لا يبين إلا الكيفية التي تبين أو تفهم فيها الدولة بوصفها عالماً أخلاقياً[45]. هنا رودوس ؛ هنا تقفز *Hic Rhodus Hic Saltus* [هذا هو الميدان وهذه هي المعركة] , هنا البهجة فلتتمتع هنا؛ البهجة والمتعة فيما هو حاضر باكتشاف العقل الكامن فيه"[46] إن الفلسفة لترقص طرباً للمتعة التي تجدها في هذا العالم ، وليست بحاجة إلى تأجيل رقصتها ، أعني متعتها وبهجتها حتى تفرغ من بناء المثل الأعلى للدولة في مكان آخر. إنها غبطة النشاط التفسيري الذي يمارسه الفكر من حيث الجوهر." ولا يبقى أمام خلفاء الفيلسوف الكبير صاحب وحي العالم البورجوازي إلا نظم التراتيل وتكرارها باجتهاد دائب، والتغني بالحقيقة المرفوعة مرة واحدة وإلى الأبد إلى مستوى العقل/ الروح الهيغلي. نقرأ في مخطوطات البحر الميت: "كان لدى عضو طائفة قمران خصوصيات زائدة لأداء أعمال طقوسية وصفت من قبل موسى وذلك بالشكل الصحيح وفي الوقت المحدد، وقصد من التراتيل الأرضية أن تكون ترداداً للأناشيد التي انشدها جماعة الملائكة في الهيكل الرباني"[47] . لكن الفكر في حال اكتمال العلم النظراني، وعند هذه النقطة بالتحديد، يميل إلى تكملته بالعمل والممارسة العملية ، وإذا كانت شروط هذه التكملة غير قائمة؛ وكان الزمن زمناً غير ثوري؛ زمناً خارج محاوره (خارجاً عن الوصل حسب

---

45 ـ الإلزام والتحرر؛ راجع "ميتافيزيقا الأخلاق" (الحرية) عند كَنْت

46 ـ هيغل : أصول فلسفة الحق ص 117

47 ـ غيزا فيرم: النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، ترجمها وقدم لها أ.د. سهيل زكّار، دار قتيبة ط1 2006 ص 150

عبارة جاك دريدا) فإن الحقيقة المصاغة تلعب دور السحر. و " إن من الشعر حكماً، ومن البيان سحرا"[48]. وندخل فيما يسمى العبارة الهاجس[49] أو وسواس العبارة؛ عبر معيد اكتشافها ومكررها ومرددها (التراتيل والمزامير). ولكن هذه الإعادة للتفسير قد تشكل ابتهالاً وتوسلاً ، طريق يتقاطع عنده الأمر والتوسل. فهو راشو *HORATIO (Ho-Ratio)* حين يتوسل إليه يريد أن يفتش الطيف (طيف الأمر العائد) ، ويثبته ويوقفه في كلامه (عبر الكلام)، يقول للطيف؛ يكلمه: إنك روح اليقظة في الموت تكلم، امكث وتكلم، أوقفه يا مارسيليوس "[50]. أوقفه، لأن اللعنة لا تُنظِّر، ولا تكتفي بقول ما هو كائن على طريقة هيغل، إنها تصرخ بالحقيقة، وتَعِدْ وتثير، وأنها ليست شيئاً آخر سوى ابتهال[51] كما يدل اسمها على ذلك"[52]

إن الأوامر التاريخية لنمط الإنتاج الرأسمالي التي اكتشفها ماركس حسب دريدا لا تعمل راهنا لأن الزمن خارج الوصل ؛ الوقت خارج محاوره لأن ذات التغيير و شروط التغيير غير قائمة وغير متضافرة[53]، من هنا يأخذ ترداد العبارة وتكرارها عبر

---

48 -الجاحظ: البيان والتبيين ص 11

49 - هَجَسَ الشيء في النفس: وقع.. الهَجْس: النبأة تسمعها ولا تفقهها" م6 / 36 الجاحظ: حسم كل خاطر وصرف كل هاجس" راجع خيون ص 177 جدلية القران. الحسم للخاطر والصرف للهاجس.

50 - جاك ديريدا: أطياف ماركس ص 39

51 - الصلاة ابتهال لحضور الحق

52 - أطياف ماركس – مذكور ص 90

53 - ضفر: أصل صحيح، وهو ضم الشيء إلى الشيء نسجاً أو غيره عريضاً.. تضافروا عليه: تعاونوا مقاييس3 /366.. كل عنصر من عناصر العمل الأدبي يمكن تشبيهه بخيط يصل بين الكائنات البشرية والعمل كله مجموعة هذه الخيوط (نسيج العمل) المبدأ الحواري 58 يمكن مقارنة العمل الثوري الهادف إلى تجاوز الشرط

التراتيل شكل الهاجس[54]. يكشف هذا الفعل الشعائري عن موقف يقاوم كل أحاييل (حيل) العقل الديالكتيكي الذي يقلب ترتيب الصلة بين الله والإنسان[55] وهذه التراتيل وترديد الأفكار المكتشفة من قَبْلُ بفعل الوحي (المُنزّل؛ الأوامر المنزّلة روحاً) عبر النقل والترديد هي في أصل الوسواس الديني أو الهاجس الذي تحدثه الفكرة الدينية. وهذا في أساس عبارة جابر بن حيان حين يقول: "تأخذ من كتبي علم النبي وعلي وسيدي (الإمام جعفر الصادق) وما بينهم من **الأولاد** منقولاً نقلاً مما كان وهو كائن وما يكون من بعد إلى أن تقوم الساعة "[56]

الوسواس الديني؛ الهاجس؛ استحواذ الفكرة المكتشفة من قَبْل، هو ايديولوجية الحِرْز تقابلها ايديولوجية التغيير. لدينا زمنين لعمل البنية الأول: زمن القطع وتجاوز البنية من جهة، حيث الزمن داخل محاوره؛ متصل ومترابط؛ هو زمن حالية الثورة أو راهنيتها، والثاني: زمن إعادة إنتاج البنية لذاتها بشكل موسع أو منحطّ ، هو ما يسميه مهدي عامل بزمن إعادة إنتاج رأس المال الموسع، وأضيف عليه، وزمن إعادة إنتاج الانحطاط للحضارة البورجوازية بشكل موسع.

أيها الإنسان إن في رأسك أطياف. إن الهاجس هو سيطرة الفكرة. في مواجهة عالم أشباح، الكائنات الموجودة في رأسه تتجاوز رأسه

البورجوازي بعمل النسج . فإذا غابت بعض خيوطه كان العمل في زمن خارج الوصل أو خيوطه متباعدة أو عناصره متباعدة.

54- (عبادة العبارة المختزلة عند الاشتراكية البيروقراطية، وعبادة الجملة الثورية عند التروتسكيين)

55 - شخصيات قلقة – مذكور ص 159

56 - جابر بن حيان – مذكور ص 47 مأخوذ عن "كتاب الخواص الكبير" لجابر

وهي لم تبرح رأسه. إن الهاجس الذي يكتشفه في رؤوس الناس ليس سوى هاجسه الخاص الذي يعاين العام من وجهة نظر الأزلية، والذي يأخذ عبارات الناس المُرائية وأوهامهم على السواء على أنها الحوافز الحقيقية لأفعالهم.[57]

في صميم ظاهرة "الكتاب المقدس" نشاهد ظهور نبي إيران زرادشت[58] بوصفه القائم على هذا التداخل الديني بين اليونان وإيران، وهو التداخل المميز للعهد المتأخر من العصور القديمة. نحن نعلم الآن أنه كان في زمان أفلاطون - كما يشهد بذلك حال إيدوكس الكنيدي - صلات حضارية مستمرة بين أثينا والأوساط الفارسية في آسيا الصغرى"[59] . المهم لدينا أن نسجل هذا التوجيه للاهوت النظري الذي يُنظر فيه إلى أفلاطون على أنه استمرار لزرادشت. لم يندثر هذا التقليد أو التوجيه في سنة 529 ميلادية بإغلاق مدرسة أثينا ونفي آخر الفلاسفة اليونانيين إلى بلاط ملك الفرس كسرى"[60]

إن الشرح الكامل لإنتاج السهروردي في مجموعه لا يفترض معرفة المؤلفات اليونانية فحسب، وكيفية انتقالها إلى العرب عن طريق الترجمات السريانية، بل يفترض معرفة الأدب الابستاقي[61] (المزدكي) عامة والفهلوي المتأخر. مثل هذا الشرح أو التحليل

---

57 - ماركس – أنجلز : الأيديولوجية الألمانية ص 161

58 دشن زرادشت أو زراتوسترا سلسلة الأديان التاريخية (ديانات النبوة) حوالي القرن السادس قبل الميلاد

59 - شخصيات قلقة- مذكور ص 160

60 - شخصيات قلقة –مذكور ص 160

61 أصل أبستاقى هو (است أوست بمعنى الوجود أو الخلق ثم لاحقه مبالغة الفاعلية

يجب عليه أن يحسب حساب ما نعرفه عن اللاهوت والليتورجيا[62] الفلكية عند صابئة حرّان، لأن بعض التراتيل التي يوجهها السهروردي إلى ملائكة الأفلاك في مماثلة ظاهرة معها.[63] السهروردي يكرر الليتورجيا الفلكية عند الصابئة الحرانية على وقع تكرار أوامر نمط الإنتاج الآسيوي/ التجاري. يضاف إلى ذلك ولفهم عمل السهروردي إضافة حال الفكر الفلسفي في الإسلام بعد تأثير نقد الغزالي."[64]

لقد وجد علم الحلاج الكامل تكملته في الاستبطان التحقيقي أو تجربة الاستبطان المخادع اضطراراً ؛ وجده في التهكّم من إيمان الناس في عصره، و خاصة المرائين المنافقين من العلماء والفقهاء ، المتاجرين بالدين والعاطفة الدينية؛ "و نظر إلى علماء الحديث والفقه على أنهم بذلوا علمهم للناس فجعلوا العلم فخاً للدنيا ، بعد أن كان سراجاً للدين، وهذا واحد من أهم[65] خنق علماء عصره عليه"[65] وهذا معناه أن زمن الحلاج كان زمنٌ خارجاً عن محاوره ؛ خارج الوصل بعكس زمن النبي محمد[66]. ليست التراتيل سوى هذا الهاجس للفكرة الثابتة من دون وجود إمكان تكملة عملية تاريخية مناسبة؛ من دون إمكانية لتجاوز الشرط القائم. من دون إمكانية

---

62 ـ الأحداث الدورية السنوية أو طقوس دورية تعبدية تستحضر حدث أصلي مؤسس ومقدس (تحيين الحدث الأصلي عن طريق الطقوس)، وكلمة طقس يونانية تعني النظام والانتظام في الممارسة والسلوك.

63 ـ شخصيات قلقة- مذكور ص 161 راجع "الواردات والتقديسات" للسهروردي

64 شخصيات قلقة - مذكور

65 ـ هذا حال ذو النون المصري أيضاً راجع : محمود الهندي: ذو النون المصري؛ التفسير العرفاني للقران الكريم" ص 26

66 ـ نحن هنا أمام تفكك للهيمنة القديمة من دون ظهور هيمنة جديدة بفعل أوامر نمط الإنتاج الآسيوي

لتجاوز نمط الإنتاج أو إحداث تغيير سياسي هام في نواحيه كما في انتقال "قريش من القبيلة إلى الدولة" بوساطة الدعوة المحمديّة .[67]

"رَجل الله يحتاج من جديد إلى خادمه الأمين شيليغا كي ينتقل من الموضوع إلى الذات، من الطيف إلى النزوة، أو من الظهور الشبحي إلى الهاجس"، من فكرة هيغل إلى الوسواس بفكرة هيغل. إن الهاجس هو التراتب في الفرد الواحد ، سيطرة الفكرة فيه وعليه؛ الاغتراب الديني: ما ننتجه نحن البشر نغدو غريبين عنه و يسيطر علينا، كأنه قوة من خارجنا. وهناك طريقة أخرى في التكرار والدوران والزمن الليتورجي الدوري الأسطوري ناجمة عن الطبيعة الراكدة "لنمط الإنتاج الآسيوي" .

في الأشباح يعالج القديس ماكس "الأرواح التي هي ذرية "الروح" و "الطبيعة الشبحية لجميع الكائنات ". نظرته إلى التاريخ تنصّ على "أن الناس هم بصورة قبلية *priori* ممثلوا مفاهيم عامة؛ يعني أن الناس أرواح موضوعية" ظاهرة على شكل شبح جسمي، تملك بالنسبة للناس طابع الموضوعات. وهي تسمى عند هذا المستوى بالأطياف أو الأشباح. إن الشبح الرئيسي لهو الإنسان نفسه، لأن الناس وفقاً لما سبق لا وجود لهم الواحد بالنسبة للآخر إلا في صورة ممثلي العمومية ، الماهية، المفهوم ، المقدس ، الآخر ؛ الروح ، أي لاوجود لهم إلا في صورة كائنات شبحية، في صورة أشباح. إن الروح وفقاً لعلم الظواهر (هيغل) بمقدار ما يملك بالنسبة إلى الإنسان شكل "الشيئية" [الجسمية] هو إنسان آخر "[68]

---

67 قريش.من القبيلة إلى الدولة المركزية " عنوان كتاب خليل عبد الكريم، دار سينا 1993

68 - الإيديولوجية الألمانية-مذكور ص 158

إن شترنر في الشبح رقم *(5)* يكرر كل ما يقوله عدة مرات، وإن أول تعريف نتلقاه أو نتسلمه عن الكائن هنا هو أنه يملك "ملكوتا" ماهية أو ملك سماويّ *(ما يعني بدء التراتيل وتكرار معرفة سابقة عن الكائن)*، ومن بعد يقال لنا أنه الكائن، وبعدئذ يتحول بقدرة قادر إلى الشبح رقم *(6)* : "الكائنات" إن معرفتها والاعتراف بها وحدها ذلك هو الدين؛ ملكوت كائنات"[69] وبعد أن تغرق عيناه بالدموع لذكرى آلام *passions* المسيحيين الأوائل ينتقل إلى الشبح المروع الشبح رقم *(8)* الإنسان *(إنه مذعور من نفسه)* ، في كل إنسان شبح رهيب، شبح مشؤوم مسكون، وأنه ليشعر بضيق عظيم. **إن الإنشقاق بين الظاهرة والوجود** لا يترك له مجال للراحة على الإطلاق، مثله مثل نابال زوج إبيجايل الذي تقول التوراة عنه أن وجوده منفصل عن مظهره الخارجي:*(وكان رجل في معون وأملاكه في الكرمل)*[70] إن كلمة أملاك في الألمانية تعني الكينونة، الماهية *wesen* . الدين من حيث هو دين لا يملك ماهية ولا ملكوت، ففي الدين يحول الناس عالمهم التجريبي *(نمط إنتاجهم المادي)* إلى نتاج خالص للفكر إلى تصور يتراءى لهم واقعاً غريباً. وأنه ليتوجب تفسير هذه الحقيقة انطلاقاً من مجمل نمط الإنتاج والتعامل الاجتماعي كما كان قائماً حتى ذلك الحين والذي هو مستقل عن الفكرة المحضة قدر استقلال اختراع النول الآلي واستخدام الخطوط الحديدية عن الفلسفة الهيغلية. وإذا كان يُتمسك بالحديث عن "ماهية" الدين يعني عن أساس مادي لهذه اللاماهية فإن من واجبه إذاً أن يبحث عنه لا في ماهية الإنسان ولا في صفات الله، بل

---

69 ـ الإيديولوجية الألمانية ـمذكور ص 158

70 ـ الكتاب المقدس: صموئيل الأول (25، 2)

في العالم المادي الذي تصادفه أي مرحلة للتطور الديني قائماً بصورة مسبقة"[71]

إشعاع الأنوار القاهرة الوارد في "حكمة الإشراق" يتكثّر إلى غير نهاية. إن هذا الإشعاع هو الذي يولّد "الخُرّة" وهي تلك **الحضرة** الساطعة التي كان زرادشت نبيها"[72] . "ولما جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربّه قال ربي أرني أنظر إليك فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكّا وخرّ موسى صعقا"[73] والخرّ : السقوط ، والشقّ ، والهجوم من مكان لا يعرف، **والموت**"[74] وأراها سميت صاعقة؛ لأنها إذا أصابت قتلت، يقال : صعقتهم أي قتلتهم. الصَّعْق: الموت، "وخرّ موسى صعقاً"[75] : أي ميتاً ثم رد الله إليه حياته. قالوا أرنا الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم"[76]، "ثم بعثناكم من بعد موتكم"[77]

يكتب هنري كوربان: لقد نبهنا من قبل أن العامل الشخصي الذي نقل اعتقاد السهروردي من الطبيعيات الأرسطية (فيزياء أرسطو) إلى النظام الملائكي (المزدكي) هذا العامل نفسه هو الذي يكشف عن قصائده وتراتيله التي تكون قسماً من إنتاجه". يقول أثينا غوراس: "إن كان علينا استخدام المنطق فقط فقد يبقى حكمنا

---

71 - الإيديولوجية الألمانية - مذكور ص 160

72 - شخصيات قلقة –مذكور ص 165

73 - الأعراف/ 143

74 - (القاموس المحيط ص 384).. قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس" الأنعام /91

75 - الأعراف/ 143

76 - النساء/ 153

77 - البقرة/ 56 (أنظر" تأويل مشكل القران" لابن قتيبة الدينوري تحقيق أحمد صقر ص 501)

وتبريرنا ناتجاً عن كلمات بشرية، ولكن كلام الأنبياء يؤكد حجتنا"[78] إننا ما نزال في منتصف الطريق في تحديد المسألة. راجع نظام العقل ونظام الروح، والدعوات المستعملة عند الصابئة الحرّانية (غاية الحكيم). إننا في هذا المكان نتحدث عن مواجهة بين /أنا- أنت/؛ نتحدث عن معاينة الألوهة وجهاً لوجه؛ فعلياً وبطريقة مباشرة؛ وهو ما يشير إلى بقايا ديانة كونية/ طبيعية. في الاقتصاد السياسي لهذه المقابلة ما تزال قيمة البضاعة تتحدد: بضاعة - مقابل - بضاعة : أنا- أنت) "الفِر"[79] ؛ البضاعة يحرسها ملاك هو نظام العلاقات البضاعية، مع دمار البضاعة المفردة ينحل جسدها في بحر نظام العلاقات البضاعية. هذه البقايا لديانة طبيعية/ تكوينية تضعف شيئاً فشيئاً إلى حد الشحوب في التصوف الواحدي المتأخر، إلى حد المجاز فحسب؛ و المجاز أو المجازة موجودة لجهة الحسيات؛ فهي مَعْبر أو مقفزة أو مجازة باتجاه العقليات. هذه المواجهة بين جسد بضاعة وجسد بضاعة أخرى مواجهة خادعة بما يخص تحديد **ماهية**[80] القيمة؛ قيمة البضاعة ، ونحن ما نزال في حقل التمثيل الحسي (حقل جسد البضاعة). فـ "أنت" ليس حقيقة "أنا". فحقيقة الفرد البشري ليس في الفرد المقابل له. وهذا الخطأ تحريف للوحي الماركسي وقع فيه باختين - حسب اعتقاد

---

78 - أثيناغوراس .. حجة تتعلق بالمسيحية؛ إنجيل يهوذا ص 1

79 - فر: أصول ثلاثة؛ الأول الانكشاف وما يقاربه من الكشف عن الشيء ، والثاني جنس من الحيوانات، والثالث : دال على خفة وطيش. م 4 /438 ferry: **المَعْبَر**؛ مكان عبور النهر بمركب .. ferous– لاحقة معناه منتَج .. far: باللاتينية البُر(القمح)؛ fari: التفوه: أمر التكوين الإلهي. راجع د. علي فهمي خشيم اللاتينية العربية (مقدمة ومعجم) ص 113

80 -الماهية في جواب ما هو الشيء؟ ماهيته والأشياء التي بها قوامه وجزء ماهية جنسه .نقول: ثوب من صوف: الثوب جنسه والصوف حده. راجع الفارابي: كتاب الحروف ص 168

تودوروف- يكتب تودوروف: "سوف نلاحظ فيما بعد أن "المجتمع " يبدأ بالنسبة لباختين، عند ظهور الشخص الثاني المعبر عنه بالضمير (أنت)، ورغم أنه يدّعي أنه ماركسي فإن مفهومه للاجتماعية يبدو هرطقة وخروجاً على الإجماع الماركسي قليلاً"[81]؛ تظهر الهرطقة والخروج عن الإجماع؛ هنا على شكل اختزال المجتمع في ظهور الشخص الثاني (أنت) والذي هو تحريف لفكرة ماهية القيمة الماركسية؛ فماهية القيمة لا تحدد بصيغة (أنا- أنت أو بضاعة- بضاعة أو بضاعة- نقود). هذه الصيغة تبقى براغماتية (تداولية/ تبادلية)؛ أي تبقى عند السطح كتعبير عن السوق وعلاقات البيع والشراء في السوق، وهي مظهر أيديولوجي لحقيقة القيمة أو ماهيتها. فماهية البضاعة وحقيقتها تكمن في ما وراء جسد البضاعة *meta- commodity*: هي بالضبط **وقت العمل الضروري اجتماعياً لإنتاجها**[82] ، تماما كما أن **حقيقة التلفُّظ تكمن في ما وراء اللسانيات** *meta- linguistics* حسب تعبير باختين.

لكن إذا أردنا تحديد مكان أمثال هذه التراتيل والدعوات والمناجاة فيجب علينا أيضاً أن نحسب حساب لكل "المناجاة" المتناثرة في مؤلفات السهروردي، وأذكر من بينها المناجاة الرائعة التي يختتم بها الفصل التقديمي لكتاب "كليّة التصوف" وفيها حرارة في **الاتحاد مع قدرة الواحد**، يلوح أنها صدى مباشر لمزامير الكتاب المقدس. إنه الحنين إلى الاتحاد مع الطبيعة والانحلال بها، بعد الابتذال الذي أصاب عبارات الدين التاريخي (ديانات الأنبياء)،

---

81 - نشتمّ في هذه النبرة حسد الزملاء أصحاب الكار الواحد (حسد النقاد)

82 - راجع رأس المال المجلد الأول ، و المبدأ الحواري ص 46

وبعد إغراق الحكام في استعمال الدين والعبارة الدينية لمنافع دنيئة ولقضايا باطلة.

البرزخ هو في ذاته ظلمة محض *[عدم نور]*[83] ويمكن أن يوجد على هذا الاعتبار ، حتى لو زال عنه النور ، فهو، إذن لا يدل على نور بالقوة ، وإنما هو بإزاء النور سلب محض.[84] على العكس نرى النور هو ما هو بذاته حاضر لذاته أي ظاهر لنفسه بنفسه . ولا يحتاج ولا يمكنه أن يدرك ذاته بشيء زائد عليها". فحقيقة النور هي الحقيقة الجوهرية للذات كحقيقة حاضرة لذاتها. "أنا" غير غائب ولا مملوك ولا مستعبد لموضوع زائد؛ إن السهروردي بهذا يقف عند حد الصورة أو الصنم النفسي (هو= هو)؛ فصورة الموضوع النفسية **المجردة** عنده هي الحقيقة الجوهرية كحقيقة حاضرة لذاتها. إن حضور "الأنا" لذاتها يحجب حقيقة الأنا الذي هو إلّ "هو" بالتالي تغيب التتمة التي مقتضاها أن (هي ليست هو)؛ أي أن الأنا ليست الحق، هو الحق الله لا إله إلا هو له ملك السموات والأرض . "أنا" غير مملوكة أو مستعبدة لـ"هو" إنه تكبّر أنا السهروردي، وهذا التكبّر والغرور وطغيان "الأنائية" سوف يقوده إلى الطرد واللعنة والحرمان ومن ثم الإعدام على درب الحلاج. ودرب: أصل واحد هو أن يغرى بالشيء ويلزمه، يقال: طير دوارب بالدماء إذا أُغريت."[85] واللوم إغراء كما يقول أبو نواس:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراءُ وداوني بالتي كانت هي الداء

و يقول الحلاج:

---

83 - لا أجل في البرزخ

84 راجع أيضاً هنري كوربان: "تاريخ الفلسفة الإسلامية" ص 317

85 - مقاييس اللغة المجلد 2 ص 274

لا تلمني فاللوم مني بعيد وأَجِرْ سيدي ، فإنّي وحيد

من أراد الكتاب هذا خطابي فأقرؤوا واعلموا بأني شهيد[86]

إن النسبة التي هي أم جميع النسب هي " نسبة الجوهر القائم الموجود إلى الأول القيّوم " المطلق بذاته، وهذه الفكرة أفلاطونية محدثة، بيد أن السهروردي ينقلها إلى المصطلح التقليدي للاهوت الزرادشتي[87]. هذه الماهية الأولى هي "بَهْمَن ". هو مانو أول الأمهرسبند السبعة، وهو حكمة يزدان. الماهية الأولى تظهر هنا على أنها **حكمة مكتوبة** *sophia*؛ **صورة**، فكرة؛ مثال. وبينما نشاهد أن عشقه يوجهه إلى الحقيقة التي هي الماهية الأولى المطلقة /أنائية أناه / فإن هذه تشرف عليه بأفضالها وتعاونه، لا تأمره ، بل تعاونه /الشِّرْك/ وفقاً للنظام الذي تراه ، كذلك في مذهب الملائكة عند برقلس (معاونة ، عناية). لكل ماهية معشوق أعلى تشتاق إليه في العالم الأعلى، هذا المعشوق هو نور قاهر، وهو سببه وممده وواسطة بينه وبين الأول تعالى، من "لونه يشاهد جلاله. من جملة الأنوار القاهرة أبونا ورب طِلْسم نوعنا ومفيض نفوسنا، وحكمتها بالكمالات العلمية، وروح القدس (جبرائيل) المسمى عند الحكماء بالعقل الفعال"[88]

تابع السهروردي الكفاح الذي ظل مستمراً ثلاثة قرون ، الكفاح الذي قام به الصوفية في الإسلام ، من أمثال المحاسبي والخراز والحلاج، ضد كل قول بأن عالم العقل هو عالم الروح. يكتب

---

86 ـ الحلاج ، الأعمال الكاملة ص 297

87 ـ شخصيات قلقة – مذكور ص 171

88 ـ نجد عند هيغل: فاعلية المفهوم المتخذ هدفاً.. راجع كتاب هياكل النور ، عن شخصيات قلقة ص 173

انجلز: "فالموضوعة التي تقول بأن كل ما هو واقع معقول ، تتحول ، وفقاً لجميع قواعد التفكير الهيغلية ، إلى موضوعة أخرى، هي أن كل ما هو قائم يستحق الزوال."[89] وهو القول الذي مال إليه الفلاسفة العرب من أتباع اليونان . يكتب ماركس: لم يفعل الفلاسفة حتى اليوم سوى تفسير العالم بطرق مختلفة ، لكن الأمر الهام هو تحويله"[90] فمنذ المحاسبي صار علم "القلوب" في مقابل علم "العقول" لا على أساس تدرج في بيئة عقلية خالصة ، بل هنا تحول أو قفز من البحث العقلي المنطقي بالطريقة الأرسطية إلى قص الحكايات وضرب الأمثال والتذوق الصوفي؛ الممارسة الباطنية للفكر هنا، ممارسة مقلوبة سلبية. لم يعد واقع الدولة واقعاً أخلاقياً ولم يعد العقل الذي يبرر وجودها مبرراً هو ذاته فكان الاعتراض على هذا العقل **بعلم القلب**[91]، قلب الأمر واتجاهه[92] : إنه التحول من *(هي ليست هو)* إلى *(أنا= هو)* أو *(هو= أنا)* ، أو *(أنا= أنا)*؛ "أنا الحق والحق أنا" حسب عبارة الحلاج. وفضل السهروردي في هذه

---

89 ـ بصدد مؤلف انجلز : لودفيغ فيورباخ ص 41

90 ـ مطارحة 11 ص 653 من الايديولوجية الألمانية-مذكور .. بالطبع يخرج عن هذا الحد المشروع المحمدي كاكتمال علم وبُشرى، أي نظرية وممارسة.

91 ـ قال ابن هشام: للقلب أربعة معانٍ: أحدهما؛ الفؤاد، ومنه: ختم الله على سمعه وقلبه. وإنما سمي قلباً لتقلبه . وقيل، القلب أخص من الفؤاد ، ومنه الحديث: (أتاكم أهل اليمن هم أرقّ قلوباً وألين أفئدة ، الإيمان يمان والحكمة يمانية)، فوصف القلوب بالرقة والأفئدة باللين. وقال غيره : (لمن كان له قلب) : أي تفهم وتدبر [التفهم للقلب والتدبر للفؤاد؛ هما علم وعمل] والثاني: العقل، ومنه (إن في ذلك لذكرى لم كان له قلبٌ)[ق: 37] . والثالث: خالص كل شيء ومحضه، ومنه الحديث (لكل شيء قلب، وقلب القرآن يس) . والرابع: مصدر قَلَبْهُ. وجمع القلب قلوب وأقلب. " راجع: شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام الأنصاري ، المكتبة الإسلامية 2010 ص 92 – 93

92 ـ بين أفكار الحلم طائفة أخرى من الأضداد-يصحّ إدراجها في مقولة **"القلب أو العكس التام"**- تبلغ إلى التمثل في الحلم بطريقة عجيبة . حتى لتكاد تستحق وصفها بالتنكيت (**التهكّم**) .." تفسير الأحلام –مذكور ص 336

المجابهة المستمرة فيما بين الفلسفة والتصوف هو في كونه قد أتي بجواب من عنده (من أنائيته) بواسطة فكرة النور التي أوحت إليه بها النبوة الإيرانية القديمة، وهي خلط ديانة كونية/ طبيعية في حدودها الدنيا (أنا- أنت). الهو تظهر هنا على أنها أنا أخرى: أنت أيها الهو تعاونني وأنا لست عبداً لك ولا أسجد لك ؛ لن أسجد لآدم، قالها إبليس . إبليس يخاطب شبح آدم ، معتقداً أن الطاولة التي تقف على رأسها أمامه هي طاولة من خشب فحسب، في الوقت الذي هي بضاعة تستبطن قيمة وتظهر الطاولة الخشبية كشبح لهذه القيمة. لقد حول الفقهاء وعلماء البلاط الأمر الإلهي الذي جاء به النبي محمد حولته هذه الجمهرة، عبر تحريفات وتحويرات وتفسيرات حسية الطابع مبتذلة، إلى بناء بال لا يمكن تبريره عقلياً، وبات سيفاً تضرب به رقاب العباد . إنه زمن خارج الوصل؛ زمن من دون تضافر أبعاده الذاتية والموضوعية.

إن الأنا عند السهروردي يحجب الهو ويظهر على صورة جناح جبريل المظلم، إنه إظهار الحق بالكفر؛ أي "إظهار" الحق بستره! وإبليس كافر لأنه يستر الحق. وما هذا إلاّ ضرباً من التهكّم أو أنا متهكمة لأنها تعرف أن الحق هو من حيث هو، وليس أنا السهروردي سوى أداة لإظهار الحق من حيث هو. لكن السهروردي بهذه المشيئة **مضطرّ** لأن يُظهر أنائيته على أنها هي الحق، بالتالي يُظهر أبلسته وكفره!! إن تلقي الوحي مباشرة من جبرائيل في زمن خارج الوصل يعني إظهار الكفر لإحقاق الحق. ولا يحق الحق إلا بالإعدام وقتل النفس.[93] وبدلاً من أن تتلى التراتيل والمزامير، أن يتلى الحق المُدوَّن بعبارة مقدسة وتكرر تلاوته، تخرج الأنا لتعبّر عن نفسها على أنها هي الحق، ولتكتب

93 - (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) الأنعام / 151

سيرتها في مكابدتها طريق الحق هذا، طريق اللعنة والغربة والصلب والإعدام، طريق الشهادة باستخدام "علم القلب" الذي يحجب الحق بالنفس أو الهو بالأنا (أنا هو) بدلاً من(هوهو). ثم كلّمهم يسوع أيضاً قائلاً : **أنا هو** نور العالم. من يتبعني فلا يمضي في الظلمة بل يكون له نور الحياة "[94] و يقول تحوت: "أنا تحوت مبتكر الحروف وشراب المحبة"[95] ، وتقول إيزيس: "أنا إيزيس"[96]، و يقول الحلاج:

فأنا الحق حق للحق حق **لابس** ذاته فما ثم فرق[97]

ويقول:

كفرت بدين الله والكفر واجب علي وعند المسلمين قبيح[98]

ويقول:

أأنت أم أنا هذا في إلهين حاشاي حاشاي من إثبات اثنين[99]

---

94 - انجيل يوحنا/ الإصحاح 8 : 13

95 - صيدلية أفلاطون- مذكور 47

96 - يرى مورينز هذه **الصيغة الملفتة للنظر بسبب وجود ضمير المتكلم** ، يبدو لنا هذا الاستعمال النادر ملفتاً للنظر لأن هذه الصيغ كثيرة الورود في الأناشيد المكتوبة باليونانية والتي تدفع إلى تدخل الإلهة المصرية إيزيس (أنا إيزيس،)..صيدلية أفلاطون هامش ص 40. ترد هذه الصيغة الأنوية (الأنائية) في القرآن عند حديث عيسى المسيح عن نفسه: (والسلام عليّ [أنا] يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً) مريم / 33 .. "قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين، قال أنا خير منـ ـهُ.." سورة ص/ 75-76 قال فرويد: "الأنا الذي يملك في الحلم كل السلطان.. فالأحلام على أنانية مطلقة" تفسير الأحلام ، مذكور ص 333 .

97 - الحلاج: الأعمال الكاملة ص 315

98 - الحلاج: الأعمال الكاملة ص 297

99 - الحلاج: الأعمال الكاملة ص 325

إذا أراد أن يثبته فقد أثبت أنيته وهو إثبات الاثنينية. "إن تحوت هو الحلاج في ازدواجه الساخر"[100]. إن ازدواجه هذا يعطل عمل الديالكتيك، ويفرض ممارسة أنانية تقود إلى الإعدام.

إن الأنا عند الحلاج وعند السهروردي متابع طريقه يلبّس الهو ويُظْهر الكفر والتلبيس، وهذا من أعمال القلب والتهكم (أنا خير من هو). تكبّر الأنا وظهورها بمظهر الحق هذا تلبيس وكفر، لكن لا مفر، فهما مضطران؛ في **الزمن خارج الوصل** *" The time is out of joint"* يكون تلقي الوحي المباشر من جبرائيل محجوباً بأنا المتلقي، بالتالي يظهر الحق كفراً ويُقتل صاحبه. ألم يدّعي إبليس من قبل بقوله: أنا خير من هو . وبدلا من ترتيل الوحي المدوّن في الكتب المقدسة يقص المتألّه سيرته أو رؤيا حصلت له، ويدوّن هيبا في تراجم عزازيل سيرته ويكتب قصة حياته ومكابدته بدل كتابة ونسخ التراتيل وشعر المناجاة.

'The time is out of joint' : "الزمن خارج الوصل" ، و *time*: تعني الزمن الجاري والتاريخ والعالم. فإذا تفكك الزمن، انهارت أسوار المدينة، واهتزت أركان العالم، وتزعزع الإيمان وحل الشك والريبة والحيرة مكان اليقين والإيمان والتوجّه الأكيد.

"الزمن خارج الوصل"، إن الترجمات لهذه العبارة (عبارة شكسبير في مأساة هاملت) ستجد نفسها بنفسها خارج الوصل. إنَّ الوحي مضطرٌ للظهور برأسين في الترجمة النفسية (أنا- هو)؛ هو حال الحلاج. إن معاني العبارة - في هذه المواجهة - ستبقى ملتبسة بالضرورة .

---

100 - صيدلية أفلاطون -مذكور ص 47

عبقرية الحدث الذي يصنع القانون لكل فرضيات الأصل (الحدث المؤسس؛ الفعل المحمدي أو الوحي المحمدي) هو في أساس هذا الالتباس وهذه المواجهة. فجودة الترجمة لا تستطيع شيئاً ؛ **فالحلّاج الذي تلقّى الوحي وترجمه بنفسه تلقّاه نازلاً عليها منتصباً بالحال، فأظهره كفراً بالاضطرار**. والأسوأ ، وهنا تكمن مأساته، أن الترجمة لا تستطيع إلا أن تفاقم وأن ترسّخ مناعة اللغة الأخرى.

الترجمة الفرنسية لعبارة شكسبير "الزمن خارج الوصل" أظهرت أربعة محاور:

١- "يكون الزمن خارج محاوره" ؛ صورة المحور تبدو أكثر قرباً من الاستخدام المهيمن.
٢- "الزمن مخرّب" هذا يحيل إلى ما هو عليه الجو (الطقس)
٣- "العالم مقلوب" وإن عبارة مقلوب لتبدو قريبة من عبارة بانحراف الفرنسية والتي هي قريبة من الأصل. (خروج القطار عن محاوره؛ انحرافه عن سكته وانقلابه). وهذه الترجمة أقرب لفهم عمل الحلاج.
٤- "هذا العصر لا أخلاق له" *out of joint* . يصف هاملت الانحطاط الأخلاقي أو فساد المدينة ، كما يصف الخلل أو انحراف القيم ، وبهذا نَعْبر بسهولة إلى زمن معْوج أو **ظالم** . وهو انتقال من قيمة تقنية- انطولوجية تؤثر بالحضور إلى الظلم والعسف الاجتماعي الذي هو وضع لاأخلاقي بامتياز. هذه الترجمة تناسب الحلاج والسهروردي كلاهما. و (ظَلَم): أصلان صحيحان أحدهما خلاف الضياء والنور، والأصل الآخر: **وضع الشيء غير موضعه تعدّياً**، والظلام اسم الظلمة؛ يقال: لقيته أول ذي ظلمة، وهي أول شيء سد

بصرك في الرؤية. الحسيّات كعقبة معرفية أولى"[101] إن إنهاء الظلم في آخر الأيام أو يوم القيامة والحساب معناه العدل أو وضع الأشياء في موضعها الصحيح **عدلاً ونوراً**.[102] عدلاً بيريسترويكا ونوراً غلاسنوست. فعودة القائم لا تكون من أجل الثأر من الأعداء بل تكون لإقامة العدل ورفع الظلم ووضع الأمور في موضعها الصحيح؛ الرجل المناسب في المكان المناسب ، ووضع الزمن على محاوره.

إن هاملت لا يلعن فساد الزمن كثيراً ، إنه يلعن أولاً وبالأحرى هذا الأثر الظالم لاختلال النظام ، أي يلعن الحظ الذي ساقه هو هاملت لكي يعيد وضع زمن مخلوع فوق محاوره (على السكة) وأن يضعه مستقيماً، وأن يعيده للحق، وأنه ليلعن مهمته. وأن يقيم العدل على استقامة الزمن. ويصبح ضد القدر الذي قاده إلى تصحيح خطأ الزمن والأزمنة . وذلك بتعديل التوجّه. وأنه إذ يجعل من العودة إلى الاستقامة وإلى الحق حركة إلى التصويب والإصلاح ، فإنه يصبح ضد هذا الشقاء . وهذا الشقاء إنما هو من غير قرار (بئر شطون)، لأنه ليس شيئاً آخر سوى نفسه، أي هاملت الذي ضربه التردد والتحيّر. وإن هاملت خارج الوصل لأنه يلعن مهمته الخاصة، والعقاب الذي يقضي بالعقاب.[103]. إنه

---

101 ـ مقاييس اللغة المجلد 3 ص 468

102 ـ سوف نلاحظ ظهور عبارات في مسار التصحيح السوفياتي الذي قاده غورباتشوف من نمط : التصحيح assainissement من نمط إعادة الصحة أو السلامة (السليم) ، والبيريسترويكا (إعادة البناء الاقتصادي والتوزيع العادل) والغلاسنوست؛ الشفافية أو التصحيح السياسي والدمقرطة . راجع الفصل 6 من كتاب ماندل: "الاتحاد السوفياتي إلى أين؟"

103 ـ أطياف ماركس – مذكور ص 54

هو(أبوه- الملك) من جعل من هاملت كائناً، وأنجبه من أجل الحق، وفي سبيل الحق. هكذا فإنه يدعوه لكي يعيد وضع الزمن على صراطه[104] المستقيم، ويقيم الحق، ويعيد العدل ويقوّم التاريخ، أي خطأ التاريخ. من هنا فإنه ليس ثمة مأساة ، وليس ثمة جوهر مأساوي إلا بشرط وجود هذه الأصالة. لا وجود لمأساة الحلاج لولا وجود الوحي النازل على النبي محمد في أصالته وتأسيسه، ولا وجود لمأساة عيسى لولا الوحي الذي نزل على النبي موسى من قبله[105] وبصورة أكثر دقة، ليس ثمة جوهر مأساوي إلا بشرط الوجود المسبق لهذه الأصالة. السابقة للجريمة، ومعها المأساة والطيفية على وجه الخصوص؛ **الطيفية التي تأتي بها الأصالة أو الفعل المؤسس.**[106]

أما النصوص "الأصلية " فهي خداع يغطي التحريف ويستره. "لدينا أربع كتابات مختلفة لذات الأسفار التي تدخل ضمن مجموعة العهد القديم، مما يدفع بعدد كبير من الباحثين المسيحيين للمطالبة بعدم الاقتصار على النص الماسوري[107] فقط عند القيام بترجمات جديدة، وإنما باختيار الأصلح، والأقرب إلى الصحة من بين النصوص الموجودة"[108] . لكن ما معنى الصحة هنا، وما معنى

---

104 طريقه.. وأصله سراطه أبدل السين صاداً (العبور من سين إلى ميم)

105 - وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه .." المائدة /46

106 - أطياف ماركس -مذكور ص 54

107 - كان يطلق على القائمين بتدوين العهد القديم اسم "السوفريم" Sopherim أي "الكتبة" ثم أطلق عليهم أخيراً اسم "الماسوريين" (masoretes) أي "أساتذة التقليد" .. في نحو 800 م أطلق لقب "الماسوريين" – بدلاً من لقب "الكَتَبة"

108 - مخطوطة حلب ، وتعرف أحياناً باسم "المخطوطة A " : ويذكر في الملحوظة الختامية فيها أن هارون بن أشير (ابن موسى بن أشير) المتوفى في نحو 940م هو

الأصلح؟ إن "كتاب التلاميذ" لدى جماعة العيسويين (بريث حاداشه؛ "العهد الجديد") يحتوي على القواعد التي على أساسها تتم معرفة الحقيقة والبهتان[109]. أما أقوال إنجيل توما الغنوصيّ فتورد على لسان المسيح: "**ليستمر الباحث في بحثه حتى يجد، ولسوف يصبح مشغولاً عندما يجد، وعندما ينشغل سيصبح مندهشاً ، وهو عندئذٍ سوف يحكم على الجميع** "[110] يقول أفلاطون: الدهشة هي " الباثوس" (الحال) الذي يميز الفيلسوف حقاً ، وليس للفلسفة من مبدأ إلا الدهشة من حيث هي باثوس (حال)؛ هي الأرخية (المبدأ) للفلسفة. المبدأ هو العين أو النبع (الدهشة نبع أو عين)، والنبع لا يطرح جانباً مع جريان الماء في المجرى؛ لا يزول مع هذا الجريان، بل ما يزال بحيث يهيمن على مجرى النهر (الجريان) ويسود. الدهشة فعل سائد كالنبع بالنسبة للنهر؛ نهر الفلسفة وسيرها الطويل. يقول هايدغر: " الدهشة هي أرخيّة (مبدأ) ، إنها تسري في كل خطوة من خطوات الفلسفة. الدهشة "باثوس" (حال) . ونحن [يقصد الأوربيين] نترجم عادة

الذي أضاف إليها الحروف المتحركة والحواشي. وهذه المخطوطة مكتوبة على رقوق على ثلاثة أعمدة. وكانت هذه المخطوطة أصلاً في أورشليم ثم نقلت إلى القاهرة، وأخيراً استقرت في حلب. وتعتبر - بوجه عام - أنها المخطوطة التي ذكر موسى بن ميمون أنها أصحّ النسخ، وكانت أصلاً تضم كل العهد القديم ولكن التلف أصاب ما يقرب من ربعها.. و المخطوطات هي عبارة عمَّا يكتب بخط اليد سواء كان هذا ما يكتب على أوراق البردي أو **الرقوق** كما كانت الحال في الأزمنة القديمة، أو ما كتب على الورق فيما بعد ذلك.. كما اكتشف في خزانة معبد اليهود بالقاهرة (Cairo Geniza) ما يقرب من مائتي ألف قصاصة وقطعة من المخطوطات العبرية والآرامية مختلفة الأشكال، نقلت إلى المتاحف و المكتبات الغربية، ولكن تأخرت دراستها دراسة شاملة. راجع أيضاً ، مخطوطات البحر الميت ص 34

109 - أحمد عثمان : مخطوطات البحر الميت" ص 41

110 - البحر الميت- مذكور ص 167

"باثوس" بـ حال، أي فورة من فورات العاطفة، لكن كلمة "باثوس" مرتبطة بالفعل اليوناني "باسخين" ومعناه: يعاني ويكابد ويخبر ويتناغم مع. ونحن نخاطر - كما هو الحال دائماً في مثل هذه الحالات - لو ترجمنا كلمة "باثوس" بكلمة نغم.

هايدغر قلق من إمكانية عدم حصول الدهشة على مبتغاها ؛ قلق من ألا يصل النهر إلى البحر؛ بحيث لا تعرف ماهية الموجود. يقول ابن عربي: "الحال هو الديمومة؛ عين وجود الموجود." الدهشة هي التحدّد الذي فيه ومن أجله ينكشف وجود الموجود. الدهشة هي التناغم الذي من خلاله قيض للفلاسفة اليونانيين التجاوب مع وجود الموجود". ولكن، ما هو "الحال" عند العرب؟ يكتب سيبويه في "الكتاب": هذا باب ما ينتصب من المصادر لأنه حال وقع فيه الأَمْرُ فانتصب لأنه موقوع فيه الأمر، وذلك قولك: قتلته صبراً "؛ يقول سيبويه: " وليس كل مصدر وإن كان في القياس مثل ما مضى من هذا الباب يوضع هذا الموضع ؛ لأن المصدر ههنا في موضع فاعِل إذا كان حالاً ". إذاً المصدر يكون في موضع فاعل إذا كان حالاً أو "باثوس". وجاء في القاموس المحيط أن "الحَوْلُ: السَّنة. أحال: أَسْلَمَ، والشيء تحوَّل. وجمع الحول: حوليات. والمستحالة والمستحيلة من القِسيّ: المُعْوَجَّة. وكل ما **تحوّل أو تغير من الاستواء إلى العوج**، فقد حال واستحال.."[111]

بقيت هذه القاعدة الواردة في إنجيل توما الغنوصي على لسان السيد المسيح قائمة في الحكم على علمية معرفة ما وصوابها (موضوعيتها) حتى ظهور مطارحات (فرضيات) كارل ماركس

---

111 راجع مقالتنا: شخص باختين في النقد الأدبي الحديث، الحوار المتمدن ، وموقع دروب

حول فيورباخ سنة *1845*؛ حيث باتت الصياغة النظرية غير كافية لمعرفة الصواب من عدمه، وأن الحقيقة لا تتحقق إلا بالممارسة العملية. هنا العلم لا يكتمل إلا بممارسته. يكتب ماركس: "إن مسألة ما إذا كان يمكن أن تنسب حقيقة موضوعية إلى الفكر البشري ليست مسألة نظرية بل عملية. فالإنسان يجب أن يثبت في الممارسة حقيقة فكره، يعني واقعية هذا الفكر وقوته في هذا العالم وفي هذا العصر."[112] يحضر كلام ديريدا في "أطياف ماركس" وكأنه تعليق على هذه المطارحة، يقول ديريدا: "في الخطاب العلمي، وبهذا الخصوص فإن ماركس يكون مُكرّماً، ومعترفاً به من قبل ممثلي المعرفة الآخرين. وأنه ليكون بذلك رجل علم، فيستجيب لأخلاق العالم، ويقبل أن يخضع لكل مراجعة نقدية، ومع ذلك فإن كتاب "**رأس المال**" ليعد كتاباً مدمراً في جوهره، والسبب أنه لا يقود عبر طرق الموضوعية العلمية إلى النتيجة الضرورية للثورة إلا لأنه يُدْخِل طريقة من طرق التفكير النظري من غير أن يصوغها كثيراً، **والتي تقلب فكرة العلم نفسها** . فلا العلم ولا الفكر يخرجان سالمين في الواقع من كتاب ماركس . وأن هذا ليكون بالمعنى الأكثر قوة، وذلك بمقدار ما يشير العلم إلى نفسه بوصفه تحولاً جذرياً لنفسه، وقطيعة تكون دائماً موضع رهان في الممارسة ، كما تكون في هذه الممارسة قطيعة نظرية دائماً"[113]

كان بطليموس الثاني (فلاديلفيوس) الذي أنشأ مكتبة الإسكندرية قد استحضر مجموعة من كتبة القدس إلى الإسكندرية خلال القرن الثالث قبل الميلاد الذين جلبوا معهم كتبهم وتم ترجمتها إلى اللغة

---

112 ـ المطارحة الثانية من الإيديولوجية الألمانية ـمذكور ص 651

113 ـ أطياف ماركس- مذكور ص 75 فلام العمل تقلع ميم العلم كما يقول ابن عربي

اليونانية والتي تعرف **بالنص السبعيني** لكتب العهد القديم."[114]
وعندما ظهرت الديانة المسيحية الجديدة، والتي اعتمدت في محاجتها لليهود على ما جاء في كتابات الأنبياء والمزامير ظهر الخلاف بينهما حول الأسفار التي يمكن اعتبارها مقدسة، واجتمع عدد من الأحبار عند نهاية القرن الميلادي الأول بمدينة صغيرة اسمها "يمنية" (ضد شمالية) بالقرب من يافا على الساحل الفلسطيني . قاموا بمراجعة جميع الكتابات الموجودة لديهم وتقرير ما يمكن أن يدخل منها فيما أصبح معروفاً باسم "القانون"، واستبعدوا الكتابات الأخرى. وعلى هذا الأساس فإن النص العبري الذي تم العثور عليه في نهاية القرن العاشر (1008م) والمسمى الماسوري؛ والذي أصبح أساساً للترجمات الحديثة يعتمد على هذا "القانون"."[115]

هناك مصدراً آخر لمعلومات جديدة لم يكن متاحاً من قبل، وهو مخطوطة العهد القديم التي كانت محفوظة في مجمع السفارديم (الكتبة) في حلب. وكان العلماء - في أوائل القرن العشرين - يعتقدون أن هذه المخطوطة كتبها "هارون بن أشير" أحد علماء اليهود البارزين، ومن ثم فهي تعتبر أهم دليل على سلامة النص الماسوري. وفي القرون السابقة وخلال شطر كبير من هذه الفترة، كان يطلق على القائمين بتدوين العهد القديم اسم "السوفريم" أي "الكتبة" ثم أطلق عليهم أخيراً اسم "الماسوريين" (masoretes) أي "أساتذة التقليد". وقد أكد أكيبا (Akiba) أحد قادة الربّيين في بداية هذه الحقبة أهمية استخدام التقليد "كسور حول الشريعة" لحفظ سلامتها. ولسنا نعلم متى بدأ استخدام لقب "ماسوري"، ولكن في

---

114 - مخطوطات البحر الميت -مذكور ص 33

115 - مخطوطات البحر الميت -مذكور ص 33

نحو *800* م أطلق هذا اللقب ـ بدلاً من لقب "الكَتَبَة" ـ الذين كرّسوا أنفسهم للمحافظة على الأسفار المقدسة. إن الرجال الذين كرسوا أنفسهم للمحافظة على الأسفار المقدسة ونقلها، منذ زمن عزرا إلى زمن "الماسوريين"، يطلق عليهم في المخطوطات العبرية اسم "السوفريم" *(Sopherim)* أي "الكتبة". وقد يوحي هذا الاسم بأنهم لم يكونوا سوى "نسَّاخ" والكلمة العبرية التي تعني "يكتب" هي "كَتَبَ" (كما هي في العربية)، وترد أكثر من مائتي مرة في العهد القديم، أما كلمة "سافار" (التي جاء منها الاسم "السوفريم") فمعناها "يحصى". وقد جاء في التلمود بأن حافظي الكتب يدعون "سوفريم" لأنهم يحصون الحروف والكلمات في كل قسم من أقسام الكتاب المقدس. وفي الواقع لم يكن "السوفر" مجرد ناسخ بل كان يعد القوائم ويتابع التفاصيل ويشرف على مختلف أوجه العمل. وأصبح الاسم أخيراً يطلق على كل من يكرس نفسه لكل عمل شرعي[116] أو أدبي. إن أصل كلمة "ماسوري" غير معروف على وجه الدقّة، ولكن المعتقد بصفة عامة أنها مشتقة من الأصل العبري "مازار" والتي تعني "يثسلِّم" ومنه اشتق الاسم "ماسورا" للدلالة على التقليد المُسلَّم من جيل إلى آخر من أجل المحافظة على **الناموس**. ومن غير المعروف متى أطلق على حفظة الناموس اسم "الماسوريين"، ولكن بحلول عام *920*م، اعتبروا أن "الماسوريين" قد أتموا عملهم ولم يعد هذا الاسم يستخدم بعد ذلك."

ولدينا الأسفار السامرية (نسبة إلى السامرة) التي ترجع إلى نص قديم كان موجوداً منذ نشأة هذه الجماعة في القرن الخامس قبل

---

116 "السوفريم" الإسلامي: حماة الشريعة الإسلامية وكتبتها

الميلاد، لم يحدث به أي تغيير"[117]. أما المجموعة الرابعة فهي المخطوطات المكتشفة في خرائب وكهوف البحر الميت في منطقة قمران وغيرها. فعلى سبيل المثال: هناك أسفاراً في المجموعة السبعينية اليونانية لكتب العهد القديم ليست موجودة في القانون العبري الماسوري ، أصبحت الآن تعتبر من الكتب الدينية المشكوك في صحتها وتسمى (أبوكريفا)؛ أي منحولة"[118]. توجد تشابهات كبيرة بين الأسفار السامرية وأسفار (مخطوطات) البحر الميت.

"القانون" اليهودي وجد شبيهه في "قانون الإيمان" المسيحي الذي أمر به الإمبراطور البيزنطي قسطنطين. كان مطلوب من الحلاج "أن يصلح سوءاً في اللحظة التي لا يستطيع أن يُقرّ به أحد، إلا فقط حين يعترف على نفسه جاعلاً الآخر يعترف"، فهاملت الذي يلعن القدر الذي وجّهه ليكون رجل الحق ، فذلك بالضبط كأنه يلعن الحق نفسه الذي نصبه مقوّماً للخطأ . ذلك الذي لا يستطيع أن يأتي كما الحق إلاّ بعد الجريمة، أو لا يستطيع أن يأتي إلاّ بعد بكل بساطة؛ أي في جيل ثانٍ بالضرورة ، ومتأخر من حيث الأصل. إنها لعنة غير محدودة تسم تاريخ الحق أو التاريخ بوصفه حقاً." فأن يكون الزمن خارج الوصل ، فذلك ما تتحقق منه الولادة الثانية (الروحية) نفسها عندما تسخِّر شخصاً لكي لا يكون رجل الحق إلا إذا كان وريثاً مقوماً للخطأ، أي إلا إذا كان معاقباً ومقاصّاً وقاتلاً. ومن هنا ستكون اللعنة مكتوبة في الحق نفسه، وفي أصله القاتل[119]. ويكون الحلاج قد قُتِل مرتين؛ واحدة عند ولادته

---

117 - مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 36

118 - مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 34

119 - (ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق) الأنعام / 151

الروحية (قتل النفس بالحق)؛ ومرة عندما أباح دمه لتصرف الأغيار بإظهار الحق بالكفر، وليزهق باستشهاده ومقتله الاثنينية التي أظهرها (أنا- هو/ هو - أنا).

الطيف: طيف الأصل أو الحدث المؤسس؛ يعني أن النفس تختفي مباشرة في الظهور، في مجيء العائد نفسه، أي عودة الطيف أو الشبح (روح الأب). ثمة مختف في الظهور نفسه عودة ظهور المختفي. إن ظهوره ليجعله غير مرئي تحت لَأْمَه . واللأمة: الدّرع، واللّئم: المثل والشبيه (الشُّبهة) . يقول ديريدا: "الكلام عن الطيف، ربما يكون هذا درس للماركسية لا يمحى من بين دروس أخرى"[120]

رسالة أوزبر جبرائيل (أزيز أجنحة جبريل) قَصٌّ **لرؤيا** سماوية وقعت للسهروردي ذات ليلةٍ، تلقّى خلالها من شيخ حكيم أتى من مكان وراء المكان (ناكُجا أباد: البلد الذي لا أين له ، المكان غير المتمكّن) علم أسرار نشأة الكون ومبادئ الحياة الصوفية. تُرجم نص الرسالة من الفارسية إلى العربية. فقد وجدها الأستاذ ماسينيون في الأوراق التي خلفها المأسوف على شبابه باول كراوس ، ولا بد أنها من عمله. كان انتحاره أكبر خسارة في تاريخ الاستشراق المعاصر. يعرض لنا المصنَّف الظروف التي وقعت فيها هذه الرؤيا[121] الليلية واختفاء الصور والعلائق الحسية، وبعد أن ذكر ما استشعره من **خوف في أول الأمر** وهو في حضرة هذا الشيخ الحكيم [122] أنشأ يقصّ علينا حديثه معه.

---

120 - أطياف ماركس-مذكور ص 39

121 - شخصيات قلقة- مذكور ، هامش ص 211

122 - فاعلية المفهوم المتخذة هدفاً

تقسم الرسالة إلى قسمين: الأول نجد فيه النقاط الرئيسية في المذهب الكوني التقليدي (حدود العقول والأفلاك، وما بينها من علاقات متبادلة) وإيجاد العناصر وإيجاد عالم الكون والفساد" من ثم مقدمة على شكل أمثال ، وليس هدفها البرهان أو الإقناع ، وقيمتها من حيث كونها رموز ليست في مشاركتها في وجود الأشياء ، وإنما في **فعل الفكر** نفسه"[123]. ولولا الشرح الذي وضعه شخص مجهول، لأمكن أن تظل قيمة هذه التشبيهات مجهولة كأنها ألغاز ومُعمّيات "

بعد هذه الأسئلة المتصلة بنشأة الكون والعالم يطلب السهروردي من الحكيم أن يعلمه "**علم الخياطة**" والذي قال عنه من قبل أنه حرفته الرئيسية، وهي ليست إلا إحداث الحوادث في العالم السفلي أي تركيب الهيولى والصورة (وهذا العلم غير ميسر للنوع الإنساني) وكل ما يستطيع أن يعلمه إياه من هذا العلم هو ما قاله له: سأعلمك "قدر ما يمكنك من تصليح خرقتك الخشنة المرقّعة " وهذه المعرفة الجزئية المأخوذة من العملية الكونية (علم الخياطة)[124] ليست سوى الطب"[125] كعلم وفن.

جاء في ترجمة عزازيل في سيرة هيبا الراهب: "في زاوية الغرفة الملاصقة للباب صندوق خشبي مُحلّى بنقوش نحاسية ، كان قد أهداه لي مملوء تمراً ، رجل موسر من مدينة صور، عالجته من

---

123 ـ شخصيات قلقة- مذكور ص 212

124 الخيط الأبيض والخيط الأسود: بياض الصبح وسواد الليل المحيط ص 667

125 ـ قارن هذا بدور الطب في نهاية "رسالة الطير " لابن سينا وهي الرسالة التي ترجمها السهروردي من بعد إلى الفارسية"، شخصيات قلقة-مذكور، هامش ص 213

إسهال مزمن ولم آخذ منه أجراً إحياء لسنة الحكيم الفاضل أبوقراط الذي علّم الإنسانية الطب بأن جرؤ على تدوينه في الكتب." ومعجزة عيسى كانت في الطب" قال: "وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني ، وإذ تخرج الموتى بإذني"[126] هنا تنتهي المرحلة الأولى من مراحل التعليم الصوفي في الرسالة.

في القسم الثاني تختفي الصور التي ترمي إلى معلولات كونية وفيزيائية وتظهر عوضاً عنها سلسلة من المصطلحات والرموز الدينية تماماً، وتعبيرات قرآنية (الروح ، اللوح، الكلمة) وتفسير كثير من الآيات القرآنية وذكر لأبجدية الصوفية أو الأبجدية المرقومة (الجَفْر)." [127] ثم يسأل السهروردي صاحب الرؤيا الحكيم الشيخ قائلاً : "علمني الآن كلام الله" اللهجة هنا تختلف تماماً ، بيد أن الجواب فيه تحفظ: "ما دمت في هذه القرية فلا يمكنك أن تتعلم كثيراً كلام الله تعالى، ولكني أعلمك قدر ما أنت ميسر له" وهناك يلقنه الشيخ حروف عجيبة استطاع فيها أن يفهم معنى كل سورة من سور القرآن ، وهي معان لا تستطيع الحدود ولا الأزمنة (المنطقية) أن تدركها"[128]. **إنّه يتلقى الوحي الإلهي مباشرة في الزمن خارج الوصل؛ يتلقاه ابتهالاً ولعنة؛**

في هذا القسم من الرسالة تسود ثلاث مسائل: الأولى: مسألة الروح القدس والروح المخلوقة و الثانية: ترد في سياق الحديث عن "جناح جبرائيل" بوصفه **مبدأ النظام** في العالم السفلي (عالم الكون

---

126 ـ المائدة / 110

127 ـ شخصيات قلقة ـمذكور ص 213

128 ـ شخصيات قلقة ـمذكور ص 214

والفساد)، فَذَكَر **صدور الكلمات** أو الأنوار (عن الأول أو الخير المحض) وآخرها جبرائيل نفسه .

المسألة الثالثة هي التي يتحدث فيها عن جناحي جبرائيل؛ الجناح المضيء والجناح المظلم، ويكشف عن معنى كليهما"[129] عندما وصل السهرَوردي إلى منتهى التجريد في تجربة فردية ذاتية صوفية أضاء نور الحق إضاءة كاملة فكان جناح جبريل المضيء فأصاب أنائيته العجب والغرور فظن أن أنائيته هي الحق فحُجب الحق بغرور الأنائية لغياب الزمن المتضافر أو المتصل الأبعاد فظهر جناح جبرائيل الثاني المظلم، وهو ليس جناح جبرائيل بل ظل النفس المستكبرة المغرورة التي حجب غرورها ضوء جناح جبريل. في المسألة الأولى يكون الحديث عن جبرائيل الروح القدس الأمين في الثانية عن جناحه المضيء وجبره للعلم وإظهاره الحق بالروح وفي الثالثة يظهر الجناح/ التلبيس أو الملتبس وهو الجناح المظلم بتلبيس الحق المضيء بوهم الأنا الظانة أنها هي الحق، وهذا الجناح عائد للنفس المتكبرة التي حجبت ضوء الحق. في الزمن خارج الوصل يظهر توحيد الحلاج ومن بعده السهروردي كفراً وتلبيساً (أبلسة) وبدل نسخ التراتيل وتكرار إنشادها، ما برح يقص سيرته في إظهار الكفر. في الزمن خارج الوصل يظهر الحق كفراً ويغدو إبليس صاحب الحلاج وأستاذه، فصاحباي وأستاذاي إبليس. وفرعون، وإبليس هُدّد بالنار وما رجع عن دعواه وفرعون أغرق في اليم وما رجع عن دعواه ولم يقر بالواسطة البتة[130] وإن قتلتُ أو صلبتُ أو قطعت يداي ورجلاي ما

---

129 ـ شخصيات قلقة-مذكور ص 214

130 ـ التوسطات أمور أساسية في الديالكتيك "الماركسي"؛ كل شيء مشروط .

رجعت عن دعواي "[131]. صاحباه! لأنه ليست هناك وسيلة لإظهار الحق في هذا الزمن المفكّك إلا بحجبها بطغيان الأنا المتكبرة.

جاء في الترجمة: "أنت وحدك يا إلهي الرحيم لك المجد تعلم أنني اقتنيت هذه الرقوق قبل سنين، من نواحي البحر الميت، كي أكتب فيها أشعاري ومناجاتي لك، ليتمجد اسمك بين الناس في الأرض مثلما هو مجيد في السموات. وكنت أنوي أن أدون فيها ابتهالاتي التي تقربني إليك ، وقد تكون من بعدي صلوات يتلوها الرهبان وأهل الصوامع الأتقياء في كل زمان ومكان . ها أنا لما حان وقت التدوين، أوشك أن أكتب فيها ما لم يخطر لي من قبل على بال، قد يجرّني إلى طريق الويل والوبال. يا إلهي أتسمعني أنا عبدك الحيران: هيبا الراهب وهيبا الطبيب وهيبا الغريب.. ارحمني يا رحيم فإنني مشفق مما أنا مقبل عليه ، **ولكنني مضطر** ، فأنت تعلم في سماواتك البعيدة، كيف يحوطني إلحاح عدوي وعدوك اللعين عزازيل الذي لا يكفّ عن تدوين كل ما رأيته في حياتي.. فأنقذني يا إلهي من وسوسته **ومن طغيان نفسي**.. فقد صارت نفسي معلقة من أطرافها تتنازعها غوايات عزازيل اللعين، **ونكايات أشواقي بعد ابتعاد مرتا التي انقلبت معها دولة باطني**" . فبعد انهيار بعض أسوار مدينته الباطنية على أثر حرمان نسطور وطرده واتهامه بالهرطقة والكفر أصابه الحنين إلى الدين الكوني/ الطبيعي الوثني من جديد .

المسألة الأولى تقديم للمسألتين الأخريين، لأن جبرائيل هو الروح القدس. إن لله كلمات كبرى هي الأنوار الصادرة عن نوره، وجبرائيل آخرها (لجهة النفس الآدمية الناطقة) فهو الملك الذي

---

131 - الحلاج: الأعمال الكاملة-مذكور ص 192

بعثه الله لينفخ في آدم من روح الله لمّا أن خُلق وظهر (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم)[132] وهو كذلك الملك الذي أرسله الله من بعد إلى مريم. وتلى بعد هذا آيات تشير إلى أن الروح القدس معناها جبرائيل وأنه هو الكلمة الناطقة، وبنو الإنسان هم الكلمات الصغرى الصادرة عن هذه الكلمة"[133] "إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم"[134] ". "ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون "[135]

ويطلع النهار ويجد التلميذ نفسه وحيداً غريبا يبلغه شوق لا يبلغ مداه التعبير، ولا جدوى بعد في الصيحات والدموع ، وما يبقى هو الدعوة المضمرة المتضمنة في مستهل الحديث؛ ما دمت في هذه القرية (الخاضعة للكون والفساد) فلا يمكنك أن تتعلم كثيراً من كلام الله تعالى، والواجب إذاً ألا يفكر بل أن يرحل، ويعود فعلاً إلى بيته السماوي؛ تعود روحه إلى السماء بعد أن كانت قد هبطت منها لحكمة وبثقل العالم الفيزيائي؛ عالم الحسيات والجسد والجسدية. "وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيه السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين"[136] "ولقد صدق عليهم إبليس ظنه إلا فريقا من المؤمنين"[137]

---

132 - الأعراف / 172

133 - شخصيات قلقة-مذكور ص 214

134 - النساء/ 171

135 - البقرة / 87

136 - سبأ / 18 ، الحشر / 14

137 - سبأ / 20

التوحيد عند الحلاج و السهروردي مقلوبٌ معكوسٌ في صورته الأولية؛ أي في حال إبليس كما وصفه الحلاج: اعلم أن العبد إذا وحّد ربّه تعالى فقد أثبت نفسه، ومن أثبت نفسه أتى بالشرك الخفي، وإنما الله تعالى هو من وحّد نفسه على لسان من يشاء من خلقه" لقد عبد إبليسُ الله على التجريد يقول الحلاج في طاسين الأزل والالتباس: وما كان في أهل السماء موحِّد مثل إبليس. حيث إبليس تغير عليه العين وهجر الألحاظ في السير[138] وعبد المعبود على التجريد، ولُعن حين وصل إلى التفريد وطُلب حين طالب بالمزيد، فقال له اسجد قال: لا غير (أنا، لاغير) ، وقال له : وإن عليك لعنتي، قال: لا غير (أنا، لاغير) "[139] يقول الحلاج:

بيني وبينك إنيٌّ يزاحمني فارفع بإنّيك إنيّي من البين

يلاحظ السهروردي أن الحلاج وقد سأل الله بهذا البيت أن يرفع هذه البقية (هذه الإنيّة التي تحجب الحق وتلبّسه)، قد أعطى حق "تصرف الأغيار في دمه" فمن دون إعدامه وقتله لن يكتمل ظهور الحق واكتمال توحيده . "الكل هو الحقيقة والكل باطل "[140] فقد بلغ العالم البورجوازي نهايته التاريخية وبدأ انحطاطه واحتضاره.

---

138 - في سير التطور من الديانات الوثنية الكونية / الطبيعية إلى الديانة التاريخية (ظهور آدم والأنبياء) وتحول اسم عزازيل: إلى إبليس. فإن الحنين إلى الديانة الطبيعية والأنثى المقدسة أعاد ظهور اسم عزازيل. وفي احوال عزازيل اقاويل احدها انه كان في السماء داعيا وفي الأرض داعياً.. في السماء دعا الملائكة يريهم المحاسن ، وفي الأرض دعا الأنس يريهم القبائح " الحلاج الأعمال الكاملة-مذكور ص 192

139 -الحلاّج: الأعمال الكاملة-مذكور ص 190

140 - هربرت ماركوز: العقل والثورة ص 25

الباب الثاني

إمكان تحريف الوحي "بالكتابة" والترجمة والتدوين

الحرف من كل شيء: طرفه، وشفيره، وحدّه، والتحريف: التغيير **وقطّ القلم محرفاً**. و تحريف الكلام: عدله عن جهته [141]، و قَلَم: تسوية شيء عند بريه وإصلاحه. يقلّم منه كما يقلم من الظفر [142]. و "برأ: أصلان، أولهما الخلق (الخالق البارئ المصوّر) و الثاني: التباعد من الشيء ومزايلته من ذلك البرء وهو السلامة من السُّقم" [143] و "برّ: أربعة أصول، الصدق، وحكاية صوت (الصوت إذا أُمرت الغنم وسيقت)، وخلاف البحر ، ونبت (أبرت الأرض إذا كثر برها ؛ الحنطة). برّت يمينه: صدقت" [144] وبروى: أصلان: أحدهما تسوية الشيء نحتاً ، والثاني التعرّض والمحاكاة. الأول يقال برى العود يبريه برياً، وكذلك القلم. يقول العربيّ: اعط القوس باريها؛ أي كل الأمر إلى صاحبه. وقولهم للبعير أنه ذو بُراية أي برى برياً محكماً [145] وفي سورة النساء جاء قوله: "الذين يحرفون الكلم عن مواضعه" [146]

والوحي: الإشارة والكتابة والمكتوب، والرسالة والإلهام والكلام الخفي (كتاب مرقوم)، وكل ما ألقيته إلى غيرك (الهو يلقي على

---

141 - القطّ: قطع الشيء بسرعة عرْضاً م 12/5

142 - مقاييس 15/5 ، مقاييس 43/2 ، والمحيط ص 799-800

143 - مقاييس 236/1

144 - مقاييس 1 /177

145 - .. مقاييس 233/1

146 - النساء/46

الأنام والصوت. والوحى: السيد الكبير، والنار، والملك والعجلة، والإسراع."[147] وحى: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك، الإشارة، والكتاب والرسالة (ورسلنا لديهم يكتبون). والوحيّ: السريع، والوَحَى: الصوت"[148] والوحي ثلاث مراتب أولها الأحلام وأوسطها الإلهام وأعلاها المناجاة وهي أجلها وأشرفها"[149] والحلم الرؤيا، والإلهام التلقين يقال ألهمه الله خيراً؛ لقّنه إياه، أما نجو؛ فهو أصلان: أحدهما كشط وكشف، والآخر ستر وإخفاء؛ والنجوى: السِّر بين اثنين."[150] النجو مُسارّة عن طريق السمع إذ لا يصدر عن الأنبياء "إلا ما علموه من هو حقيقة وشاهدوه عياناً أو سمعوه مناجاة حقيقة عارية عن الوهم "[151] والوحي يكون للأنبياء ولأم موسى وللأرض وللنحل (آيات) هو كلمة نباتية وكلمة حيوانية وكلمة آدمية ناطقة. **أصل الكتاب ما كتبه الله في اللوح مما هو كائن؛**[152] أي جبر الأمر في النفس الناطقة. الرجل يخاطب الرجل شفاهاً. فالمخاطبة: الوحي، وهو الكلام. وإنما وحي النبي لقومه هو مخاطبته لهم فوحي الرسول مخاطبته لقومه. ألا ترى ما كان من قصة مريم بولادة عيسى وأنّ زكريا أوحى إلى قومه وحياً فكان وحيه إيماء وإشارة بغير نطق امتثالاً لما أُمر به . وتأتي كتب بمعنى قضى وقُضيَ وفُرِض وجعل وأمر

---

147 القاموس المحيط ، ص 1342

148 مقاييس (93/6)

149 الشيخ يعقوب الحسن: التذكرة الروحية ص 21

150 معجم مقاييس الجزء5 ص 399

151 التذكرة الروحية- مذكور ص 27

152 بعبارة تميل للعلمانية: ما كتبه الأمر في النفس مما(بما) هو كائن. ثم أعطي موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء ، لوحي شريعة **مكتوبين باصبع الله** (خروج 18/31).

"[153] والوحي: كل شيء دللت به من كلام أو كتاب أو إشارة أو رسالة". والوحي إلهام. وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحِيَ بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم"[154] والوحي إعلام بالوسوسة من الشيطان :"وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم "[155] " شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا"[156] والوحي أمر. قال: " بأن ربك أوحى لها"[157] وحى: كتب (الكلمة تكتب) بهذه الكلمة قرت الأرض وسُخّرت"[158] قال الواقدي أن معاوية بن أبي سفيان قال يوماً لكعب الأحبار هل تجد للنيل ذكراً في كتاب الله يعني في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قال والذي فرّق البحر لموسى إني لأجد في التوراة أن الله يوحي إليه عند ابتدائه (ابتداء الفيضان) ويأمره أن يجري حيثما شاء الله تعالى ثم يوحي له عند انتهائه(انتهاء الفيضان) ويأمره بأن يرجع راشداً حيث شاء الله تعالى يعني أن الله تعالى يوحي إليه عند زيادته ونقصانه. قال المسعودي أن زيادة النيل ونقصانه بالسيول وكثرة الأمطار، وقال أيضاً: ليس في الدنيا نهر يزيد بترتيب وينقص بترتيب غير النيل "[159] أوحى إليه. **أي أن أمره هو مبدأه وعلّة فيضانه ومواقيت هذا الفيضان ومواقيت النقصان**، وعلى هذا الترتيب والانتظام في الفيضان قامت السنة القبطية والتقويم القبطي القديم .

---

153 تأويل مشكل القران-مذكور ص 462-463

154 الشورى / 51

155 الأنعام / 121

156 الأنعام / 112

157 الزلزلة / 5

158 تأويل مشكل – مذكور ص 490

159 الشيخ ابن إياس الحنفي: "بدائع الزهور في وقائع الدهور" ص 16، 18

(رَقَم): أصل واحد يدل على خَطّ وكتابة وما أشبه ذلك، فالرقم: الخَطّ والرقيم الكتاب. والأرقم من الحيات: ما على ظهره من الخط كالنّقش. قال الخليل: الرَّقْم: تعجيم الكتاب. يقال كتاب مرقوم إذا بينت حروفه بعلاماتها من التنقيط (فُكّت عجمته بإظهار علامات التنقيط)[160] يقول مترجم "عزازيل": أمضيت سبع سنين في نقل هذا النص من اللغة السريانية إلى العربية (1997-2004)[161]. غير أني ندمت على قيامي بترجمة رواية الراهب هيبا هذه. وأشفقت من نشرها في حياتي. خاصة وقد حطّ بي عمري في أرض الوهن، وآل زماني إلى خط الزوال."

يبدو أن العمل على فكرة رواية "عزازيل" قد بدأ سنة 1997 وذلك بعد نشر كتاب أحمد عثمان "مخطوطات البحر الميت" في طبعته الأولى / مايو 1996 وبعد نشر الترجمة العربية لكتاب أفلوطين الوحيد "التاسوعات" في طبعته الأولى سنة 1997 وبعد نشر ترجمة رواية "اسم الوردة" لإمبرتو إيكو في طبعتها الثانية سنة 1997. وقد استمر العمل بكتابة الرواية، الذي هو ضرب من التراجم أو السيرة الذاتية، مدة سبع سنوات (حتى 2004)- الرقم سبعة ، حسب الفيلسوف فيثاغورث، رقم يوافق كل المناسبات الدينية خاصة

---

160 مقاييس 2 ص 425-426

161 - في نشيد بعل تفاصيل طويلة لها علاقة ببناء هيكل لبعل وهو شرط لا غنى عنه لإتمام رسالته كإله للخصب . وهذا الهيكل يتم تكريسه في الشهر السابع. وهو التاريخ الذي اختير في العهد القديم لتكريس هيكل سليمان. فاجتمع إلى سليمان الملك جميع رجال إسرائيل في العيد في شهر الإيتانيم وهو الشهر السابع (ملوك 3: 2،8) رأس شمرا ص 89 . إن الحضور الكبير للعدد سبعة في حضارة كنعان يعني هيمنة النظام القمري في هذه الحضارة. الأسبوع سبعة أيام والشهر القمري أربعة أسابيع ومنازل القمر أربعة كل منها سبعة أيام (28). فالخلق يستوي في اليوم السابع: خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش (في اليوم السابع) ، وله علاقة بزراعة القمح البعل المعتمد على مواسم الأمطار.

مناسبة التحول والخلق والانبعاث من جديد (زراعة القمح)- يقول لوكيوس وهو حبيس جلد الحمار: وبشوق جَذَل تلوتُ هذه الصلاة الصامتة إلى الربّة العليّة والدموع تسحُّ على وجهي المشعّر"[162].

"ولما كان للعذراء السبعة من الأعداد، كانت لها السبعة والسبعون، والسبعمائة من الأعداد في تضاعف الأجور، وضرب الأمثال في الصدقات. كمثل حبة أنبتت سبع سنابل يضاعف إلى ما لانهاية ولكن من حساب السبعة. وإنما كانت الفروض المقدرة، في الفلك الأطلس، اثني عشر فرضاً. لأن **منتهى أسماء العدد** إلى اثني عشر اسماً وهو من الواحد إلى العشرة ، إلى المائة هو الحادي عشر إلى الألف وهو الثاني عشر، وليس وراءه مرتبة أخرى يكون التركيب فيها بالتضعيف إلى ما لا نهاية"[163]. فحروف اللغة العربية التسعة الأولى تنتهي بالياء(عشرة)، والتسعة الثانية تنتهي بالمائة حتى القاف (الحادي عشر) والتسعة الثالثة تنتهي بالألف وهي الغين (الثاني عشر). برج العذراء (أو حاملة السنبلة) هو البرج السادس من الأبراج الإثنى عشر من دائرة البروج أى قوس من دائرة مسار الشمس. برج من الجهة الشمالية للسماء. تمر الشمس من برج العذراء من 23 أغسطس إلى 22 سبتمبر. تكون الشمس في هذا البرج عند أواخر الصيف. حسب الأساطير الإغريقية، العذراء هي أستريا (ميثرا)[164] ابنة الإله زيوس[165]، وهذا هو رمز العذراء: ♍

يقول مترجم عزازيل: إنني مقدم على عمل تفسيري الخاص الذي لن تستطيع رموز اللغة أن تشي بمعناه للعامة" "فهو يجعل حقيقة

---

162 - لوكيوس أبوليوس: تحولات الجحش الذهبي ص 243

163 ابن عربي: الفتوحات المكية -مذكور السفر الرابع ف 483-484

164 - ميثرا إله النور وحامي الحقيقة وعدو قوى الظلام عند الفرس Mithras

165 ويكيديا

التفسير "فردية" ويحول بين انحدارها إلى مرتبة "التعميم" الخاصة بالرموز، مرتبة البيئة القابلة لأن يدركها مباشرة كل إنسان "[166] "إنها آيتي التي لم تجعل للعالمين". آيتي وهي حبيسة نفسي أهديها إلى ابنتي آية.

إنني مشفق على نفسي لأنني مقدم على إفشاء سر هو أكثر خطراً من سر الكأس المقدسة (العهد الجديد)[167] أو حقيقة مريم المجدلية في شيفرة دافنشي وأكثر فضيحة من سيرة العاهرة الكاتبة في رواية "إحدى عشرة دقيقة" لباولو كويلهو. إنني بعملي هذا أفشي سر الكنيسة الكاثوليكية بعينها بالتالي أنا أواجه تاريخاً طويلاً طول الدهر من التضليل العالمي لحقيقة عيسى وأمه مريم البتول العذراء المقدسة. وأفشي العسف التاريخي الذي وقع على مفكري آسيا الآرامية/ العربية وعلى مفكري مصر من قبل "آباء الكنيسة"، وأفشي سر تهميش الثقافة الآرامية/ العربية نظراً "لتحول آباء الكنيسة إلى أساقفة يحددون ما هي التعاليم الصحيحة وما هو هرطقة"[168]. ظهر التمرد على هذه التعاليم مع بداية القرن الثاني، ومع ظهور ما يسمى مرحلة آباء الكنيسة في العالم الروماني، والتي أعقبت مقتل بولس الرسول على يد الإمبراطور الروماني نيرون بداية ستينيات القرن الأول للميلاد. مع بداية مرحلة آباء الكنيسة وانقسام الجماعة المسيحية إلى كهنة وأعضاء تابعين لهم (جمهور المؤمنين)، انشقت الجماعة المسيحية العالمية على نفسها، حيث انفصلت الفئات التي رفضت سلطة الكهنة وكونت حركة

---

166 شخصيات قلقة -مذكور ص 180

167 - رسالة بولوص إلى أهل كورينثة

168 - مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 149

مضادة خاصة في مصر وبلاد الشام والأناضول."[169] منذ منتصف القرن الميلادي الثاني بدأ الآباء يوجهون انتقاداتهم لمن يخالفهم الرأي، لهذا ظهر انقسام كبير داخل الجماعات المسيحية التي كانت تعاني من اضطهاد الرومان لها في ذلك الوقت. وحدد الآباء ما يجب على الأعضاء قبوله، وأعلنوا **الشهادة** التي يتوجب على كل مسيحي إعلانها لقبوله في الجماعة التي اعتبرت نفسها "أورثوذوكس" أي تتبع الطريق الصحيح، و"كاثوليك" أي عالمية، إلا أن بعض الجماعات المسيحية - خاصة في مصر- رفضت قبول نص الشهادة، بل إنها رفضت سلطة الآباء عليها، إذ اعتبرتها سلطة مغتصبة غير شرعية، عندئذ أعلن الآباء أن الرافضين لسلطتهم يعتبرون هرطوقيين خارجين على الطريق الأورثوذوكسي السليم. وكان الأسقف "إيرينيوس" كاهن كنيسة مدينة ليون، أول من أصدر كتاباً في خمسة أجزاء عام *180* ميلادية يهاجم فيه جماعات الرافضين لسلطة الكهنة، ويطالب بالقضاء على "ما يسمى زيفاً بالغنوص"[170]. أصبح اسم "الغنوصيين" يطلق على الخارجين على تعاليم الآباء بسبب بحثهم عن المعرفة ، إلا أن المعرفة المقصودة هنا ليست هي المعرفة الفكرية، أو الحسية وإنما هي نوع من الرؤيا الروحية التي تهدف إلى إدراك الروح الإلهية عن طريق معرفة الذات، هي معرفة "بالقلب"؛ فمعرفة النفس عند الغنوصيين هي الطريق لمعرفة الربّ، حيث أن النفس الإنسانية عندهم جزء من الروح الإلهي."[171]

---

169 - مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 149

170 - مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 152

171 - مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 153

في كتابات نجع حمّادي نجد أن يسوع لا يتحدث إلى تلامذته عن الخطيئة والغفران كما يتحدث عنها آباء الكنيسة، وإنما عن الجهل والمعرفة، فالخلاص عند الغنوصيين يأتي عندما يتعرف الإنسان على طبيعة كيانه الروحي ويدرك أن الخلود للروح وليس للجسد، الذي يعتبرونه رداءاً مؤقتاً، وعلى هذا فإن قيامة المسيح من الأموات عندهم لم تكن قيامة جسدية وإنما قيامة روحية. فليس هناك في كتابات الغنوصيين ما يدل على أن المسيح قد التقى بتلاميذه لقاء جسدياً ، وإنما ظهر لهم في تجربة روحية. "[172]

لقد ظهر الغرب اليوناني- الروماني وكأنه بلا أصل أصله الآرامي/ العربي أصله الآسيوي/ الكريتي. نقرأ عند توينبي: "اعتماداً على ما أمكن قراءته من الأدلة على طقوس العبادة الكريتية القديمة، يبدو أننا لا نميز جوهراً روحياً فحسب ، بل نرى في أتباعه شيئاً يشبه الإيمان الذي كان يدفع خلال الألفي سنة الماضية أتباع الديانات الشرقية المتعاقبة الإيرانية والمسيحية والإسلامية. والخلاصة العامة أننا تجاه ديانة تمتاز بالتوحيد إلى حد كبير، ويشغل فيها الشكل الأنثوي للألوهة المكان الأعلى. "[173]

منذ هوميروس والغرب في غربة عن أصله الثقافي، يكتب إلياد: "لا يسعنا تناول مشكلة الأسطورة الإغريقية دون تردد. لا لأن الأسطورة اليونانية قد كانت مصدر إلهام للشعر الملحمي والتراجيديا والكوميديا والفنون التشكيلية، بل لأن الأسطورة لم تخضع للتحليل الطويل كما خضعت له في الثقافة الإغريقية، حتى خرجت منه **"منزوعة الأسطرة" جذرياً**. لقد تصادفت العقلانية /الفيزياوية/ الأيونية مع نقد ما انفك يعمل حتاً في الميثولوجيا

---

172 ـ مخطوطات البحر الميت مذكور ص 154

173 أرنولد توينبي: مختصر دراسة للتاريخ الجزء الأول ص 42-43

"الكلاسيكية" على نحو ما عبر عنها هوميروس وهيزيود. فإذا كانت كلمة أسطورة "*mythe*" تعني خرافة *fiction* في جميع اللغات الأوربية ، فما ذلك إلا لأن الإغريق قد أعلنوها كذلك منذ خمسة وعشرين قرناً"[174]. وقد ورثت العلوم التجريبية الصاعدة في عصر النهضة الأوربية هذا العيب لمفهوم العلم من الإغريق المتهمّرين. ونجد هذا العيب أيضاً في كتابات بعض دارسي الأسطورة كالقمني في كتابه "النبي موسى.." حيث يقول: "لا يخلو كتاب أو سفر من اسفار العهد القديم من خرافات وأساطير واضحة ملتبسة وقعت بالفعل. بل نجد تلك الأساطير والمبالغات قد أصبحت في اليهودية ومن بعدها في اليهودية وتراث الإسلام موضوع تصديق وإيمان باعتبارها حقائق حدثت بلا شك"[175] يكتب غارودي: "الغرب حادث عارض، ثقافته مسخ، لقد بترت من أبعاد جوهرية . فمنذ قرون ادعت هذه الثقافة بأنها تنحدر من إرث مزدوج يوناني - روماني ويهودي- مسيحي . لقد انبثقت أسطورة "المعجزة الإغريقية" لأن هذه الحضارة بترت عمداً عن جذورها الشرقية؛ عن تراث آسيا الصغرى، عن آيونيا تلك، إحدى مقاطعات الفرس حيث رأى النور أعظم الملهمين من طالس دي ميليت إلى كزونوفون دي كولوفون ومن فيثاغورس دي ساموس إلى هيراقليطس دي إيفيز، الذين فاحت من خلالهم نسائم إيران زارادشت وفيما وراءها، الهند الفيدية والأوبانيشادا قريبة الشبه بما يشبه اللغز بأفلاطون "[176].

---

174 مرسيا إلياد: مظاهر الأسطورة ص 140-141

175 د. سيد القمني: النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة ص 39 واضح هنا أن القمني يستعمل الأسطورة والخرافة بمعنى واحد. وهو تكريس للعقلانية الفيزياوية التي تعتبر كنايات اللغة ضرب من شعرية فارغة من المعنى والحقيقة!

176 روجيه غارودي : وعود الإسلام ص 15

يكتب لوكيوس ابوليوس: " كان المنظر عبارة عن نموذج جبل من الخشب، قصد به جبل إيدا الشهير الذي ذكره هوميروس، قطعة جليلة من معمار المسرح، شاهق العلو، تعمّه الخضرة وتملأه عشرات الأشجار وقد دبّر مصمم المنظر حيلة ليتفجر جدول من قمة الجبل ويسيل على جانبه، وكان قطيع من الماعز يرعى الكلأ وراح شاب يتمشى حولها، مرتدياً ثياب آسيوية فضفاضة، وعلى رأسه تاج من الذهب . كان يمثل باريس الراعي الفروجي . تقدمت يونو(جونو) نحو باريس بهدوء تصاحبها موسيقى لطيفة تنبعث من مزمار بنغم أيوني . وكانت إيماءاتها القصيرة الواثقة تأكيداً لباريس أنها سوف تجعله إمبراطوراً على آسيا بأجمعها لو حكم بأنها أجمل الثلاث"[177].

نورد هنا مثلاً عن هذا التغييب لثقافة آسيا الغربية يقدمه فرويد في تفسير الأحلام على هامش الصفحة *(128)* حيث يقول: "لقد ترك لنا أرتيميدوروس الأفسوسي، المولود في القرن الثاني للميلاد على الأرجح ، كتاباً في تفسير الأحلام كما كان يعرف في العالم اليوناني الروماني يفوق كل ما عداه من حيث الاستيعاب وضخامة الجهد. وترينا الروايات الحديثة للمبشر تفنكدجي *(1913)* أن مفسري الأحلام المحدثين **في الشرق** يعتمدون هم أيضاً اعتماداً كبيراً على مؤازرة الحالم، فهو يتحدث عن مفسري الأحلام بين **أعراب** ما بين النهرين قائلاً: ولكي يفسر حلم ما تفسيراً مضبوطاً ، ترى أمهر المفسرين يسألون من يشاورنهم عن جميع الملابسات التي يرون وجوب معرفتها من أجل الوصول إلى الحل الصحيح. وخلاصة القول أن مفسرينا (من الأعراب) لا يتركون كبيرة أو صغيرة تفوتهم، ولا يدلون بالتفسير المنشود إلا بعد أن يمتلكوا الجواب عن

177 ـ تحولات الجحش الذهبي ص 238-239 والثلاث هن: يونو ومنيرفا وفينوس

جميع أسئلتهم تمام الامتلاك. ومن بين الأمثلة التي يوجهها المفسرون أسئلة تهدف إلى الإلمام بأوثق صلات الحالم بذوي قرباه؛ الوالدين، الزوجة والأولاد. وقد نبهني الدكتور ألفريد روبتسك إلى أن كتب الأحلام الشرقية التي كتبنا بجوارها سرقات حرية بالرثاء كثيراً ما تستند في تفسير عناصر الحلم إلى ما بين الألفاظ من الاتفاق في الجرس أو التماثل. وضياع هذه العلاقات ضياعاً محتوماً عند الترجمة هو الذي يعلل استغلاق بعض التفاسير التي نجدها في كتب الأحلام الشائعة بيننا . ويجد القارئ في مؤلفات فينكلرز مزيداً من المعلومات عن القيمة الخارقة التي تعلقها **المدنيات الشرقية القديمة** على **التورية واللعب اللفظي** . وعلى مثل هذا اللعب يقوم أجمل مثال على تفسير الحلم انحدر إلينا من الأزمنة القديمة ، وهو مثال يرويه أرتميدوروس إذا يقول: ويخيل إليّ كذلك أن أريستا ندروس قد وفق أحسن التوفيق في تفسير حلم الاسكندر المقدونيّ. "[178]ويخيل إلي كذلك أن نسبة أرتيميدوروس الأفسوسي من أفسوس على الساحل الشرقي للبحر الأسود من أراضي آسيا الصغرى إلى ثقافة العالم اليوناني الروماني فيه عسف كبير وتضليل وحجب لثقافة آسيا الغربية الآرامية /العربية ؛ فثقافة أرتيميدوروس الأفسوسي كما يشير ناصحو فرويد هي ثقافة آرامية/عربية. وجدير بالذكر أن من أكمل هذا الجهد في الربط بين اللغة والحلم من متابعي فرويد هو الفرنسي جاك لاكان . يكتب ألتوسير:"فلنعلنها دون مواربة. إن من يريد اليوم مجرد فهم اكتشاف فرويد الثوري، ليس مجرد الاعتراف بهذا الاكتشاف بل كذلك معرفة معنى هذا الوجود، عليه، بعد بذل جهود نقدية ونظرية، أن يجتاز حيز الأحكام المسبقة

---

178 فرويد: تفسير الأحلام-مذكور ص 128-129

الأيديولوجية الشاسع الذي يفصلنا عن فرويد. إذا لم يكتف البعض، كما سنرى، بحصر اكتشاف فرويد بمباحث غريبة عنه بجوهرها (بيولوجية، علم نفس، علم اجتماع، فلسفة) . ولم يقتصر الأمر على أن العديد من المحللين النفسيين (خاصة داخل المدرسة الأميركية) قد تآمروا مع هذه التحريفية ، بل تعداه إلى كون التحريفية نفسها قد ساعدت على الاستغلال الأيديولوجي العجيب الذي كان علم النفس التحليلي غرضه وضحيته . وليس من قبيل الصدف أن يدين ماركسيون فرنسيون (عام 1948) هذا الاستغلال "كأيديولوجية رجعية" مستخدمة في النضال الأيديولوجي ضد الماركسية، وكوسيلة عملية لإرهاب الضمائر والاستهزاء بها. ولكن يسعنا اليوم القول بأن هؤلاء الماركسيين أنفسهم قد كانوا، على طريقتهم، بشكل مباشر أو غير مباشر، أولى ضحايا الأيديولوجيا التي كانوا يدينون: ذلك أنهم خلطوا بين هذه الأيديولوجية واكتشاف فرويد الثوري، وهكذا يكونون قد قبلوا في الواقع بمواقف الخصم، خضعوا لشروطه، ورأوا في الصورة التي كان يفرضها عليهم ما حسبوه حقيقة علم النفس التحليلي. إن كل التاريخ الماضي للعلاقات بين الماركسية وعلم النفس التحليلي يقوم بجوهره على هذا الخلط والخداع. إن العودة إلى فرويد تفرض اليوم إذن: ألا نكتفي بفضح الغطاء الأيديولوجي الذي يختبئ وراءه استغلال فرويد رجعياً مرددين أنه طمس غريب، بل أن نتجنب كذلك الوقوع في تشويهات تحريفية لعلم النفس التحليلي وهي تشويهات أكثر حذاقة وتعتمد على هالة بعض المباحث شبه العلمية، وأن نتفرغ في النهاية لعمل نقدي تاريخي نظري جدي يسمح لنا أن نميز ونحدد، داخل التصورات التي كان على فرويد أن يستعملها، العلاقة الابستمولوجية (العرفانية) الحقيقية القائمة بين هذه التصورات والمضمون الذي كانت تعالجه. إن دراسة فرويد ولاكان بشكل

جدي هي وحدها التي تعطينا المقياس الدقيق لهذه التصورات، كما تسمح بتحديد المسائل العالقة من خلال البحث النظري الذي أصبح غنياً بالنتائج والوعود. تكمن مساهمة لاكان الأكثر استنباطاً في اكتشافه. لقد بين لاكان أن هذا الانتقال من الوجود البيولوجي المباشر (بافتراضه صافياً)، إلى الوجود البشري (الآدمي) (طفل الرجل) ، يحدث حسب قانون النظام الثقافي. كما بين أن قانون النظام الثقافي هذا يتماثل في جوهره الشكلي مع نظام اللغة. لولا هذا العمل المكون من النقد الأيديولوجي والتوضيح العرفاني الذي باشر به عملياً لاكان في فرنسا، لبقي اكتشاف فرويد بخصوصيته خارج متناولنا . ولخلطنا بين فرويد الأصيل ، وما قدم لنا على أنه فرويد، أي ما كنا نرفضه نحن الماركسيين على أنه استغلال أيديولوجي رجعي ، أو ما كنا نقبل به بطريقة لا تخلو من الاعتباطية من مختلف أشكال التحريفية البيولوجية ـ السيكولوجية ـ السيسيولوجية."[179] يكتب فرويد: "هذه الحقبة من السنوات التسع (1900-1909) لم تأت بجديد يكون فيه ما ينير الموضوع ، وظلت معظم المؤلفات التي ظهرت في هذه الأثناء لا تعير كتابي ذكراً ولا نظراً."[180]

فطوال تسعة عشر قرناً لم تكن هناك أية معلومات عن الجماعات المسيحية الأولى التي اختفت إلا عن طريق كتابات خصومهم من الأساقفة "[181] لكن حاجة العصر في الألفية الثالثة لعودة العذراء

---

179 راجع كتاب : دراسات لا إنسانوية" من لويس ألتوسير وجورج كانغليم . فصل : فرويد ولاكان ص 41 ، 45

180فرويد: تفسير الأحلام- مذكورص 124 كتبه في ملحق ظهر سنة 1909

181 ـ مخطوطات البحر الميت مذكور ص 157

المخلّصة البتول دفعتني إلى نشر هذه الترجمة وليرحمني الرب على ذلك.

وقد اجتهدت في التعرف إلى أية معلومات عن المؤلف الأصلي، الراهب **هيبا المصري** إضافة لما رواه هو عن نفسه فلم أجد له أي خبر في المصادر التاريخية القديمة ، ومن ثم فقد خلت المصادر الحديثة عن أي ذكر له. فهو موجود فقط في هذه السيرة (التراجم- الرواية). إنه شخصية متخيلة كشخص وليم كازاري[182] ، على العكس من اسم نيقية الواقعة اليوم في حدود بلاد الأناضول ، فمع أنها صارت تعرف باسم أزنيق ، إلا أنني فضلت أن أذكرها باسمها القديم، لما له من أهمية خاصة في تاريخ المجامع الكنسية ، إذ انعقد في هذه المدينة سنة 325 ميلادية المجمع العالمي (المسكوني) لرؤساء الكنائس الذي تم فيه الحكم على القس المصري آريوس بالحرم والطرد والنفي، باعتباره مهرطقاً وكافراً بالأورثوذكسية (الإيمان القويم). فإذا ذكر هيبا مدينة بانوبوليس الواقعة بقلب صعيد مصر ترجمتها عن اسمها اليوناني هذا إلى الاسم القبطي المعروفة به اليوم أخميم. أما البلدات الشامية (آسيا الغربية) الآرامية / العربية فقد أعيدت إليها أسماءها العربية فجرمانيقي ناديتها باسمها العربي مرعش أما صحراء الاسقيط فقد سميتها وادي النطرون" علّها تشي وتحذّر من عنف متجدد في مصر هذه الأيام .

لقد تم استدعاء العذراء المقدسة بفعل إحباط التاريخ؛ و التمرد السلبي عليه، ما يعني فيما يعنيه أن العبارة التاريخية باتت خاوية من المعنى ؛ "إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله

---

182 ـ شخص يدل على ارتفاع.. وذلك أنه إذا قلق نبا به مكانه فارتفع. " مقاييس 3 / 254

بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس."[183] أسماء من دون سلطان؛ هي العلامة أو الإشارة الأكثر إبلاغاً على انحطاط الغرب وتفكك الهيمنة البورجوازية وتحول القوة الرأسمالية إلى قوة سافرة في مواجهة الإنسان المعاصر. وهي العلامة على إحباط البروفة العظيمة للاشتراكية/ الماركسية في القرن العشرين.

إن عبارة تودوروف حول باختين ذات مغزى فيما يخص هذه العودة؛ يقول تودوروف: "قادته (باختين) دراساته المتعلقة بأصل اللغة ، وعندما كان يعمل على الكرونوتوب[184]، إلى صورة الإنسان البدائي والخصائص المميزة لحياته العقلية. تميز هذا العالم البدائي بالعمل والعيش بصورة لا تقبل الانفصال، وبأهمية الدور المسبغ على الإيقاعات الطبيعية (نمو النباتات وتغير الفصول وتعاقبها)، التوجه نحو المستقبل، غلبة الملموس أو العيني، الزمن الدوري والمتصل (الليتورجي)، القيمة المتساوية لعناصر الحياة. لكن مع ظهور المجتمع الطبقي (واستفحاله في الرأسمالية/الإمبريالية) سوف يطرح نموذج الحياة هذا ويكبح ، لكنه سوف يعود إلى

---

183 - النجم / 23 .. وقال: أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان " الأعراف 71 قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون" يونس /68 ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين" هود / 96 ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان " يوسف /40 إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كِبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير" غافر /56

184 - دراسة العمل الأدبي في فضائه المكاني والزمانيّ. chronotope

الظهور ثانية على صورة ثقافة شعبية (أو في الأدب الروائي) معارضة للثقافة الرسمية"[185]

هذا التمرد السلبي يدفع بالإنسان المعاصر إلى إخراج مخطوطاته المخبأة السريّة والالتجاء إلى الطبيعة /الأم الحامية؛ العودة إلى العذراء المقدسة؛ المومس المقدسة. نقرأ في الإهداء الخاص جداً للرواية: "إلى آية. تلك يا ابنتي آيتي التي لم تجعل للعالمين !" . وأنا أبحث عن خلاصي وجدت أنه كامن في العودة إلى الطبيعة الأم إلى الأنثى المقدسة؛ بالعودة إلى ما قبل ولادة عبارات التاريخ !

وفي الإهداء الذي يقدمه سيد القمني في كتابه "رب الثورة؛ أوزيريس وعقيدة الخلود في مصر القديمة "، وبعد تفكك الدولة السوفياتية بتسع سنوات، يقول: "إلى إيزيس ابنتي الأمل الذي أرجوه " فإذا كان الأمل حتى *1967* هو الثورة ضد البورجوازية أو الشفاء منها بتجاوز الشرط البورجوازي ووصل المفاصل المفككة وإعادة الزمن إلى محاوره بالانتقال إلى هيمنة جديدة بروليتارية . فإن الأمل بات الآن - حسب الرواية العالمية- متجسداً في "ربّة الحِرز " التي هي **إيزيس** التي يقول فيها باولو كويلهو في بداية روايته "إحدى عشرة دقيقة":

"لأنني الأولى والأخيرة، أنا المبجلة والمحتقرة

أنا البغي والقديسة ، أنا الزوجة والعذراء

أنا الأم والبنت ، أنا ذراعا أمي

أنا العاقر وأبنائي لا يحصون

---

185 تزفتان تودوروف: المبدأ الحواري ص 102

أنا المتزوجة والعزباء، أنا الولودة والتي لم تلد أبداً

أنا عزاء آلام الوضع

أنا الزوجة والزوج ، ورجلي هو الذي خلقني

أنا أم والدي، أنا أخت زوجي

وهو ابني المنبوذ

احترموني دوماً ، لأنني الشائعة والرائعة"[186]

و في تحولات الجحش الذهبي، للوكيوس أبوليوس ، وبينما لوكيوس يعاني من قميصه الحيواني البهيمي (جلد الحمار) ويرجو جميع الآلهة أن يموت (الانتحار المباح)[187] بخلعه هذا الجلد (انسلاخه) والخروج إلى آدميته ، وبينما هو يمدد جسده المنهك في غور من الرمل قريب من حيث تكسرت الأمواج ، كان الوقت مساء وعربة الشمس على وشك إنهاء رحلة يومها عبر السماء، فأسلمت **أنا** أيضاً **نفسي** إلى الراحة ، وغلبني في الحال سبات حلو عميق. لم يمضِ وقت طويل حتى صحوت في ذعر مباغت كان القمر بدراً باهر الضوء يرتفع من البحر ففي ساعة السرّ هذه تمتلك **ربّة القمر**[188] ، مليكة[189] بني الإنسان الوحيدة[190]، أكبر سلطاتها

---

186 - نشيد إلى إيزيس ، القرن الثالث أو الرابع بعد الميلاد ، اكتشف في نجع حمّادي

187 راجع أفلوطين : كتاب التاسوعات ؛ مقال **"في الانتحار المعقول"**

188 - سمي القمر قمراً لبياضه .. وليلة قمراء أي مضيئة . أدب الكاتب-مذكور ص 90

189 - خط الملائكة يكنى به عن الخط الرديء ، ولما وصف الله الملائكة بالكتابة فقال (كراماً كاتبين) الانفطار/ 82 وقال (ورسلنا لديهم يكتبون) الزخرف / 43 ولما كان خطهم غير بيّن للناس، وأجود الخط أبينه، قيل في الكناية عن الخط الرديء : خط

وجلالها . إنها الربّة المشعّة. تلك الربّة التي يسيطر مدها وجزرها على إيقاع كل **جسم** مهما كان في الجو والبر وأعماق البحار". **نفس كل جسم**. وثبتُ أهزُّ رأسي أطرد النعاس، وقصدتُ البحر لأتطهر بمائه غطّستُ رأسي تحت الأمواج سبع مرات - الرقم سبعة- طبقاً لتعاليم الفيلسوف فيثاغورث[191] ، رقم يوافق كل المناسبات الدينية - وبشوق جَذَل تلوت هذه الصلاة الصامتة إلى الربّة العليّة والدموع تسحّ على وجهي المشعّر. فلما أتممت صلاتي وأخرجت مرارة قلبي المقهور عدت إلى غور الرمل حيث غلبني النوم ثانية ، لم أكد أغمض عيني حتى شرع **طيف امرأة** يبرز من وسط البحر بوجه بالغ البهاء حتى لتخرّ الأرباب ذاتها على وجوهها تتعبده. تسربت إلى منخري عطور بلاد العرب كلها، حين تفضلت الربة بمخاطبتي : "ها أنت ذا تراني هنا يا لوكيوس - استجابة لصلواتك ، أنا الطبيعة، الأم الكونية، سيدة العناصر كلها، ابنة الزمن الأولى، مولاة الروحيات جميعها، مليكة الأموات، ملكة الخالدين كذلك، **مظهر** الأرباب والربات أجمعين، إيماءتي تحكم السموات العلى الشاهقة، ونسائم البحر المعافية، وصمت العالم السفلي الفاجع. ورغم أني أُعبد بمظاهر كثيرة وأُعرف بأسماء لا تحصى، ويتقرب إليّ بكل شكل من الشعائر المختلفة، فإن الكرة الأرضية عن آخرها تبجّلني. الفروجيون القدماء يسمونني بسينونيتكا أمّ الأرباب (جونو)، ويدعوني الأثينيون، الذين ظهرت في أرضهم، أرتميس، وعند أهل جزيرة قبرص أنا أفروديت

الملائكة . وإنما شبه الخط الرديء بخط الملائكة لأن أردأ الخط الرّقم، وخط الملائكة رَقْم.. قال تعالى: (كتاب مرقوم يشهده المقرَّبون) المطففين / 83

190 - ملكة النفس الإنسانية في قدرتها على عكس ضياء الكائنات كما القمر في عكسه لضوء الشمس

191 - فيثاغورث والتقويم القمري وأسرار إلوسيس وإيزيس

اليافيّة ، ولدى رماة السهام في كريت أنا ديكتونا، وعند الصقليين ذوي اللغات الثلاث ، أنا بروسربين الستوجية ، **وعند الإليوسيين أنا أم القمح العتيقة** (ميثرا العذراء حاملة السنبلة). يعرفني بعض الناس باسم يونو وبعضهم باسم بللونا المواقع الحربية ، وآخرون باسم هيكاتي، وغيرهم باسم رهامنوبيا ، أما جنس الأثيوبيين من على أرضهم أولاً تشرق شمس الصباح والمصريون المتفوقون في العلم القديم ومن يعبدونني بطقوس تناسب ألوهيتي، فيدعونني باسمي الحقيقي، وهو على التخصيص[192]: الملكة إيزيس (إيسيس)[193] "[194]. أنا الملكة التي قال في مديحي سان جون بيرس: أزهار وذهب من أجل كتفك المغسولة جيداً، والقمر الذي يحكم المد والجزر هو الذي يقود أيتها الشرعية احتفال حيضك المتكبر"[195]

هذا هو اللغز ؛ لغز الكأس المقدسة ، لغز سيرة هيبا الذي كتب في القرن الخامس الميلادي، وهو لغز الألفية الثالثة المعاصرة . كان يا ما كان، كان هناك مومس تدعى ماريا (مارتا)؛ زهرة زنبق خماسية.

في الإهداء الذي يقدمه دان براون لشيفرة دافنشي يقول: "إلى بليث مرة أخرى . أكثر من أي وقت مضى" . لقد تمت الاستعاذة بالأنثى

---

192 ـ فيها فاكهة ونخل ورمان " الرحمان / 68 وأفرد الرمان من جملة الفواكه للتخصيص والتفضيل. وفي سورة الأنعام : والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه" الأنعام / 68 في المورد Isis : إيزيس إلهة الأمومة والخصب المصرية. is : صيغة الغائب المفرد من فعل be في الزمن الحاضر(تكون هو). وإيزيس تعني: تكون هي تكون هو is .. is..: هو الله لإله إلا هو ؛ تكون هي الصورة المنعكسة في النفس بإذنه هو وبكونها هي العاكسة.

193 ـ أساس ؛ is؛ ess أنية ؛ باليونانية on

194 تحولات الجحش الذهبي ـمذكور ص 242-243-244-245

195 سان جون بيرس : منفى و قصائد أخرى، ترجمة أدونيس.. **إنشاد في مديح ملكة**

المقدسة مريم العذراء من قبل، لكن في الألفية الثالثة وأكثر من أي وقت مضى نحن البشر بحاجة إلى مريم المجدلية زوجة عيسى ورفيقته . بحاجة للطبيعة الأم العذراء البتول ، وبحاجة لولادة جديدة للخروج من جلد الحمار.

إن تبعات وتداعيات تفكك الهيمنة البورجوازية في الألفية الثالثة وعدم ظهور هيمنة جديدة وتبلورها هو ما يدفع نحو الشيطنة. ألم يقال عند العرب أن الدواء يشفي عبر الهيمنة على المرض. وفي حديث للعرب رواه الإمام البخاري على لسان النبي يقول فيه: "لكل امرئ شيطانه ، حتى أنا ، غير أن الله أعانني عليه فأسلم"

يتحدث باختين في أحد أعماله المتأخرة عن خطر زعزعة يقين الأنا وثقتها بنفسها كمؤلف (أو اندحارها وطغيان الشخصيات). وهي وجهة النظر المهيمنة هذه الأيام . اللايقين وعدم الثبات المدهشين اللذين يحيطان بالخطاب الأيديولوجي . يمكن أن يعرّف هذا التحول في مصير الخطاب في أوربا الغربية البورجوازية وكذلك في الاتحاد السوفياتي/ثلاثينيات القرن العشرين بأنه تمْدية (بهيمية) *reification* الخطاب (بهيمية الخطاب ؛ خطاب من دون روح). يوصف ذلك نوعاً من تدهور البعد الدلالي للخطاب وتراجعه"[196]

لقد حانت اللحظة مع بداية الألفية الثالثة لإخراج مخطوطات محرّمة من قبرها، لتبين لنا طريق الخلاص بعد هذا الانحطاط المسفّ للحضارة وذاك التفكك للهيمنة البورجوازية.

---

196 تدوروف: المبدأ الحواري-مذكور ص 132

يقول مترجم عزازيل، ولننتبه فقد تقود الترجمة غير الأمينة أو الترجمة الرديئة إلى تحريف الكتابة الأصل: "يضم هذا الكتاب الذي أوصيت أن ينشر بعد وفاتي، ترجمة أمينة قدر المستطاع لمجموعة اللفائف (الرقوق) التي اكتشفت قبل عشر سنوات بالخرائب الأثرية الحافلة، الواقعة إلى الشمال الغربي من مدينة حلب.. وكان المأسوف عليه الأب الجليل وليم كازاري الذي أشرف بنفسه على التنقيبات الأثرية هناك، وهناك لقي مصيره المفجع المفاجئ (**منتصف شهر مايو سنة 1997 ميلادية**) "

لكن ما هو الدافع للتزوير في ترجمة ما أو تحريفها؟ يوجد في الواقع دافعان لهذا التحريف: *1-* دافع إيديولوجي بفعل أهواء المصلحة الخاصة *2-* القصور الذاتي والغشامة أي الجهل و ضعف التحصيل العلمي وقصوره. الجهل بالموضوع محل الترجمة والجهل باللغة المترجم منها والمترجم إليها. فقد ندّد ماركس بخيانة ترجمة إدغار باور لكتاب برودون "ما هي الملكية؟" بالطبع يظهر الجهل هنا كحليف للطبقات السائدة. يقول ماركس: كانت ترجمة كتاب برودون هجوماً مزدوجاً من قبل السيد إدغار، هجوماً ضمنياً بالترجمة التي تفرّد بها ، وهجوماً علنياً بالملاحظات الهامشية النقدية، وسترى أن السيد إدغار أشد تخريباً عندما يترجم منه عندما يعلّق"[197] "إن أخطاء الترجمة لا تنحصر في اختلاف المفاهيم الصرفية والنحوية في لغتي الترجمة. فهناك ما يسمى بإساءة الترجمة التي يعبر عنها عندنا بالتصرف وأحياناً بالتعريب. لقد دخل الفينيق إلى نص التوراة نتيجة لأخطاء الترجمة التي انحرفت عن الأصل. ففي المزامير(*XCII*) كلمة نخلة تُرجمت خطأ إلى الفينيق المعنى الثاني لهذه الكلمة. كما في

---

197 راجع مقالتنا: حواشي بيان الحزب الشيوعي – موقع الحوار المتمدن

سفر أيوب ١٨ (*XXIX*) فإن الفينيق حل محل كلمة (*Sand*) في ترجمة الإسكندرية في القرن الرابع الميلادي المعروفة باسم السبعينية (*Septuagint*). أما في الإلياذة في ترجمتها العربية لسليمان البستاني فقد دخلت العنقاء نص الملحمة المذكورة بدلاً من "جوادي مركبة اخيل". وهكذا فقد ترتب على أخطاء الترجمة أن الفينيق والعنقاء وجدا في نصوص لم يوجدا فيها أصلاً "[198]

"أصل الكتاب: ما كتبه الله في اللوح مما هو كائن" [199]نون اللوح المحفوظ، والقلم نور ساطع"[200]. الكتابة هي نسخ الوحي بالتمثيل والصورة في النفس أولاً ثم محاكاة ذلك بالنسخ على الرقوق والصحف وأوراق البردي بالتدوين، والحبر الصيني الجيد، وهو صبغة فيزيائية مقابل لصبغة الله التي ينسخ الروح بها على لوح النفس. "صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون"[201]

نحن أمام ثلاث مراحل كبرى للتاريخ البشري على مستوى العبادة: الأولى؛ عبادة الصورة الفيزيائية الخارجية/البهيمية *Alter-Ego*؛ والثانية؛ عبادة الصورة الباطنية (الصورة العذراء البتول) مرموزة بكتابات مقدسة والثالثة عبادة وجه الحق وهو الأمر النازل على النفس بالعقل(الله) على التنزيه. يكتب ألتوسير: لنسجل المستويين الكبيرين لهذا الانتقال أو العبور من الوجود البيولوجي(الوليد) إلى الوجود البشري (طفل الرجل) موسطاً بقانون النظام الثقافي الذي يخرج الوليد إلى الحياة وهو في كنفه. الأول؛ مستوى العلاقة

---

198 ـ د. نذير العظمة . سفر العنقاء – مذكور ص 187

199 ابن قتيبة: تأويل مشكل القران-مذكور ص 463

200 ـ الاختصاص – مذكور ص 49

201 البقرة / 138

المزدوجة، أو التقابل ، حين لا يوجد أمام الوليد إلا الأم (الأنا- الآخر) *Alter-Ego* التي تقنن حياته بحضورها *(Da!)*، وبغيابها*(Fort!)*، فيعيش هذه العلاقة المزدوجة على نمط الإغراء الخيالي الذي يمارسه الـ *Ego* (الأنا)، لكونه هو نفسه ذلك الآخر، دون أن يستطيع المحافظة على **المسافة** غير الموضوعية بالنسبة للآخر أو بالنسبة لنفسه . والثاني ؛ مستوى **الأوديب**، حيث تنبثق من البنية المزدوجة بنية مثلثة، حين يتدخل الغير (الهو؛ الوالد)[202] خلسة ليشبع خيالياً نهم الإغراء المزدوج ، فيقلب اقتصاد هذا الإغراء، ويدخل الطفل إلى ما يسمّيه لاكان النظام الرمزي، نظام اللغة الموضوعية الذي يسمح له في النهاية أن يقول: أنا، أنت ، هو ، ويسمح بالتالي للكائن الصغير أن يحدد موضعه كطفل بشري/ آدمي."[203] "يمكن أن نضيف أيضاً أن الرسول يعلن قربَ نهاية مسرحية إيفيجينيا في أوليس أن إلهاً قد هبط من السماء واختطف العذراء إيفيجينيا ووضع بدلاً منها غزالاً على مذبح الربّة أرتميس"[204] نشهد هنا في تراجيديا إيفيجينيا في أوليس صعود العذراء إلى السماء والتضحية بالصورة الحيوانية / البهيمية. كتب الزجّاجي: "والفرّاء يقول: أصل الذي (ذا *Da!*) وهو إشارة إلى ما بحضرتك، ثم نُقل من الحضرة إلى الغيبة، ودخلت عليه الألف

---

202 نقول: أنتَ تفعل ؛ هي تفعل، أي أن الضمير هي يضارع أنتَ . لذلك أُخرجت الأم (أنتَ الطفل أو آخره البيولوجي الفيزياوي) من فضاء الـ (هو) الأبوي/ الإلهي ومن مفهومه .

203 دراسات لا إنسانوية –مذكور ص 58-59

204 يوريبيديس: عابدات باخوس، إيون، هيبولوتوس، من مقدمة دكتور عبد المعطي شعراوي للمسرحيات الثلاث ، ص 36

واللام للتعريف، وحطّت ألفها إلى الياء ليُفرّق بين الحاضر والغائب "[205]

ولنضرب مثلاً للهرطقة والتحريف الناجم عن الترجمة؛ مثل تودوروف في "المبدأ الحواري" وهو كتاب غايته عرض إجمالي لأفكار باختين موجهاً للقارئ الأوربي ومترجماً عن الأصل السلافي الشرقي (الروسية) إلى مقابله اللاتيني الغربي (الإنكليزية، الفرنسية). يقول تودوروف: "وكي يسمي باختين هذا التنوع المتعذر اختزاله من الأنماط الإنشائية الاستطرادية يقدم كلمة جديدة *raznorecie* ؛ وقد ترجمتها حرفياً ولكن بالاستعانة **بجذر إغريقي** ووضعت لها مقابل هو التغاير والاختلاف *heterology* وهو مصطلح يدرج نفسه بين صياغتين أخريين موازيتين الأولى هي *raznojazycie* أي التعددية اللسانية *heteroglossia* أو تعدد اللغات (اللغات القومية) والثانية هي *raznoglocie* أي التعددية الصوتية (طبقات أصوات الأفراد) *heterophony* أي تنوع الأصوات الفردية"[206]

إن *raznorecie* باختين لا تتحدث عن التنوع والاختلاف في اللسان لدى الأمم والأقوام والقوميات، ولا تنوع الصوت بين عامل ذكر وعاملة أنثى في المعمل، لكنها تتحدث عن التنوع والاختلاف الاجتماعي الناجم عن حوار أيديولوجيات متنوعة في عالم بورجوازي ذو وعي غاليلي للغة، يرفض مطلقية لغة واحدة ووحيدة، ويتخلى عنها باعتبارها المركز الوحيد اللفظي والدلالي

---

205 ـ كتاب اللامات لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجّاجي المتوفى سنة 337 هـ ص 28 حطّ: إنزال الشيء من علو (معجم مقاييس م2 ص 13) . قارن بين ألف الرحمان وياء الرحيم .

206 المبدأ الحواري ـمذكور ص 78

للعالم الأيديولوجي، يقرّ بتعدد اللغات القومية **وبالأخص اللغات الاجتماعية**، القابلة لأن تصير لغات للحقيقة ، مثلما تصير لغات نسبية، غيرية محدودة. أي لغات للفئات الاجتماعية، وللمهن، وللاستعمالات اليومية الجارية (لامركزية العالم الأيديولوجي لفظياً ودلالياً)[207]. إن الإزاحة التي أحدثتها ترجمة تودوروف لباختين من السلافية إلى اللاتينية نتج عنها تحريف لوحي باختين بخصوص التلفُّظ من تغاير اجتماعي إلى تغاير صوتي (فردي) أو تغاير لساني قومي. وهذا التحريف راجع في الأصل إلى الترجمة من ثقافة سلافية شرقية (آسيوية) لديها مفهوم مُنزّه للوحي عن الحسيات إلى ثقافة أوربية (رومانية- يونانية) مقطوعة عن أصلها الآسيوي الشرقي (الكريتي) تخلط الديموريج (حاكم الأراكنة) بالإله المتعالي، أي تخلط بين الكتابة لحظة هبوط الوحي؛ لحظة التلفظ من جهة وبين التدوين من الجهة الأخرى. يقول باختين: لا يمكن أن نفهم الفهم بأنه ترجمة لسان أجنبي إلى اللسان القومي. الفهم هو تحويل الآخر إلى أنا- أخرى؛ إنه مبدأ العثور على الذات في الآخر"[208]؛ إنه هجس الشيء في النفس أو وقوعه فيها؛ كلام الآخر يهجس في نفسي.

يظهر هذا العيب في الترجمة بصورة واضحة عند ترجمة المصطلح الباختيني: *metalinguistics* إلى *translinguistics* مستبدلاً *meta-* بـ *trans* أي مستبدلاً مصطلح (ما وراء اللسانيات) لتغدو (عبر اللسانيات). و *meta*: المعنى الهابط قبل التلفظ (الوحي الهابط)؛ ما يهبط قبل البدء بتصويت الكلمات وقت التلفظ (بعد ، ما

---

207 راجع ميخائيل باختين: خطان أسلوبيان للرواية الأوربية ..مجلة الكرمل العدد .. ص 44-45

208 المبدأ الحواري -مذكور ص 140

وراء، مصاحب هي معاني مكملة لعمل هذا المصطلح العبقري).
أما *trans*: فهي تحيل إلى *trans- pose*(يحوّل، يترجم من لغة قومية إلى أخرى) و *trans-literate* : ينقل حروف لغة إلى حروف لغة أخرى (من حرف سلافي إلى حرف لاتيني). *translator*: مترجم، مفسر، شارح..الخ[209]

إن ترجمة *meta-* إلى *trans* فيها تحريف واضح للوحي الباختيني، ذلك لأن الثانية (ترانس) تُفقد الأولى (ميتا؛ ميث) فكرة الوحي السابق للتلفظ؛ حيث الوحي هذا من صميم فكرة باختين؛ يشير بها إلى الخبرة الداخلية أو الحوار الداخلي بين الأصوات الاجتماعية المتعددة والمختلفة من ثم التوجه الذي يقوده المتكلم والتعبير بتلفّظ فردي الشكل، اجتماعي المحتوى. يقول باختين: إن السبيل التي تصل الخبرة الداخلية ("المُعَبّر عنها") بعملية تحويلها إلى موضوع خارجي بالتلفظ تقع بكاملها ضمن الأرض الاجتماعية" . إن التلفظ كالبيع والشراء بين فردين في مجتمع بضاعي، تظهر العلاقة على أنها كلام متبادل بين فردين إلا أن العملية (تبادل البضائع- بيع وشراء) تقع بكاملها ضمن الأرض الاجتماعية للنظام الاجتماعي البضاعي؛ إننا هنا أمام تحويل الخبرة (الوحي) إلى تلفُّظ ؛ بحيث يتم تحويل الخبرة من الأنا إلى الآخر (تغدو من أجل الآخر؛ تغدو موضوعية). هنا تكمن هرطقة تودوروف في ترجمته لباختين.

يحصل نفس الشيء عندما يترجم كلمة الحوار *dialogue* إلى تناص *intertextuality* ؛ و *text* تعني: النص؛ متن الكتاب مقابل الهوامش؛ كتاب مدرسي، الخ[210]

---

209 راجع المورد 2010
210 راجع المورد 2010

الحوار عمل باطني حيّ ، منشغل بالتنوع الإيديولوجي الذي تتم معالجته داخلياً في رأس الفرد الاجتماعي (الشخص) [أي عملية تشكل الوحي داخلياً]، ومن ثم هبوطه بالتلفظ الفعلي. بينما التناص هو مقارنة وجدل بين نصوص مختلفة جميعها منجزة ومدونة مع نص يتشكل؛ نصٌ في حالة نَسْجٍ. وهذا الالتباس ناجم عن الخلط بين الكتابة والتدوين، الكتابة فعل روحي/ نفسي والتدوين فعل روحي/ نفسي- حسي أو فيزيائي. الحوار والتلفظ يشير إلى تاريخية الوحي وتفرّده بينما التدوين فعل لاحق له وقد ينجزه غير صاحب الوحي؛ أي "كاتب" الوحي. أو الناسخ.

Dialogue: مفهوم خاص بالوحي وهبوطه بالتلفظ، وهو يقترب من مفهوم القبالة السقراطي *cabala*؛ التوليد؛ توليد الأفكار باستدراج الحوار وهبوط الوحي وقت التلفظ. "إن مصطلح الحوارية مهم لفهم باختين الخاص للهوية الشخصية للإنسان"[211]. يقول باختين: "يمكن قياس العلاقات التي تربط خطاب الآخر بخطاب الأنا بالعلاقات التي تحدد عمليات تبادل الحوار (عمليات نزول الوحي وجبر الفكرة)". هذه العملية داخلية (حوار داخلي) ينزل وحياً ويظهر تلفظاً.

ففي العلاقة الحوارية يعد التعبير (جبر الفكر) علامة على وجود فاعل (فاعلية الذات المتخذة هدفاً). في التلفظ الفعلي فقط نرى أنه كان هناك حواراً طوال الوقت بين مختلف الأيديولوجيات الاجتماعية. "فقط حين تنهار الأشياء يظهر أن قوى متناقضة كانت في داخلها طوال الوقت"[212] وفقط حين نبدأ برتق طرفي الثوب

---

211 المبدأ الحواري-مذكور ص 82

212 كارل ماركس: مسودات رأس المال (غروندريسّة)

بالفعل نقول عنهما أنهما لفقان . إذاً، فقط حين يتخارج التلفُّظ ويظهر، نعلم أن حواراً داخلياً أيديولوجيا كان يجري طوال الوقت. إن تخارج التلفّظ وظهوره يعطي طابع شخصي للتعبير (حوار مشخّص). إن هبوط الوحي بالتلفظ الفعلي يعني أن الوحي كان قد تم تنزيله." إنا **نحن** نزلنا عليك القران تنزيلا"[213] . والتنزيل؛ التجريد و إعادة الترتيب " وقال الذين كفروا لولا نزّل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا"[214] .."إن علينا جمعه وقرآنه"[215] ونحن، هنا إشارة إلى الجماعة و المجتمع. نحن معادل هو. قال: "نحن اقرب إليه من حبل الوريد"[216] ؛ "النحن أقرب إلى الهو من الأنا والإن فإن النحن مُجْمل مثل الهو تفصله المراتب ، فـ**هو** أعني في **المضمرات** مثل **اسم الله في الظاهرات** فكلاهما (هو، الله)لا يتقيد بمرتبة مخصوصة ، كذلك هذا الآخر الذي هو (نحن)؛ الـ(نحن) له اقرب والهو له أبعد. ليس في الكنايات من يقرب من الهو إلاّ الياء ولاسيما إذا اقترن معها اللام (لي)."[217]

يخطئ تودوروف حين يقول: "إن التعبير الجاهز (المنجز) يفهم بالأحرى كمظهر من مظاهر إدراك العالم، بينما يفهم التعبير الغائب كمظهر من مظاهر إدراك آخر، والحوار يأخذ مكانه بين الاثنين" ويضرب مثالاً على ذلك الإضاءة المتبادلة بين لغة محلية ولغة أجنبية. هذا الخطأ ناجم عن تحريف فكرة باختين عن الحوار الداخلي السابق للتلفظ واستبداله بفكرة التناص أو جدل النصوص

---

213 الإنسان / 23

214 الفرقان / 32 .. وتظهر كلمة الترتيل هنا لتقابل التنزيل جملة ، مما يشير إلى التدرج في التتنزيل، ثم الجبر والحضور جملة.

215 القيامة / 17

216 - ق / 16

217 رسائل ابن عربي ؛ كتاب الياء وهو كتاب الهو ص 108-109

المكتوبة (الاقتطاف والاقتباس). إن انجاز التعبير يعني أن هناك تعبير آخر غير منجز (في السماء لم يهبط بعد)؛ **الغياب** هنا يعني **عدم الانجاز**، وليس الانجاز في وقت آخر أو في مكان آخر. التلفظ المنجز يشير إلى **مصاحبة** الوحي الهابط لأدوات اللغة من تصويت ونحو وصرف، الخ (أي يكون في مصاحبة مع تصويت اللغة القومية)، بالتالي وجود الحوار في موقع وسط بين تعبيرين منجزين هو أمر خاص بالتناص وليس بالحوار؛ أي خاص بأشياء خارجية موضوعية، وليس بمواجهة داخلية للأيديولوجيات الاجتماعية . هذا الخطأ أو العيب في التعبير عند تودوروف مرده إلى الخلفية الثقافية اليونانية- الرومانية/ الجرمانية للغات الأوربية المبتورة عن أصلها الآسيوي الشرقي كما أسلفنا والعائدة إلى نمط الإنتاج الجرماني. هكذا تكون إضاءة الفكرة بمثلٍ عن ترجمة لغة إلى لغة أو إضاءتها بها لتقريب المعنى هو عمل خارجي؛ هو مقارنة بين لغة قومية وأخرى؛ إنه مقابلة بين وحيين هابطين كل بلغة قومه. "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم"[218]، وبالتالي هو قفز على الاجتماعي وتنوعه الأيديولوجي في تعدديته الصوتية.

في الرواية الأصلية يمكن أن يحس خلف كل تلفظ طبيعة اللغات الاجتماعية بمنطقها الداخلي وضرورتها[219] (وليس بمنطقها القومي/ الخارجي)؛ بمنطقها الروحي وليس بمنطقها الحسي. وصورة هذه اللغة في الرواية هي صورة الأفق الاجتماعي للعينة الإيديولوجية الاجتماعية (طبقة اجتماعية، فئة، مهنة، الخ) ملحومة بخطابها ولغتها (الاجتماعي مصاحب أو مقرون أو محمول على

---

218 إبراهيم / 4

219 المبدأ الحواري-مذكور ص 84

أدوات لغوية وصوتية قومية ، وهذا يمكن تحميله على أدوات قومية أخرى عبر الترجمة الأمينة). هكذا يكون المتفرّد هو الاجتماعي عبر تلفظ شخصي؛ وليس الأدوات المادية القومية (حروف اللغة ونحوها وصرفها وتصويتاتها) ، وهو المغزى من القول"[220]

هذا الالتحام بين الأفق الاجتماعي للعينة الأيديولوجية (إيديولوجية جماعة اجتماعية) مع اللغة القومية ، وأثر إيديولوجيا الدولة القومية والثقافة الجرمانية وريثة (الرومانية- اليونانية مقطوعة الأصل الآسيوي) هو ما أدى إلى التحريف في ترجمة تودوروف لباختين.

إن الرجل **في التعبير المنجز**(التلفظ) هو ممثل فرد لمجموعته الاجتماعية (شخص)؛ المفوض، المستمع؛ المشارك بفعالية في الكلام الداخلي (الوحي في السماء) والكلام الخارجي (الوحي الهابط). وللتدليل على تأثير "الوحي الآسيوي/ العربي " على عمل باختين ، نسجل المقتطف التالي: "إن التوجيه الحواري هو بوضوح ظاهرة مشخّصة لكل خطاب، وهو الغاية الطبيعية لكل **خطاب حي** ، يفاجئ الخطاب خطاب الآخر بكل الطرق التي تقود إلى غايته ولا يستطيع شيئاً سوى الدخول معه في **تفاعل حاد وحي** . **آدم** فقط هو الوحيد الذي كان يستطيع أن يتجنب تماماً إعادة التوجيه المتبادلة هذه فيما يخص خطاب الآخر الذي يقع في الطريق إلى موضوعه، لأن آدم كان يقارب عالماً كان يتسم بالعذرية، ولم يكن قد تُكّلم فيه وانتهك بواسطة الخطاب الأول"[221] إن نسائم آسيوية- آرامية/عربية تفوح من عبارة باختين التي حرفّها

---

220 المبدأ الحواري-مذكور ص 84

221 المبدأ الحواري-مذكور ص 84

تودوروف نحو عبارة رومانية/يونانية /أوربية (الغرب الأوربي) ذات روح منزوعة الميثا (الميتا) ومقطوعة عن جذورها الآسيوية الشرقية. لكن حتى آدم لم ينجُ من هذه المحنة في التوجه والاختيار وبناء العالم الذي يرضاه ؛ لم ينج من هذا الحوار الداخلي الباختيني. فقد تحيّر قبل أن يوجّه خطابه قبلة يرضاها "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما"[222] .. "وعصى آدم ربه فغوى "[223] ففي آخر ما كتبه باختين *(1974)* يقول: "ليس هناك خطاب أول أو أخير، والسياق الحواري لا يعرف أية حدود. حتى المعاني الماضية (أي تلك التي ظهرت في حوار العصور السابقة) لا يمكن أن تكون ثابتة مكتملة لمرة واحدة ومنتهية، فسوف تتغير هذه المعاني دائماً مجددة نفسها. سوف يحتفل كل معنى بدلالاته الجديدة"[224] إن مصطلح الحوار عند باختين كلي الوجود، حتى آدم نفسه لم يسلم منه.

لقد أرّخ مترجم عزازيل مقدمة الترجمة العربية في *4* أبريل *2004* وقد يلاحظ القارئ أن تاريخ نشر الطبعة العربية الأولى لرواية دان براون "شيفرة دافنشي" هي نفس السنة الميلادية التي ترجمت فيها مخطوط عزازيل. وفي السادس من أبريل نيسان *2006* قامت *National Geographic Society* بنشر الترجمة الإنكليزية لمخطوط الانجيل الغنوصي القبطي "بشارة يهوذا "(انجيل يهوذا). "إن مريم المجدلية التي تحتل دوراً رئيسياً في إنجيل مريم المجدلية وإنجيل توما وإنجيل الحق *Pistis Sophia* هنا في إنجيل فيليبس هي رفيقة يسوع ". مخطوطة الإنجيل العنوصي هذا مكونة من(*33*) ورقة

---

222 طه / 115

223 طه / 121

224 المبدأ الحواري –مذكور ص 141

مكتوبة على الوجهين. يتراوح عمرها حسب التاريخ الكربوني بين القرنين الثالث والرابع الميلادي. وهي أقدم مخطوطة لنص غير كتابي (أبوكريفي) يتم العثور عليها منذ *1940*. المخطوطة مكتوبة باللغة القبطية باللهجة الصعيدية وهي نفسها المستخدمة في مخطوطات نجع حمّادي"[225]. وكانت مخطوطات نجع حمّادي قد اكتشفت في عام *1945* للميلاد. في جرّة خزفية في جبل الطارف بالقرب من دير القديس باخوميوس، على الضفة الشرقية للنيل شمال قرية "خُمرة دوم" في شمال شرقي نجع حمّادي بصعيد مصر على مسافة *100* كم شمالي الأُقْصُر."[226]

في شهر مايو *1996* نشر أحمد عثمان كتاباً عن "مخطوطات البحر الميت" جاء في فهرست الكتاب: *1*- العثور في قمران (عمران) على نماذج مختلفة من أسفار العهد القديم *2*- المفاجأة في صعيد مصر ..*3*- أناجيل قبطية لم تكن معروفة من قبل. *4*- مكتبة نجع حمّادي القبطية تعيد كتابة تاريخ المسيحية الأولى..*5*- الأناجيل القبطية لا تعرف محاكمة بيلاطس ولا تعترف بالصليب الذي وضعته كنيسة روما، *6*- آباء الكنيسة يتحولون إلى أساقفة ويحددون ما هي التعاليم الصحيحة وما هو هرطقة *7*- وفصول أخرى عن العيسويين: العيسويون اليهود ينشقون عن كهنة المعبد. *8*- مخطوطات نجع حمّادي..*9*- ما هو التاريخ الحقيقي للغة القبطية ولماذا يتم إخفاؤه..

يكتب أحمد عثمان: يبدو أن الجماعات المسيحية الأولى - خصوصاً تلك التي ظهرت في مصر- كانت لها اعتقادات تختلف

---

225 انجيل يهوذا ص 5

226 مخطوطات نجع حمّادي

عما انتهى إليه آباء الكنيسة الرومانية منذ منتصف القرن الثاني الميلادي. وعندما بدأ الأساقفة يعيدون تنظيم الحركة المسيحية على أساس من النظام الكهنوتي في بداية القرن الثالث، فقد بدؤوا - خصوصاً أساقفة روما - بفرض تعاليمهم على الكنائس الأخرى التي اعتبرت مخالفتها ضلالاً وهرطقة. لقد أكد أتباع ماني أن حواري يسوع الأصليين لم يؤلفوا كتبه الأصلية ، وأن النصوص إذا كانوا هم قد كتبوها فقد نقحها كتّاب متهودون فيما بعد. كان المبدأ الموجه للمانويين هو القيام بتمييز التحريفات التي حاولت تشويش التعاليم النقية للانجبل بملاءمتها مع آراء الديانة اليهودية"[227] هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن رسائل بولس قد تعرضت لنقد أكثر اعتدالاً ، وهو ما يشير إلى أن المانويين كانوا ورثة حقيقيين لمذهب **مرقيون**، وكان ماني يعتبر نفسه رسول يسوع المسيح مثله مثل بولس الرسول، بالتالي تعتبر المانوية عقيدة في الطبيعة الواحدة ليسوع المسيح التي تقر بأنه إله.

كانت الكنيسة المصرية القبطية هي التي عانت أكثر من غيرها في هذا الخصوص لرفضها الخضوع لسلطة روما. وعندما اعتنق الإمبراطور الروماني قسطنطين المسيحية في بداية القرن الرابع، وأصبحت المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية، زاد نفوذ كنيسة روما التي أمرت بحرق جميع الكتابات التي تختلف معها في التفسير وكان هذا هو الوقت الذي تم فيه حرق معبد سيرابيوم بالإسكندرية وغالبية المخطوطات التي كانت بمكتبة الإسكندرية الشهيرة والتي أغلقت أبوابها بعد قتل آخر مدير لها، وكان هذا هو السبب الذي حدا ببعض الرهبان البخوميين في نجع حمّادي إلى

---

227 و. ج. نغرين: ماني والمانوية، ص 161

إنقاذ هذه الكتب بإخفائها في زلعة (جرّة فخارية) بين المقابر "[228].
وبينما ترجع كتابة أناجيل العهد الجديد إلى ما بعد عام 70 ميلادية (عام تدمير الهيكل اليهودي من قبل الرومان) نجد أن إنجيل توما الغنوصيّ يعود في أصله إلى عشرين عاماً قبل هذا التاريخ . هكذا يصبح أقدم الأناجيل المعروفة حتى الآن . وقيل إن اسم توماس(توما) يمثل الكتابة القبطية لاسم تحوتمس في المصرية القديمة"[229]. وتقول المصادر القبطية إن القديس مرقص، الذي كتب الإنجيل الثاني من العهد الجديد ، جاء إلى الإسكندرية عند منتصف القرن الميلادي الأول، وعاش بها حتى وفاته عام 74 ميلادية ودفن بالمدينة، وأصبحت الإسكندرية ومكتبتها المركز الرئيسي للفكر المسيحي خلال القرنين الأول والثاني للميلاد. وهناك العديد من المصادر التاريخية التي تشير إلى تحول مكتبة الإسكندرية في بداية العصر المسيحي - إلى جانب الدراسات اليونانية- إلى مركز لدراسة الفلسفة المسيحية واللاهوت في تلك الفترة"[230]

في تعقيبه التوضيحي على رواية "احدى عشرة دقيقة" والتي ظهرت ترجمتها العربية الأولى سنة 2004 يقول باولو كويلهو: "في العام 1997 [231]بعد وقت قليل من إنهاء محاضرة في مانتو بإيطاليا وجدت في الفندق الذي نزلت فيه مخطوطاً ترك لأجلي في مكتب الاستقبال . لا أقرأ المخطوطات لكني قرأت ذلك المخطوط - القصة الحقيقية لمومس برازيلية. لأجل الكتابة عن البعد المقدس

---

228 مخطوطات البحر الميت –مذكور ص 124-125

229 مخطوطات البحر الميت –مذكور ص 124

230 مخطوطات البحر الميت –مذكور ص 131

231 - أزمة النمور الآسيوية 1997 وبداية الأزمة المالية العالمية بفعل النشاط المضارب لرأس المال المالي/ الاحتكاري.

للجنس من الضروري أن أفهم لماذا دُنّست قدسيته إلى هذا الحد. أوجه شكراً خاصاً إلى آنا فوت بلانت ناشرتي السويسرية. كما أشكر **النساء** التالية أسماؤهن في زوريخ وهي أسماء مستعارة: سونيا مارتا إيزابيلا إلخ. كما أوجه شكري إلى أنتونيلا زارا التي سمحت لي باستخدام بعض المقاطع من كتابها: "علم / فن الهوى (الشغف *passion*)". وأخيراً أوجه شكري إلى **ماريا** (اسم مستعار) التي على أساس قصتها (المخطوطة) بنيت هذه الرواية"

و يقول إمبرتو إيكو في روايته "**اسم الوردة**" *IL NOME DELLA ROSA* في الباب المعنون "مخطوط، بطبيعة الحال": "في السادس عشر من **أوت** *1968* سُلِّم إلي كتاب من تأليف رئيس دير يدعى الأب "فالّي" يحمل عنوان "**مخطوط دون أدسو دا مالك**"، مترجم إلى الفرنسية (حسب طبعة ج. مابيّون، مطبعة دير لا "سورس" باريس *1842*) وكان الكتاب مرفوقاً ببيانات تاريخية هزيلة في حقيقة الأمر، ويؤكد مؤلفه أنه نسخ بوفاء (بأمانة) مخطوطاً يعود إلى القرن الرابع عشر، كان قد عثر عليه في دير "مالك" العلاّمة العظيم الذي عاش في القرن السابع عشر والذي إليه فضل كبير في تأريخ النظام الكلوني، وابتهجت لتلك اللقية العلمية (وكانت لقيتي أنا الثالثة إذن في الزمن) بينما كنت في مدينة "براغ " في انتظار صديقة عزيزة عليّ. **بعد ذلك بستة أيام اجتاحت القوات السوفياتية تراب تلك المدينة المنكوبة** . وتمكنت من الوصول إلى الحدود النمساوية إلى "لينتز" بعد رحلة لم تخلو من الأخطار، ومن هناك تحولت إلى فيينا حيث التقيت بالصديقة المنتظرة، وصعدنا معاً في مجرى الدانوب. كنت أقرأ مفتوناً على غاية من التهيّج، قصة "أدسو دا مالك" الرهيبة ، وشغلتني إلى درجة وضعت لها **ترجمة** فورية في بعض الكراسات الكبيرة التي اشتريتها من ورّاقة

"جوزيف جيبار" والتي تحلو الكتابة عليها خاصة عندما تكون ريشة القلم لينة. وهكذا وصلنا قريب من "مالك " حيث لا يزال ينتصب عند انعطافة لمجرى النهر، ذلك **الدير** الرائع الذي وقع ترميمه عدة مرات خلال القرون الماضية . وكما يمكن للقارئ أن يتصور، لم أعثر في مكتبة الدير على أي أثر لمخطوط "أدسو[232]"

وفي تقديم دان براون لروايته "شفرة دافنشي" يقول: " في عام *1975* اكتشفت مكتبة باريس الوطنية مخطوطات عرفت باسم الوثائق السرية ذكر فيها أسماء أعضاء عدة انتموا إلى جمعية سيون الدينية. إن وصف كافة الأعمال الفنية والمعمارية والوثائق (المخطوطات) والطقوس السرية في هذه الرواية هو وصف دقيق وحقيقي "[233] نقرأ في الرواية. "كان كتاب لانغدون أثناء الحديث عن المجموعة الواسعة من الأعمال الفنية التي تتضمن إشارة عن الآلهة الأنثى قد ذكر ملاحظة متواضعة عن هذا الهرم المتواضع [234]"

"إنه مخطوط! وعندما نظرت صوفي إلى الفراغ داخل الورقة الملفوفة، رأت أن المخطوط كان يحيط بشيء اسطواني فافترضت أنه قارورة الخل. إلا أن الغريب في الأمر أن الورقة التي كانت تحيط بالخل لم تكن ورقة البردي الرقيقة المألوفة، بل كانت رقاً. ونظرت ثانية إلى التجويف داخل المخطوط فانتبهت إلى أن الشيء الذي في الوسط لم يكن في نهاية الأمر قارورة خل. كان أمامهم على الطاولة كريبتيكس آخر، لكنه كان أصغر مصنوع من العقيق الأسود، وقد كان محفوظاً داخل الكريبتيكس الأول؛

---

232 إمبرتو إيكو: اسم الوردة ، ص 21

233 دان براون: شيفرة دافنشي ، من التصدير

234 شيفرة دافنشي-مذكور ص 493

كريبتيكس مزدوج. إنه التورية بمعنى إخفاء معنى في قلب معنى. ذكر وأنثى، الأسود داخل الأبيض. كل رجل خُلق من امرأة "[235].

فيما يخص ولادة عيسى من دون أب نأخذ المثل التالي عن ولادة فرويد النظرية: "إن فرويد قد ذاق الفقر والافتراء والظلم ، وكونه قد تمتع بطبع صلب ليتحمل شتائم العصر ساعياً لتفسيرها - فذلك يعود لبعض الحدود والعقبات التي اصطدم به نبوغه . لندع هذه النقطة جانباً ولنكتف بمعالجة عزلة فرويد في عصره. إنني لا أتكلم عن العزلة الإنسانية (فقد كان له أساتذة وأصدقاء رغم الجوع)، إنني أتكلم عن **عزلته النظرية**. إذ أنه، كلما حاول أن يعالج أو يصيغ حسب نظام دقيق من التصورات المجردة، اكتشافه الفريد الذي يلتقيه كل يوم في ممارسته. لم يكن يجد في المجال النظري أسلافاً له أو آباء . كان عليه مجابهة الوضع النظري التالي: أن يكون والد نفسه، أن يبني بيديه الحرفيتين الحيز النظري الضروري لتركيز اكتشافه، أن ينسج بخيوط مستعارة من كل واد، وبطريقة عشوائية، شبكته الكبيرة التي سيصطاد بها، في أعماق التجربة العمياء، سمكة اللاوعي الثرثارة التي يعتبرها الناس خرساء لأنها تتكلم في غفلة عنهم حين ينامون"[236]. أما ولادة محمد فهي ولادة رجل من رجال، حيث يقول: "واتبعت ملّة آبائي إبراهيم واسحق ويعقوب."[237].

يكتب مرسيا إلياد في المقدس والدنيوي: "تتواحد المرأة صوفياً مع الأرض، وتتبدى الولادة على الصعيد البشري، شكلاً آخر من الخصوبة الأرضية . جميع الخبرات الدينية التي لها صلة

---

235 شيفرة دافنشي -مذكور ص 359

236 دراسات لا إنسانوية-مذكور ص 47

237 يوسف / 38

بالخصوبة والولادة ذات بنية كونية[238]. إن قدسية المرأة متوقفة على قداسة الأرض . وللخصوبة الأنثوية نموذج كوني هو نموذج الأرض-الأم *Terra Mater* ، الأم الكونية. في بعض الديانات يعتقدون أن الأرض-الأم قادرة على الحبل بمفردها، بدون مساعدة من رجل (من دون حرث)[239] وإننا لنجد آثار من مثل هذه الأفكار القديمة في أساطير الولادة العذرية *Parthenogense* المنسوبة إلى آلاهات البحر المتوسط"[240]

من أجل العرب والترجمات العربية لأعمال روائية عالمية سنة *2004*؛ أعمال تتحدث عن اكتشاف مخطوطات وأسرار كانت مدفونة، وأنه حان الوقت لإخراجها ونشرها فإن الأب وليم كازاري الوارد في تقديم رواية عزازيل هو شخصية متخيلة غير تاريخية. نقرأ عند القمّص عبد المسيح بسيط أبو الخير في تعليق له تحت عنوان "خدعة المخطوطات": "لقد جاء يوسف زيدان بهذا الاسم (وليم كازاري) ليوحي به إلى شيء مهم وهو جماعة الكازارس الذين وجدو في فرنسا نهاية العصور الوسطى، الذين كانوا يقولون بألوهية المسيح فقط ولا يؤمنون بتجسده هو بل باتخاذه من مريم العذراء جسداً[241]؛ والذين أشار إليهم كتاب

---

238 ـ (من الكون كوسموس ضد العماء والفوضى كايوس

239 ـ حرث الزرع، والمرأة حرث الزوج، فهذا تشبيه ، وذلك أنها مزدرع ولده، قال تعالى: "نسائكم حرث لكم" مقاييس (49/2)

240 مرسيا إلياد : المقدس والدنيوي ص 136-137

241 ـ ليس ثمة ولادة إنما هو **ظهور** ومريم حجاب على قلوب العارفين والجاحدين . راجع الجلّي: الرسالة المسيحية ص 107 عن مريم العذراء يبدو منها نور من نور يسمى عمانوئيل ومعناه إلهنا هو ظاهر ناطق في حال الولادة [قارن هذا مع مفهوم التبني عند آريوس ونسطور في اللاهوت العربي] عيسى(يسوع) المسيح رسول الله وروح من عنده، <u>ومريم نفس جسده</u> ذو العناصر الطبيعية الأربعة؛ عيسى أربعة حروف: التراب، الماء، النار، الهواء

حديثون من أمثال ميشيل بيجنيت وريتشارد لي وهنري لنكولن، كتّاب رواية الكأس المقدسة والدم المقدس، ودان براون في روايته "شيفرة دافنشي" ولي بيكيت وكليف برنس في كتابهما كشف سر فرسان الهيكل حراس سر هوية المسيح الحقيقية، وغيرهم"[242]

وفي مقدمة ترجمة عزازيل: "وكان المأسوف عليه الأب الجليل وليم كازاري[243] الذي أشرف بنفسه على التنقيبات الأثرية هناك، وهناك لقي مصيره المفجع المفاجئ (منتصف شهر مايو 1997 الميلادية)"، وهو نفس الشهر الذي نشر فيه كتاب أحمد عثمان (مخطوطات البحر الميت)؛ وهو نفس السنة التي ترجم فيها كتاب "التاسوعات" لأفلوطين عن أصله اليوناني إلى العربية)"[244] وكوننا نشير إلى الترجمات العربية لأعمال تهتم بعودة الأنثى المقدسة فإن الكازار *alcazar* وهي كلمة مقتبسة من العربية تعني وفق أسبانية القرن السابع عشر القَصْر. هي كلمة تعني "القَصْر" عند العرب المسلمين في الأندلس [قصر الحمراء ، قصر رغدان][245] وهي تعني أيضاً القلعة [الحج إلى القلاع ؛ الحج إلى الأنثى المقدسة]. وفي اللاتينية تعني حصن " . وكان قصر الشمعة يمثل بقايا القلعة الرومانية القديمة التي بنى عمر بن العاص مدينة الفسطاط بجوارها. كان بها ست كنائس للأقباط (من بينها كنيسة ميكائيل) التي حولها اليهود إلى معبد عزرا ، الذي كان به غرفة خلفية تسمى

---

242 موقع كنيسة الأنبا تقلا st.takla.org

243 ـ نذكر هنا أنه قد : قام بتحرير النص القبطي لإنجيل يهوذا كل من ***Rodolphe Kasser*** و *Gregor Wurst* " ص 5 إنجيل يهوذا

244 ـ تاسوعات أفلوطين نقله إلى العربية عن الأصل اليوناني الدكتور فريد جبر مراجعة الدكتور جيرار جهامي ، الدكتور سميح دغيم مكتبة لبنان 1997 بيروت. يقول المترجم: عشرون عاماً أمضيتها في ترجمة "تاسوعات أفلوطين"

245 ـ حضارة قصور كما هي حال حضارة كريت

كنيزة (جينيزا) وهي غرفة ليس بها نوافذ ولا أبواب ولم يكن يمكن الدخول إليها إلا عن طريق فتحة في أحد جدرانها وتبين أنها تحتوي على العديد من بقايا المخطوطات القديمة التي لم يستطع اليهود التخلص منها لوجود اسم الرب مدوناً بها."[246] لقد رأينا ظهور هذه الكنيزة في ترجمة عزازيل في دير بشمال غرب حلب، ورأينا ظهور القصر عند العرب المسلمين في الأندلس، وها هي الكنيزة في مصر بالقرب من الفسطاط التي بناها العرب المسلمين، وهنا تظهر تقنية الكتابة في رواية (ترجمة) عزازيل التي تشبه عمليات الحلم في **التكثيف والنقل**[247]."لقد سبق لفرويد أن أكد بأن كل شيء مرده اللغة ، ويحدد لاكان: "إن خطاب اللاوعي مبني كاللغة" ففي مؤلفه الأول الكبير، علم الأحلام (تفسير الأحلام)، الذي لا يقتصر على سرد الأخبار ولا يتسم بالسطحية كما يسود الاعتقاد غالباً ، بل هو مؤلف أساسيّ، يتناول فرويد دراسة خطاب اللاوعي من حيث "تركيباته" أو "قوانينه" رادا عملياته إلى اثنتين: **النقل والتكثيف**. وقد وجد لاكان فيهما وجهين أساسيين يعبر عنهما علم اللغة بـ: **الكناية والاستعارة**."[248]

فابتداء من مخازن حبوب رعمسيس العائدة إلى الأسرة التاسعة عشرة الفرعونية إلى إيوان طيسفون الساساني، مروراً بأسلوب الحصون البيزنطية، وسانتا صوفيا، ومنازل قرطاجة حتى تنتهي

---

246 مخطوطات البحر الميت –مذكور ص 40

247 ـ هذا الشخص المتولد عن المزج أو التعيين يدرج الآن في محتوى الحلم حراً من الرقابة ، بينما أكون من جانبي قد ارضيت هذه الرقابة بإعمال التكثيف " تفسير الأحلام ص 332 التكثيف هنا يتضمن نقل للطاقة من الشخص موضع الانفعال إلى نائبه أو شبيهه وممثله .. التكثيف بالعموم هدفه الافلات من الرقابة ، رقابة النُظُم المستبطنة.

248 دراسات لا إنسانوية –مذكور ص 56-57

بالقصور العربية في غرناطة أو طليطلة، وبمسجد القيروان، بقصور النورماندي في باليرمو، وكاتدرائيات البندقية وبورغونيا، يبدو الفن في هذه الأبنية جميعاً واحد، والقبة ملكة، والمُثمَّن منتصراً. إننا أمام فن عربي من حيث النموذج ، وكنيسة القديسة صوفيا تعطينا فكرة تامة عنه. إن الشكل الأكثر سماوية هو الذي يرتكز على دعامات مُثمّنة الأضلاع (رباعية أضلاعها مقطوعة)، بواسطة عقد الزاوية، أي بأجزاء القبة في الخرجة . هنا توجد ذروة التقنية المستوحاة من الهندسة الفلكية، وقبة الصخرة أروع نماذجها، المسماة مسجد عمر."[249] إن أوكتافيا الأنثى المقدسة هي حصن الإنسان البورجوازي المعاصر في الألفية الثالثة بعد أن خذلته عبارات التاريخ.[250]

يكتب أحمد عثمان: "كما وجد نصان في الكهف *(4)* من كهوف قمران أحدهما مكتوب بالعبرية والآخر بالآرامية، يرجعان إلى القرن الأول السابق للميلاد يحتويان على كتابات تتعلق باستطلاع الأبراج وكشف الطالع. النص العبري الذي قام أليجرو بترجمته مكتوب على شكل الشيفرة ، من اليسار إلى اليمين بدلاً من طريقة الكتابة الساميّة من اليمين إلى اليسار، كما يحتوي على عدد من الأحرف اليونانية والفينيقية"[251] هذه الكتابة من اليسار إلى اليمين في لغة ساميّة هو **جناس تصحيفي** *anagrams*[252] يكتب أحد نقاد

---

249 إيزيس التاريخ الحقيقي للعرب ص 253-254

250 - النكوص من الديانة التاريخية نحو الدين الطبيعي بفعل احباط التاريخ وانحطاط الحضارة البورجوازية

251 مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 80

252 - يكتب طه حسين في الأيام ج2 : "وإنما ذكر الصبي هذه القصيدة لأنه صادف في أثنائها بيتاً كان يقع في أذنه موقعاً غريباً، وهو قول أبي فراس:
بدوت وأهلي حاضرون لأنني أرى أن **دارأ لَسْت** من أهلها قفر

كتاب "أثولوجيا" في رسالة بعنوان"رسالة للشيخ اليوناني في بيان عالمي الروحاني والجسماني": ومن أجل أن الكتاب لا ترتيب لكلامه نحتاج نحن أن ننقل مما في وسط الكتاب أو في آخره إلى أوله ، وكثيراً مما في أوائله إلى آخره لتأتلف المعاني وتفهم"[253] . ويمكن أن توحي هذه العبارة إلى أن كاتب "أثولوجيا " قد صحّف العبارة قاصداً زيادة غموضه تجاه عامة القرّاء، وبالتالي فهو مكتوب للخاصة . هذا النوع من تصحيف العبارة أو التصحيف التكثيفي اعتمده يوسف زيدان كتكنيك كتابة إلى جانب **تقنية التكثيف والنقل** ليشير إلى عدة أعمال دفعة واحدة فهو يشير في مقدمة الترجمة إلى مايو وهو الشهر الذي نشر فيه أحمد عثمان كتابه عن مخطوطات البحر الميت لكن مع اختلاف السنة، وسنة *1997* هي سنة اكتشاف كازاري للمخطوطات وهي إشارة إلى مخطوط كويلهو عن المومس المقدسة من دون الإشارة إلى الشهر. يظهر شهر نيسان في تأريخ مقدمة الترجمة وهي تربط تاريخ ترجمة أعمال روائية تعالج موضوع عودة الأنثى المقدسة العذراء البتول شفيعة الإنسان. يتكرر نفس الأمر بالنسبة لمخطوطات نجع حمّادي؛ فكلمة الكازار أو القصر في مقدمة الترجمة إشارة إلى مدينة الأُقْصُر المصرية وأيضاً في الاتجاهات بدل شمال- شرق الأقصر لدينا في الرواية شمال -غرب مدينة حلب[254] ، الأقصر بدلاً عن مدينة حلب التي تظهر كناية عن النصرانية النسطورية في آسيا الغربية وما بين النهرين، ومن مخطوطات البحر الميت أو

فقد قرأه الشيخ الفتى وحفظه وأحفظه أخاه: لأنني... أرى أن دار الست من أهلها قفر " وهذا من باب الجناس التصحيفي، 158

253 عبد الرحمن بدوي: أفلوطين عند العرب ص 35

254 ـ تذكر نصوص اوغاريت اربع مدن باسم حلبي حلب او الاصح اربعة احياء للمدينة نفسها احدهما حلبي عبيريم كان ماهولا بالعبيرو الذين دون شك لم يكونوا فيه عابري سبيل راس شمرا ص 59

مخطوطات قمران(عمران) عرفنا أن هذه الطائفة العيسوية موجودة في فلسطين في الشمال الغربي للبحر الميت"[255] ، حيث كانت الجرار الفخارية التي حفظت بها المخطوطات ذات شكل خاص وحجم محدد فهي اسطوانية الشكل يزيد ارتفاعها على نصف متر مسطحة في أسفلها وأعلاها كان هذا النوع من الجرار ينتج في مصر خلال القرنين السابقين على العصر المسيحي، مما يدل على أن شكل الجرار ونظام حفظ المخطوطات في داخلها كان مأخوذاً عن العادات المصرية"[256] كانت عادة حفظ المخطوطات داخل الجرار الفخارية عادة مصرية قديمة نشأت منذ عصر الملك رمسيس الثالث من الأسرة العشرين خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد واستمرت حتى القرن الميلادي التاسع . وجدت معظم مخطوطات قمران مكتوبة على رقائق من الجلد، وإن كان بعضها مكتوباً على أوراق من البردي وواحدة على رقائق نحاسية مكتوبة في غالبيتها بالعبرية إلا أن بعض الكتابات بالآرامية واليونانية"[257]

كل هذه الكنايات والاستعارات تشكل نوعاً من التكثيف أو التصحيف التكثيفي شبيه بآلية التكثيف في الحلم. الكلمة التي لا معنى لها ؛ أي الكلمة المصحَّفة هي الكلمة التي جردت من معناها الخاص وضمّنت معاني متعددة. "إن تحليل الألفاظ التي لا معنى لها يصلح صلاحية خاصة لإظهارنا (إطلاعنا) على ما يحققه عمل الحلم في مجال التكثيف"[258]

---

255 مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 21

256 مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 28-29

257 مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 29

258 - فرويد: تفسير الأحلام -مذكور ص 316

يكتب فرويد في تفسير الأحلام ، تحت عنوان عمل الحلم؛ (التكثيف): "إن أول ما يتبين للباحث عند المقارنة بين صور الحلم الظاهرة وأفكار الحلم الباطنية هو أن ثمة عملية تكثيف قد أجريت على نطاق واسع: الحلم في صورته الظاهرة مقتضب، هزيل، مليء بالثغرات، إن هو قورن بسعة أفكار الحلم وغناها. ونحن في العادة نقدّر مقدار الإدغام الذي يقع تقديراً دون الحقيقة، إذ يغلب علينا أن ننظر إلى أفكار الحلم التي خرجت إلى الضوء كما لو كانت تؤلف كل المادة الممكنة، على حين أننا إذا تابعنا التفسير فقد تنكشف لنا أفكار أخرى مستترة وراء الحلم . ولقد سنحت لي الإشارة من قبل إلى كوننا لا نستطيع أن نستيقن أبداً من أن هذا الحلم أو ذاك قد فسر تفسيراً كاملاً. فاحتمال أن يكون للحلم معنى آخر غير الذي كشف احتمال يظل قائماً دائماً حتى ولو بدى الحل مقنعاً لا خلل فيه . أو بعبارة أدق: إن من المستحيل أن نحدد مقدار التكثيف."[259] "كل المحاولات التي بذلت حتى اليوم في حل مشكلات الحلم قد انصبت من غير وساطة على صوره الظاهرة كما يمثل في ذاكرتنا، لكن الأمر الأساسي هو "محتوى الحلم الباطن، أو أفكار الحلم الخفية. نحن إنما نفك معنى الحلم من محتواه الباطن لا من صوره الظاهرة "[260] هنا تظهر العلاقة بين معنى الحلم ومحتواه الباطني، وما ظاهر الحلم الذي يمثل في ذاكرتنا إلا مقفزة *trempline* (مجازة) لمعرفة معناه. إن صورة الحلم الظاهرة تبدو لنا كأنها نقل (ترجمة) لأفكار الحلم الباطنية في نمط مختلف من التعبير، نمط يتوجب علينا أن نعرف رسم حروفه وقواعد نحوه (أي أن نعرف لغته)، وذلك بالمقارنة بينه وبين باطنه. وهنا يتوجب

---

259 فرويد: تفسير الأحلام –مذكور ص 292

260 فرويد: تفسير الأحلام –مذكور ص 291

عدم الخلط بين كلمة **أصل الشيء** وبين **باطن الشيء** لأن الأصل كلمة ملتبسة. وهذا مهم في دراستنا اللاحقة عن بدء التدوين وتحريف الوحي! " تأتينا صورة الحلم الظاهرة فيما يشبه الكتابة المصورة (كتابة هيروغليفية) كتابة مصورة يتوجب علينا أن ننقل رسومها رسماً رسماً وصورة صورة إلى لغة باطن الحلم. يجب قراءة هذه الرسوم حسب علاقتها الرمزية "[261] هذه القراءة تأخذ بعين الاعتبار عمل التكثيف في الحلم وعمل النقل والتصحيف، كما تلاحظ عمليات التحليل والتركيب وأيضاً **التكملة** التي تأتي أثناء العمل التفسيري والتي قد تستند إلى عمل المسافة الزمنية بين صباح يوم الحلم ووقت تفسيره، يقول فرويد: "يتوجب أخذ المسافة بين زمن رؤية الحلم وزمن تفسيره بالاعتبار "[262]

إن العمل النقدي لـ"عزازيل" سوف يعيد تفسير وكتابة مجمل العمل وفق هذه الرؤية. فالحلم لا يكتمل تقريبه إلا وقت تحقيقه وتفسيره وكذلك يفعل عملنا النقدي لرواية- ترجمة عزازيل .

يقول مترجم "عزازيل": "يضم هذا الكتاب ترجمة أمينة قدر المستطاع لمجموعة اللفائف (الرقوق) التي اكتشفت قبل عشر سنوات بالخرائب الأثرية الحافلة الواقعة إلى جهة الشمال - الغربي من مدينة حلب السورية . وهي الخرائب الممتدة لثلاثة كيلو مترات على مقربة من حواف الطريق القديم الواصل بين مدينة حلب وإنطاكية العتيقتين اللتين بدأتا تاريخهما قبل التاريخ المعروف (قبل ظهور الكتابة والتدوين) وهو الطريق المرصوف الذي يعتقد أنه المرحلة الأخيرة من طريق الحرير الشهير الذي كان في الأزمنة

---

261 فرويد: تفسير الأحلام -مذكور ص 291

262 فرويد: تفسير الأحلام -مذكور ص 321-322

السحيقة يبدأ من أقاصي آسيا وينتهي منهكاً عند ساحل البحر المتوسط"[263] ؛ ينتهي عند مدينة أوغاريت في رأس شمرا.

ننقل خبراً مفاده: "مخطوطات نجع حمّادي" مخطوطات قبطية صعيدية غنوصية[264]. يقول الخبر: "مخطوطات نجع حمّادي؛ اكتشفت في عام *1945* ميلادية حيث عثر القروي - محمد علي السمّان- الذي كان يبحث عن سماد لحقله- على جرّة خزفية، أسفل جبل الطارف بالقرب من دير القديس باخوميوس، على الضفة الشرقية للنيل شمال قرية "حُمرة دوم" في شمال- شرقي نجع حمّادي بصعيد مصر على مسافة *100* كم شمالي "الأُقْصُر" فقام بكسر الجرة فوجد *13*[265]مجموعة (مخطوطة مجلدة) من البردي

---

263 - قبل أكثر من ألفي سنة فتحت الصين طريق الحرير التجاري والذي كان يعتبر جسراً يربط الصين بدول آسيا وآسيا الصغرى وأوربا وشمال أفريقيا. وقد صدّرت الصين عبره خيرة مبتكراتها وتقنياتها مثل الحرير وصناعة الورق وفن الطباعة؛ الحبر الصيني والأواني المطلية باللك والأواني الخزفية والديناميت والبوصلة. كما نشط التبادل الثقافي؛ فعبر هذا الطريق دخلت البوذية من الهند إلى الصين . كان طريق الحرير الشمالي يصل حلب وإنطاكية من ثم يصل آسيا الصغرى فأوربا بينما الجنوبي كان يصل إلى الإسكندرية المصرية. وكانت الديانة المانوية قد وصلت إلى نهر جيحون وعبرته أيضاً ومنح هذا قاعدة للدعوة المانوية في إقليم الصغد الذي زودها بإمكانات الاتصال والارتباط بشكل جيد في الشرق والغرب . وكان الصغد سلالة من التجار اعتنوا بالمواصلات الاقتصادية مع الصين ، وكان طريق الحرير المؤدي إلى بلاد الغرب مشهوراً في الأزمان الغابرة ، وفي الأزمان الحديثة حيث أقام الصغد مستوطنات تجارية في مناطق مختلفة على طول هذا الطريق " راجع : ج. و. نغرين: ماني والمانوية ص 168

264 - للاستاذ الدكتور عبد الحليم نور الدين أستاذ اللغة المصرية القديمة بكلية الآثار جامعة القاهرة ومستشار مكتبة الإسكندرية ؛ إعداد الباحث مهاب درويش

265 - **واحد في واحد** (1 × 1) هذه ثلاثة حدود متصلة غير منفصلة. وللصليب أربعة حدود (خشبتان يجمعهما قطب) ثم إن الصليب له ثماني رمانات على كل طرف رمانتان فتكون **الرمانات** الثمانية والأربعة حدود اثني عشر حدا على عدد حواري المسيح وعلى عدد أسباط موسى، مع القطب الماسك للصليب وهو الحد الثالث عشر (13) فإذا تهجيت الصليب وجدته أربعة أحرف (صليب) وهم أصحاب الأناجيل الأربعة المكرسة متى ومرقص ولوقا ويوحنا وإذا جمعت أحرف أسماء موسى

القبطي كان ضمن مكتبة جماعة غنوصية في صعيد مصر عرفت لاحقاً بمخطوطات نجع حمّادي. اللغة المستخدمة هي القبطية ، حيث نجد اللهجة الصعيدية في *10* مجلدات والباقي *(3* مجلدات*)* بالأخميمية الجنوبية ويمتد زمن هذه المجموعة من نهاية القرن الثالث إلى بداية القرن الرابع الميلادي وتحتوي هذه المخطوطات على الأناجيل والكتابات الغنوصية *(The Naj Hammadi codices)* ". وتختم المقالة بملحق صور"[266]

يكتب ج.و. نغرين: لم تكن الكتب المانوية مكتوبة بعناية وموضحة بدقة فحسب بل تم إعدادها بشكل رائع وبكل طريقة ممكنة. وينبغي أن أضيف أنه قد تمت كتابة المخطوطات القبطية بعناية وجمال فائقين، لكن بقدر ما أنا مطلع لم يتم العثور على مخطوطات مصورة ولا كتب مزخرفة"[267] كما هو حال الكتب المانوية. يروي الجاحظ *(ت 859 م)* أن إبراهيم بن السندي قال له في أحد المرات: "وددت لو أن الزنادقة *(المانويين)* لم يكونوا ميالين كثيراً إلى انفاق نقود كثيرة على ورقة بيضاء نظيفة وعلى حبر أسود متلألئ بالإضافة إلى بذل مثل هذا الجهد لإخراج خط مثل هذا الخط ، ذلك أنني لم أر ورقة قط يمكن مقارنتها مع ورقة من كتبهم، ولا أي خط يمكن مقارنته مع الخطوط الموجودة في كتبهم"[268]

وعيسى ومحمد كانت بعدد الرمانات الثمانية والحدود الأربعة التي هي عليها . هذا حد الصلبوت في الباطن فافهم ذلك. الجلّي : الرسالة المسيحية - مذكور (**وللرمان** ستة طعوم زهرته جُلّنار حمراء خنثى لها عين وست سبلات)

266 مكتبة الاسكندرية، صفحات مصرية.

267 - جيو وايد نغرين: ماني والمانوية ص 143

268 - ماني والمانوية – مذكور ص 143

جاء ظهور الغنوصية نتيجة اللقاء بين "الثقافة الهِلّينية" التي جاءت مع فتوحات الاسكندر وبين الديانات والفلسفات الشرقية بما في ذلك لاحقاً اليهودية والنصرانية. وغنوسيس كلمة يونانية تعني معرفة. وبالسنسكريتية التي اشتقت منها البوذية تعني المعرفة الخفية التي تأتي من مصدر داخلي في الإنسان عن طريق الاختبار الروحي العميق"[269] لقد ساد الشك في "الثقافة الهِلّينية"؛ وعندما يسود الشك يغدو العالم سجناً أكثر منه موطناً.

دعونا نتوسع قليلاً. الافتراض الأساسي للغنوصية: الرغبة في المعرفة الحقة، لا كمجرد استدلال عقلي مجرد (الفلسفة)، بل باتحاد العارف بالمعروف، وغايتها معرفة الله بهذه الصورة"[270]. كان من نتائج التقاء العالم الهِلّيني وفارس والعالم الشرقي ظهور ما يسمى بالفلسفة الهلنستية[271] التي كانت إحدى ثمارها "الغنوصية" أو الخلاص بالمعرفة" .. وكلمة *gnōsis* كلمة يونانية تعني "معرفة" أو عِرفان لما تم إدراكه في عالم التجربة أو من خلال الحواس، مشتقة من أصل هندو- أوربي من الجذر *gnō* أو من الكلمة السنسكريتية *bodhi* والتي منها اشتقت البوذية، وتعني أيضاً المعرفة. وكلمة *gnōsis* و *bidhi* (بدهي) تشيران إلى معنى "المعرفة الخفية" التي تأتي من مصدر داخلي في الإنسان من طريق الاختبار النفسي العميق"[272]. إنها الدراية بالأسرار الإلهية عن طريق خبرة مباشرة

---

269 إنجيل يهوذا – مذكور ص 6

270 إنجيل يهوذا –مذكور ص 5

271 - تقسم الفلسفة اليونانية إلى هِلّينية من طاليس إلى أرسطو ، وهلنستية بعد أرسطو وهي مزيج من الفكر اليوناني والفكر الشرقي الآسيوي . وهذا التقسيم غير صحيح لأن الفلاسفة قبل سقراط منغمسين تماماً في الثقافة الشرقية الاسيوية الصغرى والكبرى وفي الثقافة المصرية.

272 إنجيل يهوذا – مذكور ص 5

بالإعلان أو بالاندماج بالسرّ، أو التقليد السريّ لمثل هذا الإعلان؛ الغنوصية بهذا المعنى ديانة أسرار . واضح أن الغنوصية ذات طابع تهكّمي ناجم عن الشك بالعالم القائم؛ حيث الزمن فيه خارج الوصل."ففي الثقافة الهلنستية اتخذ الناس موقفاً جديداً تجاه العالم والذي تضمن الشك *skeptism* في الوصول إلى الحقيقة المتعلقة بهذا العالم، والحقائق الأخرى على طول الخطوط العقلانية، بالاعتقاد أن البشر يختبرون العالم والتاريخ كمصير لا يمكن اختراقه، ولا يستطيعون التأثير فيه، بل سُلّموا إليه كعبيد لا حول لهم ولا قوة. هكذا يغدو العالم سجناً أكثر منه موطناً، لذا يحن البشر للحرية والفرار من الالتزامات المؤرقة لهم في عالم غريب وأحد طرق الهروب هذه يكمن في العِرْفان *gnōsis*" . هذا الطريق ليس اختراقاً عقلياً للموضوعات بالفكر المنطقي *logic* لكنه من خارج الكون من مصدر إلهي. والوسائل التي بها يستطيع الشخص معرفة هذا "الواقع" الآخر (خارج الكون) تتضمن الإيمان بأسرار مقدسة والسحر والتصوف والتأمل شبه الفلسفي."

الغنوصية هي معرفة الشخص لنفسه، لطبيعته الحقيقية التي توضح العلاقة المتنافرة لطريقة وجوده على الأرض وفي التاريخ، إنما تظهر للإنسان طريق عودته للخلاص من خلال معرفته لذاته"[273] هذا الخلاص بمعرفة الذات تخبرنا عنه الأسطورة الغنوصية عن "التاريخ المأساوي للنفس" . كبداية وضعت الغنوصية الله المتعالي في قمة الوجود (غير المدرك؛ الملء الأصلي *pleroma*)؛ هذه البليروما هي مصدر لأرواح متضائلة في الألوهية انبثقت منها؛ ثم أطلقوا على الأخيرة اسم أيونات *(aeons)* وأراكنة (رؤساء أراكنة) *archons* أهمها وأول الأيونات هي

273 إنجيل يهوذا –مذكور ص 6

باربيلو *Barbelo*.[274] تقول النصوص الغنوصية أن أحد هذه الأيونات؛ الحكمة المكتوبة *Sophia* أرادت أن ترتفع إلى مقام الله فطردت. وهذا يشبه حكاية عزازيل من جهة، حسب السردية الإيرانية. ثم صدر عنها روح (أيون) شرير تسمى بعدة أسماء منها الصانع *demiurage*، الأعمى *sakalas*، *yaldaboath*، *saboath*.. الشيطان؛ عزازيل الخ إنه إله العهد القديم (آلهة الديانات الكونية /الطبيعية الوثنية)؛ خلق المادة والعالم المنظور المادي الفيزيائي أو الحسي، ثم حبس الأنفس البشرية في أجساد مادية فكوّن الإنسان. نحن هنا أمام مستويين؛ مستوى تكويني طبيعي يلعب فيه إحكام الصنع دور الحكمة، وآخر سياسي يلعب فيه الحكام الطغاة دور الديموريج فكما أن الديموريج هو حاكم العناصر المادية الأربعة كذلك هو الطاغية قارون أو فرعون في المستوى السياسي المدني .

مبدأ الوجود غير المدرك أو البليروما *pleroma* أرسل الروح ليسكن في الإنسان وهكذا أصبح الإنسان يحمل داخله شرارة إلهية، لكنه يجهل وجودها نتيجة وجوده في جسد مادي (محجوبة بالجسد المادي)، وعند الموت (موت الجسدية) تتحرر هذه الشرارة (الروح) الإلهية بالمعرفة ، لكن إن لم يهتد الإنسان إلى هذه المعرفة فإن هذه الروح/الشرارة تندفع عائدة في أجساد أخرى(تتقمص) *reincarnation* ؛ تعيد الاقتران بالجسم أو تعود للدخول في جسم. بعد ذلك ظهر المسيح الذي يُعرّفه البعض بأنه الكلمة *logos* منبثقاً من الإله غير المدرك (الملء الأصلي). إن الهبوط نحو المادة والصراع من أجل الخلاص هو ما دفع الغنوصيين إلى الاعتقاد بمخلص سماوي، وهذه الفكرة دفعتهم نحو

---

274 إنجيل يهوذا –مذكور ص 6

المسيحية، فقد وجدوا مخلصهم في المسيح. أما فكرة **الانبثاقات** فهي مأخوذة من الأفيستا الزرادشتية، وفي أسطورة خلق العالم، ومن الكابالا اليهودية (القبالة اليهودية)؛ وكلمة قبالة تذكرنا بالتهكّم السقراطي وأمّه القابلة؛ وأسلوب التوليد؛ توليد المعرفة عن طريق السؤال مع ادّعاء الجهل. هذه الأسطورة الغنوصية هي في أساس الاثنينية الغنوصية (الثنوية المانوية)؛ الله ـ المادة ؛ إله الخير وإله الشر(إله النور وإله الظلام). العالم المادي ضد العالم الأعلى السماوي؛ الذي هو الخير المحض[275] وكان أكسانوقراطس (48 م) قد عرض تأويلاً ثنائياً لمذهب أفلاطون، فوضع مبدأين أولين، أحدهما خيّر سماه "الواحد" والآخر شرير سماه "الاثنين" لكن الغنوصيين رأوا أن الشر لا يمكن أن يكون ماهية أولى مقابلة لماهية الخير سواء بسواء. وقد قال أفلاطون أن الكمال أول والنقص تضاؤله (فكرة الكمال الأول؛ العصر الذهبي ومن ثم الهبوط) فوقفوا عند ثنائية نسبية لا تقول بمبدأين متكافئين بل تعتبر صانع العالم المحسوس إلهاً ثانوياً وله أسماء (الديموريج؛ سكلاس)؛ حاكم الأراكنة أو العناصر الأربعة. التراب، الماء الهواء والنار [276]، صار شريراً **بإرادته** بعد أن كان خيراً **بطبيعته**. إنه عزازيل في الديانات الطبيعية/ التكوينية وإبليس في الديانات التاريخية؛ أو ديانة الأنبياء.

والغنوصية ترفض إله العهد القديم الذي تعتبره فاطراً شيطانياً، شريراً وغيوراً ومسؤولاً عن كل مثالب العالم . وتعتبر المسيح معلماً روحياً مكلفاً بقيادة البشرية نحو معرفة الله الحقيقي الخفي، والمسيح حسب الغنوصية ليس ابن إله العهد القديم، بل هو مَنْ "

---

275 ـ قارن مع الأفلاطونية المحدثة؛ وفكرة الخير المحض

276 راجع يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية ، باب الغنوصية ..

شيث " الأبن الثالث لآدم الذي ينتمي إلى المعبودة الأنثوية "باربيلو *Barbelo*".[277] و في النصوص الغنوصية " باربيلو " هي الأم الإلهية للجميع، صورة الفوضى الكونية (تعامة؛ هولة البحر أو كايوس التي هي في تضاد مع كوسموس أو الكون المنظم، والتي ربما تقابل في مصر القديمة " إسفت " بالضد من "ماعت" "

وقد ازدهرت الغنوصية عبر مدرستين رئيسيتين: الأولى المدرسة السريانية والثانية مدرسة الإسكندرية، قاد هذه الأخيرة باسيليديس الذي طوّر عقيدة خلق الكون، وعلّم أن الإله الشرير هو إله العهد القديم (ديموريج). السماء (عالم= أيون) آخرها هو العالم المادي (السماء الدنيا) يحكمه إله اليهود (إله العهد القديم) رئيس الملائكة في هذا العالم السفلي. المسيح ظهر على الأرض كإنسان . كان قوة غير مادية وعقل (*nous*) غير مولود، وكان يغير مظهره كما يشاء. أي يظهر بهيئات مختلفة. الذي حدث بعد اكتشاف مخطوطات قمران أنه "لا ذكر للسيد المسيح حياً، هناك جماعة شبه مسيحية تعيش في قمران على بعد عدة أميال من القدس، وهي تنتظر عودة معلمها الذي سبق أن مات، وتعتبر كهنة المعبد ممثلين للشيطان على الأرض، ومسؤولين عن موت معلمهم الصدّيق كما أن الكتب التي قبِلها المسيحيون ورفضها اليهود، وجدت جميعها ضمن مكتبة العيسويين في كهوف قمران "[278]

خلال القرن الثاني للميلاد ظهرت أفكار واتجاهات متعددة للغنوصية خاصة في الإسكندرية ومنطقة البحر المتوسط أغلبها قريب للمسيحية ومتأثر بأفلاطون. يقول ترتليان: "آسف من كل

---

277 صفحات مصرية 2

278 مخطوطات البحر الميت -مذكور ص 28

قلبي لأن أفلاطون صار منطلق كل الهراطقة"[279] . عموماً ارتبطت الغنوصية المصرية (والتي أنتجت مكتبة نجع حمّادي) بمعلمي الإسكندرية في القرن الثاني الميلادي؛ فالينتينوس، باسيليديس، اللذان بلورا فكراً دينياً معقداً يستند إلى الأفكار الكلاسيكية (الفلسفية) بعد إلباسها ثوباً مسيحياً؛ بالمزاوجة بينها وبين ما ورد في الكتاب المقدس. إلى جانب فالنتينوس ظهر مارقيون الذي هاجم إله العهد القديم أيضاً وقال: "إن هذا الإله خالق للشرور" كما قال باسيليديس، وأضاف أفكاراً أخرى تختص بالمسيح . تبدو أفكار "إنجيل يهوذا" قريبة جداً في العديد من جوانبها من أفكار مارقيون *Marcion*. وقبل هذا الأخير ظهر ميناندر وكان تلميذاً لسيمون الساحر، وعن طريقه انتشرت الغنوصية إلى سوريا لتصير بعد ذلك الديانة المندائية (الصابئة المندائيين) في العراق؛ وهؤلاء ليسوا صابئة حرّان ولا صابئة القرآن من العرب في شبه الجزيرة العربية[280]. بعد هؤلاء جاء ماني (216-277 م) حيث جعل من الغنوصية ديانة عالمية هي "المانوية"، إلا أنها اختفت تماماً في العصور الوسطى"[281]. والصابئة من الفعل السرياني "صاب" يعني غطس (عُمِّدَ) والمندائيون من الفعل السرياني "دا"يعني "عرف". أما (صبأ) في العربية فتعني: خرج من دين إلى دين آخر."[282]. بعد القرن الثالث الميلادي والدفاع الذي شنته الكنيسة ضد الغنوصية بقيادة أغناطيوس أسقف انطاكية (توفي 107م) وإيريناؤس أسقف ليون (توفي200 م) وترتليان أسقف قرطاج (ت220 م) وهيبوليتوس الروماني (توفي 226 م) ، بالإضافة إلى الحرق الذي تم للكتابات

---

279 إنجيل يهوذا –مذكور ص 9

280 - راجع ميشيل تارديو: " صابئة حران وصابئة القرآن "-مذكور

281 إنجيل يهوذا –مذكور ص 9

282 القاموس المحيط ص 45

الغنوصية باعتبارها هرطقة، اختفت الغنوصية تماماً وفقدت مخطوطاتها حتى سنة *1945* سنة اكتشاف مكتبة نجع حمّادي؛ كان مصدر المعلومات الوحيد حولها هو نقد الآباء المدافعين"[283]

يكتب جو وايد نغرين: على العموم الغنوصية هي مصطلح عام يطلق على سلسلة عريضة من نظم التأملات الدينية التي تتماثل في نظرتها إلى أصل الإنسان ونهايته ، وهي تعتبر من الناحية الرسمية بمثابة هرطقة من الهرطقات المسيحية في قرونها الأولى ، ولقد بات من المقرر الآن أن الغنوصية سبقت بتاريخها قيام المسيحية ، فبعض الطوائف الغنوصية مثل الفالنتينيين والهرامسة في مصر، والصابئة المندائيين في جنوب العراق، ما زالوا موجودين إلى يومنا. كانوا من حيث الأصل وثنيين، ويلاحظ أنه في التاريخ المبكر للكنيسة كانت الحدود بين الأرثوذكسية والهرطقة عائمة، فبعض المفكرين الذين تميزوا بطابعهم الغنوصي قد اعتبروا أنفسهم مسيحيين مثل مرقيون (القرن *2*. م) وأورغن (أوائل القرن *3*. م) علماً بأن هذين قد اعتبرا كفاراً فيما بعد من قبل الكنيسة الرومانية، حتى المانوية (كنيسة طيسفون) التي كانت فيما مضى منافساً رئيسياً للمسيحية قد أبدت بعض التشابه مع الغنوصية."[284]

ويضيف نغرين: كانت جميع الديانات الغنوصية ديانات تعتمد عقيدة الخلاص (الفداء) التي تسلط الأضواء على مصير روح الإنسان بعد التضحية بالجسد، وأداة الخلاص المعرفة أو العرفان (غنوص)؛ وهو نوع من الإلهام الداخلي أو الوحي. فقوام الخلاص هو تحرير الروح من سجنها الجسدي فبذلك يمكن أن تصعد إلى

---

283 إنجيل يهوذا –مذكور ص 15

284 - ماني والمانوية – مذكور ص 209

أصلها السامي وطبيعتها الحقة؛ إلى عند الله"[285]. وهكذا يتم التضحية بالجسد وفداء الروح حتى تخلص من الكدر فتصفو وتصعد.

التعاليم الأساسية للغنوصية. الخلاص بالمعرفة؛ ثنائية الله- المادة؛ يسوع معلم غنوصي. يقول تيوديتس: "إن معرفة الذات في العمق متزامن مع معرفة الله، هذا هو سر الغنوصية"[286] ومونيموس يقول: ابحث عنه بأخذ نفسك كنقطة بداية، تعلّم ما بداخلك، إن المعرفة الذاتية هي معرفة الإله، فإن الذات والإله متشابهان. إن أصداء الفكر الشرقي القديم لفلاسفة الأوبنيشاد يتردد في هذه الكلمات"إن الذات ينبغي أن يسعى إليها من يرغب في الفهم". يقول المسعودي: "رأيت على باب مجمع الصابئة بمدينة حرّان مكتوبا عل مدقّة الباب قولاً لأفلاطون أفهمني تفسيره مالك بن عقبون وغيره منهم وهو: "من عرف نفسه حقيقة تألّه" " وهذا رجْع لشعار دلفي: اعرف نفسك![287]. وعلى منوال آكاديمية أفلاطون الغابرة، أو بالأحرى، ما كانوا يروون عنها، فإن مدرسة حرّان كانت تحمل ليس على واجهتها الجبهية وإنما على مدقّة مدخلها حكمة تدعو كل من يجتاز العتبة إلى ال *bios philosophikos* وفي فترة زيارة المسعودي *943*م *(332* هـ *)* كان لوثنية حَرّان مركزان ناشطان: المعبد المسمى "ميلطية" والمدرسة الأفلاطونية. وهذان الركنان للوثنية الحرّانية كانا تعبيراً عن غايات مختلفة، وكانا لهذا السبب على تنافس بينهما."[288] فالمدينة البيزنطية الوحيدة ذات اللغة

---

285 - ماني والمانوية – مذكور ص 210-211

286 إنجيل يهوذا –مذكور ص 11

287 صابئة القران وصابئة حران –مذكور ص 16

288 صابئة القران وصابئة حران –مذكور ص 21

اليونانية- الآرامية ، والتي كانت الهيلينية فيها قوية ناشطة، هي حرّان على مسافة 38 كم إلى الجنوب والجنوب الشرقي من الرها"[289] نورد هذا الاقتباس بمناسبة "شعار دلفي" أو حكمة دلفي: اعرف نفسك!: "يبدو أن هناك كثيراً من الناس لا يسهل عليهم الوقوف الموقف المطلوب حيال الأفكار المنبعثة "انبعاثاً حراً" في ظاهره، واطراح النقد الذي ألفوا ممارسته إزاءها. فمن شأن "الأفكار اللاإرادية" أن تحرك مقاومة عنيفة للغاية، تهدف للحيلولة دون انبعاثها. ومع هذا فالخلق الشعري نفسه لابد وأنه يتضمن موقفاً يماثل الذي نصفه كل مماثلة . ففي فقرة من رسائل الفيلسوف فردريك شيللر إلى كورنر يرجع فضل الكشف عنها إلى أوتو رانك ، يردّ على شكوى صديقه من افتقاره إلى القدرة الخالقة فيقول: "أعتقد أن السبب في شكواك يرجع إلى استبداد عقلك بخيالك، وسأضرب لمعناي بتشبيه يمثله لك: فإن العقل إذا غالى في إمعان النظر إلى الأفكار التي ترد عليه كأنه واقف لها بالمرصاد وهي لا تزال على الأبواب - إن جاز هذا التعبير - لم يكن في ذلك نفع بل لعله يعرقل عمل النفس الخالقة. فالفكرة إذا أخذتها على حدة قد تبدو تافهة كل التفاهة ، غريبة أقصى الغرابة . ولكن أخرى قد تتلوها فإذا هي ذات شأن ، أو هي قد ترتبط بأفكار غيرها تلوح في مثل سخفها فإذا هي الحلقة المفقودة. فما يستطيع العقل الحكم على الكل إذا هو لم يمسك بالفكرة أمداً كافياً ليتأملها مقرونة بأخرياتها . وأما الذهن الخالق، ففيه على العكس يرفع العقل الحراسة عن الأبواب، تاركاً الأفكار تهجم شذر مذر، وعندئذ؛ عندئذ فقط، يأخذ في النظر إليها وفحصها مجتمعة" "[290] أما المستبدون المختزلون الصارمون

---

289 صابئة القران وصابئة حران -مذكور ص 24

290 فرويد: تفسير الأحلام -مذكور ص 131-132

في حراسة الأفكار فإنهم "ينبذون سريعاً ويفرقون عسفاً"، فالاستبداد، لهذا السبب، هو العدو اللدود للفكر الخلاق والمبدع.

ومونّيموس *(150-210 م)* هو غنوصي عربي يرجح أن اسمه *(مُنْعم)* لم يعرف إلا من كتابات ثيودوروس وهيبوليتوس عنه، ويقول هيبوليتوس إنه من أتباع تاتيان *(طاطيان)* وهو أو من أدخل مفهوم الجوهر الأوحد *[all of one essence= monos]* للغنوصية . تتشابه أفكاره كثيراً مع أفكار الصوفي الإسلامي ابن عربي"[291] ومع فكرة ليبنتز عن المونادة. إن أول ما ينبغي تسجيله ضمن كتابات الشريعة العائدة لماني - والتي دوّنها بالسريانية- هو "الانجيل الحي" أو "الانجيل العظيم" . وقد تم تقسيم إنجيل ماني بشكل يتماشى مع عدد الأحرف في الأبجدية السريانية إلى اثنين وعشرين سفراً، حيث أعلن فيه عن ذاته "أنه الفارقليط" الذي بشر به المسيح وأنه "خاتم النبيين" وقد افترض أن يكون هذا الانجيل بديلاً عن الأناجيل المسيحية المعترف بها . وقد تم تنظيم هذا الانجيل وتحريره من قبل تاتيان *Tatian* الذي شغل مقاماً بارزاً أثناء حياة ماني بين المسيحيين الناطقين باللغة السريانية. هناك كتاب آخر لماني حمل اسم "كنز الأحياء" وهو يذكرنا بكتاب جنزا *Ginza (أي الكنز)* المندائي *(المندعي)*"[292]

تقدم الغنوصية ثنائية الله -المادة، بحيث توجد هوة بين العالم الروحي والعالم المادي، مع محاولات لملء هذه الهوة بسلسلة من الكائنات الفيضية والوسطاء (كاهنات دلفي؛ هيرا ، بيثيا). الغنوصية في معظم تياراتها تفرق بين يسوع *jesus* من جهة وبين

---

291 إنجيل يهوذا –مذكور ص 11

292 - ماني والمانوية ، ص 102-103

المسيح *Christ* من جهة أخرى فالمسيح مصدره إلهي **منبثق** عنه، يقول يسوع الغنوصي عن نفسه: "**أنا هو** الذي نال وجوده من غير المنقسم"[293]. النجم الذي يقود الطريق هو نجمك. أما الإنسان يسوع فهو مجرد جسد بشري **حل** (نزل) عليه المسيح وقت العماد (وقت الولادة الثانية/ الروحية) ليتكلم من خلاله ثم فارقه وقت الصلب"[294]. الذين قالوا بالجسد الخيالي للمسيح كان ظهوره بالنسبة لهم شبحي *phantom* لذا كان يظهر بصور مختلفة. يسوع الغنوصي لم يأت ليحقق الفداء، بل جاء معلماً ليفتح الطريق للاستنارة. يقول يسوع الغنوصي: "إني قلت أسراري الغامضة لهؤلاء الذين يستحقون أسراي الغامضة"[295]. في الثنائية الزرادشتية لدينا إله الخير (أرموزاد) وإله الشر (أهروان). وحسب الأوبينيشاد الهندوسية: القوة العظمى براهمان والطاقة الروحية للذات أتمان *(atman)* هما شيء واحد. تتم الاستنارة: براهمان (الواحد غير المدرك) يمكن أن يعرف من خلال التجربة الواعية التي تؤكد نفسها في تجربة الاستنارة الواعية الكلية، أي من خلال معرفة النفس، لأن براهمان هو النفس الكليّة (أتمان).[296] إن إنجيل يهوذا ذو علاقة بالأسطورة الشيثيانية للخلق (نسبة إلى شيث الابن الثالث لآدم) التي تعتبر سقوط آدم وحواء وخروجهما من الجنة بمثابة تحرر من سلطة الإله الشرير (إله العهد القديم) الديموريج وعمّاله (حكّامه) الأراكنة. في إشارة إلى التمرد على طغيان عالم الحسيات وطغيان السلطة

---

293 إنجيل توما الغنوصي (6:3)

294 إنجيل يهوذا –مذكور ص 12 يتمتع يسوع وماني بمرتبة وجلال سماويين لأنهما **حلول** الرسول الثالث نوس *nous* السماوي العظيم. راجع : ماني والمانوية ص 113

295 توما الغنوصي (62: 1)

296 إنجيل يهوذا –مذكور ص 12

الحاكمة. الخلاص في العبارة المحررة من التاريخ، في الصعود هرباً نحو السماء.

نعود إلى الغنوصية وأفكارها الرئيسية المشتركة. في قمة الوجود الله الموجود المفارق اللامدرك، السكون، الهاوية (اليم) . صدرت عنه أرواح يسمونها أيونات وأراكنة (اسطقسات أو العناصر الأربعة)، صدرت زوجاً فزوج على شكل أضداد. بارد /حار، رطب/يابس، تراب/ ماء، هواء/ نار) ذكراً وأنثى، متضائلة في الألوهية كلما ابتعدت من المصدر. أراد أحدها أن يرتفع إلى مقام الله (عزازيل) فطرد من العالم المعقول؛ (قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها)[297]. عن هذا الأيون أو الأركون الخاطئ صدرت أرواح شريرة مثله، وصدر العالم المحسوس الذي لم يكن ليوجد لولا الخطيئة [الجهل] ، لأنه عالم شر ونقص، صانعه شرير، والمادة المصنوع منها رديئة (عالم الكون والفساد). كل كائن معرض للفساد بعكس عالم الأرواح الخالد. وذلك الأيون هو الذي حبس النفوس البشرية (النفس الناطقة) في أجسامها، حبسها في جسد الإنسان. ولكن النفوس تتوق إلى النجاة؛ نجاة في الحياة العاجلة، تقابلها الآجلة أو الحياة الآخرة من الجبرية المسيطرة على العالم السفلي بتأثير النجوم، ونجاة في الحياة الآجلة بالرغم من كيد الشياطين . غير أن الناجين قليل، فإن الناس طوائف ثلاث متمايزة بالطبيعة لا بالنية والإرادة فحسب: الطائفة الأولى الروحيون، وهم من أصل إلهي يكفل لهم النجاة، أولئك هم الغنوصيون صفوة البشر (الذين صفو من الكدر الجسدي) والطائفة الثانية الماديون مركبون من المادة وهي تعوقهم عن الصعود فوق العالم السفلي(الحياة

---

297 الأعراف / 13

الدنيا، والثالثة الحيوانيون (البهائم/ الأنعام) يؤلفون طبقة وسطى قابلة للارتفاع والسقوط، معرضة للنجاة والهلاك ووسيلة النجاة قهر الجسم واطراح كل ما يثقل النفس ويمنعها من البلوغ إلى المقر الروحاني النوراني الذي هبطت منه. فريق آخر أطلق العنان للشهوة بحجة أن الجسم شيء دنيء عديم القيمة لا حساب له"[298]

---

298 راجع يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية-مذكور ص 244-245

الباب الثالث

أوامر نمط الإنتاج الآسيوي

مما لا اعتراض عليه هو أن الآلهة عنت (عنات) لها أقوى شخصية، باشتراكها مع بعل، هي حبيبته أكثر منها زوجته. ولمّا كانت تحمل لقب "بتلة" (بتول) عذراء فهي من نوع الإلهات اللواتي يمثلن عادة عاريات، واللواتي لأنهن يحملن دون أن يلدن يمثلن استمرار الخصب. فتماثيلها الصغيرة تظهرها واقفة على أسد وهي تمسك في إحدى يديها **زنبقة** وفي الأخرى زوج من الأفاعي. فالأولى تمثل السحر والجمال والثانية تمثل الخصب . ونصوص أوغاريت تعترف بمظهري الإلهة الاثنين المظهر الجنسي الذي يبلغ أحياناً حد الحرب وخاصة في الحرب والمذبحة التي استسلمت لهما لاسترجاع حبيبها المختفي إلى الحياة. المكان المهم الذي تحتله في مجمع آلهة *(panteone)* أوغاريت يمنحها أن تؤدي دور **الوسيطة** . فهي تبدو كرسول للآلهة فتمثل أحياناً مسلحة بجناحين: (ترفع الجناح، البتول عنات، ترفع الجناح وتنطلق طائرة). واسمها يعني حسب نظرية طريفة للسيد ألبرايت تلك التي تجيب على إشارة أو إرادة الإله الفاعل وهي نوع من أقنوم مميز لبعل". ولما كان الاسم (عنت) يرجع إلى (آنت) أي الزمن والمصير فإن عنت تعني الإشارة مع إظهار النية والإرادة الفاعلة وخاصة الإرادة الفاعلة التي هي أقنوم بعل"[299]. إن أقنوم هنا هي **خاصيّة** لبعل أو تطوير لإحدى خصائصه وتشخيصها. فحسب (غاستر؛ تيسبس، ودرايفر "الإلهيات")، عشتار هي عبقرية الريّ الاصطناعي - فالأرض المسقيّة على هذا النحو تسمى بالعربية عشتاري.

---

299 أدمون جاكوب: رأس شمرا والعهد القديم ، ص 103

فالأسطورة تريد أن تظهر أن عشتار (الريّ الاصطناعي) غير قادر على تأمين دور بعل (المطر)[300]. وهذا يذكرنا بمشاريع الريّ الكبرى في إمبراطوريات نمط الإنتاج الآسيوي. تقول هرطقة إيف لاكوست: "إن نمط إنتاج ما، لا تحدّده فقط علاقة الإنتاج السائدة، بل تحدّده أيضاً طبيعة وسائل الإنتاج "[301] وهذا معناه بالتعبير الماركسي الكلاسيكي أن نمط الإنتاج لم يعد محدداً **بعلاقات المِلْكِيَّة السائدة** (علاقات الإنتاج الاجتماعية/ الاقتصادية)، بل محدداً أيضاً **بقوى الإنتاج**. وهو أمر يخلق بلبلة في مجمل أعمال ماركس. ويخلق ازدواجية في الغايات والوسائل أو القيم والأدوات. وهو التباس قائم تحت ضغط **النزعة التقنويّة** التي سادت في العصر الإمبريالي/ الرأسمالي عند بعض مفكري مدرسة فرانكفورت من أمثال هربرت ماركوز و يورغن هابرماز.

"إن **نمط الإنتاج الآسيوي** في فكر ماركس مفهوم متلاحم ومتكامل الإنشاء، وقد عرضه بوجه خاص في عام *1859* في دراسته المعروفة: "الاشكال التي تسبق الإنتاج الرأسمالي" ويميز ماركس تمييزاً واضحاً شكل الملكية "الآسيوية" من الملكية "القديمة" من جهة أولى، ومن الملكية "الجرمانية" من الجهة الثانية. وهو يرى أن هناك ثلاثة أشكال من الملكية، ولدت جميعها من انحلال المجتمع البدائي، وكانت نقطة انطلاق لثلاثة أنماط مختلفة من المجتمعات الطبقية. ففي حين أن الفرد في النمط الجرماني لا يندمج في المشاعة إلا بوصفه سيداً فرداً على قطعة من الأرض، يتميز النمط الآسيوي بصرامة رقابة المشاعة على الأفراد الذين لا يتسلمون الأرض إلا على أساس انتمائهم لهذه المشاعة. وتنضاف

---

300 رأس شمرا- مذكور ص 103

301 إيف لاكوست: العلّامة ابن خلدون .. ص 34

(في النمط الآسيوي) إلى هذه الوحدات (القرى) المشاعية الأساسية الدولة الآسيوية، تلك الوحدة العليا (التعبير لماركس) التي تُبقي على مجمل المشاعات القروية وأعضائها في حالة من التبعية الإجمالية ("العبودية المعممة")، والتي تؤدي في الوقت نفسه وظائف حقيقية ذات طابع سياسي، وبوجه خاص اقتصادي (ورشات الأشغال الكبرى والريّ). أما النمط القديم فيقوم من جهته على أساس علاقات أكثر تعقيداً تجمع بين الانتماء إلى المشاعة، وهو منبع الحق في الأموال العامة، وبين تطور الرقابة الخاصة - من قبل أشخاص كانوا في الأساس "محرومين" من الحقوق في الأرض المشتركة- الرقابة الخاصة على وسائل الإنتاج ولا سيما العبيد"[302]. "والمراسلات " بين ماركس وأنجلز[303] تتيح لنا هي الأخرى أن ندرك مدى اهتمامهما الدائب بهذه المسألة. وتراسلهما في حزيران (1853) بوجه خاص يبرز للعيان قناعتهما بأن **غياب الملكية الخاصة** هو "مفتاح الشرق كله "[304] نقتطف من لاكوست نفسه في كتابه"العالم الثالث أو جغرافية التخلف" قوله: "فالوضع الاقتصادي والاجتماعي المتصف بوجود أقلية تنتفع بفضل الانتاج دون أن تملك الأرض حصراً ، هذه الأرض التي ظلت في أيدي الجماعات القروية، **وطريقة الانتاج الآسيوية** هذه التي وصفها كارل ماركس باقتضاب ، كان قائماً وذلك خلال حقب طويلة من الزمن في القسم الأكبر من العالم . وهذا الأسلوب في الانتاج الذي يحقق استغلال الانسان للانسان **دون أن تكون هناك ملكية خاصة للأرض** يبدو من وجهة النظر التاريخية كأحد أوائل المجتمعات

---

302 جان شينو، يوجين فارغا، موريس غودلييه: حول نمط الإنتاج الآسيوي .. ص 41

303 راجع: مراسلات ماركس أنجلز ، ترجمة د. فؤاد أيوب دار دمشق ..ص 82-88

304 حول نمط الإنتاج الآسيوي- مذكور ص 42

الطبقية . وقد سمح الدور التنظيمي الذي كانت تقوم به الأقلية الاريستوقراطية بضم قوى العديد من المجتمعات القروية مما جعل من الممكن تحقيق مشاريع مائية كبيرة جداً والتي كانت وسيلة للحصول على زيادات ضخمة في الانتاج . وقد كان الانتقال من مرحلة الجماعة البدائية إلى "مرحلة الانتاج الآسيوي" مصحوباً بقفزة كبيرة للأمام قفزتها القوى المنتجة إذ لم يعد الناس يواجهون الطبيعة وهم مبعثرين. يبدو أن أسلوب الإنتاج الذي دعوناه "بالآسيوي" لافتقارنا إلى عبارة أكثر دقة ، كان يميز القسم الأعظم من عالمنا خلال حقبة مفرطة في طولها، دون أن يحدث فيه تطور جوهري. وفي الحقيقة فإن التناقض الذي كان موجوداً بين الجماعات القروية والأريستوقراطية لم ينمُ . فالاستحواذ على فضل الإنتاج لم يؤد إلى الاستحواذ على وسائل الإنتاج."[305]

إن لا كوست بتحديده لنمط الإنتاج بالشكل المذكور في كتابه "العلامة ابن خلدون" والمذكور أعلاه يغامر بالقول بأن هناك نمطين من الإنتاج في آسيا واحد مائي والآخر تجاري[306] وهو بهذا إنما يقوم بعمل تحريفي للوحي الماركسي. إن التحريف هنا هو في عجز لاكوست عن الوصول إلى باطن الأمور والافتتان بالظواهر التقنوية الأداتية (أدوات الإنتاج كمحددة).

---

305 ـ إيف لاكوست: العالم الثالث؛ أو جغرافية التخلف ، نقله إلى العربية الدكتور عبد الرحمن حميدة الاستاذ بجامعة دمشق ، دار الحقيقة للطباعة والنشر بيروت ص 276- 277

306 ـ ديانات المجتمعات الآسيوية/ التجارية قمرية بينما هي شمسية في المجتمعات الاسيوية/ المائية أودية الأنهار(شمش، أتون). لكن نظراً لاتساع السهوب في آسيا الغربية فقد أثرت ديانة السهب على النهر وغلبتها، على العكس من الوضع في وادي النيل.

لكن المفيد في عمل لاكوست: "العلّامة ابن خلدون" هو تمييزه بين شكلين من أشكال نمط الإنتاج الآسيوي وهما: "المجتمعات المائية" أو مجتمعات أودية الأنهار كما في مصر وبين النهرين من جهة و "المجتمعات التجارية" في الحجاز وبلاد كنعان وبلدان المغرب العربي أو شمال أفريقيا. "ففي المجتمعات المائية حيث تحقيق الأعمال الكبرى يسمح بزيادة للإنتاج هائلة، فإن ثروة الأقلية المتميزة (الأريستوقراطية) ينجم عن المصادرات الهامة لحسابها الخاص(الاقتطاعات والضرائب)، أما في المجتمعات التجارية حيث مستوى القوى المنتجة بقي جد ضئيل، فإن الثروة المحققة التي استفادت منها الأقلية المتميزة (الأريستوقراطية) طوال عدة قرون، لم تنجم عن الفوائض المقتطعة من الوحدات القبلية الضئيلة الإنتاج بمقدار ما كانت تنجم عن اتساع الأرباح التجارية" بحكم الموقع الفريد على طرق التجارة الدولية الكبرى (مكة مثلاً وأفريقيا الشمالية وطريق الحرير الآسيوي)[307]. في المجتمعات المائية كانت مجموعات الفلاحين خاضعة لاستثمار جدّ عنيف، وبإرغامها على السخرة، بقيت في حالة من العبودية الجماعية المعممة من قبل الاريستوقراطية، التي هي في الواقع طبقة مغلقة وهي أحيانا أجنبية المنشأ، وليس لها أي علاقة مع جمهور السكان. إن مجموعات الفلاحين الراغبة عن أن تكون مكبوتة من قبل أيديولوجية دينية تكرس سلطات الأقلية الممتازة، قد كانت في أغلب الأحيان بدون دفاع ، تجاه الجيوش المكونة من العبيد الجنود. فالكاهن والعبد/ الجندي هما الوسيلتان اللتان بواسطتهما تحافظ الأريستوقراطية على استثمارها لجماهير الفلاحين في تلك المجتمعات الآسيوية/ المائية.

---

307 العلامة ابن خلدون-مرجع مذكور ص 34

بالمقابل فإن الشروط المختلفة في المجتمعات الآسيوية/ التجارية. الدين لا يكرّس بنفس الطريقة الأقلية المتميزة التي لم تزل إلى حد كبير مندغمة بالمجموعات القبلية. إن القائد الحربي في أغلب الحالات هو رئيس قبيلة وقوته العسكرية كما يشير ابن خلدون تتعلق خاصة بالحذاقة التي يبذلها مساعدوه في مساندته. الملك نفسه ليس سوى رئيس قبيلة، تزعّم اتحاداً لمجموعات قبلية، وعلى عبيده الجنود أن يواجهوا سكاناً مسلحين (البدو الرحل) يمثل فيهم الفرسان الرعاة قوة عسكرية رهيبة. كما أن التمايز الطبقي أقل حدة، والاستثمار أضعف مما هو في المجتمعات الآسيوية/المائية. وعلى سبيل المثال، فإن المصادرات الكبيرة لليد العاملة، التي تميز المجتمعات الآسيوية/المائية ليست ممكنة إطلاقاً في المجتمعات الآسيوية/ التجارية "[308]

إن مفهوم آسيوي هنا عائد إلى نمط الإنتاج وليس إلى جغرافية القارات، فلدينا نمط آسيوي في مصر وفي شمال أفريقيا وفي سوريا وفي ما بين النهرين، وهو ما نحتاج إليه في مقاربة تمرّد مفكري النمط الآسيوي في مصر وسوريا: آريوس و نسطور .

كان الآراميون كالكنعانيين لا يميلون إلى تكوين دولة واحدة قوية بل كان النزاع بين زعمائهم مستمراً وهذه ظاهرة أخلاقية بارزة في أغلب الأمم السامية القديمة؛ "العرب قومُ لَقاح لم يدينوا لملك ولم يملكهم سلطان"[309] قال ابن قتيبة في كتابه "الرد على الشعوبية": "إن أهل خراسان ما زالوا في ملك العجم لقاحاً لا يؤدون إلى أحد إتاوة ولا خراجاً. وكانت قريش تلقب باللقاح لأنهم

---

308 العلامة ابن خلدون –مذكور ص 34-35

309 مقاييس 5 ص 262

لم يدينوا لملك من الملوك"[310] وقد كانت الدول الآرامية كثيرة العدد لعدم ظهور التفوق الحربي فيهم (نمط آسيوي/ تجاري) على عكس ما كان عليه الأمر في بابل وآشور؛ إنه نمط آسيوي/ مائي بعلاقته بتشكيل دولة واحدة كبيرة[311]

وقد انتشرت عبادة عنات باكراً خارج الأرض السورية فمنذ 1700 قبل الميلاد كانت عنات معروفة في مصر حيث أدخلها الهكسوس. وهي ممثلة في مجموعة آلهة ماري على الفرات الأوسط، فقد كان متوقعاً أن نصادفها على الأرض الفلسطينية. فهناك شخص في أيام القضاة [عهد قديم] يسمى شمجر بن عنات (قضاة 3:31: 5:6) ومكان واقع في أراضي قبيلة نفتالي يدعى بيت عنات (يشوع 19 : 38 قضاة1 : 33) وموطن أرميا عناتوت هو أيضاً استطالة لعبادة هذه الآلهة. وعندما حاول يهود المستعمرة العسكرية إيليغانستين في مصر في اندفاع توحيدي إعطاء يهوه(ياهو) إلهة مثيلة وقع اختيارهم على عنات التي أصبحت عنات ياهو وعنات بيت إيل. وقد تركت بعض الأسماء الإلهية آثاراً في العهد القديم . ففي رثاء هجائي لملك بابل يجعل أشعيا سكان سيول يخاطبونه بهذه التعابير: "كيف سقط من السماوات أيها الهلال ابن سحر (أشعيا 14: 12) فالنصوص الأوغاريتية تساعد على إيضاح هذا النص . بهذا تلميح إلى أسطورة أوغاريتية؛ فسحر(الفجر) كما رأينا ابن إيل، ونصوص العهد القديم التي يتمثل فيها الفجر كشخص هي امتداد له (عاموس 4، 13 أيوب 3، 9 ، 38، 12 هل عرفت الفجر موضعه)

---

310 - راجع ديوان بشار بن برد الجزء الأول ، جمع وتحقيق وشرح فضيلة العلامة سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر 2007

311 راجع أ. ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص 116

أما فيما يخص الهلال، أي اللامع، فقد تحول إلى التشبه بالهلال القمري أو بنجمة الزهرة . وعند ذلك يصبح الهلال نفس الإله المذكر الذي كان في أوغاريت يحمل اسم عشتار. إن أسطورة هلال هي تتمة أسطورة عشتار فمن المؤكد أن في أوغاريت كما في الأسطورة التي يلجأ إليها أشعيا (فصل *14*) يرد ذكر إله **تدفعه كبرياؤه** حتى الادعاء بالسيادة السماوية. والنبي حزقيال في هجائه الشهير لملك صور (الفصل *28*) يشير إلى إله إن لم يكن هو نفسه فعلى الأقل مماثل له. فخلف الملك الذي اعتبر نفسه إلهاً صورة إله ثانوي يثور على الإله الأعظم "[312]. هذه الثورة تذكرنا بتمرد إبليس على الأمر الإلهي ورفضه السجود لآدم . وفي القرآن يرد ذكر الطارق الذي هو النجم الثاقب وهو نجمة الصبح أو الزهرة. والثاقب النجم الذي يضيء نفسه ولا يضيء ما حوله[313] وهي علامة التكبّر على الأمر وعدم السجود لآدم . وهو لوسيفر أو لوتشيفيرو والذي معناه : *Lucifer*: الشيطان، إبليس *2*- الزهرة حين تكون نجمة صبح (في الفجر/ السحر)[314]. إنها النجمة الخماسية أو زهرة الزنبق الخماسية البتلات (الحواس الخمس)؛ الإله هلال أو نجمة الصبح. إن عزازيل الذي كان إلهاً أنثى مقدسة في الديانات الطبيعية قد تحول إلى شخص يسكن مجمع الملائكة وقد رفض الاعتراف بالأنبياء عند التحول إلى الدين التاريخي. لقد تمرّد على الأمر الإلهي ورفض السجود لآدم أول الأنبياء. إنه لا يثق بالتاريخ وعباراته، بل يثق بالطبيعة الأم البتول المقدسة، لا يؤمن إلا بعالم

---

312 رأس شمرا- مذكور ص 80-81

313 - يمكننا التحديق في النجم لكن ذلك متعذر في حالة النظر إلى الشمس لأنها تعمي البصر. الشمس تضيء الأشياء . القمر يضيء ويمكن النظر إليه في نفس الوقت. النجم يضيء نفسه ، القمر يضيء ماحوله.

314 المورد الكبير 2005 ص 543

المحسوسات أو النفس الحاسّة أو التجريدات المرسلة الخارجة عن كل توسط أو سياق *context* (النفور من التاريخ). مع زمن الأنبياء تحول عزازيل من أنثى إلى ذكر وغدا اسمه إبليس أو الشيطان، وراح يمارس فتنته وإغواءه القديم (فتنة الجسد) على أبناء آدم أو ورثة مجتمع الأنبياء المجتمع الخاضع لأوامر النمط الآسيوي/ التجاري.

يَهْوَه ملك لأنه انتصر على المياه (اليَمّ) . ولكن التقليد الإسرائيلي يربط انتصار يَهْوَه وملكه **بحادث تاريخي** هو الخروج من مصر(من الطبيعة إلى التاريخ؛ من الكون إلى الصيرورة). فالعناصر الأسطورية قد أصبحت بوضوح تاريخية - وهذا لا يمنع مطلقاً من أن يبقى هناك طابع تكويني- إنه الانتصار على المياه الفوضوية وانتظام الكون.[315] فبناء على رأي ج. غري أن العبرانيين لدى خروجهم من مصر وإقامتهم في بعل صافون. قد اطلعوا شفوياً على الأساطير الكنعانية."[316] وأخذو لغتها أيضاً، فالعبرانية هي اللغة الكنعانية مكتوبة بالخط الآرامي المربّع، ويعترف الكتاب اليهودي المقدس صراحة بذلك في سفر أشعيا *(18/19)* بأن العبرية هي شفة كنعان"[317]

في الديانة الطبيعية يمثّل؛ يصوّر الإنسان مفاهيمه بصنع الصور و التماثيل للآلهة المعبودة، بينما يحاول في الدين التاريخي ومع ظهور الأنبياء أن يقلّد أو يحاكي يد الرب التي كتبت على لوح النفس فيبدأ التدوين بحروف الأبجدية. كل ثروة داوود أعطاها لسليمان. بما في ذلك تابوت عهد الربّ. "**قد أفهمني الربُّ كل ذلك**

---

315 راجع رأس شمرا- مذكور ص 74

316 رأس شمرا- مذكور ص 54

317 سيد القمني: النبي موسى ، ص 37

بالكتابة بيده عليّ، أي كل أشغال المثال[318]. وقال داوود لسليمان ابنه تشدّد وتشجع واعمل، لا تخف ولا ترتعد، لأن الرب الإله إلهي معك لا يخذلك ولا يتركك حتى تكمل كل عمل خدمة بيت الرب[319] (أخبار الأيام الأولى *28/19-20*) يد الرب تكتب على نفس سليمان. النفس الناطقة؛ الكلمة الناطقة. أثر الأمر في النفس البشرية، حيث تظهر الصورة أو المثال في النفس على صورة الحق أو مثاله. "فتلقى آدم من ربه كلمات، فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم"[320].

في الأناشيد العائدة إلى دور بعل يمنح بعل الحياة لصبي من مضاجعته بقرة (ألف)، وفي مرّة أخرى بالاشتراك مع الآلهة عنات يلد معها ثوراً (ألف)[321]

لعلّ خطاب التلقين أسكليبيوس[322]المنسوب لهرمس الكتاب الوحيد من العصور القديمة الذي يحتوي ليس فقط حجّة، وإنما نظرية شكلية ومعلنة عن عبادة الصور. وحتى هنا كان الفلاسفة قد عدّوا العبادة الوثنية نتيجة خطرة لسوء استعمال اللغة. إن تطور اللغة من لغة الصور الفعلية للكائنات إلى حرف واحد هو انتقال من صورة إلى رسم هندسي مجرّد يرمز للأشياء الفعلية. من الهيروغليفية إلى الأبجدية؛ انتقال من الصورة إلى السُّورة[323]. ويسوّغ مكسيم الصوري عبادة الصور ويفسرها بضعف طبيعتنا، التي هي بحاجة

---

318 يد الرب تكتب على نفس سليمان بشكل صورة ومثال

319 كمال خدمة عمل بيت الرب خدمة عقائدية (ايديولوجية) وخدمة سياسية

320 البقرة /37

321 رأس شمرا- مذكور ص 53

322 أول من ذُكر من الأطباء ، وأول من تكلّم في شيء من الطب على طريق التجربة وكان يونانياً . راجع ص 29 من كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"لابن ابي أصيبعة.

323 السُّوَر: جمع سُورة : وهي كل مُنْزَلة من البناء.. مقاييس 3 115

لربط الفكر بعلامة مادية (الحاجة للمجازات) "فأولئك الذين ذاكرتهم قوية صلبة والذين ليس لهم إلا أن يرفعوا بصرهم للسماء ليشعروا بحضور الآلهة ليسوا بحاجة للأصنام لكن هؤلاء نادرون جداً، ولا يكاد يوجد رجل في جماعة عديدة يستطيع تذكر الفكرة الإلهية لنفسه دون أن يكون بحاجة لمثل هذا العون "[324]. إنها حاجة اللغة الأبجدية إلى المجاز لتمثيل الصورة العقلية بصورة حسية، كحاجة الإسلام لإبقاء الحجر الأسود؛ وحاجة المسيحية للإيقونة والصليب. " إن أجدادنا وجدوا الفن من صنع الآلهة، وبعد أن وجدوه خلطوه بفضيلة مناسبة، مستخلصة من طبيعة العالم وبما أنهم لم يكونوا يستطيعون أن يخلقوا أرواحاً استدعوا أرواح الشياطين أو الملائكة، وثبتوها في الصور المقدسة [والتماثيل] والأسرار الإلهية، معطين بذلك الأصنام القوة في فعل الخير أو الشر" هذه المعتقدات كانت شائعة لدى الوثنيين والمسيحيين، لكن الأولين كانوا يقرون ويثبتون ما كان يدينه الآخرون عبادة الشياطين التي كانت تسكن التماثيل"[325]. الكتابة هي فعّالية يد الأمر؛ هي أثر "اليد" في "نون" أو "اللوح المحفوظ"، والتدوين ينسب إلى الدواة (النون)، ورسم الحرف يرجع إلى القلم. وتبقى الهندسة انتقال من التضاريس إلى الخط المجرد.

ما يلفت النظر في نقش نبطي في صلخد من أعمال حوران عليه كتابة نبطية متأخرة "وجود كلمة مسجد بمعنى **تمثال** في حين نجد في النقوش الأخرى كلمة **نفس** تؤدي هذا المعنى. فلا شك أن هذين اللفظين كانا يستعملان مجازاً للتعبير عن معنى (تمثال/ نفس)

---

324 هرمس المثلث العظمة أو النبي إدريس . تأليف لويس مينار ص 76

325 هرمس- مذكور ص 77

ومعنى تمثال مقدس وغيرها"[326] ونجد في هذا النقش تأثيراً عربياً واضحاً لا في الكلمات فحسب بل في الأسلوب أيضاً ونرى أن النبط يتركون شيئاً فشيئاً اللغة والحضارة الآرامية ويندمجون تدريجياً في اللغة والحضارة العربية"[327]

لدينا ثلاثة عناصر كنعانية غريبة عن العهد القديم؛ وهي عناصر خاصة بالديانة الطبيعية .

١- ازدواجية الجنس لدى تماثيل الآلهة وصورها (لاحظ تأثر فن عصر النهضة بذلك خاصة دافنشي)

٢- السحر

٣- فكرة موت الإله وقيامته وهذه مسألة متعلقة بسيطرة **الكلمة النباتية** (حياة النبات والديانات الزراعية الطبيعية) في الديانات الطبيعية ديانات الخصب. وهذه الأخيرة (ديانة الخصب وطقوسها) هي ما يفسر الطقس الكنعاني بخلاعاته واندفاعاته الجنسية وإثارته للغرائز . وشكّل هذا تحدّ دائم للإسرائيليين. فقبل دخولهم إلى عهد الأنبياء وأرض التاريخ مشوا بقيادة "بعل فغور" بحفلات الرقص وعاهراتهم المقدسة (الزنى المقدس) الذي ليس سوى أخذ تعاليم ديانة كنعان بحكم المخالطة الاعتباطية ونسيان فكرة توحيدية غامضة وأولية وعبادة الأصنام. إن " تتابع الفصول الممثَّل كصراع بين الإلهين (بعل وموت) وقيامة الألوهية الرئيسية (بعل) وموتها هو موضوع مشترك بين سائر الديانات

---

326 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 142

327 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 141

ذات الأصل الطبيعي ونجده في أساس أساطير أوزيريس وتموز/ أدونيس "[328]

٤- سوف تأخذ المسيحية المكرّسة أو دين الإمبراطورية (العنصرين *1*، *3*) مع العمل بمعاكسة السحر؛ عمل ترجع فيه المبادهة إلى الله أو النبي (قصة موسى والسحرة). كما تعمل "الكاثوليكية" المهوّدة على طمس وتهميش كل حضور للثقافة الآرامية/العربية لتظهر روما واليونان واليهود العبرانيون في أصل كل حضارة. والفصل الرابع من (مظاهر الأسطورة) لمرسيا إلياد نموذج على هذا الاختزال لثقافة غرب آسيا وتضخيم للحضارة اليونانية/الرومانية وللثقافة اليهودية-المسيحية المكرّسة. فتحت عنوان "نهاية العالم في الديانات الشرقية" تستهلك صفحتان مخصصتان للموضوع: نصفها للهند وثقافتها وربعها لأساطير اليونان وعشرة أسطر فقط عن أساطير ما بين النهرين، وبالطبع الديانات في الشرق والغرب مختومة بالمسيحية ، فلا يوجد أي ذكر للإسلام كتجلي كبير للثقافة الآرامية/العربية في أطوارها الأخيرة/[329] يكتب أحمد عثمان: "لا شك أن طبيعة التركيبة الأولى للجماعة المشرفة على إعداد المخطوطات (قمران) قد ساعدت على حدوث هذه التطورات السلبية، فبينما سيطرت جماعة الإيكول بيبليك الكاثوليكية الفرنسية على أعمال اللجنة، استبعدت جماعات لها مصلحة واضحة، فلم تضم اللجنة أياً من الباحثين غير الكاثوليك.[330] في عام *1991* ظهر في لندن كتاب بعنوان "خداع مخطوطات البحر الميت" للكاتبين مايكل بيجنت وريتشارد

---

328 رأس شمرا-مذكور ص 75

329 راجع؛ مرسيا إلياد: مظاهر الأسطورة -مذكور ، الفصل الرابع ص 55-72 حيث يظهر التحيز المغرض ضد الثقافة الآرامية/العربية

330 مخطوطات البحر الميت -مذكور ص 93

لي، اتهما فيه الفاتيكان صراحة بالتدخل في عملية ترجمة ونشر مخطوطات قمران، ومحاولة إخفاء معلومات وردت بها مخالفة للتعاليم الكاثوليكية. وقال المؤلفان أن الإيكول ببليك-المسيطرة على أعمال اللجنة - تخضع في عملها لبابا الفاتيكان مباشرة، وأن هذا الولاء يهدد بضياع أي نص قد يتعارض صراحة مع مصلحة الفاتيكان"[331]. ومنذ وقوع متحف القدس بأيدي السلطات الإسرائيلية لم يتم نشر سوى عدد قليل من المخطوطات التي تم تجميعها من الكهف الرابع، وأذاع جون أليجرو أخباراً تفيد بأن الجماعة الكاثوليكية المسيطرة على لجنة المخطوطات تتعمد إخفاء ما تتضمنه بعض النصوص نظراً لمخالفتها لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية. حيث تتضمن مخطوطات الكهف *(4)* العديد من كتابات الجماعة نفسها *(العيسويين)*، وطريقة تفسيرها للكتب التوراتية "[332] التحالف المقدس اليهودي الأرثوذكسي - المسيحي الكاثوليكي يطارد شبح مخطوطات قمران؛ شبح عيسى المسيح الآرامي / العربي. وهذا يستدعي مطلع البيان الشيوعي حيث راحت أوربا القديمة الرجعية في مطاردة مقدسة لشبح الشيوعية الذي يتهدد أوربا: إن شبحاً يسكن أوربا - هو شبح الشيوعية. كل قوى أوربا القديمة دخلت في تحالف مقدس **لرُؤْية** هذا الشبح؛ بوب وسيزار ومترنيخ وغيزو، والراديكاليون الفرنسيون وجواسيس - البوليس الجرمان[333]

---

331 مخطوطات البحر الميت –مذكور ص 94

332 مخطوطات البحر الميت –مذكور ص 97

١- 333 بيان الحزب الشيوعي ص 33 عن مختارات ماركس أنجلز بالإنكليزية في مجلدين *" Aspectre is haunting Europe- the spectre of communism . All the powers of old Europe have entered a holy alliance to exorcise[333] this spectre ; Pope and Czar*

ففي طبائع الأشياء التي في هذا العالم اتفاقات واختلافات يقع منها الجذب والدفع . والسحر الحق أو البيان[334] إنما هو معرفة تأثير (علاقة) هذه الأشياء بعضها في بعض، وأما الكلام والرُّقى فإنما هي إيهام للناظرين أن ذلك الفعل العجيب إنما يكون بائتلاف تلك القوى."[335]

,Metternich and Guizot, French Radicals and German "police-spies."Manifesto .. P.33

334 - ومن البيان لسحرا

335 أفلوطين عند العرب-مذكور ص 36

الباب الرابع

الثقافة الآرامية/العربية

في عهد المكابيم ظهرت الشيعة اليهودية المعروفة بالفروشيم التي أطلقت لفظ حَبْر على كل متعلم من اليهود وإلى هذه الشيعة يرجع الفضل في جمع صحف العهد القديم وجمع تفاسير هذه الصحف المقدسة التي ظل تدوينها جملة قرون حيث عرفت في ختامها باسم المشنا وقد تم ذلك الكتاب في القرن الثاني بعد الميلاد.

وكان أحبار اليهود يكرهون اللغة الآرامية وكانوا يعملون على بث كرهها في نفوس اليهود حتى نقل عن بعض عظمائهم كلمات بليغة في ذلك: استعملوا العبرية أو اليونانية واحذروا من الرطانة الآرامية" [تلمود].. "لا يحادث الإنسان (اليهودي) أخاه بلغة آرام"[تلمود] [336]

والسبب في ذلك أنهم كانوا يخشون على لغتهم الأقوامية (القومية) من نفوذ اللغة الآرامية بخلاف اليونانية التي لم يكن لها من النفوذ في ما يخشى منه على العبرية. "والآرامية ما هي سوى اللغة السورية القديمة، والعبرية القديمة لم تكن سوى اللهجة الكنعانية الفلسطينية مكتوبة بحروف آرامية ، وليست من إنتاج اليهود وإن كانوا استمروا في استعمالها" [337] ولكن الآرامية رسخت قدمها برغم هذه الجهود لأن الطبقات غير المتعلمة من اليهود كانت قد نسيت العبرية حتى اضطر الأحبار إلى أن يدوّنوا تراجم التوراة باللغة الآرامية التي أضحت لغة البحث والمجادلة في شرائع التوراة

---

336 تاريخ اللغات السامية –مذكور ص 96

337 - مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 127

وتفسيرها . من أجل ذلك لا يعجب الباحث حين يجد اللغة العبرية قد أضاعت أغلب مميزاتها القديمة وتغير أسلوبها حتى بدت عليها مسحة آرامية واضحة في كل شيء . فقد حلّ استعمال كثير من الألفاظ الآرامية محل الألفاظ العبرية وتشوّه نطق الكثير من الألفاظ العبرية." [338]

أسلوب المشنا خال من الرقّة والعواطف والخيال تلك المزايا التي كانت بارزة في الأسلوب العبري القديم . وأسلوب المشنا نثري دقيق مشحون بالمفردات التي أخذت من المعاجم الأجنبية من الآرامي واليوناني والروماني" [339]

على أن الأدب الإسرائيلي في القرون الوسطى قد انتعش انتعاشاً عظيماً ونهض نهضة قوية واتجه اتجاهاً جديداً في ظل الحكم الإسلامي في الأندلس ومصر والعراق فقد أخذ اليهود في تلك العهود يقلّدون العرب في الشعر فاقتبسوا البحور العربية وصاغوها في قالب عبري ووزن عبري ثم انطلقوا ينشدون المقاطع والقصائد حتى أثرت العبرية بهذا النوع من الشعر الجديد ونبغ فيها كثير من اليهود. من أشهر هؤلاء يهودا هالوي وابن جبيرول وموسى بن عزرا وهم من يهود الأندلس. وكذلك ظهرت أساليب جديدة في النثر العبري الفلسفي والتشريعي إذ كان قد تأثر بالأساليب العربية واقتبس اليهود فيه كثيراً من الاصطلاحات والألفاظ العربية. وهناك الكثير من الكتب العربية المكتوبة بحروف عبرية." [340]

---

338 تاريخ اللغات السامية –مذكور ص 97

339 تاريخ اللغات السامية –مذكور ص 97

340 تاريخ اللغات السامية –مذكور ص 98

يكتب انجلز في رسالته إلى ماركس المؤرخة (مانشستر، حوالي 24 أيار 1853): "قرأت البارحة الكتاب الذي حدثتك عنه عن النقوش العربية. وليس الأمر مجرداً عن الأهمية بالرغم من أن المرافعات عن الكهنة والتوراة تغطيه كلياً بصورة تبعث على الاشمئزاز . إن نصره الأعظم يستقيم في أنه استطاع البرهان على أن جيبون ارتكب بعض الأخطاء في الجغرافيا القديمة، وهي أخطاء يمكن أن يستخلص منها أن لاهوت جيبون مغلوط هو الآخر. إن الشيء يدعى الجغرافيا التاريخية للجزيرة العربية بقلم المحترم شارل فورستر. وإن أفضل ما يستطيع المرء استخلاصه هو تعداد مضبوط تماماً للقبائل البدوية في ذلك الحين، وفقاً لقرابتها اللغوية الكبرى أو الصغرى، الخ.. وكما نعلم، فإن القبائل البدوية سمّت نفسها على الدوام حتى الوقت الحاضر بني كالد، بني يوسف، وهكذا دواليك، يعني أبناء فلان وفلان. وإن هذه التسمية، التي تنبثق عن أسلوب الوجود الرعوي القديم ، تؤدي في آخر المطاف إلى هذا النوع من النسب . وإن تعداد التكوين (العهد القديم) ليؤكد أكثر أو أقل من قبل الجغرافيين القدامى. كما أن الرحالة المحدثين يثبتون أن الأسماء القديمة، مع التغيرات المترتبة على اللهجات المحلية، لا تبرح موجودة في غالبيتها العظمى. ومهما يكن من شيء ، فإنه يترتب على ذلك أن اليهود أنفسهم لم يكونوا أكثر من قبيلة بدوية صغيرة ، مثل الباقين تماماً، جعلتها ظروفها المحلية ، وزراعتها ، وقس على ذلك، في تعارض مع البدو الآخرين. إن مؤسسي الإمبراطورية البابيلية "الكلدانيين" لا يبرحون موجودين تحت الاسم نفسه بني كالد في المحلة نفسها. يبدو أن الأعراب، حيث استقروا في الجنوب الغربي، كانوا شعباً يضاهي في الحضارة المصريين والآشوريين . كما تثبت ذلك

الأبنية التي شيدوها. وإن هذا يفسر كذلك الشيء الكثير في الفتح المحمدي . وبقدر ما يتعلق الأمر بتلك الديانة ، يبدو أنه يترتب على النقوش القديمة في الجنوب حيث يسود بعد التقليد العربي القومي القديم الخاص بالوحدانية، وهو التقليد الذي **لا يشكل العبرانيون سوى قسم ضئيل منه**، أن ثورة محمد الدينية ، مثلها مثل كل حركة دينية ، قد كانت صورياً ردة، عودة مزعومة إلى القديم، إلى البسيط" [341]

لقد وصلت إلينا بقايا من اللهجة الآرامية العتيقة نقلت عن الهياكل الوثنية والتماثيل وما نقش على الصخور. من هذا آثار آرامية في نواح مختلفة من بلاد آسيا الصغرى وفلسطين ومصر وبلاد العرب وبعض المناطق من أفريقيا الشمالية ولكنها لا تتجاوز القرن الخامس قبل الميلاد. وهو ما يؤكد نفوذ هذه اللغة وبسط سلطانها بين الأمم القوية في العالم القديم" [342]

الخطوط الآرامية منقولة من القلم الكنعاني بعضها قريب من الأصل وبعضها نحا نحوا جديداً إلى أن تغير تغيراً ظاهراً " [343]. ففي شرح نقش "ششنزر بن كاهن شهر" الذي كشف في قرية نيرب بقرب مدينة حلب سنة *1891* يحتوي على كتابة للكاهن ششنزربن الذي يرفع يديه للسماء إشارة للصلاة. يدل التمثال على تأثر شديد بالحضارة الآشورية. على أن شمس وشهر من الأصنام الشهيرة عند أغلب الأمم /السامية/ [344] القديمة أما اللهجة الآرامية

---

341 مراسلات ماركس أنجلز-مذكور ص 82-83

342 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 118

343 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 119

344 - ظهر مصطلح "الساميّة" سنة 1781؛ حيث تطلق كلمة لغات سامية على جملة من اللغات التي كانت شائعة منذ أزمان بعيدة في بلاد آسيا وإفريقية سواء منها ما

التي كانت تنطقها القبائل الإسرائيلية التي وصلتنا عن طريق تلك الآثار فتعرف باسم اللهجة الآرامية في عصر نزول كتاب العهد القديم آرامية التوراة *Arameen Biblique* "[345] وقد حفظت لهذه اللهجات آثار جليلة في كتب العهد القديم منها آية في سفر النبي إرميا[346]، وآيات وفصول من سفر عزرا وخمسة فصول كاملة من نبوات دانيال وكذلك يوجد بالتوراة بعض اصطلاحات بهذه اللهجة الآرامية"[347]. في القرن الثاني قبل الميلاد أخذت اللغة الآرامية تتغلب شيئاً فشيئاً على عقلية اليهود حتى عمّت كل بلاد فلسطين وتكونت فيها لهجة آرامية جديدة غير اللهجة التي كان يتكلم فيها أجدادهم في العصور التي نزلت فيها أسفار العهد القديم وصار لهذه اللهجة من القوة والنفوذ ما لم يكن للهجة الأولى إذ كانت صبغتها بسيطة ولم تسد إلا في بعض الطبقات من قبائل بني إسرائيل . أما اللهجة الجديدة فقد بسطت سلطانها في جميع أقسام البلاد وأضحت أقوى من اللغة العبرية الأصلية . وقد كانت هذه الرطانة في مجموعها عبارة عن الآرامية والعبرية وقد أخذت الكلمات الآرامية صبغة عبرية في الوضع والنطق وكانت تلك الرطانة (العبرية) مشوبة بألفاظ يونانية ورومانية"[348] . وقد تركت هذه الرطانة تأثيراً شديداً في اللغة العبرية لم تسلم من آثاره المؤلفات العبرية البحتة وشرع كثير من اليهود يحترمون هذه

عفت آثاره وما لا يزال باقياً إلى الآن . وأول من استعمل هذا الاصطلاح هو العالم شلوتسر (Schlôzer) في أبحاثه وتحقيقاته في تاريخ الأمم الغابرة سنة 1781 م " (تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 2)

345 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 124

346 يكتب المبجّل يوسيف زيدان في إهداء الرواية: إلى آية ابنتي: هذه آيتي التي لم تكتب للعالمين!

347 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 125

348 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 125

اللهجات ويقدسونها كما يقدسون لغتهم الأصلية وبقي سلطانها على اليهود إلى نهاية القرن السابع بعد الميلاد، إذ أخذت تضمحل فجأة بعد ظهور الإسلام **وظهرت اللغة العربية بمظهر القاهر لأمم الشرق الأدنى**"[349] كانت قبائل تدمر يلهجون منذ الأزمان القديمة بلهجة آرامية تشبه اللهجات التي ذكرناها آنفاً . كان لقبائل تدمر سلطان ونفوذ في عصور كثيرة وكانت وسطاً بين الصحراء وبلاد الخصب والثمار وكان لأسواقها من الشهرة في العالم القديم ما جعلها قبلة التجار من الهند وفارس والعراق وسوريا وفلسطين ومصر وأوربا. وكانت روما تهاب تدمر وتتودد إليها. كانت عاصمة القبائل التدمرية تعرف باسم **تدمر**، وكان موقعها بواحة في صحراء سوريا في الناحية الشرقية الشمالية من مدينة دمشق فكانت هي طريق القوافل منذ أقدم الأزمنة بين مصر وسوريا وبلاد العرب والعراق"[350]. كانت لغة أهل تدمر تشبه كثيراً اللهجات الآرامية الغربية. على أن ألفاظاً كثيرة كانت في نطقها قريبة من النطق المألوف في الآرامية الشرقية . أما الكتابات التدمرية فأقدمها يرجع إلى القرن الأول قبل الميلاد ويمتد تاريخها إلى القرن الثالث بعد الميلاد وأغلب آثارها في منطقة تدمر. كانت تدمر حكومة جمهورية ذات نظام شبيه بنظام الجمهوريات اليونانية[351] وكانوا قد استعملوا ألفاظاً يونانية ورومانية "[352] والقبائل التدمرية يتصل أغلبها بالعنصر الآرامي وبعض طوائفها امتزج بالعرب على أن المستشرقين قد لاحظوا أن لهجة تدمر المشوبة بألفاظ يونانية

---

349 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 125-126

350 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 127

351 ـ انقلبت الدولة التدمرية مدة قصيرة إلى ملكية قبل خرابها كان أدينت (أذينة) أحد ملوكها وقد لقب أدينت بملك الملوك وهو من الألقاب الفارسية.

352 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 128

ورومانية كثيرة كانت تشتمل على بعض أسماء أعلام عربية بينما كانت لغتها خالية من الكلمات العربية . ويستنتج من ذلك أن النفوذ العربي لم يظهر في تلك الأرجاء أثناء وجود اللهجة التدمرية بعكس ما يظهر للباحث في اللهجة النبطية التي شابتها اللغة العربية منذ أول ظهورها بالجزيرة العربية"[353]

كانت زنوبيا قد ارتقت عرش تدمر بعد وفاة زوجها أدينت وكان يساعدها في الحكم ابنها وهب اللات. وإذا كان أدينت قد جامل روما كثيراً فإن زنوبيا كانت قد صممت على أن تؤسس ملكاً عظيماً بعد أن تتخلص من قيود حكم روما، لذلك زحفت جيوش تدمر على مصر وآسيا الصغرى في سنة *270* م . ولما تنبّه أورليوس قيصر روما لهذا الخطر أرسل جيوشاً لمحاربتها في آسيا الصغرى ثم طاردها إلى سوريا وكانت موقعة دموية في ناحية حمص تحت أنظار زنوبيا وقد هزمت هزيمة منكرة وهربت إلى تدمر ثم أسرع أورليوس بجيشه على تدمر وفتحها سنة *272* م وانتهى بذلك عصر العظمة التدمرية حتى اختلطت قبائلها تدريجياً بالقبائل العربية التي ظهرت طلائعها على تخوم سوريا وشاطئ الفرات. واسم هذه الملكة عند اليونان والرومان زنوبيا وعند أهل تدمر بت زبىّ وصحّفها (حرّفها) العرب إلى الزبّاء"[354]

أما الدولة النبطية فقد ظهرت في شبه جزيرة طور سيناء على أنقاض المملكة الأدومية وكانت عاصمتها **سلع**[355] ومعناها بالعبرية

---

353 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 129

354 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 133

355 سلع: أصل يدل على انصداع الشيء وانفتاحه. من ذلك السَّلْع ؛ وهو شق في الجبل كهيئة الصدع. ويقال: تسلّع عقبه: إذا تشقق وتزلّع.. والسِّلْعة (البضاعة): الشيء المبِيع، وذلك أنها ليست بقُنْية تمسك.. مقاييس اللغة ج 3 ص 95

الصخرة وباليونانية بيترا وفي العربية شق في الجبل كهيئة الصدع ، ومن هنا امتدت إلى صحراء سوريا حتى شملت دمشق وأطراف نهر الفرات من ناحية كما أنها توغلت في بلاد الحجاز من ناحية أخرى. حدث الفتح النبطي لشبه جزيرة طور سينا بين القرن الرابع والخامس قبل الميلاد. أقوام النبط ليست آرامية خالصة، ذلك أنهم انتشروا في بلاد عربية حتى عرفت مملكة النبط في طور سينا باسم بيترا العربية. تدل النقوش النبطية أن لغتها تشتمل على ألفاظ كثيرة من اللغة العربية فإنها في حضارتها الوثنية وفي أسماء أعلامها شبيهة جداً بالعربية . وهذا التأثير الشديد لا يمكن أن يأتي عن طريق التأثير بالجوار بل هو نتيجة لاختلاطهم بالعرب اختلاطاً عنصرياً. من هنا يتضح لنا سبب وجود أسماء أصنام مثل العزّي وشيع القوم واللات وأمات اللات وأسماء أعلام كأدينت وأسد وأوس وعمرو وعمر وكعب ومعن في اللغة النبطية. لاشك أن هناك عناصر نبطية آرامية أصلية كما أن هناك عناصر نبطية عربية ويظهر أن أرهاط النبط الفاتحين كانوا من الآراميين ثم بعد استقرارهم في طور سينا اختلطوا بالعرب فظهرت هناك طبقتان: واحدة آرامية أصلية وأخرى عربية كثرت عناصرها إلى أن تغلبت بالتدريج على العناصر الآرامية ومحتها محواً تاماً وبقيت لغة الحضارة هي الآرامية التي كانت في تلك العصور لغة العمران عند جميع أمم الشرق الأدنى [356]. يجب ألا يغرب عن البال أن وجود اللغة الآرامية والكتابة الآرامية عند النبط الذين كانوا قد اتصلوا اتصالاً مباشراً بالعرب قد أثر تأثيراً لا يستهان به على الحضارة العربية "الجاهلية" وعلى تكوين المادة اللغوية العربية في شمال شبه الجزيرة العربية من ناحية التمدن والعمران كما

---

356 تاريخ اللغات الساميةـمذكور ص 134-135

يتضح لنا ذلك من الخط النبطي وتأثيره على الخط العربي الإسلامي. أما الآثار النبطية فتنقسم إلى ثلاث مناطق، الأولى في ناحية العُلى بالحجاز. والثانية في منطقة بترا بطور سينا والثالثة في منطقة بصرى بالشام. وأقدم النقوش النبطية يرجع إلى *33* قبل الميلاد وأحدثها كان بعد زوال الدولة النبطية سنة *106* بعد الميلاد"[357]

"قسم المستشرقون اللغة الآرامية إلى كتلتين تشتمل أولهما على لهجات بلاد العراق الجنوبية والشمالية وتعرف بالآرامية الشرقية وتشتمل ثانيهما على اللهجات الآرامية في سوريا وفلسطين وطور سيناء وتعرف بالآرامية الغربية"[358]

الكتلة الشرقية تقسم إلى ثلاث مناطق تشتمل الأولى على اللهجة التي كان يستعملها اليهود في جنوب بلاد العراق في بابل ونواحيها وقد وصل إلينا بهذه اللهجة مصنفات ضخمة أهمها كتب التلمود البابلي وهي عبارة عن تفاسير لكتب المشنا المدونة باللغة العبرية." أما في شمال العراق فقد نمت اللغة الآرامية منذ أقدم الأزمنة التاريخية وأنتجت ثماراً كثيرة من علم وأدب ودين، كان مركزها في مدينة حرّان ونواحيها وقد ارتقت هذه المدينة بعد أن اتصلت بالفلسفة اليونانية القديمة وكانت الديانة فيها خلاصة من الديانات الشرقية الوثنية ومن هنا اهتم العلماء بالبحث في مؤلفات أهل حرّان وقد استثمر العرب رقيّ أهل هذه البلاد واستخدمهم الخلفاء العباسيون في نقل الفلسفة من السريانية واليونانية إلى العربية. ثم أخذت تلك اللهجة تتدهور وتنهزم أمام اللغة العربية إلى

---

357 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 137

358 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 117

أن انقرضت في القرن التاسع الميلادي"[359] من هؤلاء النقلة ثابت بن قرّة متّى، نسطوري ويسمى يونان"[360] . ففي حوالي نهاية القرن الثالث الهجري؛ التاسع الميلادي ارتحل أربعة من الفلاسفة النصارى من حرّان إلى بغداد، وبدؤوا التدريس هناك وكانت مدارسهم ذات طابع خصوصي (مدارس اختصاص) وعلينا أن ننظر إلى التسمية برؤساء مدارس على أنها قائمة على إجماع كل الفلاسفة، لا على أنها تسمية رسمية. إذ من المؤكد أن المسلمين "السنيين" أصحاب النفوذ في قصور الخلفاء كانوا يعارضون في أن تنشئ الدولة مدارس لدراسة الفلسفة"[361] . معلوم أن دراسة الطب والفلسفة ، خصوصاً دراسة كتب أبوقراط وجالينوس ومنطق أرسطو، دخلت من الإسكندرية إلى الإمبراطورية الفارسية قبل ظهور الإسلام بوقت طويل، وأنها رسخت في إمبراطورية الخلفاء في القرن الثامن الميلادي عن طريق الترجمات السريانية والعربية . ولكن لم توجه العناية الكافية حتى الآن إلى تلك المصادر العربية التي تتحدث عن انتقال التعليم مباشرة ، وخصوصاً في المنطق، من الإسكندرية ماراً بإنطاكية وحرّان إلى بغداد في الفترة ما بين سنة *720-900* ميلادية، وهذه الأخبار يرجع غالبها إلى الفارابي الذي لا بد أن يكون قد تلقاها عن أساتذته النصارى. أما عن الفترة ما بين سنة *850 – 1100* م فإن الروايات عن رؤساء المدارس ومشاهير أساتذة الفلسفة والطب خالية من النقص تقريباً . فهي تسير بنا من آخر رئيس للمدرسة في حرّان، وهو غير معروف، مارة بقويري وإبراهيم المروزي ويوحنا بن حيلان وابن كرنيب وأبي بشر متّى والفارابي ويحي بن

---

359 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 144

360 عبد الرحمن بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية.. ص 76

361 التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية-مذكور ص 73

عدي وابن الخمّار وابن زرعة وعبد الله بن الطيّب وسعيد بن هبة الله حتى ابن جزْلة ، الذي كان معاصراً للغزالي والذي دفع اعتناقه للإسلام ثمناً لتعلّمه الفلسفة. والانتقال التدريجي من الفلسفة إلى الطب ومن السريان إلى الفرس، يمكن مشاهدته بوضوح. وبينما كان منصب "رئيس الأطباء"، والذي كان دائماً تقريباً مقصوراً على أطباء الخلفاء، قد أصبح منذ القرن الثالث الهجري منصباً رسمياً يمنحه الحكّام، كان لقب "رئيس الفلاسفة" لقباً خصوصياً يطلق باعتراف المتفلسفة لأكبر الحكماء والعلماء . ولم توجد في مدينة بغداد في أيام الخلفاء مدرسة فلسفية تعترف بها الدولة، كما لم توجد مدرسة من هذا النوع في الإسكندرية في العصر البيزنطي، بينما كان الخلفاء والوزراء هم الذين انشأوا مدارس رسمية للأطباء ومعها بيمارستانات . وبازدياد قوة أهل السنّة في بغداد في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) بدأ انحطاط الدراسات الفلسفية التي رحلت منذ ذلك الحين إلى المراكز الصغيرة المستقلة في العالم الإسلامي."[362] يقول مترجم عزازيل: "لم يلحظ الأب كازاري الحواشي والتعليقات المكتوبة على أطراف الرقوق باللغة العربية بقلم نسخي دقيق في حدود القرن الخامس الهجري **تقديراً** (قد يكون نهاية الرابع أو بداية السادس) كتبها فيما يبدو لي راهب عربي من أتباع كنيسة الرُّها التي اتخذت النسطورية مذهباً لها، ولا يزال أتباعها يعرفون إلى اليوم بالنساطرة. وقد أوردت في هامش ترجمتي بعضاً من حواشيه وتعليقاته الخطرة ولم أورد بعضها الآخر لخطورته البالغة . وكان آخر ما كتبه هذا الراهب المجهول على ظهر الرق الأخير: سوف أعيد دفن هذا الكنز فإن أوان ظهوره لم يحن بعد!" بالفعل لم تحن

362 التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية -مذكور ص 99-100

ساعة حرية الفكر والإبداع مع ظهور نقلة الحديث وحماته (حماة الشريعة الإسلامية!) و سوف ترث الدولة العربية العباسية ودولة صلاح الدين تقليد إعدام الهراطقة ومنهم الشهيد الحلاج والمقتول السهروردي بتهمة الهرطقة. فالصلة الروحية التي تربط السهروردي بالحلاج (استشهد سنة 309 هجرية) أو بتلميذ أحمد الغزالي الشيخ الفتي عين القضاة الهمذاني (قتل وهو لم يتجاوز الثلاثين بقليل في 7 مايو أيار سنة 1131 م)، هذه الصلة تقوم قبل كل شيء على تشابه طريقتهم في الوجود والحياة كما تتحدد في توقعاتهم، وفي توثبهم المشترك سعياً وراء الموت الذي تقبلوه مقدّماً على أنه جزاء عادل عن هذا الكفر الذي فرض عليهم إيمانهم بميثاق التوحيد نفسه أن يتظاهروا به (بالكفر)!"[363] في القرون الهجرية (الرابع والخامس والسادس) كان الجهر بالاعتقاد والرأي المخالف لاعتقاد السلطات الفقهية والسياسية يعني الإعدام والموت قتلاً. لقد بدأ السهروردي حياته الروحية بنغمة من شعر الحلاج في التوحيد فمات مقتولاً في الشهر السابع (29 يوليو تموز 1191) مكملاً بناء هيكله بالتضحية بنفسه كشهيد على مذبح الحق.

أما المنطقة الثالثة للهجات الكتلة الآرامية الشرقية فتعرف باللهجة السريانية وكان مركزها في مدينة إديسّا *Edessa* وهي تبعد عن حرّان (جنوباً). اسمها بالسريانية أورهي *(Urhoi, Urhai)* وأطلق عليها اليونان اسم إديسّا وعرفت عند العرب باسم الرهاء ثم حرف اسمها (صحّف) في القرن الخامس عشر إلى أورفا وهو اسمها إلى

---

363 راجع شخصيات قلقة –مذكور ص 204

يومنا"[364] وسميت المدينة أورهي نسبة لأورهي بن حويا أحد ملوك الآراميين القدماء.

أما كلمة سرياني التي اصطلح عليها عوضاً عن لفظة آرامي إنما غلبت وسرت لأن العناصر الآرامية التي اعتنقت الديانة المسيحية لم ترض لنفسها اسم آرام إذ كان هذا اللفظ في التوراة يمثل جماهير الآراميين الوثنيين وعلى ذلك ادّعوا أنهم سريان أي آراميون اعتنقوا المسيحية على أن هذه التسمية جاءت إلى الآراميين من اليونان بعد اتصالهم بهم في سوريا"[365] ويبدو أن توغل الجيوش الرومانية في الأراضي السورية تحت قيادة الشهير بومبيوس في القرن الأول قبل الميلاد (بعد تزعزع حكم آل سلوقس) أظهر في شمال سوريا والعراق دويلات صغيرة كان أغلبها تابعاً للعنصر الآرامي. وقد اشتهرت بين تلك الدويلات دويلة عرفت باسم أسروينا وعاصمتها مدينة إديسّا ثم أخذت تظهر تفوقها على بقية البلدان الآرامية بعد أن انتشرت فيها المسيحية إلى أن تغلبت على معظم أخواتها وأخذت مكانا رفيعاً بين سائر اللهجات السريانية. أما المؤلفات التي وصلتنا من السريانية فمنها ما هو قيّم جداً لصلته بكبار المفكرين وأصحاب العبقريات فقد استمر التدوين بهذه اللغة قروناً كثيرة بحيث تعد من أغنى أخواتها."[366]

كانت لهجة الرها معروفة في قديم الزمان باللهجة العراقية ، ثم بعد امتدادها في شمال سوريا عرفت باسم السريانية ". أصبحت لغة الحضارة المسيحية بعد أن ترجمت إليها الكتب المقدسة خلال القرن الثاني بعد الميلاد. ومن الرها انتشرت المسيحية إلى بلاد

---

364 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 147

365 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 146

366 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 147

الفرس. واللغة السريانية لا تشتمل على كلمات يونانية كثيرة فحسب بل فيها تأثير يوناني في الأسلوب وفي التفكير، كما يجب ألا يغيب عن بالنا تأثير العبرية على السريانية بسبب نقل الكتب المقدسة إليها. تنقسم طوائف السريان إلى قسمين قسم كان تحت السيطرة الرومانية والآخر وجد في بلاد فارس أما القسم الروماني أو الغربي فيعرف باسم اليعاقبة وعرف الآخر الشرقي بالنساطرة. كانت الفروق في بادئ الأمر بين الشيعتين يسيرة ثم بعد أن اشتد الخلاف واضطر الرومان إلى إقفال مدرسة الفرس في الرُّها سنة 479 م وانتقل مركز أصحاب مذهب النساطرة إلى نصيبين أخذت كل شيعة تنحو نحواً جديداً في بحث المعضلات الدينية واللغوية والاجتماعية برزت الاختلافات اللغوية بشكل واضح مع ظهور النزاع العقائدي بين النساطرة واليعاقبة. بعض الفوارق اللغوية من صنع أحبار الشيعتين اخترعت لأغراض سياسية ودينية أكثر منها لغوية. من المؤلفات السريانية من هذا النمط السجالي مصنفات يظن أنها لا تزال مدفونة في الأديرة والصوامع لم تقع عليها أعين الباحثين. وهناك مؤلفات نقلت من اليونانية إلى السريانية ومن ثم إلى العربية"[367]

أما الخطوط السريانية فهي على ثلاثة أنواع. أقدمها **الاسطرنجلو** (الاسطرنجيلي) الذي منه اشتق الخط **النسطوري** وخط **السرتو**. والخط النسطوري يعرف في بلاد الهند بالقلم الكلداني، بينما يعرف السرتو في تلك البلاد باسم القلم المروني (نسبة إلى مرو من بلاد فارس) وفي أوربا يسمى السرتو بالخط اليعقوبي"[368] ننقل عن مقدمة مترجم عزازيل: "الرواية في جملتها تقع في ثلاثين رقاً

---

367 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 148

368 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 149

مكتوبة على الوجهين بقلم سرياني سميك، بحسب التقليد القديم للكتابة السريانية الذي يسميه المتخصصون الخط الأسطرنجيليّ لأن الأناجيل القديمة كانت تكتب به. والسريانية القديمة زخرفية بطبعها" ويضيف بقوله: ولست واثقاً من أن ترجمتي هذه إلى العربية قد نجحت في مماثلة لغة النص السرياني بهاء ورونقاً . فبالإضافة إلى أن السريانية كانت تمتاز منذ هذا الوقت المبكر بوفرة آدابها وتطور أساليب الكتابة بها ، فإن لغة الراهب هيبا وتعبيراته تعد آية من آيات البيان والبلاغة.

اللغة الأوغاريتية هي لغة كنعانية أبجدية مكونة من ثلاثين حرفاً: "إن اكتشاف كتابة لا تحوي إلا ثلاثين إشارة مختلفة، حيث لم يتأخر الاعتراف بنموذج جديد للكتابة الأبجدية وكشف هذه الكتابة هو أجمل فصل في تاريخ علم الآثار"[369] وتتكون هذه الأبجدية من 22 حرفاً أساسياً وثمانية إضافية مساعدة.[370] وقد اخترعت أبجدية الخط الكنعاني هذه مغايرة للقلم الهيروغليفي والخط المسماري. إن الخط الكنعاني ليس إلا من صنع الكنعانيين واختراعهم وحدهم لأنه لا دليل مطلقاً على وجود أبجدية حَرْفّية من هذا النوع عند غيرهم من الأمم. إن الخط العبري القديم كان يعتمد على القلم الكنعاني الذي اشتقت منه جميع الخطوط السامية المتأخرة (بما في ذلك الآرامية/السريانية والعربية)[371]. كانت المسمارية تناسب أكثر من أي شكل آخر الكتابة على ألواح الطين المشوية المستعملة للوثائق

369 رأس شمرا-مذكور ص 19

370 لاحظ أن الصبغيات البشرية مكونة من 22 زوجاً جسمياً وزوج جنسي

371 تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 99

الهامة؛ هذا الحمأ المسنون الذي أظهر المعنى و خلق الإنسان[372]، بينما كتابة أهل أوغاريت كانت محاولة للتعبير عن أدبهم بأحرف أبجدية. إنها أول محاولة للكتابة على الرقوق. من هنا كان بدء التدوين على الرق ومن هنا كانت فصول رواية عزازيل بعدد أحرف أبجدية أوغاريت الكنعانية.

الثور حيوان/علامة على نمط الإنتاج الآسيوي/ المائي أو النهري؛ وهذا ما توضحه اللغة لجهة أن معنى كلمة ثور في العربية هي الطّحلُب الذي يثور أو يطفو على الماء، وأن البقر لا تشرب ولا تقترب من المَاء إذا ما ركب الثور جنيّ . هذا مرتبط إذن بتشكل الإمبراطوريات المركزية في نمط الإنتاج الآسيوي/ المائي (وادي النيل وما بين النهرين) بالتقابل يسود النفور من السلطة المركزية في النمط الآسيوي/ التجاري (الشائع في البوادي والسهوب)؛ العرب لَقاح كما يقال. بالتالي يظهر بعل المتخصص بالمطر والأراضي البعلية واسمه عند قريش هُبَل. إن الحروف الكنعانية ليست بصوَر. إن لهذه اللغة الأبجدية البكر شكلاً انتقالياً بين الهيروغليفية كتصوير للأشياء التي تشير إليها وبين الأبجديات المتطورة التي ترمز للأشياء بحروف تم التواضع والاتفاق عليها من قبل أمة من الأمم . فنجد في الكنعانية: مثلاً أ: تعني بقرة (ثور)، نون (ن): حوت، ع : عين، وميم: ماء، و في اللاتينية *A* تعني ثور. وهذا معناه أن الكلمة التي هي حرف صوتي واحد تشكل انتقالاً من الصورة إلى رسم الحرف المجرد (الرمز أو العلامة اللغوية)؛ هي مرحلة انتقال في تطور رسم الحرف من التصوير

---

372 قال:"ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإٍ مسنون" الحِجر /26وقال: "..إني خالق بشراً من صلصال من حمإٍ مسنون" الحجر/28 شيّ الطين وظهور العلامة اللغوية المكتوبة باليد البشرية!

إلى الرسم والرمز الذي يدل على شيء كما في الأبجديات الصوتية . جاء في القرآن الكريم: "نون والقلم وما يسطرون.. فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون إذ تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين.. فاصبر لحكم ربِّك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم"

النون: الدّواة، والحوت. وذو النون لقب يونس عليه السلام (صاحب الحوت) ونِينوى بكسر أوله"[373]، قال: "وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه"[374]

ذو النون المصري هو ذو النون بن إبراهيم الأخميميّ مولى لقريش، وكان أبوه نوبياً . كنيته أبو الفيض، ويقال اسمه ثوبان بن إبراهيم، كان أبوه مولى لإسحاق بن محمد الأنصاري. من رواة الحديث الثقاة. كان ذا علم وورع حتى لقب بقطب الوقت (سيد الوقت). له لسان في المعرفة، وفي نعت الطائفة (الصوفية). أول من جمع بين الريادة الصوفية والاهتمام بنواحي العلم المختلفة، ومن بين أهم المراجع المهتمة بسيرته كتاب: "الكوكب الدُّريّ في مناقب ذو النون المصريّ" والذي ألفه الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي"[375]. كان ذو النون من قرية إخميم بصعيد مصر. فكان يقال الإخميمي. وإخميم مدينة في صعيد مصر على الشاطئ الشرقي للنيل تجاه جرجا، وهي مركز بمحافظة سوهاج واسمها القديم شمينو، وهي نحت من اللفظين "خم- مين" أي "معبد مين"، وأسماها الإغريق "بانوبوليس"، وبان من أسماء الشمس مثل آتون، وهو اسم التمثال الذي عثر عليه مؤخراً في برابي / معابد إخميم؛

---

373 القاموس المحيط .. ص 1237

374 الأنبياء / 87

375 محمد الهندي: ذو النون المصري /التفسير العرفاني للقران الكريم-مذكور ص 19

أكبر معابد مصر التي لم يبق منها غير أطلال ، واشتهرت في العصر المسيحي بأديرتها الكثيرة ". والذي بناها هومناقيوس أول ملوك القبط، وكانت تعرف باسم شمين أو شميم أو شوميس . وهي تتشابه أغلبها مع لفظة شمس (آتون)[376] . قضى ذو النون حياته في التنقل بين الأماكن المختلفة كجبل المقطّم وشاطئ النيل وبرابي الصعيد والفسطاط ، وبيت المقدس وبغداد ومكة ووادي الحجاز والشام وجبل نيسان وجبال لبنان وجبال انطاكية، ووادي كنعان كان عالماً بعلوم الشريعة والفقه وعلوم الحقيقة والطريقة، وعلوم صنعة الكيمياء، واشتغل بعدة لغات أهمها: السريانية، والمصرية القديمة برسوم حروفها الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية وظل ذو النون يترجم النقوش ، حتى أنه وفق في كشف كثير من الصور والنقوش المرسومة على جدران البرابي. له معرفة بالحكم القديمة والتعاليم المنقوشة على حوائط معابد إخميم ودندرة وغيرهما. قال ذو النون المصري: قرأت في باب مصر بالسريانية فتدبرته، فإذا فيه: "يُقدّر المقدرون والقضاءُ يضحك" ويقول: وننظر إلى علماء الحديث والفقه على أنهم بذلوا علمهم للناس فجعلوا العلم فخاً للدنيا، بعد أن كان سراجاً للدين. وهذا واحد من أهم أسباب حنق علماء عصره عليه ، وإيغار صدر حاكم مصر وخليفة بغداد وعامة الناس، لكي يتخلصوا منه" "[377] لقد دفن كنزه في كنيزته نظراً لغياب حرية الفكر والبحث؛ وطغيان حماة الشريعة وحكام الإمبراطورية.

رسمت اللغة المصرية القديمة بأشكال هيروغليفية يصعب كتابتها على غير المتمرنين من الصفوة (الخاصة) والكهنة ، وخففت إلى

---

376 ذو النون المصري-مذكور ص 20

377 ذو النون المصري-مذكور ص 26

الهيراطيقية التي اعتادها أبناء الطبقة الوسطى، لتأتي الديموطيقية أداة شعبية يكتب بها غالبية المتعلمين من كل الطبقات، واللغة المصرية تتشابه من حيث البعد الصوتي والمعاني والصرف والنحو - إلى حد كبير - مع اللغة العربية القريشية (لغة القرآن الكريم) . ويربط العالم الأثري الجليل أحمد كمال باشا بين اللغتين في كثير من الصور، وهو ما دعاه إلى إعداد قاموس اللغة المصرية القديمة ، وقد أمضى في تأليفه قرابة الربع قرن، كشف فيه عن حقيقة العلاقة بين اللسانين المصري والعربي، مستعرضاً الشواهد والقرآئن والبراهين التي تؤكد التقارب لفظاً ومعنى (لاحظ الترتيب: شاهد، قرين، برهان). تبعه في ذلك الدكتور علي فهمي خشيم من ليبيا في بحثه الموسوم "آلهة مصر العربية" مؤكداً استخدام عامة أهل مصر لمفردات اللغة العربية القديمة"[378]

يقول ابن عربي في تفسير الآية: "وذا النون إذ ذهب مغاضباً.."[379]: ذا النون أي الروح غير الواصل إلى رتبة الكمال (إذ ذهب) بالمفارقة عن البدنية (مغاضباً): عن قومه؛ القوى النفسانية لاحتجابها وإصرارها على مخالفته واستكبارها عن طاعته "[380] وفي تفسير نون (ن) في الآية : "نون والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون، وإن لك لأجراً غير ممنون، وإنك لعلى خلق عظيم، فستبصر ويبصرون، بأيكم المفتون، .."[381] وفق اللغة المصرية القديمة يقول سعد عبد المطلب العدل: "نون تعني الذين هبطوا، وغفلوا وتبلّدوا ، وما تزال نفس الكلمة في اللغة القبطية "،

---

378 ذو النون المصري-مذكور هامش ص 25

379 الأنبياء/87

380 ذو النون المصري- مذكور ص 126 ..عقوبة الاستكبار

381 القلم / 1-6

يقول الحلاج: لأنك تنظر إلى الأشياء بشاهد الحق، ولا تنظر إلى الأشياء بشاهدك *[شاهد نفسك]*، فإن من نظر إلى الأشياء بشاهده هلك *(فإنك متعظ بالأصل من قصة ذي النون ومغاضبته ونظره بعين نفسه وتهربه من الأمر الإلهي: لم يؤثّر فيك جفاء الخلق بعد مطالعة الحق)*"[382]

نون تعني الذين هبطوا ونظروا إلى الحق بعين أنفسهم لا بعين الحق. فتحيروا وكابدوا كمكابدة هيبا بطل ترجمة عزازيل. جاء في القرآن الكريم: "لآ أقسم بهذا البلد، وأنت حل بهذا البلد، ووالد وما ولد، لقد خلقنا الإنسان في كبد "[383]

وفي القاموس الطبي دورلاندز ميديكال ديكشنري؛ وكون هيبا طبيباً وراهباً وغريباً، جاء في معنى كلمة: *Hypo*: *(بالإغريقية. تحت)*؛ تحت، نقص، أسفل.. وفي الكيمياء: *(كون أغلبية المتصوفة اشتغلوا بالكيمياء القديمة)* تعني أن العناصر في المركّب *(متخلّعة)*مرتبطة مع بعضها في حالتها الدنيا"[384]. فـ " فيما يشغل تحوت كبديل لرع مستوى أقل سمواً بقليل، قال رع لتحوت: "سأجعل بحيث تبعث *(hôb)* من هم أكبر منك *[اللوغوس]* - فولد في تلك اللحظة أبو منجل *(hib)* طائر تحوت"[385]. تحوت أساساً إله الكتاب، وأمين رع *(رسوله)* والآلهة التسعة، كاتب الهيروغليفية ومدوّن الذاكرة. تاموس يعبّر في الفيدروس عن قيمة الفارماكون في نجوعه في الـ *hypomnesis* *(التدوين، الاستذكار، التجميع)*،

---

382 ذو النون المصري-مذكور ص 230

383 البلد / 1-4

384 DORLNDS,M D ص 637

385 ديريدا: صيدلية افلاطون-مذكور ص 42

وليس في *mnémé* (الذاكرة العارفة، الحية)[386]. هيبا الراهب والطبيب والغريب. علمٌ وسحر، مَعْبَرٌ بين الحياة والموت، وزيادة للأذى ونقصان، لا مراء في أن الطب كان يمثل الميدان الأثير لتحوت، فيه تتلخص جميع قدراته وتجد فرصتها لتعمل. إنه إله الكتاب الذي يعرف أن يضع حداً للحياة ، يشفي المرض أيضاً، بل حتى الموتى."[387]. اسم آخر لتحوت الممثل الليلي لرع هو "الثور بين النجوم " يقدر الميت أن يتماهى مع تحوت ببساطة (الكتابة/ الكلام؛ الموت/الحياة). ويمم تحوت وجهه شطر الغرب."[388]

Hepatp; Hepato :(L; hepaticus; Gr,hepatikos): عائدة للكبد؛ إشارة إلى الكبد [389] *Hepta :(Gr, hepta;seven)*: صيغة تعني سبعة (هفت بالفارسية) [390]

إن سيّدين كبيرين موثوق بهما شرقياً يلتمعان في سماء البانثيون الهيليني: أبوللو وديونوسوس الأول يكتفي وحده بتلخيص مجموعة الأديان والأساطير والطقوس المولودة في مصر وفي فلسطين وبلاد آشور وما بين النهرين. هاهو أمير الشمس هذا مختاراً من صلاة دانتي كما لو أن عابداً لإيزيس أو عشتار قد تصورها: أيتها الشمس، وأنت في علاك ظهراً ، أيتها العذراء الأم ، يا ابنة ولدك[391]

---

386 صيدلية افلاطون-مذكور ص 44

387 صيدلية أفلاطون-مذكور ص 47

388 صيدلية أفلاطون-مذكور ص 46

389 ص 598

390 ص 600

391 - ديالكتيك الطبيعة الأم السيدة ، النفس الكونية ، النفس الكلية (ربة القمر) في الليل والشمس الابن والسيد الخالق واهب الحياة للأرض في الظهيرة. في هذا الديالكتيك تظهر الشمس مؤنث ومذكر كما القمر . والشمس بالعربية تقع في باب اسماء المؤنث التي لا أعلام فيها للتأنيث ص 288 أدب الكاتب وسمي القمر قمراً

إن أمير الشمس هو فوق ذلك معروف باسم آل- إيوس، وهو أقرب الأقارب من الإله الخالد البابلي إيلّ ، الذي أصبح في العربية آل- لاه (الله). وإنه يملك الرقم سبعة، الذي هو رقم النجوم السيارة، ولأنه مولود في اليوم السابع من الشهر، وتحييه في مولده سبع بجعات بخفقات طيرانهن، مصورات بذلك أيام خلق الكون السبعة، وهو الذي دعاه أسخيلوس "سباعياً " في تراجيدياه "سبعة ضد طيبة". وسيعطى الأطفال اليونانيون والرومان اسم "سباعي" (هيبا) الذي سيحمله الكثير من الأباطرة الرومان "[392]

هيبا هو الإنسان في مكابدته وتحيره. هبط الإنسان من جنته الحيوانية لتحيره وذلك لحكمة، وهي إحكام صنعة النفس وإتقانها واسستوائها . مع هذا الإحكام في الصنعة تحيرت النفس وهبط الإنسان من السماء إلى الأرض؛ هبط إلى الحياة الدنيا. ألم يهبط ذو النون إلى بطن الحوت نظراً لأنفته ومغاضبته وشيطنته. ولكلٍ شيطانه حسب قول العرب على لسان النبي في بداية ترجمة عزازيل. وقد يكون للشيطان دور فعّال في عملية بناء الحق العيني؛ وفي جدل كمال العلم. جاء في سورة الكهف: "وإذ قال موسى لفتَه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حُقبا، فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتّخذ سبيله في البحر سربا، فلما جاوزا قال لفته ءَاتنا غدآنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، قال أرءَيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان

لبياضه ، والأقمر الأبيض وليلة قمراء أي مضيئة 90 أدب الكاتب أيضاً، راجع روسي ص85

392 - روسي: إيزيس التاريخ الحقيقي للعرب-مذكور ص 85-90

أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً، قال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا.."[393]

393 الكهف/ 60-66 لاحظ إخفاء الألف في أغلب الآيات ظهور صورها .

الباب الخامس

بدء التدوين

"صبغة الله، ، ومن أحسن من الله صبغة.."[394]

"وحدها حروف مكتوبة تقدر على هذه الشاكلة أن تجتذب سقراط"

التدوين دُونَ الكتابة ، الصَّنْعة الأكثر مُداناة وقرباً من الكتابة. ولكي نتحدث عن الكتابة علينا أن نعرض استهلالاً لـ "**صيدلية أفلاطون**"[395] *La Pharmacie de Platon*

في ذكر البِذار، البَذْر. *La dissémination* . المفردة اليونانية *semen* (البذار أو النطفة) و العلامة *(séme)* . خلافاً لما اعتقد البعض من أن المفردة تدل على "البعثرة" بمعناها السلبي البسيط. الكتابة أحياناً تدلّ *samainei* دائماً على الشيء نفسه، وأحياناً (كناية عن)؛ هي "لعب" *paidia* (تلاعب بالألفاظ).

Texture نسيج ، و *texte* نصّ؛ مفردتان تعودان إلى الجذر اللغوي نفسه. في محاورة "السياسي " لأفلاطون يدور الحديث عن مثال "النسّاج"؛ ومثال "المَثّال" ومثال النحّات، وهو مثال الكتابة. يكتب فرويد مستعيراً "النسيج": "والحق أن أفكار الحلم التي نكشف عنها ونحن نفسره لا يمكن أن تكون لها نهاية مرسومة، ولا يمكن إلا أن تتشعب في المسالك المتشابكة لعالمنا الفكري ضاربة في كل اتجاه.

---

394 - البقرة / 138

395 جاك ديريدا: صيدلية أفلاطون" – مرجع مذكور

وإنما تبزغ رغبة الحلم في موضع من هذا النسيج يزيد سمكاً على غيره."[396]

"إن كاتباً شيخاً ما كان ليدين الكتابة، كما فعل أفلاطون في (محاورة) "الفيدروس"[397]. الحق أول؛ وحدها قراءة عمياء أو خرقاء كانت قادرة أن تُشيع أن أفلاطون يدين نشاط الكاتب ببساطة. الكتابة باعتبارها اللعب الأفضل والأنبل." في الفيدروس، سقراط يعرّف الأثر الفني ككائن حي. إن العجز عن تنفيذ ما أُحسن تصوّره إنما هو دليل على الهرم. الكتابة كفعل ترجمة إذا لم تُنفّذ بشكل حسن ومتقن فهي مدانة وشائنة (الأدب الرديء). "الفيدروس" **تُضَفّر** البراهين بأناة. فيها تتأكد براعة البرهان وتمحّى، في آن معاً، بمرونة وتكتُّم وسريّة. إنها تجرّب وتُجري البروفات العديدة قبل إظهار الكتابة لخضراء[398] الجمهور." لقد ظلت مقدرة فرجيل على نظم الشعر تتقدم تقدماً بطيئاً، كان يكتب على مهل بشيء من التردد، كان دائماً غير راضٍ رضاء تاماً عما يكتبه"[399]

القسم الأخير من المحاورة "الفيدروس" كله وما يليه مخصص كما هو معروف للكتابة، وتاريخها وقيمتها، كل هذه المحاكمة المقامة للكتابة، ينبغي أن يُكفّ ذات يوم النظر إليها كتخييل أسطوري نافل.

تستعمل "الفيدروس" أسطورتين، واحدة عن "الزيزان" (أزيز الزيزان)، وأسطورة توت *Theut* ؛ أو تحوت *Tahot* أسطورة من

---

396 ـ فرويد: تفسير الأحلام- مذكور ص 518

397 محاور لأفلاطون يتحدث فيها عن الكتابة

398 ـ يقال : أباد الله خضراءهم أي سوادهم ومعظمهم " ابن قتيبة الدينوري: أدب الكاتب..ص 49

399 ـ فرجيل : الأينيدة ص 34

صعيد مصر. وهناك في مصر أسطورة "أبو منجل" وهو اسم تحوت بالهيروغليفية، على شكل أبو منجل ينظر إلى يمينه وخلفه نصف دائرة وخطين متوازيين للأسفل واليسار تقريباً. *Dhwtj*

بداية المحاورة موجهة **لصرف** جميع العناصر الأسطورية. لا لإدانتها بالكامل، وإنما ليحررها، إذ يقوم هو بصرفها (لا يستجيب لطلبها، يتغاضى عنها؛ يغضُّ بصره عنها؛ يصرف ذهنه عنها)، ليتحرر من السذاجة مفرطة الجديّة، سذاجة الفيزياويين، "العقلانيين" وفي الأوان ذاته ليتحرر هو نفسه منها في علاقته بذاته ومعرفة ذاته."[400] الفعل (صَرَف): معظم بابه يدل على رَجْعُ الشيء؛ صرفت القوم صرفاً: إذا رجَعْتهم فرجعوا(مع بداية المحاورة؛ هم قادمون فأمرتهم بالرجوع فرجَعوا)، صرف الكلام: تزيينه والزيادة فيه، لأنه إذا زُيّن صرف الأسماع إلى استماعه (انصراف السماع عنه والاستماع إلى زينته)، ويقال لحدث الدهر صرف (صروف الدهر): لأنه يقلقهم ويرددهم (يقلبهم من حال إلى حال (ذهابا وإيابا)، ليس له قرار كالبئر الشطون)، ومنه صَرْف الدراهم : تحويلها من واحدة إلى كثرة." [401]

تَحرّر اللوغوس *logos* من الأسطورة؛ تحريره من سذاجة الفيزيائيين "العقلانيين" ؛ وصرف الأسطورة مؤقتاً لكي لا تعيق فهم اللوغوس لذاته. ومفردة اللوغوغرافيا (اللوغوغراف)، تعني: الكاتب العمومي ؛ الناسخ . يروي سقراط كيف أن البشر ينقذفون خارج ذواتهم عبر المتعة، ليغيبوا عن أنفسهم؛ ينسوها، ويموتوا في لذاذة الفناء."

---

400 صيدلية أفلاطون-مذكور ص 19

401 معجم مقاييس ج3 ص 342

ما يزال سقراط يلتزم الحياد؛ لا تشكل الكتابة بحد ذاتها عملاً شائناً، مجانباً للحياء ومخزياً (مسخرة) *aiskhron* ، إنما يشين المرء عندما يكتب على شاكلة مشينة."[402] الكل حاضر: أسطورة (الزيزان) وموضوعات البسيكوغوجيا (التلاعب بالأرواح والأنفس) والجدل والخطابة."[403]

إن الإيعاز بصرف الأساطير إنما يحدث، في بداية الفيدروس، **باسم الحقيقة**. وسينبغي التفكير بحقيقة كون الأساطير **تؤوب** في لحظة الكتابة و باسم الكتابة؛ مع الكتابة؛ وبها تعود الأساطير وترجع. تخرج الأساطير وتُصرف لحظة إنتاج أو توليد الحقيقة، وتعود لحظة الكتابة وتؤوب. و (أَوَب): أصل واحد هو الرجوع. وكل غائب يؤوب "[404] بعد غيبة أو تغييب الأسطورة وصرفها مع حضور الحق، تعود مع حجب الحق بالكتابة وتؤوب. والتأويب: تسبيح (تكرار اسم الحق بالكلام المُكرّر أو بالكتابة؛ وتنزيهه عن الحسيّات). والتسبيح هنا هو إحضار للحق بذكر اسمه وبنفس الوقت إبعاده عن النعوت و الصفات؛ أي تنزيهه. هذا ما نقوم به عند تلاوة التراتيل وتكرار التغنّي بها. الكتابة تكرار؛ نسخة أو صورة أو مثل للحق، والتدوين نسخ الصورة أو النسخة. سُبُّوح: اسم من أسماء الله؛ معناه: تنزّه من كل شيء لا ينبغي له."[405] والإسطيرة: ما يُكْتَب" [406]

---

402 صيدلية أفلاطون-مذكور ص 19

403 صيدلية أفلاطون-مذكور ص 20

404 مقاييس 1 ص 125

405 مقاييس 3 125

406 معجم الرائد ص 132

يحدث الإيعاز إلى الأسطورة بالانصراف باسم الحقيقة (باسم الحق) (باسم حقيقتها ومعرفتها)، وبتحديد أكثر، باسم الحقيقة ضمن معرفة المرء نفسه (تعرُّف الحقيقة في النفس) هذا ما يوضحه سقراط".. فكتابة دلفي، أو حكمتها المكتوبة: *Delphikon gramma* ليست شيئاً آخر سوى وحي إلهي وتوجُّه، كمن يوجه أمراً، كلاً من رؤية الذات ومعرفة الذات" . هذه الرؤية والمعرفة للذات توضع في مقابل المغامرة التأويلية للأساطير (للكتابة/ النصّ)؛ للمكتوب."[407]

الجغرافيا المسرحية؛ أسطورة الزيزان والحديث عن صرف الأسطورة (صرف الكتابة)؛ الأزّ واستحضار الكتابة عن الذات (كتابة سيرة ذاتية)؛ وصرف التسبيح أو وقفه؛ الانكفاء صوب صورة الذات، وفي الحديث النبويّ: "كان يصلّي ولجوفه أزيز كأزيز المرْجل من البكاء".

نقرأ في الصيدلية: "عند مشهد الإليسوس (أسرار مدينة إليسوس)، وعلى سبيل التهكّم يقترح سقراط حينئذ تفسيراً متفقهاً للأسطورة بالأسلوب العقلاني والفيزياوي الخاص بالسفسطائيين". كان المريدون لهذه الديانة السّرية يمثلون قصة أسطورية لكي يبعثوا في نفوسهم العواطف التي انفعلت بها الإلهة (الربّة) (وهو نوع من تحيين الحدث البدئي المقدس) ويتلون عبارات مبهمة، ويرقصون ويصيحون على صوت موسيقى صاخبة، لكي يحققوا حالة من الجذب أو الاتحاد بالإلهة (الربّة)."[408] ففي اللحظة التي كانت

---

407 صيدلية أفلاطون –مذكور ص 20

408 - يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية-مذكور ..ص 6

أوريتس تلعب فيها مع فارماسيه دفعتها ريح الشمال إلى الهاوية."[409]

يتعرض الكتاب الرابع من كتب الأينيدة لفرجيل لقصة الملكة ديدو: غرامها ويأسها بعد هجر آينياس لها وانتحارها بعد تصميم آينياس على الرحيل عن قرطاجة."[410]

أما أنا فأرى يا فيدروس أن في تفسيرات كهذه ما يجذب، لكن يلزم لذلك الكثير من العبقرية والتمحيص الدؤوب، ولا أحد يلقى هاهنا التوفيق كله."[411] إن سقراط يعلّق هنا على التفسير الفيزياوي "العقلاني" للأسطورة؛ و يسخر من السفسطائيين.

في "الفيدروس" لنتمسك بحقيقة أن **لطخة**[412] صغيرة ، أي عقدة /في النسيج/ *macula* توجّه في خلفية اللوحة وطوال المحاورة، مشهد هذه العذراء المدفوع بها إلى الهاوية، والتي فاجأها الموت فيما تلعب وفارماسيه". فقد حكم على سقراط بالموت بأن يشرب قدح الشوكران المسموم ، لقد ترك هذا **لُطخة** لا يزول أثرها على سمعة العدالة الأثينية."[413] هكذا يكون فارماسيه قد دفع إلى الموت طهارة بتولية وباطناً لم يمسّ." التاريخ يبدأ مع الكتابة، والدين التاريخي يبدأ مع ظهور الأنبياء. أوريتيس تتحول إلى باطن /إلى طهارة بتولية/ بموتها على يد فارماسيه. العذراء البتول المقدسة سوف

---

409 ـ ويورباس إله ريح الشمال (الشمال) عند اليونان (أسطورة اختطاف أوريتس على يد أورباس)..

410 ـ الأينيدة ص 56

411 صيدلية أفلاطون-مذكور ص 21

412 ـ لطخ هي تصحيف لكلمة خلط

413 تحولات الجحش الذهبي-مذكور ص 241

تمثل في الكتاب كباطن كتابة مقدسة ، إثر موتها بفعل تقديم عقار.[414]

و فارماسيه في اليونانية *pharmakeia* هو أيضاً اسم شائع يدل على تقديم الفارماكون أو العقار: العلاج أو السم (ترياق/ سم). لم يكن "التسميم" هو المعنى الأقل شيوعاً لفارماسيه."[415]

لكن علينا أن نرى كيف يقارب القاموس العربي مفردة الأسطورة. "السطر: الصف من الشيء كالكتاب والشجر وغيره.. الجمع أسطر وسطور وأسطار ، جمع الجمع أساطير. والسطر: الخط والكتابة.. و ستطره: كتبه . والأساطير: الأحاديث التي لا نظام لها (قبل التكوين؛ والصحف العربية قبل التدوين) هي جمع لإسطار، وإسطير، وللكل: أسطورة. وسطّر تسطيراً: ألّف.. وسطر علينا: أتانا بالأساطير.. والمسيطر: المتسلّط (لست عليهم بمسيطر). وأسطر فلان اسمي: أخطأ في قراءته (صحّفه)"[416]

صرف الأسطورة باسم (الحق)[417]؛ صرف التمثيل والتصوير والتشبيه والمجاز؛ أي تنزيه الحقيقة عن كل تصوير أو تمثيل أو تسطير، من ثم عودة الصورة والتمثيل والتسطير بالكتابة، لأن الأسطورة تسطير وكتابة.

---

414 - يفسر فرويد براعة النساء في تقنية النسج والضفر واختراعهما بدافع لا شعوري إلى الستر والإخفاء. راجع الحريم الفرويدي ص 34

415 صيدلية-مذكور ص 21

416 القاموس المحيط ص 407

417 "ذلك بأنّ **الله هو الحق**" الحج/ 6 " بل هو الحق **من ربّك**" السجدة/ 3 "فلما جاءهم الحق **من عندنا**" القصص /48

سقراط يشبّه بالعقار (فارماكون)؛ النصوص المكتوبة التي جاء بها فيدروس. إن هذا الفارماكون، هذا "العلاج"؛ هذا "الشراب" الذي هو في الأوان ذاته سمٌّ ودواء؛ المسطار؛ أي الخمرة الصارعة لشاربها، أو الحامضة والحديثة، والغبار المرتفع في السماء و الذي يخلط بين السماء والأرض ويزيل الفارق أو الفتق، يماثل الشراب الرديء الذي يقود إلى الاختلاط أو الخلط والتخليط. هذا العقار إنما يتسلل من قبل إلى جسم الخطابات بكل لَبْسه. يمكن أن يكون لهذا السحر؛ لهذا **الجسد**؛ لهذه **القدرة على الفتنة**، لقوة الاجتذاب هذه، في الأوان ذاته أو طوراً فطوراً، مفعولان أحدهما طيب والآخر خبيث". جاء في سورة يوسف: "قال ربي السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه وإلا **تصرف** عني **كيدهُنّ** أصبو إليهن وأكنْ من الجاهلين ، فاستجاب له ربّه **فصرف عنه كيدهن** إنه هو السميع العليم"[418]

كان يمكن أن يشكل الفارماكون جوهراً، هيولى أو مادة لطيفة *substance* بكل ما يمكن أن تتمتع به هذه المفردة من معان متعلقة بالقدرات الخفية والعمق السري المانع (المانح) ثنائيته على كل تحليل، مهيئاً بذلك، ومن قبل فضاء الخيمياء (الكيمياء الصوفية). لكننا سوف نقر به لاحقاً باعتباره ضد الجوهر تحديداً. سوف يشار إليه وينعت **بالضدية** التي لا تنضب لرصيده، وبافتقاره لكل غور (لا غور له ولا قرار)." [419]

إذ يمارس الفارماكون عمله بالإغواء فهو يدفع خارج الطرق والقوانين العامة، الطبيعية، والمألوفة. كانت المسالك المعهودة

---

418 يوسف / 33-34

419 صيدلية-مذكور ص 22

تحبس سقراط داخل المدينة. تعمل أوراق الكتابة بدفع أو بجرّ خارج المدينة. حتى في اللحظة الأخيرة وقصد الإفلات من سم الشوكران، ما كان سقراط يريد أن يبرح المدينة قط، **إنها أي الأوراق تخرجه من ذاته، وتجبره على طريق هي بصريح العبارة طريق هجرة**. جاء في سفر يوحنا اللاهوتي: "من يغلب (يهيمن) فسأجعله عموداً في هيكل إلهي ولا يودّ يخرج إلى خارج واكتب عليه اسم إلهي واسم مدينة إلهي أورشليم الجديدة النازلة من السماء، من عند إلهي "[420] إنها محنة هيبا وترحاله وإغواء الكتابة وبدء تدوين سيرته؛ "حيرة ارتحال العين بين صفحات الكتب". سقراط الذي لا يكتب! حتى لا يغادر مدينته المقدسة؛ **حتى لا يخرج منها**؛ حتى لا يخرج من ذاته، ويبقى أميناً لوحي دلفي: اعرف نفسك![421]

يقول سقراط موجهاً كلامه لفيدروس: يبدو لي أنك اكتشفت العقار الذي يدفعني إلى الخروج. ألا تقاد الحيوانات بأن يهز أمامها، ساعة تكون جائعة، غصن أو ثمرة؟ هذا ما تفعله أنت، فبخطابات تبسطها أمامي في أوراق (رقوق) يبدو أنك ستجعلني أجوب إتيكا بأسرها."[422] وحدها خطابات في أوراق، كلمات مؤجلة محفوظة مغلّفة مطوية (مطمورة في جرة) تدفع إلى انتظارها(لبوثها) في

---

420 مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 68

421 - إن هجرة محمد من مكة إلى المدينة من ثم عودته إليها فاتحاً تدخل في زمن متضافر متصل الأبعاد ؛ زمن القطع أو زمن ثوري؛ "والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة " النحل / 41 وهذا ينطبق على هجرة موسى وخروجه : "قال فرعون " أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى " طه / 57 ، ويوجه كلامه لأتباعه: "يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون" الشعراء / 35 يستخدم فرعون في خطابه ضمير المتكلم الجمعي (نحن) وضمير المخاطب الجمعي (أنتم)

422 صيدلية-مذكور ص 22

مادة، شيء صلب (رقوق) وفي حمايته، وتحفّز على الرغبة فيها في المدى الزمني لمسيرة (تدفع لترحال وسياحة) وحدها حروف مكتوبة تقدر على هذه الشاكلة أن تجتذب سقراط. ما كان لخطاب غير مؤجل أن يجتذب سقراط بهذه الطريقة؛ ما كان سيجر سقراط خارج نهجه (طريقه)؛ خارج المدينة، كما لو تحت مفعول عقار؛ فارماكون. ها نحن أمام الكتابة والفارماكون والحيدان. إنه الخروج من المدينة، الخروج من أورشليم؛ الخروج من الذات، الانقذاف خارجها، والغياب عنها بمتعة الشيئية. يقول ديريدا بخصوص ترجمة "الفايدروس": "لاحظتم ولا شك أننا نستخدم ترجمة لأفلاطون مُكرّسة (كتابية) ، تلكم هي ترجمة منشورات غيوم بوديه. المعتبرة ترجمة مرجعية *bible*[423] وقام بها ليون روبان. سنواصل استخدامها موردين مع ذلك النص اليوناني بين قوسين، عندما يبدو لنا ذلك مناسباً، ولخطابنا ملائماً. هكذا مثلاً نفعل مع المفردة **فارماكون**. آنذاك سيظهر لنا بصورة نأمل أن تكون أفضل، **تعدد المعاني**، الذي مكّن عن غشامة أو عدم تحديد، أو فرط تحديد، نقول مكّن من دون أن يكون في ذلك خطأ، من ترجمة المفردة نفسها إلى "علاج" ، و "سم" ، و "عقار" و "شراب محبة"، الخ. كما نرى إلى أية درجة قُوضت الوحدة "التشكيلية" لهذا المفهوم، أو بالأحرى قاعدته والمنطق الغريب الذي يربطه بدالّه، تعرضت للبعثرة، قنّعت شوهت ، ولحق بها تعذر على القراءة نسبي، ذلك بالطبع بسبب من عدم تحوّط المترجمين، أو عشوائيتهم، وكذلك

---

423 - bible: الكتاب المقدس، العهدان القديم والجديد، كل كتاب مرجعي في موضوعه. المورد / 127

وفي المقام الأول بباعث من الصعوبة الرهيبة وغير القابلة للتذويب التي ترافق الترجمة "[424]

الأوراق *biblia* تخرج سقراط عن تحفظه، ومن الفضاء الذي يجب أن يتعلم ويعلم ويتكلم ويحاور فيه؛ فضاء المدينة **المسوَّر**. يكتب هيبا في سيرته: "أتذكر جيداً ظهيرة اليوم الذي دخلت فيه أورشليم عبر **الجزء المنهار من أسوارها العالية**، الجزء الذي كان فيما سبق يمسك البوابة الكبيرة المسماة بوابة صهيون."[425] هيبا يدخل أورشليم وقد انهار جزء من سورها لجهة اليهودية. لقد قوضت النصرانية جزء من العقيدة اليهودية. "دخلت أورشليم في حدود الثلاثين[426] من عمري الذي كان قد أنهكه سفر الجسم و الروح في الأرض والسماوات، وحيرة ارتحال العين بين صفحات الكتب. دخلتها مترنح الخطو مستنداً إلى الهواء ، في قيظ شهر أبيب *(تموز/ يوليو)*. "

الأوراق تخرجه من ذاته، هذه الأوراق تحمل في ثناياها النص المكتوب . إنه الخروج من الذات والبحث عنها في الشيئية؛ يكتب هيبا: "كنت قد مررت في تطوافي بالمواضع التي عاش بها تلامذة يسوع المسيح وانطلق منها الرسل. وقضيت شهوراً أتتبع خطى يسوع ، الموصوفة في الكتب والأناجيل، مبتدئاً بقرية قانا القريبة

---

424 صيدلية-مذكور ص 23

425 ـ بصرخة واحدة ، أطلقها أخوتي ، سورهم تصدع وانهار، سورهم تصدع وانهار.. الشيطاين تركض إلى الظلام، الشياطين تركض إلى الظلام مرتجفة ، وأمسكت بأركونها تماماً.." من مزامير توماس، راجع ماني و المانوية ص 240

426 يعلق فرويد بالقول: الرجل البالغ من العمر ثلاثين حولاً كائن فتي غير مكتمل قابل بعد للتطور. بالمقابل فإن المرأة التي في مثل سنه تخيفنا بما نلفاه لديها من ثبات وجمود. فلكأن المسيرة الشاقة نحو الأنوثة كانت كافية لتستنفذ كل إمكانيات المرأة. الحريم الفرودي، ص 34

من الناصرة، حيث قام فيها المسيح بأولى معجزاته، بأن صيّر الماء خمراً لينهل ضيوف العرس، كما هو مكتوب في الأناجيل[427] .
في الناصرة لم أجد أي أثر يدلُّ عليه ، ولا أي مبنى باق ليحدث عن زمانه ! فاحترت ، ثم خرجت عن مساري (حدّت) إلى بقية القرى التي ذكرتها التوراة والأناجيل والكتب المقدسة القانونية المكرّسة بقانون الإيمان ، والأسفار غير القانونية التي صرنا مؤخراً نسميها الأبوكريفا ، انتابني في جولاتي شكوك كثيرة وعاينت أهوالاً في مناماتي حتى مرّت علي سنوات التيه الثلاث ، وجاءت تلك الليلة الرائقة التي رأيت فيها يسوع المسيح في حلم ناصع وهو يملأ بأنواره السماء ، قائلاً لي بالآرامية ما معناه : إن كنت تبحث عني أيها الحائر الضال ، فاترك نفسك وراءك، ودع الموتى ، وتعال لرؤيتي في أورشليم، كي تحيا ." قال تعالى : "وجعلنا بينكم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة "[428]؛ قال الشيخ للسهروردي: "ما دمت في هذه القرية فلا يمكنك أن تتعلم كثيراً كلام الله تعالى"؛ اخلع نعليك وتعال لرؤيتي. يقول أحمد عثمان: "مع أننا نقترب الآن من نهاية الألفية الثانية للتاريخ الميلادي إلا أنه يكاد لا يكون لدينا أية معلومات تاريخية مؤكدة عن حياة السيد المسيح نفسه. وقد تبين أن كتابة أول الأناجيل التي لدينا الآن لم تتم إلا بعد مرور نصف قرن من الزمان على الأحداث التي تتكلم عنها، ثم أدخلت عليها التعديلات بعد ذلك خلال الأعوام العشرين التالية"[429]

خلاصة الأحداث التي تشمل ولادة ودعوة وموت المسيح على النحو التالي وكما هي في الأناجيل الكتابية المكرّسة. ولادة يسوع

---

427 ـ قامت الإمبراطورة هيلينا أم قسطنطين التي كانت مسيحية ، باستقصاء في فلسطين بحثاً عن آثار حياة المسيح المادية (بقايا الوثنية في المسيحية)

428 سبأ/ 18

429 مخطوطات البحر الميت ـمذكور ص 141

في بيت لحم أيام حكم الملك هيرودوس الذي حكم فلسطين، انتهت بوفاة المسيح في العقد الرابع للميلاد . هروب مريم أم المسيح إلى مصر عقب ولادته خوفاً عليه من بطش الملك الذي أخبرته النبوءات أنه (المسيح) سيرث عرش داوود وحدّدت مكان وزمان ولادته. لم ترجع مريم بابنها إلا مع موت هيرودوس ، وذهبت به إلى بلدة الناصرة في الجليل شمال فلسطين. في **الثلاثين**[430] من عمره ذهب يسوع إلى وادي الأردن حيث التقى يوحنا المعمدان الذي عمّده بالماء وسط النهر. يعتكف يسوع في خلوة لمدة أربعين يوماً في الصحراء ويدخل في صراع مع الشيطان الذي حاول إغراءه (بالسلطة الزمنية) بمنحه ممالك العالم. الشيطان يفشل في مهمته. يذهب يسوع إلى الجليل ليختار حواريه الاثني عشر(النقباء) ويبدأ دعوته ، ما أثار حقد كهنة المعبد الصدوقيين والأحبار الفريسين. ذهب إلى مدينة القدس قبل الفصح وراح يبشر داخل المعبد ما زاد من غضب الكهنة ، فتآمروا وأرسلوا حرساً للقبض عليه بمساعدة أحد حواريه يهوذا الأسخريوطي الذي خانه، وكان يستريح يسوع مع تلامذته عند جبل الزيتون شمال المدينة. تعاد محاكمته على يد بيلاطس الوالي الروماني على فلسطين. تنتهي القصة الإنجيلية الرسمية بإعدام يسوع على صليب خشبي من قبل الرومان، حيث يقوم بالجسد من بين الأموات في اليوم الثالث، حيث اختفى جسده من المقبرة، ثم ظهر لحواريه وحثّهم على نشر التعاليم المسيحية بين الأمم . في استجواب بيلاطس له وسؤاله لم يردّ عليه يسوع واستغرب بيلاطس من عدم

---

430 لاحظ دخول هيبا إلى أورشليم وهو في الثلاثين معمداً بالحيرة واللعنة! ومن ثم راح يقضي أربعين يوماً ينفذ رغبة عزازيل في تدوين سيرته الذاتية وما جرى له في ترحاله من أهوال ومفاراقات ومتناقضات.

دفاعه عن نفسه، وأصرّ كهنة المعبد اليهود على محاكمته وإعدامه على الصليب الخشبي الروماني ذو الطرف السفلي الطويل.[431]

المسألة حسب باول لا تتعلق بالعقيدة المسيحية نفسها، وإنما بدعوى الشرعية التي ارتكزت عليها الكنيسة الرومانية في سلطتها. ذلك لأن بابا هذه الكنيسة والذي يمثل الكاهن الأعلى، يستمد سلطته من كونه ممثل السيد المسيح على هذه الأرض ، هذا التمثيل كما تصرّ كنيسة روما جاء بناء على تفويض أخذته عن طريق المسيح شخصياً. يقول أساقفة كنيسة روما أن المسيح بعد قيامته بالجسد في اليوم الثالث أعطى تلميذه بطرس تفويضاً ليخلفه في رئاسة المسيحيين، وأن بطرس سافر إلى روما لينقل هذا التفويض إلى كهنة الكنيسة هناك، حتى قيل أن مقر الفاتيكان قد بني على ضريحه (وهذا صحيح عن طريق المجاز) حيث لا يوجد أي دليل على سفر بطرس إلى روما، بل هناك ما يشير إلى موته في السجن حوالي العام *40* ميلادية في القدس "[432] . حقاً لقد بنى الفاتيكان مكانته على ضريح بطرس!.

هذه هي الخلاصة التاريخية لحياة يسوع وموته على الصليب الواردة في الأناجيل المُكرّسة الأربعة. الغريب في الأمر هو عدم وجود أية إشارة ولو بسيطة أو عابرة إلى هذه الأحداث في المصادر التاريخية المعاصرة لتلك الفترة سواء في ذلك المصادر الرومانية أو اليونانية أو اليهودية"[433]. إن النتيجة التي توصل إليها باول أخيراً من أن النسخة الأصلية من إنجيل متّى لم يكن بها ذكر لصلب المسيح. وهو يرى أن إنجيل متّى لا يمثل سرداً تاريخياً

---

431 - راجع ص 143 من الميت

432 مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 144

433 مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 143

لحياة السيد المسيح، وإنما هو في حقيقته جدل لاهوتي قُدِّم بطريقة الرمز والمجاز"[434]

أبرع الكتّاب الحاليين إنه ليسياس: يحمل فيدروس النص، أو إذا شئتم الفارماكون، مخفياً تحت **عباءته**، هو بحاجة إليه لأنه لا يحفظ النص عن ظهر قلب.

سقراط: بعدما تريني أيها العزيز، ما تخفيه في يدك اليسرى[435] تحت عباءتك، إنني أراهن أنه النص ذاته."[436]

فيما شرع فايدروس بالقراءة، وفيما كان الفارماكون قابعاً تحت عباءته، يتم استحضار فارماسيه وصرف الأساطير. أحسب أن الناس ستقول هذا الرجل مجنون، فلأنه سمع حديثاً في موضع ما من كتاب *ek bibliou* أو اهتدى صدفة إلى بعض الأدوية *pharmakiois* بات يتصور نفسه طبيباً ، هو الذي لا يفقه في هذا الفن شيئاً ". إننا نلحظ هنا علاقة بين الطب (استخدام العقاقير) والكتابة؛ أليست الكلمة المكتوبة فارماكون؛ عقار أو علاج، الخ.. لكن ما يزال هذا الجمع بين الكتاب والفارماكون يبدو برانياً. ثمرة صدفة."[437] فهؤلاء الرهبان (العيسويون في قمران بين القرن الثاني قبل الميلاد- القرن الأول بعده) يستخدمون العقاقير لعلاج بعض

---

434 مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 144

435 - إبليس من أصحاب الشمال؛ والنبي من أصحاب اليمين

436 صيدلية-مذكور ص 23 نعثر في كتاب Acta Archelai الذي هو عبارة عن سلسلة من الأكاذيب المسيحية حول ماني على وصف له وحديث عنه وهو يحمل كتاباً بابلياً تحت ذراعه الأيسر.. وعندما يتكلم ماني عن كونه بابلياً ، ويتم وصفه على أنه حامل كتاب بابليّ ، فذلك يعني أن لغته كانت لغة آرامية وكذلك كتابتها ؛ وبدقة أكثر كانت آرامية شرقية ارتبطت عن قرب بالسريانية الرهاوية (نسبة للرها)." راجع؛ ماني والمانوية- مذكور ص 99

437 صيدلية-مذكور ص 24

الأمراض المستعصية. إلا أنهم لم يكونوا أطباء أو اشتهروا بممارسة الطب"[438]. غير أن المقصد والنبر هما نفسهما، فالريبة ذاتها تكشف، وفي الحركة عينها، كلاً من الكتاب والعقاقير، الكتابة والنشاط الإخفائي، الغامض المحكوم عليه بالتجريبية العشوائية والمصادفة، والعامل بموجب طرائق السحر لا بما تقتضيه الضرورة."[439]

إن الكتابة والمعرفة الميتة و الجامدة، المكتوبة في الأوراق، والخطابات المتراكمة والسجلات والوصفات والصيغ المحفوظة عن ظهر قلب، هذا كله غريب على المعرفة الحيّة والحوار غرابة الفارماكون على علم الطب، وغرابة الأسطورة على المعرفة."[440] الأسطورة بما هي فجر المنطق واللعثمة الأولى" الأسطورة كحديث غير منتظم .

أصل الكتابة فارماكون (عقار؛ سم / ترياق) ، هذا ما يؤسس لعلاقة الطب بالكتابة. الكتابة وأسطورة توت (تحوت)؛ الأثر المصري على أفلاطون. في أسطورة توت: تقدم الكتابة وتقترح ويعلن عنها بوصفها فارماكوناً؛ بوصفها علاجاً لضعف الذاكرة (زيادة؛ تتمة؛ تكملة ؛ نقص، الخ). إن سؤال الكتابة إنما يتموقع وينتظم في لحظة التعب الشامل هذا، في لحظة الشك وتزعزع إيمان هيبا على أثر الحكم على نسطور بالحرمان الكنسي والنفي خارج المدينة والطرد. إن مسألة الكتابة إنما ترتبط بموضوع الأخلاق؛ هذا القلق الأخلاقي لا يتميز إطلاقاً عن مسألة الحقيقة والذاكرة والحوار. تحضر المسألة في سجال أصبح شديد الراهنية بفعل النمو السياسي

438 مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 17

439 صيدلية-مذكور ص 24

440 صيدلية-مذكور ص 24

للمدينة وانتشار الكتابة وفساد السفسطائيين والكتّاب. التشديد يتجه إلى اللياقات السياسية و الاجتماعية. ومعرفة إذا كان يليق بها أن تكتب أو لا تكتب."

يوحي سقراط بأن الكتابة هي إشاعة أقدمين، لا تشكل موضوع علم؛ مجرد حكاية مروية. هكذا تتشخص علاقة الكتابة بالأسطورة، وتعارضُها مع المعرفة؛ مع الخطاب العقلاني أو اللوغوس؛ معارضتها مع المعرفة التي يستمدها الإنسان من ذاته وبذاته. فعبر الكتابة وعبر الأسطورة يعبر عن الانقطاع النسبي والابتعاد عن الأصل. إن ما تتهم به الكتابة في موضع أبعد - ألا وهو التكرار عن غير معرفة- إنما يحدد المسار الذي يقود إلى العبارة *l,enoncé* وإلى تحديد منزلتها، بدأت المحاورة بتكرار من غير معرفة (تكرار التراتيل والقداديس) . منذ هذه اللحظة لا تقوم هذه القرابة بين الكتابة والأسطورة (المميزتين كلتاهما عن اللوغوس *logos* والحوار *dialogue)* إلا بالتشخّص. كانت مفاجأة عندما وجد الباحث الهولندي **بداية النص** وجاء فيه ما يلي: "هذه هي الكلمات السريّة التي قالها يسوع الحي[441] ودونها ديديموس جوداس توماس"[442]

---

441 - هو الوحي؛ جبرائيل؛ الروح القدس ؛ اللوغوس logos . وكان قد تم العثور أواخر وبُعَيد انتهاء الحرب العالمية الثانية في مصر أيضاً على قصاصة من ورق البردي تحتوي على جزء من إنجيل توماس مكتوب باللغة اليونانية ، وهذه هي المرة الأولى التي يتم فيها العثور على الكتاب كله ، كما تأكد كيسبل عند مراجعته لصور باقي المجلدات من أنها تحتوي على 52 مجلدا ترجع كلها إلى القرون الأولى للتاريخ الميلادي ، من بينها أناجيل لم تكن معروفة من قبل ، مثل إنجيل توماس – أو تحتمس في المصرية القديمة – وإنجيل فيليب وإنجيل الحق وإنجيل المصريين ، إلى جانب بعض كتابات منسوبة للحواريين ، مثال كتاب جيمس – يحمس في المصرية – ورؤيا بولس وخطاب بطرس إلى فيليب.. ليس هناك خلاف بين الباحثين بشأن الوقت الذي

سقراط يؤسس محاججته ضد الكتابة (مرافعته) على أساس أن الكتابة تتمثل في التكرار من غير معرفة. وأنها تقوم على *akoé* (إشاعة الأقدمين)، وعلى البنيات المقروءة عبر شجرة أنساب أسطورية للكتابة (أسطورة الحروف والبنية اللغوية والنحوية ودلالات الأقدمين، الخ..) " حسن، أنتم يا أدنى الأدنياء! أنا أشير إلى مهنة القانون كلها، جميعكم يا **كتبة** القانون أشباه أنعام، ويا أيها المحامون أشباه الجوارح- أمندهشون أنتم حقاً من فساد القضاة المحدثين."[443] أمّا عن أولئك واضعي القانون الذائعي الصيت، أولئك المثقفين اللامعين ، أولئك العلماء المشهورين، أهل أثينا في الزمن القديم، فما هو الحكم الذي أصدروه في قضية سقراط ذاك الذي أشاد بحكمته هيكل دلفي فوق حكمة البشر أجمعين؟ ألستُ محقاً في قولي أنه بغدر وغيرة عصبة خبيثة ذُنّب (جُرِّم) بإفساد الشباب . والحقيقة أن فلسفته كانت موجهة نحو كبح جماح عواطف الشباب وليس إثارتها. "[444]

(دُون) أصل واحد يدل على المداناة والمقاربة ؛ هذا دون ذاك أي أقرب منه، ويقال في الإغراء : دونَكَه. قال القتيبي: دان يدون دوناً، إذا ضعف ، وأدين إدانة.. والشيء الدون: الهيّن. دوه: الدّوَه:

تم فيه إخفاء المجلدات ، خلال النصف الثاني من القرن الرابع للميلاد. وهي الفترة التي قامت فيها كنيسة روما –على أثر قرار الإمبراطورية بالتحول إلى الديانة الجديدة- بإحراق كل الكتابات التي تتضمن معلومات مخالفة لتعاليمها وهي الفترة التي تم فيها حرق مكتبة الإسكندرية –بما في ذلك معهد اللاهوت المسيحي – التي كانت قائمة في معبد السرابيوم" مخطوطات البحر الميت- مذكور ص 130 – 131

442 مخطوطات البحر الميت –مذكور ص 130

443 تحولات الجحش الذهبي-مذكور ص 240

444 تحولات الجحش الذهبي-مذكور ص 241

التحيّير"[445] وفي القاموس المحيط: دُون: نقيض فوق[446] ، ويكون ظرفاً وبمعنى أمام، ووراء ، وفوق ضِدّ. وبمعنى: غير ، والشريف والخسيس ضد[447]، وأُدين بالضم: صار دوناً خسيساً أو ضعف. والدّيوان ويفتح: مجتمع الصحف، والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطيّة ، وأول من وضعه عمر."[448]. وهيبا دون ، ودَوَه.

والترجمان: المفسر للسان، والرَّجْم: القتل، والقذف والغيب والظن، واللعن والشتم، والهجران والطرد ورميٌ بالحجارة، والتُّرجمان؛ كتاب مُرجّم لا يوقف على حقيقته ، هو المِرْجاس ."[449]

جاء في تراجم (سيرة) عزازيل: "أنت وحدك يإلهي الرحيم، تعلم أنني اقتنيت هذه الرقوق قبل سنين من نواحي البحر الميت، كي أكتب فيها أشعاري ومناجاتي لك في خلوتي، ليتمجد اسمك بين الناس في الأرض مثلما هو مجيد في السماوات. وكنت أنوي أن أدوِّن فيها ابتهالاتي التي تقربني إليك، وقد تكون من بعدي صلوات يتلوها الرهبان ، وأهل الصوامع الأتقياء في كل زمان ومكان. وها أنا لمّا حان وقت التدوين، أوشك أن أكتب فيما لم يخطر لي من قبل على بال، وقد يجرّني إلى طريق الويل والوبال، يا إلهي أتسمعني، أنا عبدك المخلص، **الحيران**؛ هيبا الراهب وهيبا الطبيب وهيبا الغريب. إنني مشفق مما أنا مقبل عليه، ولكنني **مضطر**. فأنت تعلم في سماواتك البعيدة كيف يحوطني إلحاح عدوي وعدوك اللعين عزازيل الذي لا يكفّ عن مطالبتي بتدوين كل ما رأيته في حياتي.

---

445 مقاييس 2 ص 317

446 ـ قارن مع معنى كلمة -hypo

447 ـ قارن مع كلمة (دون) الاسبانية

448 القاموس المحيط ص 1196-1197

449 القاموس المحيط ص 1111

أنقذني يا إلهي الرحيم من **وسوسته ومن طغيان نفسي**. لا زلت أنتظر منك إشارات لم تأتِ ولو تركتني لنفسي أضيع"؛ "وإلا تصرف عنّي كيدهن أصبوا إليهن وأكن من الجاهلين"[450] صارت نفسي معلقة من أطرافها، تتنازعها غوايات عزازيل اللعين ونكايات أشواقي، بعد ابتعاد مرتا التي انقلبت معها دولة باطني.

تركت الطبيعة ومتعتها وها أنت مخذول من التاريخ والإمبراطوريات ، في زمن مفكك ، خارج عن محاوره ، ظالم، فعادت إليك الذكريات ؛ ذكريات الولادة الأولى . وها هي تدول دولتك الصوفية الباطنية المتجاوزة للحسيات؛ دولتك الأيديولوجية. فنحن هنا أمام مفهومين للحزب: واحد سياسي وآخر أيديولوجي.

يكتب هيبا: "بسم الإله المتعالي[451] أبدأ في كتابة ما كان وما هو كائن[452] من **سيرتي** ، واصفاً ما يجري من حولي وما يضطرم بداخلي من أهوال. وأول تدويني هذا، الذي لا أعرف كيف ومتى سيكون منتهاه ، هو ليلة السابع والعشرين من **شهر توت** (أيلول، سبتمبر) سنة *147* للشهداء ، الموافقة لسنة *431* لميلاد يسوع المسيح، وهي السنة المشؤومة التي حُرم فيها وعزل، الأسقف المبجّل نسطور، واهتزت أركان الديانة. وقد أحكي ما جرى بيني وبين مرتا الجميلة من غوايات وعذابات ، وما كان من أمر عزازيل المراوغ اللعين، وأقص بعضاً مما وقع مع رئيس هذا الدير الذي أسكن فيه ولا أجد السكينة (الشكينة). وسوف أروي بين الثنايا، حكايا عايشتها منذ خروجي من بلادي الأولى الواقعة بأطراف بلدة أسوان جنوب مصر، حيث يجري النيل الذي كان

---

450 يوسف / 33

451 ـ راهمان؛ Pleroma؛ الملء الأصلي..

452 ـ الغائب هنا المستقبل أو ما سيكون

أهل قريتي يعتقدون أنه ينبع من بين أصابع الآلهة، ويهبط ماؤه من السماء. وكنت في صغري أعتقد ذلك الوهم مثلهم (كنت وثنياً) حتى تعلمت ما تعلمته في نجع حمّادي وأخميم، ثم في الإسكندرية (من الغنوص النصراني). فأدركت أنه نهر كبقية الأنهار، وأن بقية الأشياء مثل بقية الأشياء ، لا يمتاز منها إلا ما نميزه نحن بما نكسوه به من وهم وظن واعتقاد"

ولد هيبا في بيئة وثنية مصرية وقام انطلاقاً منها بسياحة من صعيد مصر(أخميم) منتهياً بدير بالقرب من مرعش شمال حلب السورية. ولسوف يقطع نسطور الطريق بالعكس عائداً إلى أخميم ؛ وكأننا أمام رحلة مزدوجة شبيهة بتلك التي قضاها موسى مع فتاه. "وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا(60)، فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا(61) فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غدآءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا(62) قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا(63) قال **ذلك ما كنا نبغي** فارتدّا على آثارهما قصصا(64) فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدّنا علما(65)[453]. لكن مسيرة نسطور لا تتعلق بديالكتيك العِرْفان، بل بفزع الإمبراطورية البيزنطية وكنيسة روما من التيارات النصرانية الغنوصية في مصر و الإسكندرية وإنطاكيا في غرب آسيا.

يقول هيبا: من أين أبدأ تدويني ؟ البدايات متداخلة ومحتشدة برأسي. في الحياة وفي الكون كله، كل شيء دائري يعود إلى ما منه بدأ لنعود ما منه ابتدأنا، آه لحيرتي، الذكريات دوامات متتالية،

---

453 سورة الكهف

ومتداخلة. فإن استسلم لها وأحكيها بقلمي، فمن أين أبدأ؟ هذا العود الأبدي قد يكون علامة على نمط الإنتاج الآسيوي الراكد ذي الزمن الليتورجي؛ الدوري؛ وقد يكون علامة على التحيُّر وعدم القدرة على التوجه في زمن مخلّع المفاصل؛ ظالم. سأبدأ من الحاضر، من اللحظة الحالية." فالمعنى راهن دوماً .

ويضيف هيبا. علّقت على الحائط صورة للعذراء مريم محفورة على الخشب، فإنني يريحني النظر إلى وجه العذراء الأم".

أبوقراط الذي علّم الإنسانية الطب بأن جرؤ على تدوينه في الكتب، ترى هل كان عزازيل هو الذي دعاه للتدوين؟ وأنا سأبدأ تدويني هنا بالحديث عن نسطور.

"كتب أسقف الاسكندرية كِيُرُّلس عمود الدين رسالة إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، جاء فيها: كان هناك شخص ما اسمه تيودور (المصيصي) وقبله ديودور (الطرسوسي) كان الأخير أسقف طرسوس، والأول أسقف موبسويستيا (المصيصة) وكان هذان هما أبوي تجديف[454] نسطور ، ففي الكتب التي ألّفاها، تكلّما بجنون شديد ضد المسيح مخلّصنا جميعاً، لأنهما لم يفهما سره ، فأراد نسطور أن يدخل تعاليمهما في وسطنا، لذلك عزله الله (الإمبراطور). وكل ما كتبه القدّيسون، هو على العكس من آراء تيودور، ونسطور الشرير"[455]. وكِيرُلُّس هذا نشأ نشأة رهبانية صارمة، وتلقّى المعارف الكنسية في الإسكندرية، وأديرة وادي النطرون بصحراء مصر، ثم تولى الأسقفية البابوية بعد وفاة

---

454 ـ التجديف: الكفر بالنِّعم ، المحيط 796 أو الاستخفاف بعطاء الله ؛ لا تجدفوا بنعمة الله: أي لا تحقروها" .م.م ج1 /433

455 يوسف زيدان: اللاهوت العربي وأصول العنف الديني ص 120

الأسقف البابا ثيوفيلوس سنة 412 ميلادية، وظل أسقفاً حتى نياحته (وفاته) سنة 444م

ولد نسطور في قرية مرعش الشامية، الواقعة من جهة الشمال[456] من حلب ، وقد كانت هذه البلدة في زمانه تسمى باليونانية جرمانيقي، وكان مولده سنة 380 ميلادية . وقد اتخذ اسمه الكنسي هذا (نسطوريوس) حين صار راهباً بدير بقرب إنطاكية، هو دير أوبريبيوس . ثم ترقّى في خدمته الكنسية، حتى اعتلى كرسي الأسقفية بالعاصمة الإمبراطورية (القسطنطينية؛ اسطنبول) سنة 428 ميلادية. وقد استبدت به بعد توليه هذه السلطة أحوال حادة، خاصة مع قوة صلته بالإمبراطور، فعمم على الناس مكتوباً، يحظر عليهم فيه تسمية مريم[457] العذراء بلفظ (ثيوتوكوس) أي والدة الإله ، وذلك لأن **الإنسان الذي هو "مريم"**[458] لا يمكن له أن يلد الإله."[459]

والمؤرخون الكنسيون المعاصرون، يعتقدون أن نسطور تأثر بمبدأ (التبنّي) الذي نادى به بولس السميساطي ، وأحيى أفكاره الخاصة بأن الاتحاد بين الله والمسيح، هو فقط اتحاد خارجي تم حسب المسارّة (استلام الأسرار) والبشارة. كان نسطور على نحو ما، امتداداً للنمط الاجتهادي الذي قدّمه آريوس من قبله بقرن من

---

456 ـ وإبليس من أصحاب الشمال ، وهو الشيطان الغريب المحروم من الرحمة المطرود من الجنة، من بعدت عليه الشُقّة..

457 ـ لاحظ أن رسم اسم "مريم" مكون من أربعة حروف وكذلك اسم "مرتا" (الاسطقسات الأربعة)؛ وكذلك رسم الأسماء: "محمد"، موسى، عيسى، يونس، يوسف، صالح، يحيى، الخ..

458 ـ قارن مع عقيدة جماعة الكازارس الفرنسية: المسيح روح من عنده ومريم جسده، وحجابه.

459 اللاهوت العربي ـمذكور ص 121

الزمان، لأن آريوس هو الذي توسع في مفهوم (التبنّي) وجعل منه قاعدة لفهم طبيعة المسيح. وفي عبارة له وجهها إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، أثناء خطبة رسامته (عظته الأولى)، قال: "أيها الإمبراطور أعطني الأرض نقية من الهراطقة، ولسوف أعطيك السماء. ساعد في حربي ضد المهرطقين، ولسوف أساعدك في حربك ضد الفرس""[460]. لكن ما فات نسطور هو أن الإمبراطورية ليست بحاجة لحقائق وجودية بل هي بحاجة إلى أيديولوجية تخضع بها الشعوب المستعبدة!

بخصوص عقيدة نسطور نقرأ من كلماته قوله: "إنهم يدعون أن اللاهوت مُعطي الحياة، قابل للموت (إشارة إلى صلب المسيح وموته وقيامته) وهم يتجاسرون على إنزال الكلمة ؛ اللوغوس إلى مستوى الخرافات المسرحية[461]. فكأن الكلمة طفل، كان ملفوفاً بخرق (القِماط) ثم بعد ذلك يموت! (يسخر نسطور في هذا المكان من الديانات الكونية الطبيعية الوثنية) إن بيلاطس لم يقتل اللاهوت ، بل حُلّة اللاهوت (وما قتلوه وما صلبوه حقا، ولكن شبه لهم). ولم يكن اللوغوس هو الذي لُفّ بثوب كتّاني (حين كان المسيح طفلاً) ولم يمت واهب الحياة ، ومن الذي سوف يحييه ثانية إذا هو مات. الذي تشكل في رحم مريم (رحم الطبيعة الجسمية) ليس الله بنفسه. ليس الله هو الذي تألم ، سوف ندعو العذراء القديسة ثيوذوخوس (وعاء الإله؛ متلقي الوحي) وليس ثيوتوكوس (والدة الإله) ، لأن

---

460 اللاهوت العربي -مذكور ص 122

461 - تمثيل القصص على خشبة المسرح

الله الآب وحده، هو الثيوتوكوس، ولكننا سوف نوقر هذه الطبيعة التي هي حُلّة الله ؛ مع الله الذي استخدم هذه الحلّة."[462]

هذه الأقوال أثارت كنيسة الإسكندرية التي دعت من فورها، بعد بضع مراسلات، إلى عقد مجمع مسكوني لمحاكمته على تلك الأقوال الهرطوقية. واستجاب الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني لطلب الأسقف السكندري؛ كيرُلُّس، فانعقد المجمع المسكوني في بلدة إفسوس، سنة *431* ميلادية. فقد وصل نسطور مع أساقفته الستة عشر إلى إفسوس قبل الجميع، ولما وصل إليها الأسقف كيرُلُّس مع جماعة من الأساقفة المعادين لنسطور، بادر قبل وصول الإمبراطور من القسطنطينية والبابا من روما، وعقد بالكنيسة مجمّعاً برئاسته هو، في غيبة البابا والإمبراطور. استدعى هذا المجمع الأسقف نسطور لمساءلته عن اعتقاداته، ومحاكمته عليها . كانت ثلاثة استدعاءات، تجاهلها نسطور جميعاً ، لأنه لم يعترف بقانونية هذا الاجتماع، ولم ير فيه مجمعاً أصلاً. ومع ذلك أرسل (المجمع إلى نسطور) "وثيقة إيمان"، ليعترف بها، فيها إقرار بأن المسيح هو الله فكان رده : لن أدعو أبداً طفلاً عمره شهران أو ثلاثة الله"[463]

ملخص وقائع أفسوس: اتخذ الأساقفة المجتمعون برئاسة كيرُلُّس قراراً بعزل نسطور من منصبه، وحرْمه كنسياً. كان ذلك قبل وصول الأسقف يوحنا الإنطاكي (نصير نسطور) وقبل وصول الإمبراطور والبابا . وردّ نسطور على ذلك القرار الذي رآه ساعتها غير قانوني، بأن اجتمع مع فريق آخر من الأساقفة

---

462 اللاهوت العربي –مذكور ص 122

463 اللاهوت العربي-مذكور ص 123 ؛ (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم)! المائدة/17

المؤيدين له، في أفسوس أيضاً؛ واتخذوا قراراً بعزل كيرُلُس من منصبه وحرمه كنسياً. فلّما وصل الإمبراطور والبابا إلى أفسوس، تقدم إليهما الطرفان بالقرارات التي انتهى إليها الجمعان فرفضها الإمبراطور كلها، وأصدر قرار بخلع نسطور وكيرُلوس، كليهما. ولكن بعد فترة أصدر الإمبراطور قراراً سياسياً بإعادة كيرُلُس إلى منصبه، والإبقاء على نسطور معزولاً، بل وتحديد إقامته في دير أوبريبيوس . وفي سنة *435* ميلادية، صدر قرار إمبراطوري آخر، بنفيه إلى صحراء البتراء العربية ويقال إنه نفي بعد ذلك إلى الصحراء المصرية أو بلدة أخميم حسبما يؤكد الأقباط وهناك مات مغموراً سنة *449* ميلادية"[464]

فقد افتتح الإمبراطور في مكان بيزانس القديم ، وفي مكان رائع على مضيق البوسفور "المدينة الخالدة" "روما الجديدة". القسطنطينية أو مدينة قسطنطين. فعلى هذه الشواطئ، وفي ملتقى تيارات العالم القديم السياسية- الجغرافية يمكن أن يستعيد الإنسان بنظرة أكثر الأحداث الماضية تألقاً، ويتأمل في الوقت نفسه مستقبل البحر الأبيض المتوسط. فطرق المواصلات الدانوبية، وخط الفرات وطريق النيل تجمع وتوجه، نحو نقطة الالتقاء العربية- الأوربية، أي في القسطنطينية، ثروات أوربا وجنوب شرق قارة آسيا، أي الصين والهند، والقارة الإفريقية. وستبقى الشروط الجغرافية والاقتصادية لسياسة العالم القديم حتى حفر قناة السويس هي ذاتها لا تتغير مثلما كانت عليه في عهد قسطنطين. والواقع أن انتقال عاصمة الأعمال في القرن الرابع من الإسكندرية إلى القسطنطينية قد كرّس أهمية بلاد الشرق الأقصى التي أخذت موضع قدم لها في أفريقيا. فمدينة القسطنطينية باعتبارها ملتقى

464 اللاهوت العربي-مذكور ص 123-124

طرق التجارة، هي أيضاً ملتقى حروب."[465] كذلك فإن النظام الاقتصادي البيزنطي متشابك مع نظام الساسانيين (الفرس) الاقتصادي الذي كانت مراقبة طرق الشرق القوي فيه تشمل المناطق الآسيوية من سمرقند وبخارى حتى سيلان. لقد كانت القسطنطينية وطيسفون[466] وهما تتحاربان (في القرن الرابع) بحاجة كل منهما للأخرى، فكل منهما تفتش عن حلف مع القوط والمصريين والمدن العربية أو الأثيوبية. مسلحين إياها حتى الأسنان ومهيئين إياها للخراب. وكان يوجد في جيش شابور الأول، الذي تسبب في هزيمة مخجلة، عدة فرق من الهون ومن عرب شبه الجزيرة العربية. ولقد حاول (الرومان) في القرن الرابع ، وفي ظل إمارة قسطنطين ، ثم كونستانس وجوليان وتيودوسوس الكبير، أن يقيموا نوع من الوحدة الظاهرية للإمبراطورية المقسمة جغرافياً إلى أربع ولايات، لتأمين الحدود، وبخاصة لتأسيس **ديانة دولة** لمعارضة الكنيسة الساسانية وكان ذلك صعباً في دولةٍ فيها العقائد والكنائس، كثيرة جداً، ومتنوعة ، متعارض بعضها مع بعض الآخر، وبينها فروق حادة تمنع من فرض عبادة وحيدة، ولقد حاول قسطنطين ذلك. قامت الإمبراطورة هيلينا أمّه التي كانت مسيحية، باستقصاء في فلسطين بحثاً عن آثار حياة المسيح المادية (لوثة الوثنية). كان قسطنطين مبتدئ التنصر طوال حياته، كان يتلقى العماد ويوصي به دائماً، مودّعاً حياة الوثنية الفلسفية التي لم تكن تبدو بالنسبة له بعيدة أبداً عن الرسالة المسيحية. ولكنه وهو

---

465 مدينة إيزيس ؛ التاريخ الحقيقي للعرب-مذكور ص 241-242

466 - طيسفون (المدائن؛ مدينة سلمان), مدينة عراقية كانت عاصمة الساسانيين والفرثيين. بنيت المدينة على الضفة الشرقية لنهر دجلة قرب بلدة المدائن/سلمان باك الحالية ما يقارب ال35 كم جنوب شرق بغداد. موقع طيسفون قرب موقع مدينة سلوقية الأثرية التي بناها السلوقيون..

يأمل بأن تكون المسيحية ملائمة لمخططاته، بدأ بالإعلان في مرسوم ميلان لسنة 313 ميلادية، عن حرية الاعتقاد المسيحي، دون أن يحرم العقائد الأخرى، ولم يغلق المعابد الوثنية إلا سراً على الأقل. يبقى أن نعرف ما هي المسيحية المعتمدة ذلك الوقت . فقد ألحّ الأسقف السكندري (من أصول ليبية) آريوس على طبيعة المسيح البشرية، مؤكداً أنه لم يكن إلهاً ، ولكنه من خلق الله (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله)[467]. وكان سكندري آخر هو أتاناس يبشّر على العكس من ذلك بألوهية المسيح، وهي وجهة نظر روحية بعيدة عن المقولات العقلية و متأثرة بالديانات الوثنية؛ الدين الكوني /الطبيعي؛ سواء عند اليونان أم عند فراعنة مصر؛ حاكم- إله؛ ممثل الإله المتعالي.[468]، لذلك وجب الحكم على آريوس. ورأس قسطنطين بنفسه سنة 325 مجمع نيقيا وألقى فيه خطبة الاحتفال. وأُنذر آريوس رسمياً بأن يرجع عن آرائه، بينما كان الآباء التوفيقيون يؤلفون عَقْد الإيمان (قانون الإيمان) الذي حرره أتاناس. والذي هو التالي: "إننا نؤمن بإله واحد، هو المسيح عيسى، ابن الله، ابن الله الوحيد، إله ولد من إله ، نور منحدر من نور ، إله حقيقي مولود من إله حقيقي، مولود وليس مخلوق، مشارك الأب في الجوهر "[469]

"إن كل الدراسات للعقليات الحاضرة لابد من أن تستدير إلى ماضي الحضارات الذي لا ينتهي . وهكذا تشكلت عبر العصور ديانتان مسيحيتان هما في الواقع استعادات لحقيقتين سابقتين عاشت كل منهما أمداً طويلاً ، أولهما تمركزت في روما والغرب،

---

467 النساء /171

468 - يوجد إله ويوجد إنسان ولا خلط بينهما؛ فليس هناك إنسان-إله

469 مدينة إيزيس –مذكور ص 243

والثانية تمركزت في روما جديدة هي القسطنطينية، ولكنها تمركزت أيضاً في اليونان التي لم تكن جديدة بالتأكيد. فيما تختلف هاتان المسيحيتان عن الأخرى؟ "الشرقية" توضعت في العالم الإغريقي الذي أخضعته روما ولكنها لم تتمكن من هضمه، والثانية توضعت في المنطقة الغربية التي كانت على وجه التحديد منطقة النجاحات الرومانية "[470]

نلحظ فوراً ان الديانتين الأختين ، على الرغم من أن حب المسيح يغلفهما كلتاهما ، فإنهما متباعدتان لأن الكلمات المفاتيح ليس لها المعنى نفسه. فالحقيقة في اللغة اليونانية ، وأكثر من ذلك وضوحاً في اللغة السلافية ، تعني ما هو دائم وخالد ، ما هو موجود حقاً خارج نطاق العالم المخلوق كما تدركه عقولنا ، فكلمة برافدا *Pravda* إذن تدل في آن واحد على **الحقيقة وعلى العدالة** ، إنها تشمل العلم وممارسته " وهو ما تقول به الديانات التاريخية. الحق منزّه عن الأغراض والعقائد والأيديولوجيات وأهواء السلطات الحاكمة "أما في اللاتينية فإن الحقيقة ، على العكس من ذلك تدل دائماً على اليقين، فهي حقيقة لعقلنا . وسر القربان في الغرب يجعل تسلسل المراتب الدينية ، وحده القادر على أن يضفي عليه صفة القداسة،" الولاء للسلطة الحاكمة والإيمان الأعمى المقدس بدين السلطة وعقائدها هي التي تكمن في أصل القربان المقدس، القداسة للسلطة الحاكمة وأسرارها، فهي المؤتمنة على هذه الأسرار من التحريف. أما في الشرق ومنه اليونان فإن سر القربان المقدس سر يتجاوز حواسنا ويأتي مباشرة من الله."[471] إن هذا السر مرتبط بفكرة التنزيه الشرقية؛ الحق منزه عن السلطات وعن الشهوات

---

470 فرنان بروديل: البحر المتوسط ص 169

471 البحر المتوسط مذكور ص 170

والمصالح وأهواء الحكام. "والإسلام مرتبط ارتباطاً لا شبهة فيه بأرض الشرق الأدنى التاريخية الكثيفة"[472] إن روما هي علامة الغرب ومكّة هي علامة الشرق الأدنى. واليونان والسلاف بينهما حيث تحضر العدالة مع الحق لأنه لاحقيقة من دون نقد التراث الذي تسلمه عصرنا الراهن. ولا عدل من دون تقويم لاعوجاج العصر بالممارسة الاجتماعية/ السياسية وإعادة الأمور ووضعها في نصابها.

سوف يردّ القرآن لاحقاً على هذا "التحريف" لكلام الوحي بالقول: "قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن لهو كفواً أحد" ويقول في مناسبة أخرى: "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم". في كل الأحوال. رسم مجمع نيقيا عشرين نسخة من مجموعة الشرائع الكنسية أو قواعد النظام. واعترفت الشريعة السادسة (شريعة دين الدولة) لأسقف الإسكندرية، في أراضي مصر، بالسلطات نفسها التي يتمتع بها أسقف روما في إيطاليا، وهوإغراء لمصر كي لا تتحالف مع الساسانيين. أمر جدير بالتنويه هو أن الشريعة السادسة ترفض أن تسند لأسقف إليا (اسم القدس الرسمي) حقاً، سوى حق شرفي ، بينما يتمتع أساقفة إنطاكيا وبعض المناطق الأخرى ، "بحقوق قديمة" لم تكن طبيعتها واضحة."[473]

لأول مرة تحاول الدولة (الإمبراطورية) غربي الفرات أن تفرض على الشعب ديناً، مخالفة بذلك وبشدة التقليد المتوسطي (الآسيوي/ الآرامي) المعاكس الذي كان الصفة المميزة له منذ آلاف السنين.

---

472 البحر المتوسط مذكور ص 168

473 مدينة إيزيس -مذكور ص 244

يصعب علينا تخيل الذعر الذي أصاب الشرق تجاه إعلان قرار نيقيا الذي فسر أنه إعلان حرب مضاعفة ضد الساسانيين أولاً، وضد التقليد العربي (الآسيوي/ الأرامي) ثانياً. وبينما اتخذ كثيرون من مريدي آريوس وجهة طيسفون ، حيث شهدوا أكرم استقبال، لم تفعل إنطاكية سوى التحفظ على أوامر مجمع نيقيا . وكان الخطر الأكبر هو أن تغدو آسيا الصغرى تابعة للساسانيين ، وجمع الإمبراطور تيودوسيوس الكبير - لكي يتجنب الحركة الانفصالية - مجمع القسطنطينية في سنة 381 م ، وتداول في أمر معاقبة مصر مرة ثانية على الأريوسيّة، والرد على محاجة الفقهاء السكندريين؛ فقد أُعلن أن الروح القدس ينبثق عن الآب والابن. وولدت عقيدة التثليث، وكبر تقدير الإسكندرية، إلى حد أن بطريقها (أسقفها) كان ينظر إليه وكأنه وريث الفراعنة والجدير بمقر الحبر الأعظم الذي يتمتع في الشرق بسلطة توازي سلطة البابا؛ أسقف روما."[474] وتركّز في الوقت نفسه انقسام "العالم العربي" [الآسيوي /الآرامي] إلى عالمين، على جانبي الفرات، ويا للمصادفة التاريخية! سوف يقود التحكيم بين علي ومعاوية إلى خلع علي وتثبيت معاوية عند الفرات، وسيكون انقسام الخلافة على جانبي الفرات علي من الشرق ومعاوية من الغرب في صفّين؛ وبين القوات الإمبراطورية من الغرب وقوات شابور من طيسفون من الشرق". لقد توغل جيش "الشرق" الإمبراطوري (الروماني) ضد القوط في فريجيا (طروادة)، وضد الهون الذين تقدموا فيما بين النهرين في سوريا، وضد الساسانيين ثابتاً دائماً ، منتصراً دائماً. وبنى تيودوسيوس سور القسطنطينية الكبرى. لكن الدودة كانت في الثمرة، واشتدت المنازعات الدينية. وادّعى نسطور السوري، بطريرك (أسقف)

---

474 مدينة إيزيس -مذكور ص 245

القسطنطينية المتبني نظريات آريوس النصرانية، أن يسوع المسيح ليس إلا مخلوقاً، ووقف سيريلاّ (كيرُلُّوس) بطريرك (أسقف) الإسكندرية، في وجهه نصيراً للطبيعة الواحدة للمسيح، وهي العقيدة المستعارة من أتاناس. وفرض بطريرك الإسكندرية وجهات نظره الروحية، بمعونة روما ، في مجمعي أفسوس سنة 431 ، ثم في سنة 449 ، وحكم على أسقفي مدينتي إنطاكية والقسطنطينية ، وكان النصر المصري ظاهراً إلى حدّ أن الناس اعتقدوا لحظة أن كسوف شمس البابوية قد حان، أو أنها ستنتقل إلى ضفاف النيل . وتم حدث دون مقدمات: ففي سنة 450 م أقيم حفل قداس؛ لقد تلقى الإمبراطور مارسيان التاج من يدي البطريرك. وبدلت الكنيسة والدولة المتحدتان في القانون الإلهي، السلطة الزمنية، وجعلتا من رعايا الإمبراطورية، أتباع ديانة مكرسة لله ولقيصر - عندما يغدو المسيح عيسى هو الإله لا بدّ من أن يغدو قيصر والكنيسة المكرسة الشخص الأمين الوحيد على الوحي الإلهي؛ ولكن الفكرة مصرية، فهي من بقايا ديانات النيل الوثنية- وكان في ذلك خطر على بابا روما، وهو أنه سيصبح تابعاً للقسطنطينية والإسكندرية. وناور البابا (ليون) الكبير في مجمع خلقيدونيا ليحكم على مذهب الطبيعة الواحدة، مقتلعاً بذلك من الإسكندرية ، رصيداً روحياً كانت قد حصلت عليه. "[475] لقد تم تهميش كنيسة إنطاكية وكنيسة الإسكندرية. لقد اعتدت روما والإمبراطورية البيزنطية مرتين على عقل الشرق المقدس: الأولى في الحكم على الإيمان السوري ورمزه آريوس ومن بعده نسطور /النمط الآسيوي / التجاري للإنتاج/، والثانية عندما شهّرت بالإيمان المصري المتمثل بالبطريرك المقدس أتاناس /نمط الإنتاج

---

475 - مدينة إيزيس -مذكور ص 246

الآسيوي/ المائي]، والبطريرك سيريل (كيرُلُّوس) المقدس. وكان الحقد الدفين عميقاً ، فلقد رئب الصدع بين كنيستي إنطاكية والإسكندرية اللتين كانتا حتى الآن متنافستين لا في جمع الشمل بينهما ، ضد البابوية الرومانية فقط ، بل في لفت النظر نحو الكنيسة الثالثة الشرقية الزرادشتية (كنيسة ماني)، أي كنيسة طيسفون الساسانية أيضاً. إننا لنلمح إذن، في وقت مبكر، **ومنذ القرن الخامس**، تحالفاً دينياً وشعبياً بين العالمين المصري والبابلي في رد فعل المجتمع الآسيوي/ الآرامي على العقيدة اللاتينية. إن ذلك التحالف الثلاثي البابلي- السوري- المصري سيقدم وثاقاً متيناً للإسلام."[476]؛ رد فعل نمط الانتاج الآسيوي/العربي ضد النمط الجرماني/ الأوربي. إن إحياء الآداب العربية خلال حكم جوستنيان فصل هام في تاريخ الحضارات العام . فلقد كان استعمال اللغة الإغريقية فيها موازياً لاستعمال الآرامية التي تطورت إلى "السريانية" على مستوى الأدباء، ولكنها لم تكن سوى العربية في قوّتها اليومية والشعبية"[477]

عزازيل اللعين؛ ما عزازيل هذا؟

تظهر تسمية (عزازيل) سابقة للتسمية القرآنية (إبليس)؛ وهذا الأخير "علامة مميزة للطبقة الأحدث". فوجوه الشر التي يظهر بها الشيطان خمسة و حروف مفردة إبليس خمسة. والحواس خمسة، وزهرة الزنبق خماسية وهي رمز نجمة الصبح أو الزُّهرة؛ الأنثى المقدسة أو الطبيعة- الأم). يقول الباقر: "إن الإله الأعلى لا يقتصر على السماء العليا ولا الوحدانية المتشددة لا سيما وأنه يستطيع أن

476 - مدينة إيزيس –مذكور ص 247

477 - مدينة إيزيس –مذكور ص 251

يظهر ذاته كذلك في السماوات الدنيا وفي خاموسه[478]، إلا أن الولادة الجسدية تُستبعد؛ كل ما هو جسدي يكون شيطانياً"[479].
عزازيل حصل على نور من الملك تعالى أعاره إياه (الشمس تعير نورها إلى الكواكب، ومنها كوكب الزهرة). قال الملك لعزازيل: يا شيخ، أخبرني ما أنت، وما أنا، وما هي هذه المخلوقات كلها؟ فقال عزازيل: أنت إله، وأنا إله كذلك. لكن الإله قال: لا يمكن أن يكون ثَمّة إلهان." لكن عزازيل إله من بين آلهة عديدة (عبادة الأصنام والصور والتماثيل)؛ ففي الديانات الكونية/الطبيعية - الوثنية كانت عبادة الصور الطبيعة الفيزيائية الحسية المتعددة أو عبادة الصورة البهيمية هي السائدة.

قال الإله: أنت مخلوقي، وأنا خلقت هذه الأرواح (إنما خالق بشراً من طين). تظهر الحسيات من ناحية عزازيل أكثر عدداً من العقليات/الكلمات (لوغوس)؛ قال عزازيل: لقد خلقت أرواحاً بعشر أضعاف ما خلقت/ قال الإله: لو جردتّك الآن من عيارتي (عيرتي) [من النور المعار] كيف لك أن تخلق هذه المخلوقات [إذا الشمس كورت كيف للقمر أن يعكس ضياءها ويظهر نوره المعار، وكيف لكوكب الزُّهرة أن يفعل ذلك]:

---

478 - الظهورات الإلهية عند المانوية خمسة : 1- إله الخليقة وهو الأعظم 2- أم الحياة مع الرجل الأول 3- الروح الحيّة (الفارقليط) 4- الرسول الثالث (ممثل الفارقليط) 5- يسوع المشع.. راجع : ماني والمانوية ص 228 قال: وذلك أن الخالق ليس هو طعماً ولا لون ولا رائحة ولاصوت ولكنه **جسم آخر خامس** منفرد .... وقوله خامس منفرد أي خارج عن حد الطبيعة مباين للأجسام المركبة من العناصر الأربعة.. يدرك بالعيان يعني به **الظهور** الذي هو دليل على **الوجود** (كالظل: وجعلنا الشمس عليه دليلاً) راجع حمزة بن علي: كتاب حجة العارف ص 21

479 هانس هالم : الغنوصية في الإسلام ص 269

أيها النور المعار أنت منّي سأجردك قليلاً

لنرى إن كان خلقي هو خلقك

وجُرّد عزازيل من ذلك النور المعار، وغدت الجسدية ظلمة وحجاباً وستراً وظهر المعنى لآدم في عين الأشياء. ومع تحول الديانات الكونية/ الطبيعية إلى ديانات تاريخية (ديانات الأنبياء) تحول اسم عزازيل إلى اسم إبليس؛ إبليس سقط عن العين وأحمد كشف له عن عين العين " حسب عبارة الحلاج في طاسين الأزل والالتباس.[480].

ومهما بدت الحسيات في الظاهر كثرة فهي لن تستنفذ كلمات الربّ؛ "قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفذ البحر"[481]

فاتجه عزازيل نحو الملك تعالى وارتكب حماقة إذ ادّعى الألوهية، وقام مخلوق ثان وثالث وأتيا لمساعدة عزازيل (عناصر الفردية الشيئية الثلاثة وقت الخلق)، وادّعى الثلاثة لجهة الشيئية كلهم الألوهية، وسموا الإله كذاب، حقير طراراً ومكاراً. وقالوا: "إن الله ثالث ثلاثة" (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة)[482] وذلك أنهم جعلوا معه عيسى ومريم.[483]

يكتب ابن عربي في "فص حكمة فتوحية في كلمة صالحية": "اعلم وفقك الله أن الأمر مبني في نفسه على الفردية ولها التثليث، فهي

---

480 راجع : الغنوصية في الإسلام –مذكور ص 211 والحلاج: الأعمال الكاملة- مذكور طاسين الأزل والالتباس؛ الطاسين السادس

481 الكهف / 109

482 المائدة / 73

483 معاني القرآن للأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي ، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد الجزء الثاني ص 461

من الثلاثة فصاعداً. فالثلاثة أول الأفراد. وعن هذه الحضرة الإلهية وجد العالم فقال تعالى"إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون" وهذه **ذاتٌ** ذاتُ **إرادة وقول** . فلولا هذه الذات وإرادتها وهي نسبة التوجه بالتخصيص لتكوين أمر ما، ثم لولا قوله عند هذا التوجه كن لذلك الشيء ما كان ذلك الشيء . ثم ظهرت الفردية الثلاثية أيضاً في ذلك الشيء ، وبها **من جهته** صح **تكوينه** واتصافه بالوجود، وهي **شيئيته وسماعه وامتثاله أمر مكوّنه بالإيجاد**. فقابل ثلاثة بثلاثة. ذاته الثابتة في حال عدمها في موازنة ذات موجدها، وسماعه في موازنة إرادة موجده، وقبوله بالامتثال لما أُمِر به من التكوين في موازنة قوله كُنْ؛ فكان **هو فنسب التكوين إليه** فلولا أنه من- قوته التكوين من نفسه عند هذا القول ما تكوّن. فما أوجد هذا الشيء بعد أن لم يكن **عند الأمر** بالتكوين إلا **نفسه (كلمته)** . **فأثبت الحق تعالى أن التكوين للشيء نفسه لا للحق، والذي للحق فيه أمره خاصة** . وكذلك أخبر عن نفسه في قوله: "إنما **أمرنا** لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون" **فنسب التكوين لنفس الشيء** عن **أمر الله** وهو الصادق في قوله. وهذا هو المعقول في نفس الأمر."[484]

مع بداية الخلق وتكبّر عزازيل: عزازيل واثنان آخران (الثلاثة لجهة الشيئية) يدّعون الألوهية وقدرة الخلق . فعندما ادّعوا ذلك " و قلنا اهبطوا منها جميعاً"[485]

اشتق اسم إبليس من اسم عزازيل ومفردته ستة حروف : ع- ز- ا – ز – ي – ل وقد ذكره الحلاج في الطاسين السادس تحت عنوان:

---

484 ابن عربي: فصوص الحكم ص 115-116

485 القرة / 36

"طاسين الأَزْل والالتباس"[486]. اشتق اسم إبليس من اسمه فغير عزازيل العين لتعلق همته بالأهواء ؛ يقولون نظرة من ذي علق أي من ذي هوى قد علق بما يهواه قلبه"[487] ؛ سقط عن العين؛ وحجبت عنه أعيان الأشياء، والزاي زيادة في غلوه ومبالغته في زيادة زيادته[488] ؛ العبادة على التجريد؛ والمبالغة في التجريد وعدم العود إلى العين؛ فالمبالغة في الاندفاع فقر كالاغتصاب؛ إبليس دعا ، لكنه ما رجع إلى حوله . نقرأ عن " نسخة أيا صوفيا لكتاب "أثالوجيا" تاريخها *1458* هي أقدم النسخ المعروفة وهي أفضل النسخ، ولولا أن ناسخها كان يتقن الموضوع الذي ينسخه، لكانت خير النسخ، لأننا لاحظنا أنه كثيراً ما يختار قراءة أوضح نظن أنه هو الذي اقترحها ووضعها، وكثيراً ما يؤدي ذكاء الناسخ إلى إشعاره بالقدرة على إصلاح ما ينسخ **فيستبيح لنفسه** من الحرية في إصلاح أو تعديل الأصل بحسب فهمه ما لا يستبيحه الناسخ العادي "[489]؛ الاتقان والزيادة هنا فقر ونقص، ألف: إزادة الإلفة لطول خدمته. يقول لي قدمة في الخدمة وليس في الكونين أعرف مني بك. والألف قديم في الخدمة وهو هيولى الحروف أو مادتها، وأول صوره الباء حيث يبدأ به القرآن الكريم في قوله: بسم الله؛

---

486 - شقاوة الأزلية والأزلياء للأشقياء وسعادة الأزليات (الإزالة المثلية) للسعداء.الأزْل الضيق والشدة ، ولإزْل بالكسر الكذب ، والأزَل بالتحريك: القِدم .. وأزله حبسه راجع المحيط ص 690-691 راجع مادة الزَّلة : السقطة والخطيئة والصنعة (زلت قدمه فسقط) ، زلت ميزانه نقصت ومالت.

487 أدب الكاتب لابن قيبة الدينوري –مذكور ص 55

488 - إن تعاريف "التخلف" المستندة على الازدواجية الاقتصادية (اقتصاد حديث واقتصاد تقليدي) تشكو من إفراط لأنها لا تحجب التخلف فحسب بل تستر الظواهر التي سبقته، فإنها أيضاً تشكو من نقص." راجع إيف لاكوست : جغرافية التخلف ص 220

489 أفلوطين عند العرب-مذكور ص 50 .. التعليق لعبد الرحمن بدوي

فيغيب الألف ويظهر على صورة الباء، "ثم قلّبت (قبلت) بعد ذلك صوراً بعد صور فلذلك لا يمكن لأحد أن يرى الهيولى لأنها لبست صوراً كثيرة فهي خفية تحتها ، لا ينالها شيء من الحواس البتة"[490] والبقرة في خوارها تصوّت (آ)؛ هي النفس الحيوانية. و (ألف) في الكنعانية يعني بقرة وفي اللاتينية ثور"[491] إن حرف الألف في القلم المسماري الذي كتبت به النصوص الكنعانية كان على صورة رأس ثور في بداية الكتابة التصويرية، ينطق في الأكادية أَلْبّ[492] وفي الكنعانية (أ ل ف) ثم اكتفي بنطق الصوت الأول من الكلمة وهو (أ) واستعملت صورة لرأس الثور للرمز إلى هذا الصوت وحده دون بقية الكلمة . لكن اسم الصورة التي صارت حرفاً ظل (ألف) كما هو الحال في العربية، رغم أن رمز الألف فيها الآن بعيد كل البعد عن صورة رأس الثور . أما في اليونانية التي أخذت حروف الهجاء عن الكنعانيين، وتابعتها اللاتينية، فقد ظل حرف الألف فيها أقرب ما يكون إلى الأصل / الصورة وإن بدا مقلوباً *A* = رأس ثور بقرنين، ينطق ألفا وهو الآن أحد الرموز في العلوم الرياضية العليا والعلوم الفيزيقية وغيرهما كما هو حال حرف الدلتا. وهي حروف تستعمل في الحساب حتى يومنا هذا مثلما استعملت في القديم"[493] الزاي الثانية: لزهده، وقلّته؛ قلّة علمه وجهله وسقوطه و (زهد)؛ قلة الشيء" إنه جاهل ومهين. والياء حين يأوي إلى سهيقته؛ أي كذبه وغلوّه في الأمر، وزيادته في

---

490 أفلوطين عند العرب-مذكور ص 46

491 تاريخ اللغات السامية –مذكور ص 99

492 - يظهر الألف باءً بتوسط اللام (جبريل)

493 اللاتينية العربية-مذكور ص 106-107

الحديث (افترائه)[494] وإثارته للغبار بين السماء والأرض . سهق يدل على طول وامتداد، إنه بئر بلا غور أو بئر شطون بعيد الغور لا قرار لها ؛ فإبليس بعدت عليه الشُقّة . واللام لأنه يجادل في بليته من غير علم . ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد "[495] قال تعالى: "حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين "[496]. ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون"[497] . حيث إبليس تغير عليه العين من الصورة الخارجية البهيمية؛ التمثال إلى الإيقونة أو الصورة النفسية لأعيان الأشياء؛ صورة الحق *vera icon*[498]؛ فهجر الألحاظ في المسير وعبد المعبود على التجريد؛ عبادة الصورة الجسمية الخالصة (في الديانة الكونية) أو الصورة النفسية الخالصة (في الديانة التاريخية) دون القدرة على رؤية حقيقتها في أعيان الأشياء (الحق يزيل الصورة ويظهر مِثْلها) . إن الغلوّ في التجريد وعدم العود للعين لعنة؛ لُعن حين وصل إلى التفريد وطُلب حين طلب المزيد ، فقال له اسجد قال لا غير. قال وإن عليك لعنتي. قال لا غير ؛ لم يرَ سوى نفسه (أنا)؛ **لم يقرّ إبليس بالواسطة البتّة**.

---

494 - فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذّب بآياته الأعراف / 37 أرأيت إذ كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى" العلق/ 13

495 - الحج / 3

496 - الأنعام / 25

497 - غافر / 69

498 - د. إمام عبد الفتاح إمام : كيركيجور رائد الوجودية ، الكويت 1986 هامش ص 123

الباب السادس

بيت الربّ

قال ابن عباس: ولما كان آدم عليه السلام صلصالاً كالخلية كان إبليس اللعين يمر عليه ويضرب بيده على بطن آدم فمن تلك الضربة صار مكانها السُرّة فكانت السرة علامة من ضرب إبليس[499] وأن سبب ضرب إبليس ليعلم أهو مجوف أم صامت فلما رآه مجوفاً دخل إلى باطنه (من السرة) فاطّلع على جميع أعضائه ظاهراً وباطناً وعلى عروقه إلا قلبه فإنه لم يطّلع عليه أحد غير الله تعالى ومنع إبليس عن القلب لأنه **بيت الرب**"[500] كالنقطة البيضاء في قلب الميم والواو وأمثالهما."[501] النقطة البيضاء المبصرة مقابل النقطة العمياء أو سرة العصب البصري العمياء مقابل اللطخة الصفراء المبصرة. كتب فرويد:"والغالب أن يشتمل كل حلم - مهما أحكمنا تفسيره- على فقرة لا نرى مفراً من أن نتركها في الظلام لأننا نلحظ في ثنايا التفسير أن هذه نقطة اشتبكت عندها عقدة من أفكار الحلم لا حل لها، ولكنها - فوق ذلك- لم تضف شيئاً جديداً إلى

---

499 - إذا كانت "السمة الصوفية" للبضاعة، وإذا كانت "السمة اللغزية" لإنتاج العمل بوصفه بضاعة تولد من "الشكل الاجتماعي" للعمل ، فيجب أيضاً تحليل ما لهذه الصيرورة من لغز خفي أو سرّ . فهذا هو سر الشكل البضاعي . ذلك لأن السر يقوم على **"الالتباس"** . وهذه الكلمة لماركس. ." فهؤلاء الذين يبحثون عن أنفسهم في البضاعة قد ضلوا السبيل فلا يوجدون ، فالبشر لم يعودوا يتعرفون فيها (في البضاعة) السمة "الاجتماعية" لـ "عملهم الخاص" أطياف ص 288وسَرَّ : إخفاء الشيء...والسِرّ: خالص الشيء؛ محض الشيء وخالصه ومستقره . ومنه السرور لأنه أمر خال من الحزن ، والسُرّة: سُرّة الإنسان: وهو خالص جسمه وليّنه.." م 3 / 67-68 والسر هو الإنسان نفسه

500 - بدائع الزهور ص 32

501 عبد القادر الجيلاني: الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم ص 15

محتوى الحلم . هذه هي سرّة الحلم ، هي الموضع الذي يُسَلّم منه الحلم إلى المجهول ."[502]

لقد أُسس معبد دلفي في مقاطعة فوكيس، في موقع يثير الإعجاب والخوف على منحدر جبل برناسوس، وكان يعتقد أنه سرة الأرض *omphalos* أو وسطها؛ أي أنه مكان مقدس.[503] المنزلة بين المنزلتين جلية تكون الوجهة إليها إذ هي نقطة السر التي ضُربت دونها الأسوار وحامت حولها الأفكار أودعها الحق سراً بين خلقه"[504] هي بين الحق والخلق.

يكتب مرسيا إلياد : عند الإنسان الديني، المكان ليس متجانساً، فيه انقطاعات وفجوات. فيه أجزاء تختلف اختلافاً نوعياً عن الأجزاء الأخرى. "لم تكن أورشليم هي المدينة المقدسة في زمن النبي موسى، ولم يرد ذكرها في أي من كتب التوراة الخمسة ، إنما كانت الأرض المقدسة عندهم في جبل سيناء. حيث جاء في الإصحاح الثالث من سفر الخروج أن موسى كان يرعى غنم يثرون حميّه كاهن ميديان، فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب، وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة ، فنظر وإذا العليّقة تتوقد بالنار ولم تكن تحترق، فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم، لماذا لا تحترق العليقة. فلما رأى الرب أنه مال لينظر[505] ناداه من وسط العليقة وقال موسى، فقال ها أنذا

---

502 ـ تفسير الأحلام – مذكور ص 518

503 نايف سلوم:" نقد النساء - قراءة في عابدات باخوس" – مخطوط غير منشور ص 21-20

504 الشيخ يعقوب الحسن: التذكرة الروحية ص 278

505 ـ قيل لأحمد انظر وأحمد ما نظر ، ما التفت يمينا ولا شمالا .الحلاج : الأعمال 189

فقال لا تقترب إلى ها هنا، اخلع حذاءك من رجليك، لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة "[506] والخروج هو الولادة الثانية/ الروحية وتأسيس المكان المقدس وظهور العالم. وفي القرآن الكريم: "إني أنا ربّك فاخلع نعليك إنك بالوادِ المقدس طُوى"[507] وخرج: أصلان، يمكن الجمع بينهما، الأول النفاذ عن الشيء، والثاني اختلاف لونين. فأما الأول فقولنا خرج يخرُج خُروجاً. والخُراج بالجسد (الخروج من الجسدية إلى المعرفة الحقّ). والخارجي: الرجل المُسوّد بنفسه، من غير أن يكون له قديم، كأنه خرج بنفسه. الجسد ليس قديم النفس؛ فالنفس هي التي خرجت عن حدّ الجهل إلى العلم والعرفان بتجاوز الجسدية. يقال فلان خِرِّيج فلان، إذا كان يتعلم منه ، كأنه هو الذي أخرجه عن حدِّ الجهل. أما الأصل الآخر: فالخَرَج لونان بين سواد وبياض. ومنه أرض مُخرّجة. إذا كان نبتها في مكان دون مكان، وخرّجت الراعية المرتع إذا أكلت بعضاً وتركت بعضاً؛ أي مكان فيه انقطاعات وفجوات؛ أبيض مقدس وأسود عَماء[508]. الولادة الروحية هي الخروج من الجسدية وتجاوزها إلى المعرفة الحق. وفسق: خرج عن طاعة الأمر، تقول فسقت الرُّطَبَة عن قشرها، إذا خرجت "[509] وخلع: أصل واحد مضطرد، وهو مزايلة الشيء(زواله) الذي كان يشتمل به أو عليه. خلعت الثوب أخلعه خلعاً، وخُلع الوالي يُخلع خلعاً ، وهذا لا يكاد يقال إلا في الدُّون؛ أي خلع الثوب لأنه لم يعد يليق بصاحبه؛ وخُلع الوالي أي خفض

---

506 مخطوطات البحر الميت –مذكور ص 68

507 - طه/12

508 مقاييس 2 ص 175-176

509 مقاييس 4 ص 502

جناحه إلى مرتبة أدنى أو عُزل. الخالع: البُسْر النضيج لأنه يخلع قشره من رطوبته، كما يقال فسقت الرُّطَبَة، إذا خرجت من قشرها (بيتها).[510] خرج بالأمر وإليه ؛ أي خرج على الجسدية ، وفسق؛ خرج عن الأمر إلى العماء والضلال.

يعلق ألتوسير على مناداة الرب لموسى باسمه بالقول: "وتكلم الرب إلى موسى قائلاً له: "أنا هو من هو" . إذن ، الله يحدد نفسه **كذات الفاعل**، الذي هو بذاته ولذاته (أنا هو من هو) ، والذي يستدعي فاعله ، الفرد الخاضع له بواسطة الاستدعاء ذاته ، أي الفرد المدعو موسى . وموسى - المستدعى المنادى باسمه، باعترافه بأنه هو الذي ناداه الله - يعترف بأنه فاعل، مرؤوس لله ، فاعل خاضع لله ، فاعل للذات وخاضع للذات. إنه يخضع لها ويخضع شعبه لأوامر الله. المستدعون من قبل الله هم مراياه وانعكاساته (خلق الإنسان على صورة الله). الله الذي هو **الذات الكبرى لكل الفاعلين** بحاجة إلى الإنسان، حتى في الانعكاس البشع (تمرغ الفاعلين في الفجور). إننا نلاحظ أن بنية كل أيديولوجيا هي انعكاسية باستدعائها الأفراد كفاعلين باسم ذات وحيدة مطلقة، أي في المرآة وهي مزدوجة الانعكاس (الإنسان بحاجة الله كذات مطلقة والله بحاجة البشر كفاعلين). إن هذا الازدواج في الانعكاس هو الذي يكوّن الأيديولوجيا ويؤمن سيرها. كل أيديولوجيا ممركزة (لأرضها سرّة)، وبأن الذات المطلقة تحتل المكان الوحيد في **المركز** وتستدعي حولها الفاعلين الأفراد الذين لا حصر لهم ، في علاقة انعكاسية مزدوجة بشكل أنها تخضع الفاعلين للذات، بإعطائهم الضمانة، ضمن الذات حيث يمكن لكل فاعل أن يتأمل

---

510 مقاييس 2 ص 209

صورته الحاضرة والمستقبلية. يتعرف الله في هذه العائلة المقدسة على أتباعه ، أي أولئك الذين يكونون قد اعترفوا بالله وتعرفوا على أنفسهم بواسطته، أولئك سيخلصون."[511] ففي فعل الأمر لدينا فاعلان؛ صاحب الأمر وصاحب الفعل .

إذن ثمة أمكنة قدسية، وبالتالي "قوية" هامة (مركز؛ عصا موسى أو مسلّة أو عمود منتصب على شكل قضيب). وأمكنة أخرى لا تتصف بالقدسية، وبالتالي لا هيكل لها ولا تماسك - أي عديمة الشكل (يمكن تشبيهها بحبال السحرة الذين واجههم موسى). نحن هنا أمام ضدية في الأماكن: المكان المقدس وحده الحقيقي؛ الموجود حقاً بين سائر الأماكن الأخرى التي تشكل الامتداد غير المتشكل الذي يحيط به. إن خبرة اللاتجانس المكاني دينياً هي خبرة بدئية مماثلة لـ "تأسيس العالم"[512]. في المدى المتجانس غير المنتهي، حيث يتعذر وجود نقطة استدلال، ويتعذر أن يحدث فيه أي توجه ، يكشف التجلي الإلهي عن "نقطة ثابتة"، عن "مركز"[513] .

إنه انتصار النظام على الفوضى في مدينة مثالية واقعة تحت تأثير العقل، ولكن حتى في هذه الحالة المحدودة ، فإن الجهد المبذول في نشر النور سيتعثر بالجدران الخارجية للخلية الأساسية التي هي المنزل. من هنا القيمة المقدسة للعتبة "[514] ولكن ما تكاد العتبة تخترق حتى تظهر فوراً عقبات أخرى . ذلك لأن البيت المفصول جذرياً عن العالم الخارجي ينتظم وينقسم في داخله على الأسس

---

511 دراسات لا إنسانوية-مذكور ص 116-117

512 مرسيا غلياد: المقدس والدنيوي ص 23

513 المقدس والدنيوي- مذكور ص 24

514 البحر المتوسط مذكور ص 211-212

نفسها التي ينقسم عليها العالم الخارجي فهو ليس مقراً للعائلة ولما هو خصوصي إلا لأنه مقر المرأة المغذية والمنتجة ومكان النشاطات البيولوجية الأساسية من طعام ونوم وانجاب. وجود الرجل فيه بالنتيجة محدود للغاية ، فهو طوال النهار مبعد عنه لأن مكانه في موضع آخر"[515] والعتب يرجع إلى الأمر فيه بعض الصعوبة. من ذلك العتبة وهي أسكفّة الباب وذلك لارتفاعها عن المكان المطمئن السهل. وعتبات الدُّرجة؛ كل مرقاة من الدرجة عتبة"[516] وعتبة بيت الرجل إمراته. العتبة: أُسكفّة الباب، والمرأة [517]"..

أمبيلوكوس اوربيس؛ هذا البناء الأثري، كما يدل اسمه مركز المدينة، لا بد أن يكون متطابقاً مع المندوس . وهكذا فإن خلق مجال مدني قد تم بواسطة عمليتين متلازمتين ومتماسكتين إلى أبعد الحدود: تحديد نقطة مركزية تجري فيها النشاطات الجماعية والسياسية ، وإقامة حد خارجي للمدينة له صفة مقدسة (ألبوميريوم) ودنيوية في الوقت نفسه "الأسوار" "[518]

"لقد كان "المندوس"(العالم) مماثلاً للأمفالوس (سرة الأرض *omphalos*): بابل المدينة إيربس *Urbas* (هيليوبوليس: عين شمس؛ مدينة الشمس ، المدينة أور؛ عين؛ معرفة عين الشيء يعني تأسيس مدينة مقدسة، تأسيس مكان مقدس) تقع في وسط الفلك الأرضي (أُربيس ترارم). الإقامة في أرض هي تأسيس عالم"[519]. في

---

515 ـ البحر المتوسط مذكور ص 213

516 ـ معجم مقاييس 4 ، مذكور ص 225

517 ـ القاموس المحيط مذكور، ص 111

518 ـ البحر المتوسط مذكور ص 145

519 ـ المقدس والدنيوي-مذكور ص 46-47

القاموس المحيط:"ألقى عصاه: بلغ موضعه وأقام، أو أثبت أوتاده ثم خيّم"[520] . كل خراب يحلّ بمدينة فهو نكوص إلى العماء *chaos*". إن ظهور العالم في النفس يعني تمييز المكان إلى مقدس، وغير مقدس . ما من عالم يمكن أن يولد في عماء . إن في أساس التعرف على حقيقة العالم تمييز مركز للانطلاق والتوجه هو المكان المقدس."إن اكتشاف أو تعيين نقطة ثابتة (موطئ قدم) أي مركز لهو فعل يضارع خلق العالم ". تبين لنا أمثلة كثيرة ما للتوجه الطقسي في تشييد المكان المقدس من قيمة كوسموغونية (ولادة العالم)[521] جاء في القرآن: "قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينّك قبلة ترضاها "[522]. وإنما يجري طلب الآية أو العلامة لكي يضع حداً للتوتر الذي تستثيره النسبية وللقلق الذي يغذيه فقدان التوجه، باختصار لإيجاد "نقطة استناد" مطلقة"[523]. هيبا يبحث عن المكان المقدس للتخلص من حيرته . في كثير من الحالات "يكون الحيوان هو الذي يكشف عن قدسية المكان " أو البحث عنه واكتشافه مستعيناً بالإشارات الخفية"[524]. فبين بساتين كريت جلس جوبيتر يستريح وقد تخلى عن صورة الثور التي تنكّر فيها ليخدع الأميرة وظهر لها في صورته الحقة[525]. ولم يكن الملك أجينور (ملك صور) قد عرف شيئاً عما حدث لابنته ، فعهد إلى ابنه كادموس (قدموس) بالبحث عن أخته المفقودة متوعداً إياه بالنفي إن عاد دونها. وبهذا

---

520 ـ القاموس المحيط ص 1312

521 ـ المقدس والدنيوي-مذكور ص 24

522 ـ البقرة / 144

523 ـ المقدس والدنيوي-مذكور ص 29

524 ـ المقدس والدنيوي-مذكور ص 30

525 ـ جاء في ترجمة أدونيس لنفس الفقرة: "كان الإله بعد أن تجرد من شكل الثور الكاذب كاشفاً عن هويته.. " التحولات ص 131

كشف عن أنه إلى جانب كونه أباً يفيض قلبه حناناً كان أيضاً أباً قاسياً لا يرحم.

وراح قدموس يضرب في أرجاء العالم ، ولكن أنّى له أن يعرف ماذا يخفي جوبيتر؟[526] ومضى بعيداً عن بلاده خوفاً من بطش أبيه، ثم حج إلى معبد الوحي الإلهي لأبوللو يضرع إليه أن يرشده إلى المكان الذي عليه أن يستقر فيه ، وأوحى إليه فوبيوس قائلاً: عليك بالمراعي النائية فسوف تقع عيناك على بقرة لم يشدّ إلى عنقها نير ولم تضق بجر محراث معقوف، فامض في إثرها واتبعها حيث تسير، وحيثما تقف شيد أسوار مدينتك وسمها بيوتيا"[527]

جاء في تراجم عزازيل: "جئت إلى الدير من القدس؛ ساليم، هيروسليم، أورشليم، أورشاليم، إليا، بيت الربّ، أسماء كثيرة حملتها تلك المدينة المقدسة، المحاطة بالجدب من كل النواحي. أقمت فيها بضع سنين، قبل المجيء إلى هنا تنفيذاً لمشيئة الرب، وتلبية لإشارة نسطور ونصيحته وتوصيته ". الأساطير نفسها قد كانت عرضة لتحولات وهي تعكس مزيج وتبدلات الشعوب التي تتالت على أوغاريت والإله سلام شالم التي تشترك ولادته في أوغاريت مع ولادة شاشار (سحر) يتمثل في اسم أورشليم هيكل اسمه بيت شلمان (سلمان)[528] وهذا لم يكن إلا تنوعاً لاسم سالم . فإيل وشالم معبودان في أورشليم في عهد إبراهيم ، شالم بن إيل في

---

526 - من يقدر في الواقع أن يكتشف حباً سرياً لجوبيتر؟ 131 .. قال فوبيوس: سترى عِجْلة في حقول منعزلة.. وكلمة عجلة دل بقرة غير مواتية للمعنى القرآني/ العربي . فهي تحريف بفعل قصور الترجمة.. العجل ولد البقرة والأنثى عجلة. والعجَل: الإسراع

527 - يرد أوفيد كلمة بيوتيا إلى كلمة بوس اليونانية التي تعني البقرة. ص 91 أوفيد: مسخ الكائنات (التحولات؛ ميتومورفوسيس) ص 75-76

528 - مدينة سلمان باك قرب بغداد

أوغاريت "[529] والإله شاليم كان معروفاً في أورشليم في عهد إيل العمارنة"[530]

و القُدُسَ: الطُّهر، والبيت المقدس وجبريل. القُدُوس: من أسماء الله؛ أي الطاهر أو المبارك. والتقديس: التطهير، ومنه الأرض المقدسة، وبيت المقدس. والمُقَدِّس: الراهب."[531]

لم تصبح مدينة أورشليم مقدسة عند اليهود إلا منذ أن أعادوا بناءها في القرن الخامس قبل الميلاد بتصريح من الملك الفارسي داريوس الذي سمح لهم بإعادة بناء معبد اليبوسيين القديم. واليبوسيون من الأقوام السامية التي خرجت من شبه الجزيرة العربية وسكنت مدينة القدس منذ الألف الثالثة قبل الميلاد. وتدل البقايا التاريخية على أن منطقة القدس قد خضعت للسيادة المصرية منذ عهد تحتمس الثالث، الذي أقام إمبراطورية تمتد حدودها من النيل إلى الفرات عند منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد. كانت هناك حامية مصرية في شمال قلعة القدس. وتشير الدلائل إلى أن الملك المصري هو الذي بنى أول معبد هناك. ومعابد في ماجدّو وبيسان وحاصور. وظلت السيادة المصرية حتى نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وبينما يقول سفر صموئيل الثاني بأن الملك داوود قد استولى على قلعة أورشليم عند نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد فإن أعمال الحفر الأثري لم تنجح حتى الآن في العثور على ما يثبت هذه الرواية. والأرجح اعتماداً على الأدلة التاريخية أن

---

529 - رأس شمرا-مذكور ص 81

530 - رأس شمرا-مذكور هامش ص 103

531 - القاموس المحيط ص 564-565

مدينة القدس ظلت مدينة يبوسية حتى تمّ تدميرها على يد رجال نبوخذ نصر"[532]

وقد حملت مدينة القدس أسماء كثيرة منذ بداية تاريخها، فكان اسمها الأول الذي أطلق سكانها الأقدمون من العرب الكنعانيين هو مدينة السلام، و ذلك نسبة إلى سالم أو شالم ثم حُرّف (صُحِّف) هذا الاسم عند الأمم القديمة ، فأطلق عليها الأكاديون اسم (أور سالم) و تعني مدينة السلام أيضاً، لأن أور كلمة سومرية تعني مدينة، وسالم أو شالم تعني السلام . ونسبت القدس إلى اليبوسيين فسميت يابوس. و اليبوسيون إحدى القبائل الكنعانية التي استوطنت فلسطين منذ أقدم العصور . وورد اسم مدينة القدس في اللغة المصرية و التي تعود إلى القرن (19 ق.م) وذكرت باسم (أوشاميم)، و ذكرها اليهود باسم (يروشاليم) و هي أورشاليم. و لما دخل اليونان فلسطين أدخلوا عليها اسم (هيروسليما). أما الرومان فقد غيروا اسمها و أطلق عليها الإمبراطور هادريان الذي طرد منها اليهود سنة 130 م اسم (إيليا كابيتولينا) وهو الاسم (إليا) الذي بقيت تحمله حتى الفتح العربي الإسلامي. أطلق المسلمون على المدينة اسم القدس، وبيت المقدس، ثم أطلق عليها في العهد العثماني اسم (القدس الشريف).

يقول هيبا في سيرته: "لماذا انطفأ كل شيء ؟ نور الإيمان الذي كان ينير باطني شموع السكينة التي طالما آنست وحدتي، الاطمئنان إلى جدران هذه الصومعة الحانية. حتى شمس النهار، صرت أراها اليوم مطفأة، وموحشة. إلى أين سينتهي الحال بالأسقف نسطور المعزول، الذي عرفته أيام كان قساً. كان لقاؤنا في أورشليم يوم

---

532 مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 70-71

أتاها للحج مع الوفد الإنطاكي، قبل أربع سنوات من رسامته أسقفاً للقسطنطينية . كان لقاؤنا منذ زمن ، يبدو لي اليوم بعيداً بعدما مضت سنون طوال ، صارت معها المواضع والمدن نائية عني، موغلة في النأي. هل كنا حقاً في أورشليم!

نعم أتيت أورشليم للحج، فيسألني كاهن كنيسة القيامة المجيدة عن اسمي، فقلت هيبا، ثم يقول: هل أتيت للحج أم تنوي الإقامة بيننا، أيها الراهب المبارك؟

- الحج أولاً ، ثم تكون مشيئة الرب."

(حجّ): الحاء والجيم أصول أربعة، فالأول القصد، وكل قصد حجّ. ثم اختُصَّ بهذا الاسم القصد إلى البيت الحرام (المقدّس) للنُّسُك. ومن أمثال العرب: "الحاجّ أسمعت" وذلك إذا أفشى السر. أي أنك إذا أسمعت الحجاج فقد أسمعت الخلق. والمَحَجّة: جادة الطريق. وممكن أن تكون الحُجَّة مشتقة من هذا لأنها تُقْصد، أو بها يُقْصد الحق المطلوب (تعزيز الإيمان بقصد المكان المقدس لتكريس الحُجة). يقال حاججت فلاناً فحججته أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة . والجمع حُجج والمصدر الحِجاج. ومن الباب حججت الشجّة، وذلك إذا سبرتها بالميل، لأنك قصدت معرفة قدرها. والحِجة السنة تيمنا بالحَجّ مرة في السنة. والحِجاج، وهو العظم المستدير حول العين (ويقال للمكان المتكاهف من الصخر حِجاج). والأصل الرابع: الحجحجة: النكوص. ويقال أنا لا أحجحج في كذا: أي لا أشك." [533]. عندما أحجحج؛ أي أشك أقصد البيت المقدّس (الحرام) ناكصاً إلى المعنى في كهفه أطلب الحُجّة

---

533 مقاييس 2 ص 30-31

لأعزز إيماني وأقوي ضعفي ولأخرج عائداً عن شكّي. إذاً، لا بد لرحلة الحج من تهيئة نفسية واستعداد ، لأن الرحلة إذا لم تقم بغرضها زاد الشك ومعه الحيرة . ولأنني ما زلت في حيرتي فأنا أفشي سري للخلق جميعاً عبر تدوين سيرتي؛ "كان قد قال لي خريطون المنقطع للعبادة في المغارة الموحشة (الكهف الموحش)، قرب البحر الميت وهو يودعني: "يا ولدي، لا تدخل إليها إلا إذا استعد قلبك للحجّ، وتهيأت روحك ، فما الحج إلا رحلة تهيئة، وما السفر إلا إسفار عن الأمر المقدس المكنون بجوهر الروح" "

II

القسم الثاني

كتاب سيرة حياة هيبا الراهب من أخميم بصعيد مصر نقلاً عن المُبَجَّل الدكتور يوسف زيدان

الرق الأول

ميمر1:"في ذكر طلب هيبا الراهب الرحمة من الإله، وكيف دوّن سيرته الذاتية بدلاً من تدوين ابتهالاته وأشعاره ومناجاته للإله المتعالي "

لمّا حان وقت بدء التدوين، طلب هيبا الرحمة ويداه ترتجفان ، يقول: "يا إلهي، أتسمعني ، أنا عبدك المخلص؛ الحيران ، هيبا الراهب وهيبا الطبيب ، وهيبا الغريب . أنت وحدك يا إلهي تعرف اسمي الحقيقي، أنت والناس في بلادي الأولى أخميم التي شهدت مولدي . فاسم "هيبا" هذا اسمي المسيحي المكرس بعد رسامتي راهباً ، اسمي الغنوصيّ ، وليس اسمي حين ولدت في أخميم بصعيد مصر من أم مسيحية وأب وثني . اسم هيبا اسمي المكرس بولادتي الثانية الروحية ؛ ولادتي المسيحية . بفضل ما تعلمته في أخميم ونجع حمّادي والإسكندرية ، ولكني حيران ؛ ويا ليتني لم أولد أصلاً . ارحمني ، فأنا مشفق مما أنا مقبل عليه، لكنني **مضطر**، فالزمن الذي أعيش فيه زمن منحرف عن سكته ، وخارج عن الوصل .

هيبا مضطر نظراً لإلحاح عدوه وعدو الإله عزازيل اللعين، عزازيل يلح عليّ كي أدوّن سيرتي الذاتية (ميمر *memoir*)، تدوين ما كنت قد واجهت في حياتي من مكابدة .

في هذه الأثناء يطلب هيبة من الإله إنقاذه من وسوسة عزازيل ، وطغيان نفسه (طغيان أنيته) . وينتظر **من هو** إشارات لم تأت بعد. وها أنا أنقل عبارة هيبا الراهب: "إنني مستقبل أمرك ومطيع ، ولو تركتني لنفسي أضيع ، فقد صارت نفسي معلقة من أطرافها ؛ تتنازعها غوايات عزازيل اللعين". نفس هيبا تأزُّ كأنها ماء تغلي في قِدر، و لحيرته تنفجر نكايات أشواقه ، وتتفتق جروحه؛ بعد ابتعاد مرتا . آه ، مرتا ! الجسد الجميل ؛ أفروديت؛ الرغبة الجسدية الجامحة؛ النفس و شهوتها . فبعد أن أوشكتُ على الولادة الثانية؛ ولادتي الروحية المسيحية ؛ جاءت مرتا بجسدها العائد كطيف وقلبت معها دولة باطني، و كرّست حيرتي، وجعلتني أنكس على أعقابي. "ففي السادس والعشرين من عمره خطب فروريد مارتا ، ويبدو أن الأشهر التسعة التي قضاها في فيينا بصحبتها لم تكن موفقة جداً، إذ أغلب الظن أنها كانت تخشاه ولا تشعر بالارتياح معه . ولكن عندما فصلت بينهما مسافة بعيدة، جمع بينهما طيلة أعوام أربعة *(1882-1886)* حب عظيم ، أفصح عن نفسه في تسعمائة رسالة غرامية يتسم كثير منها باللهجة المتعجرفة التي تذكرنا بثورفالد بطل مسرحية أبسن "بيت الدمية" عندما كان ينهال باللوم على نورا"[534]

ولكون هيبا مخلوق لحكمة شاءت أن تكون أحلامه كثيرة ، فهو يطلب من الإله أن يرسل إليه إشارة ولو في المنام طالما عزّت الإشارة في الصحو وانتفت، يقول: "إن **صرفتني** بإشارتك عن الكتابة **انصرفت** ، وإن تركتني لنفسي كتبت. ما أنا يا إلهي إلا ريشة في مهب ريح ، يمسكها أصبع ضعيف ينوي أن يغمسها في الدواة، ليخط كل ما وقع معي مع أعتى العصاة عزازيل، وعبدك الضعيف، ومرتا . الرحمة، الرحمة ، الرحمة !"

"أبدأ بسم الإله المتعالي .. أول تدويني هو ليلة السابع والعشرين من شهر توت *Theut* لسنة *431* لميلاد المسيح *(147* للشهداء*)* ". وتوت هذا هو الشهر الأول من شهور السنة المصرية القبطية ؛ يقابله *(11* أيلول – *10* أكتوبر*)* في التقويم الغريغوري الغربي، وهو أول شهر في موسم الفيضان *(Akhet)* ،

---

534 الحريم الفرويدي ، مذكور ص 24-25

وهذا الاسم توت لهذا الشهر مصوّت باليونانية وتصويته المصري القديم تحوت *(Tahot)* إله الكتابة (الحكمة المكتوبة *sophia)* ، وفيه رُسِم **عيد النيروز المصري** ، حيث يقام كرنفال لمناسبة السنة القبطية الجديدة ، وقبل شهر توت يكون الشهر الصغير أو الشهر النسيء من خمسة أيام . وهي فضول التقويم.

وكوني بدأت تدويني، أود القول أن اسم تحوت (هرمس) أو توت بالهيروغليفية يقابله صورة طائر نهر النيل المعروف؛ "أبو منجل" وهو ينظر نحو اليمين وخلفه نصف دائرة ورمز مساواة مائلة نحو اليسار والأسفل قليلاً *(Dhwtj)*. و "هرمس هو الاسم الذي أطلقه اليونان على الإله المصري تحوت لمّا أن اتصلوا بمصر منذ عهد مبكر أسبق من عهد هيرودوتس أو من أيامه فقد تحدث عن معبد لهرمس . وكان من مناقب الإله تحوت عند المصريين أنه يحسب عدد السنين والزمان ويقدر لكل إنسان مقدار أجله ، لذا كان يعد سيد المصير ، وأنه الذي اخترع الكتابة كما أبدع كل ما يتوقف عليها من علوم وصناعات على رأسها الطب والفلك والسحر والتنجيم والصنعة (صناعة الفخار والعجلة ونقش العلوم على جدران البرابي كي لا تبيد وتزول بفعل الطوفان) "[535] خنوم؛ خنوخ أخنوخ ؛ هرمس؛ إدريس؛ تحوت . وإذا لم يكن في وسعنا الآن- بما لدينا من وثائق- أن نقرر وقوع هذه الهوية بين هرمس وأخنوخ في الكتب اليهودية، بيد أننا نستطيع افتراض شيء من ذلك"[536]

ففي سنة *431* لميلاد المسيح، السنة المشؤومة ، حدث أمر جلل زعزع كياني، حين عُزل وحُرم الأسقف المُبجّل نسطور ، ومع هذا الحدث اهتزت أركان الديانة ، وتزعزع إيماني المسيحي ، واستحوذت علي الحيرة ؛ فبدأت تدويني كما ترون . وما بداية تدويني إلا وقت العصر، من اللحظة الراهنة ، لأن المعنى راهن . سأبدأ من حياتي هذه في صومعتي التي لا يزيد طولها وعرضها عن مترين . من القبور المصرية ما هو أوسع منها.. لا شيء

---

535 - ماجد مصطفى الصعيدي: هرمس في المصادر العربية ، نقلاً عن بدوي، ص 143-142

536 - هرمس في المصادر العربية – مذكور ص 149 نقلاً عن عبد الرحمن بدوي

حولي هنا غير لوح خشبي أنام عليه ، عليه ثلاث طبقات من صوف وكتان هي الفراش الوثيرة والدثار . على أنني اعتدت النوم جالساً مثلما يفعل الرهبان المصريون . أذكر المحبرة والسراج القديم ، والرقوق البيضاء النقية من أي كتابة ، والرقوق الحائلة اللون التي غسلت كتابتها .. وكسر الخبز الجاف وإناء ماء وزيت للسراج وكتب مطوية.. "وفوقها علّقتُ على الحائط صورة للعذراء مريم محفورة على الخشب (أيقونة سطح المكتب) فإنني يريحني النظر إلى وجه العذراء الأم ". و لكن، يالها من شفاعة في الألفية الأولى لميلاد يسوع المسيح!

وذكر هيبا في مدونته الصندوق الخشبي المحلّى بنقوش نحاسية ، والذي تلقّاه كهدية من رجل موسر من صور كان هيبا قد عالجه من إسهال مزمن ؛ لم يأخذ منه أجراً، إحياءً لسُنّة الحكيم الفاضل هيبو قراط الذي علّم الإنسانية الطب ، بأن جرؤ على تدوينه في الكتب. وعلي أن ألفت انتباه القارئ إلى التشابه بين اسم هيبا *Hipa* من جهة وبين القسم الأول من اسم *Hippocrates* الطبيب اليوناني الذي يعتبر أبو الطب والذي عاش بين *460- 377* تقريباً قبل ميلاد المسيح.

يقول هيبا: سوف أضع ما أكتبه في هذا الصندوق مع الأناجيل المحرّمة *Apocrypha* ، والكتب الممنوعة ، وأدفنه تحت البلاطة الرخامية المتخلخلة عند بوابة الدير ، وأسدُّ عليه وأطمر البلاطة بالتراب . فأكون قد تركت مني شيئاً هنا ، قبل رحيلي النهائي ، بعد انتهاء خلوة الأربعين يوماً التي تبتدأ بها اليوم عزلتي.

لا بد أن هذا الكلام يذكرنا "بالكأس المقدسة" في "شيفرة دافنشي" . ولكن لا يهم، فقد كان يسوع المسيح قد اعتكف في خلوة ، أربعين يوماً صائماً في الصحراء، حيث يدخل في صراع مع الشيطان ، الذي حاول إغراءه بالسلطة الدنيوية؛ بمنحه ممالك العالم ، لكن الشيطان يفشل في مهمته ، وينجح مع هيبا في خلوته بأن يدفعه للبدء **بتدوين سيرته** الذاتية أو (اعترافاته)، التدوين **الذي** لم يخبر به أحداً.

رسامة الرهبان تكون في كنيسة إنطاكية التي يتبع لها هذا الدير، فمرعش القرية التي جاء منها نسطور تابعة لإنطاكية. يقول هيبا: للقسوس الكهنة زوجات ينامون في أحضانهن ؛ أما نحن الرهبان فننام منفردين ، وفي معظم الليالي جالسين كالسجناء ، وأحياناً لا ننام أصلاً لاستغراقنا في الصلوات والتسبيحات الطويلة. " يلاحظ هيبا وجود امتيازات تعطى لرئيس الدير والقسوس، مقابل حياة التقشف والشظف التي يعيشها الرهبان، وهذه اللامساواة من تبعات نظام سياسي واجتماعي أوسع من نظام الكنيسة هو النظام الإمبراطوري الروماني". رئيس الدير يسكن غرفة قائمة بذاتها واسعة، زواياها أربعة أعمدة رومانية قديمة. الكنيسة الكبيرة لها بابان واحد من جهة الدير، والآخر مطل على التلّة من خارج السور، فكأنهما كنيستان واحدة للرهبان في معظم الأيام ، والأخرى للمؤمنين والموعوظين الذين يأتون أيام الآحاد لحضور القدّاس."

فمع نهاية القرن الميلادي الأول انتشرت الحركة المسيحية بسرعة في العالم الروماني بشكل تلقائي وغير منظم ، فانقسمت الجماعة المسيحية بإرادة من كنيسة روما إلى كهنة هم آباء الكنيسة وإلى مؤمنين أتباع ورعايا ، لا بل إن الجماعة المسيحية انقسمت على نفسها وانشقت حيث انفصلت الفئات التي رفضت سلطة آباء الكنيسة وكونت حركة مضادة وتيارات مسيحية خاصة في مصر وسوريا وآسيا الصغرى (الأناضول). ظهر هذا التمرد مع بداية القرن الثاني للميلاد ومع ظهور ما يسمى مرحلة آباء الكنيسة في العالم الروماني والتي أعقبت موت بولس الرسول .

يقول هيبا: "جئت إلى الدير من القدس، تلك المدينة المقدسة المحاطة بالجدب من كل النواحي". إنها كالكون المنظم *cosmos* في خروجه وتميزه عن العماء المحيط به (كاوس *caos*) ". أقمت فيها بضع سنين قبل المجيء إلى هنا تنفيذاً لمشيئة الرب ، وتلبية لإشارة نسطور ونصيحته وأمره وتوصيته؛ الخطاب الذي أرسله نسطور معي إلى رئيس الدير حين طلبت ذلك منه ، بعد عام من مجيئي هنا إلى أور / شليم .. أورشليم كم تبدو لي بعيدة الآن بعد عزل نسطور وحرمه ، وبعد انهيار أسوار مدينتي وتزعزع إيماني وبداية حيرتي . لقد انطفأ كل شيء، نور الإيمان الذي كان ينير باطني وشموع السكينة

(الشكينة) التي طالما آنست وحدتي، والاطمئنان إلى جدران هذه الصومعة الخانية.. حتى شمس النهار صرت أراها اليوم مطفأة وموحشة بعد تلك الأخبار المشؤومة التي وردت من بلدة إفسوس" ؛ مدينة الغامض هيراقليطس حامل أسرار إليسوس، على الضفة الشرقية الآسيوية للبحر الأسود؛ "، وحيث حاصر القسوس والأساقفة الأسقف السوري المبارك نسطور واجتهدوا حتى نالوا منه"، مدرّعين بالإمبراطور والإمبراطورية البيزنطية المستبدة.

لقد عرفت نسطور أيام كان قساً ، كان لقاؤنا في أورشليم يوم أتاها للحج مع الوفد الإنطاكي قبل أربع سنوات من رسامته أسقفاً للقسطنطينة (اسطامبول) *ESSTAMPOL*. لكن، هل كنا حقاً في أورشليم؟ "

" يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء ، وراجعة المرسلين إليها، هو ذا بيتكم يترك خراباً ، لأني أقول لكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الربّ. " وهذا القول منسوب للمسيح وقد كتب بعد عام *70* للميلاد وهي السنة التي دمر فيها الرومان معبد كهنة اليهود الصدوقين في أورشليم.

<u>الرق الثاني</u>

ميمر *1*:"في ذكر دخول هيبا أورشليم (بيت الرب) وهو في الثلاثين[537] من عمره وقد أنهكه سفر الجسم والروح في الأرض والسماوات وحيرة ارتحال العين بين صفحات الكتب ، وذلك في الشهر السابع ؛ الشهر الذي

---

537 **مدينة منف (مافة) وهي بلسان القبط ثلاثون**.. غربي النيل على مسافة اثني عشر ميلاً ؛ وكان لها من الأبواب سبعين ، مصفحة بالنحاس الأصفر ، وكان بها سبعة بيوت من رخام أخضر ، باسم الكواكب السبعة .. وكان بمنف أنهار تجري من أعلى أسوارها ، محكمة من ماء النيل في درج ، كلما وصل الماء إلى درجة امتلأت الأخرى، حتى يصعد الماء إلى اعلي السور ، ويدخل بيوت المدينة عن آخرهم ، ثم يخرج من مواضع ، ويسقي البساتين والقرى ، ثم يرجع إلى البحر. (الأنهار المعلقة!) بدائع الزهور الجزء 1 ص 74-75 . و من مأثورات الإسرائيليين أن الكاهن اللاوي كان يباشر عمله بعد بلوغ الثلاثين. وتعمد يسوع المسيح على يد يوحنا المعمدان وهو في الثلاثين.

أقام فيه الرب هيكله"وكيف أغمي عليه عند باب كنيستها الكبرى ، حيث عالجه كاهن كنيسة القيامة المجيدة.

وبعدما أفقت من إغماءتي ، مازحني قائلاً: عرفت برهبانيتك من غطاء رأسك، لكني لم أعرف من إغماءتك أنك طبيب! ثم سألني عن اسمي فقلت هيبا. أو جلال

ثم سألني عن سر مجيئي إلى أورشليم ، فقلت: الحج أولاً ثم تكون مشيئة الرب. قضيت أياماً في أورشليم حاجاً بعد ثلاث سنين طوفت خلالها بالمواضع المباركة ، تنفيذاً لنصيحة الراهب القديس خريطون المنقطع للعبادة في المغارة الموحشة قرب البحر الميت. كان قد قال لي وهو يودعني: يا ولدي لا تدخل أورشليم فور وصولك أرض فلسطين ، لا تدخل إليها إلا إذا استعد قلبك للحج وتهيأت روحك ، فما الحج إلا رحلة تهيئة ، وما السفر إلا إسفار عن الأمر المقدس المكنون بجوهر الروح. لم يفهم هيبا فحوى نصيحة الراهب القديس خريطون، حيث راح يفتش عن سر القداسة في الأماكن الحسيّة ، ففي الناصرة لم يجد أي أمر يدل عليه . يقول: فاحترت ثم خرجت عن مساري إلى بقية القرى التي ذكرتها التوراة والأناجيل والكتب المقدسة القانونية وغير القانونية (أبوكريفا) . انتابتني في جولاتي شكوك كثيرة، وعاينت أهوالاً في مناماتي ومرت علي سنوات التيه الثلاث وجاءت تلك الليلة الرائعة التي ظهر فيها يسوع المسيح في حلم ناصع وهو يملأ بأنواره السماء قائلاً: ما دمت في هذه القرية فلا يمكنك أن تتعلم كثيراً كلام الله تعالى، ولا أن تفهم نصيحة الراهب خريطون . فالحسيات معابر للعقليات لا أكثر ولا أقل، إنها مجازات نَعْبُر بها من عالم الحس إلى عالم العقل والروح.

قال هيبا: ليس لدي سوى ساعتين في جوف الليل ، حاولت فيهما النوم تحت شجرة ، فمنعتني رؤاي المتوالية: المُخلِّص يتألم فوق صليب الفداء ، نحيب الأم العذراء المقدسة ، صرخات يوحنا المعمدان في البرية، ما وقع معي أيام كنت في الإسكندرية. لم استطع ليلتها النوم .

قال يسوع المسيح: كان شخص آخر ، هو الذي شرب المرارة والخلّ ، لم أكن أنا.. كان آخر الذي حمل الصليب فوق كتفيه، كان هو الذي وضعوا تاج

الشوك على رأسه، وكنت أنا مبتهجاً في العلا.. أضحك لجهلهم .(هذا ما ورد في كتاب سِتْ الأكبر)

نقرأ في عابدات باخوس:

615 الكورس: ألم يضع في يديك أغلالاً حديدية؟

ديونوسوس: عاملته باستخفاف شديد، فبينما خيل إليه أنه كان يقيدني

فإنه في الواقع لم يلمسني، ولم يقيدني ، إذ كانت تغذيه الأوهام[538]

"لم يحدث لي أي شيء مما يقولونه عني"[539]..

قال بطرس: يقول لي المخلص من يدخلون المسامير في يديه وقدميه هو البديل، فهم يضعون الذي بقي في شبهة في العار ، أنظر إليه وأنظر إلي"[540] الأناجيل القبطية لا تعرف محاكمة بيلاطس ولا تعترف بالصليب الذي وضعته كنيسة روما . تتفق أناجيل العهد الجديد الأربعة على أن يسوع مات على الصليب بأمر من الحاكم الروماني لفلسطين "بونتياس بيلاطس " في أربعينات القرن الميلادي الأول . إلا أن هذا الحدث ليس فقط غائباً عن أناجيل نجع حمّادي القبطية ، بل ينكر بعضها صراحة هذه القصة ويسخر من قائليها فلم يرد اسم الوالي الروماني بيلاطس في أي من الأناجيل القبطية، التي تغيب عنها قصة الصلب الروماني. إن الصليب الروماني لم يصبح مقبولاً لدى عامة المسيحيين إلا بعد أن أعلنت الكنيسة الرومانية العثور في مدينة القدس على ما قيل إنه الصليب الخشبي الذي مات عليه يسوع . ثم تطور الأمر بعد ذلك خلال القرن الميلادي الخامس، عندما وضعت الكنيسة الرومانية صورة لجسد يسوع المسيح على الصليب الخشبي.[541] ومع أن الصليب هو رمز للمسيح في الأناجيل القبطية ، إلا أنه ليس دلالة على الطريقة التي مات بها ، وإنما هو يرمز إلى المسيح الحي

---

538 راجع نايف سلوم: نقد النساء" قراءة في عابدات باخوس – مذكور ص 115

539 (أعمال يوحنا – عثر عليه بنجع حمّادي)

540 انجيل بطرس

541 راجع مخطوطات البحر الميت-مذكور

بروحه التي لا تموت . وعلى ذلك فنحن نجد أن الصليب الذي وجد مرسوماً على أغلفة مجلدات نجع حمادي الـ (13) ليس هو نفسه الصليب الروماني ذو الذيل السفلي الطويل(†) ، وإنما هو (عنخ) [عين، نون، خاء؛ مفتاح الحياة، على طريقة فواتح السور في القرآن(ألم)] مفتاح الحياة عند المصريين القدماء وفي الديانات الطبيعية، وعين، ميم، سين (عمس) في ديانات الأنبياء وخاصة الإسلام، وهو صليب متساوي الأطراف (+) . ومن المؤكد أن الصليب المصري (مفتاح الحياة) هو الذي كان سائداً بين الجماعات المسيحية الأولى ، ليس في مصر وحدها وإنما في كل بلدان الإمبراطورية الرومانية.

يقول هيبا: "دخلت أورشليم من طريق السامرة وقت الظهيرة ، فتملكتني مشاعر الغربة التي تعصف بي في المدن الكبيرة ، كان الحر شديداً ، وصخب البشر . مررت في طريقي إلى كنيسة القيامة بأسواق وبيوت كثيرة، ورهبان وتجار وبشر من كل الأجناس: عرب وسريان ويونان وفرس (كل آسيا الآرامية/ العربية)، وأمم أخرى لم أفهم بأي لسان كانوا فيما بينهم يتكلمون . كانت أورشليم وقتها مدينة عالمية . كنت قد نسيت ضجة المدن الكبيرة خلال تجوالي الطويل في قرى فلسطين، فهربت من الزحام إلى أسوار الكنيسة وبابها الكبير المفتوح . بالكاد وصلت، ثم غلبني جوعي وإنهاكي وانهماكي في التسبيح، وثقلت عليَّ مخلاتي المليئة بالكتب ، ولفائف البردي فأخذتي الإغماءة على باب الكنيسة كما أخبرتكم من قبل."

كانت الكنيسة الرسمية للإمبراطورية صارمة في مراقبتها لكل فكر مناهض لعقائدها، لهذا كان الحذر والقلق من الغرباء هو السائد. قضيت بين الرهبان حاجاً . غير أنهم أكثروا من سؤالي عمن التقيت بهم من القديسين ، أو زرت مقابرهم من الشهداء ، كانوا يلحّون في السؤال عن الإسكندرية فكنت أجيب بحسب ما يقضي به الحال والمقام.

في أيامي الأولى بأورشليم كنت أفكر بسر الحج ! هل البركة سر فينا يفيض على الأماكن كشعاع الشمس ينير الكون المظلم ، إذا وصلنا إليها بعد رحلة توق وشوق ؟ هل المهابة التي شعرت بها لحظة رأيت أسوار كنيسة القيامة،

كان مردها إلى شعوري بالمبنى الهائل ، أم أن مرد الأمر إلى المعنى الكامن في واقعة القيامة ذاتها؟ كان الرواقيون في عصر الميلاد يعتقدون أن لاحاجة بهم إلى هيكل أو معبد، فإنما القداسة في النفس التي تعبُد وليست القداسة في مكان للعبادة يصنعه البنّاء والحدّاد"[٥٤٢]. وأعود وأقول بعد كل ما قرأت في أناجيل نجع حمّادي وما تعلمته في أخميم والإسكندرية والبحر الميت. هل قام يسوع من بين الأموات بالجسد؟ وكيف له وهو الإله حسب العقيدة الرسمية للإمبراطورية أن يموت بأيدي البشر، وهل الإنسان قادر على قتل الإله وتعذيبه وتعليقه بالمسامير فوق الصليب !

ما الحج سوى عودة إلى المكان المقدس الذي ولد فيه الكون المنظم والعالم في حدث بدئي أصلي مؤسس ، ولولا حدوث هذه الواقعة المؤسسة الأصلية لكان الحج بلا معنى. وما هذه العودة الشعائرية إلا فعل تكرار واستحضار طقسي لولادة العالم والكون الأصلية وتحيين لها عبر التعزيم الروحي، وتجديد لقدسية المكان وتكريس لها ، هذه القدسية هي التي تسمح لنا برؤية الطريق الصحيح والتوجه السليم . إن سر الحج هو في تحيين حادثة الخلق الأولى وظهور الكون والعالم . ويترتب على هذا الأمر **أن " العالم " حادث وليس قديم** ، لأن لحظة الخلق حسب هذه الأسطورة هي لحظة وعي وإدراك بفعل ترتيب العقل وأعْداده والتي تسمح له برؤية أعيان الأشياء، ومتى ظهرت أعيان الأشياء ظهر الإنسان ومعه العالم. هكذا يكون الحج الإسلامي تحيين طقسي واستحضار للكون الذي أقامه إبراهيم ممثلاً ببناء البيت.[543]

المراقبة الصارمة للإمبراطور وكنيسته الرسمية ؛ كنيسة الكهنة الآباء ، لكل فكر مناوئ، جعل الرهبان قلقين مني، وما اطمأنوا بعد لهذا الراهب المصري الذي هبط عليهم من دون رسالة توصية ، ومن دون إبانة عن سبب مجيئه، لو كنت قد أقمت داخل الكنيسة ، فما كانوا ليقبلوني بين الرهبان إلا بعد أعوام من الملاحظة ، ولو أقمت في المدينة كان سيقتلني صخب الناس!

---

542 ـ عباس محمود العقّاد: عبقرية المسيح ص 75

543 إن حدوث العالم يعني تاريخيته في الواقع وفي وعي الواقع. العالم في الديانة الطبيعية الكونية قديم، بعكس الديانات التاريخية/ديانة الأنبياء.

الموضع المقترح كان مناسباً فهو متوسط **بين المدينة والكنيسة** لا هو هنا ولا هو هناك ، هو مثلي أنا الإنسان بين بين. في كل الأحوال يفضل عدم الاقتراب من المقدس كثيراً لكي لا يفترسنا ، وعلينا بالمقابل عدم الابتعاد عنه كثيراً فنفقد بركته؛ المسافة هنا ، في هذه الأحوال مهمة. الاقتراب الشديد يعني الإعدام!

فمع نهاية القرن الأول بدأ آباء الكنيسة يحولون دورهم في الجماعات المسيحية من دور المشارك إلى دور قيادي، ويؤكدون سلطتهم في تفسير النصوص، لا بل في إصدار نصوص جديدة ، وحرّموا على أعضاء الجماعات الخروج على تعاليمهم أو الاختلاف معهم في تفسيراتهم. و اعتباراً من منتصف القرن الثاني للميلاد بدأ الآباء يوجهون انتقاداتهم لمن يخالفهم الرأي ويطلبون منهم الالتزام بتعاليمهم أو ترك الكنيسة. لقد بدأت الكنيسة تتحول إلى حزب للربّ تسيطر عليه عصبة كهنوتية بيروقراطية متسلطة .

وحتى يوضح الآباء ما يعتبر صحيحاً من الاعتقادات وما هو هرطقة فقد قاموا أولاً بتحديد الاعتقادات الزائفة (الأبوكريفية) حسب رأيهم ، ثم وضعوا قواعد الفكر السليم والاعتقاد المستقيم ألا وهي **"شهادة الإيمان"**. سوف نلاحظ كيف يتحدث هيبا في سيرته - نقلاً عن المبجّل الدكتور يوسف زيدان- عن الطيبة الموجودة عند الرهبان والكهنة وكيف كانوا نفعيين أكثر مما كانوا معتقدين مبدئيين ، يقول هيبا: معظمهم تقرب مني لما عرفوا بمزاولتي الطب وفن المعالجة ، لم يهتموا بكوني شاعراً. فقد اعتاد خدام الكنيسة والشمامسة والقسوس الصغار ، التودد إلي والتردد علي لطلب المداواة ." وعلى ما يبدو، وفي كل الأحوال فهذه هي سمة الأوقات التي يكون فيها الزمن خارج محاوره؛ أي خارج عن سكته ، ويكون الاستبداد والتسلط هو الطاغي، والظلم مخيّم والجور مقيم ، وقمع المخالفين للرأي الرسمي هو السائد.

يقول هيبا في سيرته الذاتية (ميمره): ولمّا هدأت نفسي قليلاً بعد شهور من إقامتي ، وسكتت شكوكي مع كثرة المحيطين بي من المؤمنين ، بدأت في

نظم التراتيل الكنسية بالسريانية، مستلهماً الروح السماوي الذي يجلل المكان ويملؤه رهبة.

ثم راح يدون ترنيمة طويلة هي خليط من فكرة المُخلِّص فوق الصليب ومن مذهب الإشراق والنور الفارسي الآسيوي، وفيها كلام عن بُعْدَي الصليب الرأسي والأفقي في إشارة إلى تقاطع الروح القدس النازل في انبساطه وتمثله صورة نفسية بشرية (إيقونة) ، وفي تحوله هذا إلى صورة النفس رحمة لكونه يظهر لنا نحن البشر على صورتنا فنأنس به ونطمئن[544].

ومع اقتراب الحادث المشؤوم (حادث حرمان المبجّل نسطور وعزله)، ومع تنامي التيارات المصرية والآرامية/ العربية المناهضة لشهادة الإيمان والمناهضة لتسلط آباء الكنيسة وطغيان الإمبراطورية الرومانية في روما وبيزنطة بدأ نجم العرب بالبزوغ تمهيداً لقيامة ومجيء الفارقليط أحمد أو محمد ؛ "وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد"[545]؛ أحمد يمسح عيسى بخاتم الأنبياء؛ أحمد في السماء ومحمّد في الأرض (ألف في الغيب وميم في الشهادة). وكل اسم منهما مكون من أربعة حروف . والميم تضارع الأربعين بحساب الجُمَّل العربي وهي كالباء صورة الألف؛ وهذا الأخير هو هيولى الحروف حسب التعبير الأرسطيّ ، الهيولي التي تحجبها الصورة وتخفيها كباطن لها.

يقول هيبا: مضت بي الأيام في أورشليم هادئة حانية ، رتيبة ، حتى مرّ شتاء العام الأربعين ومائة للشهداء.." كان الاضطهاد الشديد للأقباط في عهد دقلديانوس الإمبراطور الوثني الروماني واستشهاد أعداد غفيرة منهم قاربت المليون شهيد سنة *284* ميلادية جعل الأقباط يتخذون من هذه السنة نقطة بداية جديدة لهذا التقويم فاستبدلوا **ذكرى فيضان النيل** بذكرى **فيضان دماء الشهداء** وأطلقوا عليه تقويم الشهداء. وفي السنة الموافقة للسنة الأربعة وعشرين وأربعمائة للميلاد ، راحت المدينة تستعد لأعياد القيامة المجيدة

---

544 - طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى .. وما أنزلناك إلا رحمة للعالمين..

545 الصف / 6

وأسبوع الآلام. صرت أرى مزيداً من قوافل التجار العرب تحطّ في الساحة الممتدة أمام الكنيسة . وكثرت ألوان البضائع على رفوف دكاكين المدينة التي كانت من قبل خاوية .[546]

بين هذا الشتاء لسنة *424* م والسنة المشؤومة لحرم المبجل نسطور وعزله **سبع سنوات** وهو الوقت الذي استغرقه فيرجيل لإكمال أشعاره في "الزراعيات" أو الفلاحة . الزراعيات: مجموعة من القصائد لا يتعدى عدد أبياتها الألفين إلا قليلاً ، ومع ذلك فقد قضى فرجيل سبعة أعوام كاملة في إعدادها ومراجعتها وتنقيحها" [547] "قال تزرعون سبع سنين دأبا ". ثم يأتي من بعد سبع شداد " [548] ، ما يشير إلى افتتان فرجيل وتأثره بأنبياء مصر وآسيا الغربية. فآنياس بطل الأينيدة من أصل فروجي/ طروادي من آسيا الصغرى . والعذراء حاملة السنبلة رمزها العددي سبعة.

يكتب هيبا: من بين المواكب الكثيرة التي كانت تمر بي في طريقنا لزيارة الكنيسة ، كان لموكب مدينة إنطاكية والمصيصة مهابة خاصة . عشرات القسوس والرهبان والشمامسة يمشون بثوبهم الكنسي المهيب على بساط من وقار، يتقدمهم حامل الصليب الأنيق المزخرف حوافه بماء الذهب . ومن ورائه **بسبع** خطوات يسير على بساط الهيبة العلامة المفسر تيودور أسقف المصيصة. عند هذه النقطة علينا ذكر حاشية معلّقة من قبل المُبجَّل المترجم يوسف زيدان يقول فيها : عند هذا الموضع كُتب بقلم دقيق في هامش الرق باللغة العربية ؛ من العجائب التي جرت معي أنني قبل يومين رأيت في منامي قداسة الأسقف تيودور المفسر يبارك رحلتي هذه إلى أورشليم، ويدعوني للإقامة فيها بقية عمري. والأسقف واحد من أجلاء آباء كنيستنا وما نزال نقرأ في أديرتنا شروحاته على الأناجيل المقدسة وأعمال الرسل.

---

546 - إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور " فاطر/ 29 يا ايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم" الصف / 10

547 - الآينيدة –مذكور ص 44-45

548 - يوسف (12/ 47-48)

وهي مكتوبة بلغتها اليونانية الأصلية، ولم تترجم فيما نعلم إلى لغة العرب، الذين صرنا اليوم (القرن الخامس للميلاد) نعيش بينهم ونتكلم لغتهم.."

وهذه إشارة من المترجم إلى ظاهرة زيادة اختلاط العرب وتثاقفهم مع هذه الحركة الفكرية المسيحية الكبيرة التي هيمنت على حركة الفكر في حوض البحر المتوسط لقرون . كما تشير الحاشية إلى شعور هيبا وهو المصري الأصل بتصاعد انتمائه إلى الثقافة الآرامية / العربية ، وإلى إعجابه الكبير بأساقفة سوريا في مرعش والمصيصة وإنطاكيا . وتتضمن الحاشية أيضاً إشارة إلى أن الأناجيل الأصلية المبكّرة والتي كتبت في الإسكندرية وروما؛ كتبت باللغة اليونانية كونها كانت لغة الثقافة العالمية في القرن الأول الميلادي، إضافة إلى الأناجيل التي كتبت بالقبطية أصلاً أو ترجمت من اليونانية إلى القبطية . وقد ترجمت النصوص اليونانية إلى السريانية لا حقاً .

كان موكب مدينة إنطاكية ومن ورائه جمع غفير من المواطنين والموعوظين يرددون بلسان واحد: "أوصنا لابن داوود أوصنا في الأعالي ، مبارك الآتي باسم الرب" . كانت اللكنة آسيوية سورية حيث الآتي باسم الرب هو وريث داوود الملك . سوف تنتهز اليهودية السلفية هذا الخلط بين المسيح الآتي باسم الرب وبين ابن داوود لتظهر أن المسيح هو ابنٌ يهوديّ؛ مسيح يهوديّ. وقد راق لكنيسة روما الكاثوليكية هذا الخلط ، حيث جاء الكتاب المقدس ليضم كتاب العهد القديم وكتاب العهد الجديد في جلد أو مجلد واحد ، فيما تمرّد الغنوصيون المسيحيون على ذلك كما ظهر في الأناجيل القبطية في مكتبة نجع حمّادي ، وكذلك فعل العيسويون تقريباً في تمردهم على كهنة المعبد اليهودي في أورشليم فاعتزلوهم وما يعبدون إلا الله في كهوف البحر الميت، ووصموا كهنة المعبد بالأشرار؛ واحدهم الكاهن الشرير، هذا المعبد هو بعينه الذي دمّره الرومان سنة 70 ميلادية. يكتب هيبا: تمنيت لو جرى معي مثلما جرى مع الرجل ذي الملامح الكردية والزيّ الدمشقيّ . لي تلك الصبوة وليس لي ذلك الإقدام.

المهم في الأمر ، أن الرب بطرائقه السماوية الخفية يَسّر لي بعد يومين لقاء مع الأسقف تيودور من حيث لم أتوقع. كانت الطرائق السماوية الخفية للرب تتلخص في كوني طبيب معالج، والأسقف تيودور متعب ومرهق بفعل

المسير، وأن القس نسطور يريد أن يطمئن أكثر على صحة الأسقف المبجل تيودور. كانت تلك هي المرة الأولى التي أسمع فيها باسم نسطور، وسيكون ذلك هو اليوم الأول الذي أراه فيه.

كنت في زيّ رهبان أورشليم ، كان الكاهن الطيب قد أهداه لي قبلها بشهر واحد ، كعلامة على قبولي بينهم . عند الباب استقبلنا قس من المصيصة، سقانا ماء بارد شكرت عليه الرب . أحسست فجأة أنني مقبل على أمر عظيم لما دخلت مقر إقامة الأسقف حيث يمتد ممر طويل في أقصى يمينه باب أتاني منه صوت وقور هادئ حيث خُيّرت بين الدخول مع وجود الضيوف (الأضياف)[549] أو الانتظار حتى يخرجوا . فاخترت الدخول لأسمع. وبوقار ورفق فتح لي الباب . كانت الغرفة فسيحة ظليلة ، مسقوفة بالجريد وهواؤها طيب . وفي وسطها حصير مرشوش بالماء المطيب برَوْح الريحان ، وعلى جوانبها الأربعة أرائك مصفوفة يجلس عليها كلها رجال طيبون[550] رهبان وكهنة وشمامسة ، قرابة الأربعين رجلاً، تدل ملامحهم على أغلبهم من أهل الشمال؛ من سوريا الآرامية / العربية. بشرتهم بيضاء من غير سوء[551] ، ولحاهم مشرقة بالبياض والصفرة ، حتى إنني أنا الراهب المصري، الجنوبي خجلت من سمرتي وشحوبي ولحيتي الشعثة التي لا تدل على طبيب ماهر" . بالطبع الشمال والجنوب هنا مأخوذ نسبة إلى المدينة المقدسة ؛ بيت الرب/ أورشليم ، فإذا وقفتَ للحج بأورشليم ويممتَ وجهك نحو مطلع

---

549 - يقول أبو **الطيب** المتنبي :

ضيفٌ ألمّ برأسي غير محتشم ... السيف أحسن فعلاً منه بالّلمِمِ

فما أمر برسم لا أسائله ... ولا بذات خمار لا تريق دمي

550 - متكئين على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا" الإنسان/ 13 متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب" الكهف 31 هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون " يس/ 56 على الأرائك ينظرون . تعرف في وجوههم نضرة النعيم" المطففين /23 يطاف عليهم بكأس من معين . بيضاء لذة للشاربين" الصافات / 46

551 - ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين " الشعراء / 23

الشمس؛ نحو الشرق حيث العراق وشبه جزيرة العرب كانت إنطاكيا ذات الشمال والإسكندرية ذات اليمين .[552]

ولكوني في **حالة كالحلم**، لم ينتبه لدخولي الهادئ وجلوسي على الأريكة المواجهة لكرسيه من بعيد . جذبتني كلماته وانتبهت بكلي لمعانيه الدقيقة التي طالما استشعرتها في نفسي. كان يقول كلامه باليونانية ما ترجمته: من هذه الأرض المقدسة التي نتشرف بالحج إليها ، أيها الأحبة ، بدأ زمان **الإنسان الجديد**[553] . إن يسوع المسيح فاصل بين زمانين، **وهو مفتتح العهد الثاني للإنسانية**. الزمان الأول ابتدأ مع آدم والثاني بدأه المسيح يسوع: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب"[554]. ولكل زمان منهما طبيعة وأحكام كانت معلومة لإلهنا الرحيم منذ الأزل . الآب السماوي خلق آدم على صورته ، ليكون خالداً، غير أن آدم انخدع بوسوسة إبليس فعصى الرب القدوس وأكل من الشجرة المنهي عنها ، على أمل أن يصير إلهاً ، خدعه عزازيل اللعين بوسوسته. فأخطأ آدم وعوقب بالطرد من الجنة بحكم قدّوسية الرب الإله. وغلبت الرحمة على الرب فأرسل ابنه الوحيد يسوع المسيح في صورة بشرية كاملة ليفدي الإنسان ويخلص العالم من خطيئة آدم ، ويفتتح بتضحيته الزمن الجديد للإنسانية ويرسل من بعده التلاميذ الهادين لنا، المهدين إلينا الأناجيل (الكلمة المقدسة؛ الرمز المقدس) ، لأن الإنجيل معناه: الأخبار المفرحة، وبشرى بالعفو من العقوبة وغفران للخطايا ، هو تبرئة وتقديس وميراث سماوي ، صار معه عزازيل في خزي وصرنا مطوبين بفيض الرجاء " . ولقد غلبني الفضول لأعلق حاشية متنيّة على هذه الأقوال: أخطأ آدم حين ظن أن الثلاثة لجهة الشيئية هي الله أو الأمر الإلهي ، بالتالي اعتقد خطأ أن الأمر الإلهي كامن في **شيئية الكون** أو الصورة الحسية، بينما الأمر قدّوسي روحاني. جاء العهد الجديد وضحى بالجسدية أو الصورة البهيمية على مذبح تنزيه الأمر الإلهي ، لتغدو الصورة الجسدية أو الصورة

---

552 - و تحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد .. " 18/ 18 الكهف

553 - نشكرك يا يسوع المتألق ، ايها الدهر الجديد
تعال مع النعمة أيها الرب الجديد والفجر الجديد (مأخوذ من تراتيل مانوية)

554 - آل عمران / 59

الحسية صورة نفسية بشرية كاملة تستبطن على صورة الأمر الإلهي؛ صورة الحق، إن الخزي الذي أصاب عزازيل هو خزي الجسدية ، تماماً كما هو حال حقيقة القيمة؛ قيمة البضاعة التي هي فيما وراء جسد البضاعة. ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسداً ثم أناب "[555].

يتعرض الكتاب الرابع من أينيدة فرجيل لقصة الملكة ديدو. غرامها ويأسها بعد هجر آينياس لها ، وانتحارها بعد تصميم آينياس على الرحيل عن قرطاجة. هنا يصل آينياس إلى جزيرة صقلّية مع بداية الكتاب الخامس. وهنا يقيم الألعاب الطروادية والاحتفالات تكريماً لرفات والده أنخس ، ينتهي هذا الكتاب بإبحار آينياس فجأة وسقوط باليونورس في البحر صريعاً فداء للأسطول الطروادي. بعد ذلك ينتقل (يعبر) فرجيل من **المقدمات** إلى **جوهر الموضوع**/ عبر الكتاب السادس" ؛ فالحسيات معابر العقليات. فرجيل يظهر لنا ديالكتيك العبور من الحسي إلى العقلي مع الموت المأساوي لباليونوروس الذي ضحى بنفسه من أجل هذا/ وهذا الديالكتيك يظهر في مكان آخر ؛ عند عبور الوليد البشري من المستوى البيولوجي- الوثني إلى المستوى الثقافي- الرمزي حيث يغدو الوليد عبر الأوديب طفلاً بشرياً بالعبور من المستوى البيولوجي (وليد) إلى المستوى الثقافي (طفل الرجل) ، وهذا العبور موسّط بالنظام الثقافي. بالطبع لا يخلو هذا التحول أو الانتقال أو العبور من طابع مأساوي، إذ يضع الطفل هواجسه الخيالية على محك الرمزية؛ سكة الرمزية. إن العلاقة المزدوجة ما قبل الأوديب بين الوليد وأمه (الأنا- الآخر) *Alter-Ego* تغدو مع الأوديب آخراً مستبطناً داخل أنا الطفل ، وتظهر على مستوى الرمز؛ وهو الحل الذي يقدمه الأوديب لهذا الازدواج المعطل لانطلاقة الطفل نحو عالم "الرجولة"؛ إنها الموضوعية المعترف بها بمجرد استعمالها الرمزي. إن الظهور على مستوى الرمز ، يعني أن كل شيء في هذه المأساة النهائية يدور ضمن مادة لغة مكونة سلفاً (النظام الثقافي) الذي تشكل اللغة أداته الرمزية الأساسية ، وهي تتمركز كلياً في الأوديب وتنتظم وتنتصب حول الرمز *phallus* (القضيب؛ أو عضو الذكورة)؛ علامة الوالد؛ علامة الحقوق؛ علامة القانون؛ صورة خيالية لكل حق. نحن هنا أمام

---

555 - ص / 34

ديالكتيك العبور البشري من مستوى إغراء الخيال المزدوج (الوثنية أو الصورة الخارجية للأنا؛ صورة الأم) إلى مستوى الأوديب؛ والذي معناه الاعتراف الحياتي بالاندماج بالنظام الرمزي؛ والتحول إلى استبطان الآخر بتولياً وإظهاره بالرمز (هو؛ هي، أنت). هذه العملية موسّطة بطابع النظام الثقافي الذي يشكل علم اللغة قوانينه الشكلية (الصورية).[556] وكان يسوع المسيح قد تغلب على الشيطان في الصحراء، في صومه الذي امتد أربعين يوماً. والإنجيل من نجلت الشيء إذا أخرجته ، وولد الرجل نجله ، وإنجيل "إفعيل" كأن الله أظهر به عافياً من الحق دارساً" [557]

قال هيبا:"كان صوت الأسقف تيودور يتردد في جنبات الغرفة الفسيحة وقد خيم الخشوع على كل الجالسين وتعلقت عيونهم بالأسقف مثلما تعلقت به عيناي، ووددت ساعتها لو كنت قد بدأت دراستي اللاهوتية على يديه، واغترفت من ينبوع تعبيراته الرائعة التي تنفذ إلى القلب والعقل وتنقذ الروح من قلق الشكوك . ولما أضاف أسقف المصيصة تلك البلدة الطيبة التي بقلب الأناضول وقد صار صوته أكثر عذوبة ورنيناً في جنبات المجلس."

علينا أن نعقب إلى أن رحلة هيبا من صعيد مصر نحو الشمال باتجاه آسيا الغربية يفسر شكّه وهو يافع بالعقيدة المسيحية نتيجة مقتل والده الرهيب على يد رعاع المعتقدات من المسيحيين المتعصبين، وتفسر إعجابه الشديد بمفكري آسيا الغربية المسيحيين ذوي العقل الكبير والرحمة الواسعة . فإذا كنتم ناقمين على جور الإمبراطورية واستبدادها بالمفكرين المناهضين لعقيدتها الرسمية، وإذا كان زمنكم زمناً خارج محاوره، **اعبروا**[558] الجسر

---

556 للتوسع في هذا الموضوع راجع: دراسات لا إنسانوية –مذكور فصل : "فرويد ولاكان" ص 43

557 - تفسير غريب القران 36 والإنجيل عربيٌ مشتق من نجلت الشيء : استخرجته ، كأنه أمر أبرز وأظهر بما فيه. م5 / 296

558 - عبر أصل واحد؛ يدل على النفوذ والمضي في الشيء..عبور النهر يصير من عبر إلى عِبْر ومن الباب: عبر الرؤيا يعبرها عبْراً ، ويعبُرها تعبيراً.. كذلك مفسر الرؤيا يأخذ بها من وجه إلى وجه ، كأن يسأل عن الماء فيقول حياة ، ألا تراه قد عبر في هذا من شيء إلى شيء..الاعتبار والعبرة : كل واحد منهما عبر مساو لصاحبه ..

الممتد فوق آلام يسوع وقيامة الروح من موات الجسد، **وعلامة عبوركم هو العماد** ، الذي هو الولادة الروحية، يقول لنا: طوبى للحزانى كأنهم يُعَزون، طوبى للودعاء كأنهم يرثون الأرض. إنه يعدكم بملكوت السماء ليعطيكم أملاً ورجاء في زمن ظالم خارج محاوره . إنه يحرر العبارة ويخلصها من الإلتزام التاريخي بواقع لا يحتمل، فهو يعبر بها من الأرض نحو السماء ليجد هناك العزاء. طوبى لسكان السماء وويل لسكان الأرض رعايا إمبراطورية الطغيان والجور والظلم في الزمن الأغبر. علامة عبوركم هو العماد ؛ العماد ميلاد جديد ؛ هو قيامة للروح بموت الجسد ؛ هو ولادة ثانية ؛ خلاص وخلق جديد ؛ خلاص من الصورة الطبيعية/ الكونية وعبور وتحول إلى الصورة النفسية/ الروحية وظهورها بالرمز عبر الإنجيل أو الكتاب المقدس . هذا هو سر المعمودية. إن المرحلة الحسيّة هي المرض ولا بد من النذر لتخفيف آلامها تخفيفاً مؤقتاً، ولا بد من القربان المقدس على مذبح هذا العبور من الحسي نحو العقلي. تبين "أعمال توماس" الرسول بوضوح العناصر الغنوصية، حيث نجد أن الصلوات النذرية التي تسبق إنجاز الرسول لعملية التعميد وتناول القربان المقدس قد مثلتا ظاهرتين ذواتي نتيجة واحدة بالنسبة للمسيحيين السريان ، فمنذ البداية نجد أن التعويذة تخلص الإنسان لفترة قصيرة ، وتدفع عنه أرواح العذاب والمرض الشريرة ، غير أنه لا يتخلص ولا ينجو منها تماماً إلا بالتعميد، فالبتعميد تتم تقييد قوة الشياطين (فتنة الجسدية و الحسيات) ، بالتعميد فقط يتخلص الإنسان من الاثم وبالتالي من المرض "[559] فالصلوات النذرية تسبق طقوس تسلم الأسرار العرفانية أو تناول القربان المقدس والتضحية بالصورة البهيمية و التعميد والعبور من آلام الجسدية إلى غبطة العقل والعرفان، ويتبع تناول القربان المقدس عملية التعميد دائماً ، وعليه فإن المعمد حديثاً قد عرج إلى السماء وشارك في ثمار شجرة الحياة ، وكان هذا هو المسيح نفسه الذي اعتُبِر وجسده ثمرة الحياة ، ويقول إبراهيم أبو الكنيسة السريانية في إحدى تراتيله المكرسة للمعمدين حديثاً (تراتيل عيد الظهور: *17/13*) : "إن الفاكهة التي لم

والعِبْرة: الاعتبار بما مضى" مقاييس 4 ص 207، 209 [لقد كان في قصصهم عِبْرة..]"

559 ـ ماني والمانوية ، مذكور ص 28

يذقها آدم في الجنة، موضوعة الآن بابتهاج في أفواهكم" ويتطابق هذا الرأي مع "أعمال توماس" (الفقرة : 135) حيث يسمى القربان المقدس باسم "دواء الحياة"، واعتبر الدهن بالزيت في بعض المناسبات على أنه ذو فعالية مساوية، وعليه يبدو أن الماء لا يعتبر في "أعمال توماس" عنصراً هاماً للتعميد، كما أن الزيت قد ربط أيضاً مع صورة الجنة ، لأن الغنوصيين رأوها ترمز إلى الزيت من شجرة الحياة ، وتقول الصيغة الغنوصية المحفوظة في أصل *Contra Celsum VI ,27* ما يلي: "كنت مدهوناً بالزيت المضيء لشجرة الحياة"[560] وإذا ما قيل بأن يسوع قد أيقظ آدم *[أقيم Aqim]* ثم أعطاه ليأكل من فاكهة شجرة الحياة أو بمعنى آخر تركه يتناول الطعام من العشاء الرباني لما وجب التغاضي عن أن التصريف السببي لـ أقيم *Aqim* من قوم *qum* وهو فعل "يقف" ربما اشتمل على إشارة طقوسية لأن كلمة "أيقظ" أو "ينقذ" في لغة المندائيين والغنوصيين المسيحيين أتباع مرقيون تقابلها في الإغريقية *(Arnpeyeir)* وقد عنت ما عنته كلمة يُعمِّد في اللغة الآرامية (بعل الـ قوم *(pa'el of qum* زد على هذا أن من المهم ـ تبعاً للتقاليد المندائية ـ قيام هابيل ـ زيوا بتعميد أو تطهير آدم ، المخلوق الأول حيث مسحه بالزيت، ومنحه السرّين المقدسين بهتا *pihta* وممبوها *mambuha* . وهابيل زيوا أو هابيل المتألق في هذا المثال هو نظير تام لعيسو ـ زيوا أي يسوع المتألق، كما أن سلوكه يتطابق تماماً مع سلوك يسوع المتألق إزاء آدم في التقاليد المانوية، لذلك يمكن الافتراض أن ثيودور بارقونيه يزودنا بإشارة لا تتناول الاحتفال المانوي بالعشاء الرباني فحسب بل بالتعميد الذي كان منتشراً بين المانوية"[561].

والمانوية ديانة ذات تنظيم مزدوج اتباعها مقسمون إلى مجموعتين: مجموعة الرهبان أو المجتبين أو الصديقين، ومجموعة الدنيويين/ العلمانيين أو السمّاعين وهي تعيش حياة مدنية عادية غير متزمتة. وقد أكد بور في

---

560 - ماني والمانوية ، مذكور ص 28 إن الارتباط بين التعويذة والقربان المقدس والتعميد قد ورثته المسيحية السريانية في نصوصها الغنوصية من الديانات القديمة لبلاد الرافدين .

561 - ماني والمانوية – مذكور ص 138

دراسة له أن التباين كان شديداً بين "المجتبين" و "السماعين" إلى حد يمكن الافتراض أن شروطاً خاصة كانت موضوعة تحدد الدخول إلى دائرة "المجتبين". ويمكن أن نفترض أن الارتقاء قد أخذ شكل طقس تعميدي، ويمكن استخلاص هذا من كتابات القديس أوغسطين. إن هذا التعميد لم يكن تطهراً بالماء وإنما من المؤكد أنه تكوّن من المسح بالزيت ومسح الأيدي، وهكذا دل التعميد المقدس على أنه طقس ديني أولي يجري بواسطته التأكيد للذين تم قبولهم بين المجتبين على أنهم حرروا من الآثام، وتم تسلمهم للأسرار في وليمة مقدسة وهو الشرط اللازم لنيل عضوية جماعة الصديقين. إن تعميد الموت أو التطهير المسمى بمسح الأيدي ، أو طقس مسح الأيدي المانوي الذي يصبح المترهبون بواسطته أبناء للكنيسة، ليس سوى حركة رمزية تشير إلى موت الصورة البهيمية مع هذا التكريس الديني ومع هذا الصعود إلى مرتبة المجتبين.[562] ويعيد هذا إلى الذاكرة ما يسمى بالموت الجماعي لدى المندائيين وهو عبارة عن تعميد يقام في جماعة المصلين المندائيين للرجل الميت، ويتطابق مع القداس الأخير، ومن المحقق أن توارد هذه الفكار وتعاطفها مع ما هنالك من صلة عضوية بين صعود الروح وتعميد التطهير والدخول إلى الغرفة الزفافية موجود في الديانات المسيحية والغنوصية والمندائية والمانوية ، وهي تظهر حشداً للمفاهيم التي كانت قائمة قبل الديانة المسيحية ، والتي تظهر بوضوح كبير داخل الديانة المسيحية ذاتها لدى السريان وخاصة في الكنيسة النسطورية"[563]

قال هيبا: "يبدو أن رجفة خفيفة أخذتني حين لفظ الأسقف تيودور كلمة **المعمودية** رجفة لم يلحظها أحد إلا قس صبوح الوجه في **حدود الأربعين** من عمره جالس على يمين الأسقف ، عرفت بعدها أنه كان سبب استدعائي هو قس إنطاكي شهير، أصله من بلدة جرمانيقي (مرعش) اسمه الكنسي نسطور، وهو من أخلص تلاميذ الأسقف تيودور، ومن أشد المعجبين بتفسيراته للأناجيل." و *Nestor* باللاتينية تعني المُرْشد ، الحكيم الشيخ، الزعيم والسيد. إن ملاحظته للرجفة التي أخذتني مع ذكر كلمة المعمودية

---

562 - ماني والمانوية- مذكور ص 130، 132، 134، 135

563 - ماني والمانوية- مذكور ص 133-134

يعني أنه لاحظ قلقي وشكي بالمسيحية الرسمية الرومانية مع شهادة إيمانها وقانونها للإيمان وأرثوذكسيتها.

ما علينا من ذكره ، تتمة حديث تيودور بالرغم من الإعياء الذي بدا عليه، حيث أضاف: "ما كنا إلا موتى ، كتب آدم علينا الفناء بأن جعلنا جسداً أو صورة جسدية فحسب ، عرف الأشياء بسؤال ما هذا؟ فبقي إبليس خالداً بتأليه الصورة الجسدية ، حتى ظهر لنا الرب في المسيح بصورة بشرية تامة منزهة عن الجسدية فكانت فرصة للنجاة والخلود بالروح. وحرم إبليس وطرد من عالم العقل / الروح ؛ (قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها ..)[564]، في العهد الثاني للإنسان ؛ العهد الجديد، أصيب عزازيل بالخزي.

قال هيبا:"تململ قس عربي الملامح طاعن في السن فكأنما أراد أن يقول شيئاً ولما شجعه الأسقف تيودور سأله القس العربي عن أمر دقيق .." هذه على ما أعتقد إشارة من هيبا إلى انشغال العرب بالصراعات الفكرية والعقائدية بين تيارات الفكر المسيحي في القرن الخامس الميلادي. "حين مرّ نسطور من أمامي نظر نحوي بمودة صافية، كأنه يعرفني من زمن طويل. نظرته أربكتني، " كأنه يريد أن يقول لي : لقد مررت بالحالة التي تعاني منها اليوم وهذا أمر طبيعي في سياق الولادة الروحية والمعمودية والتحول. ولقد عانيت مما تعاني. فأنا أعرفك كمرحلة من مراحل تطور حياتي الروحية السابقة . إنك تذكرني بوجوداتي السابقة.

قال هيبا:"استدعوني بعد ساعات طويلة أمضيتها في الغرفة الفسيحة مع بعض الرهبان والقسوس . قدموا لي خلالها طبقاً مغطى بمنديل دمشقي مزركش، فيه خيرات من الفواكه الطيبة التي تثمر فوق أشجار الشمال"، أشجار سوريا أو آسيا الغربية عموماً. كم هو معجب بآسيا العربية ودمشق هذا الهيبا!! وكم هو معجب بالحضارة الآرامية/العربية وثقافتها!! لدرجة أنه أسبغ على الشمال كل شمائل الجنوب أو اليمين! كما أستعار عزازيل بعض سمات جناح جبريل. قال: فيما رحت أخرج بعض العقاقير من مخلاتي، كان الأسقف تيودور ينظر خلالها نحوي وكنت أنظر نحو أقدامي ؛ كنت متهيباً

---

564 - الأعراف / 13

لجلال حضرته. عندما دخل الخادم حاملاً القدح تناول منه نسطور شربة قبل أن يقدمه إلى الأسقف". ولكن لماذا كل هذا الحرص من قبل نسطور؟

لقد اغتالت الكنيسة الأرثوذكسية في الإسكندرية مدعومة من "نصير المسيحية" الرسمية الإمبراطور قسطنطين الأسقف آريوس من قبل بالسم سنة 336 ميلادية وهو في طريقه إلى القسطنطينية. يقول المُبجّل الدكتور يوسف زيدان: يهمنا هنا أن نورد قائمة بأسماء الأساقفة المعاصرين له (آريوس)، الذين وافقوه على رأيه، الذي عدته الكنيسة الأرثوذكسية هرطقة. وهي القائمة التي إذا تأملناها وجدناها تضم (فقط) أولئك الذين انتموا إلى المحيط الشامي/ العراقي ، الذي أشرنا مراراً إلى أن العقلية العربية كانت شائعة فيه ومهيمنة عليه . فقد شايع آريوس وقَبِل لاهوته ، بحسب ما هو ثابت في الوثائق الكنسية المعتمدة كل من: ثيودوتوس أسقف اللاذقية، باولينوس أسقف صور، اثناسيوس أسقف عين زربة (شمال الشام قريبة إلى المصيصة) ، غرغوري أسقف بيروت ، آيتيوس أسقف اللِّدْ ، وجميع أساقفة الشرق (الشام والعراق) عدا ثلاثة منهم فقط. ويجب هنا أن نلاحظ أن هذه الأسماء المذكورة هي أسماء كهنوتية (كنسية) اختارها هؤلاء الأساقفة عند رسامتهم قسوساً ورهباناً ، وقد كان لهم من قبلها أسماء أخرى (دنيوية) تم هجرانها . ولو عرفنا أسماءهم الأولى لظهرت لنا بوضوح أكثر الأصول العربية لهؤلاء الشوام والعراقيين من القسوس والأساقفة" [565]. بعد دراسته الأولى في الإسكندرية ارتحل آريوس إلى الشام ، وهناك بدأ الإشكال (الهرطوقي) الهائل المرتبط به ، في النصف الثاني من حياته وتحديداً بعد انتقاله إلى منطقة الشام ، والتفاف الناس حوله ، وإعجابهم بآرائه" [566] .

كان قلق نسطور على حياة الأسقف تيودور على أثر حادثة اغتيال آريوس المخجلة أمراً مبرراً. همّ الأسقف تيودور بارتشاف القدح وهو يقول: بوركت يا نسطور وبوركت أيها الأب الطبيب . ما اسمك؟ هيبا يا نيافة الأسقف . عجيب، متى اتخذت يا مصري هذا الاسم غير المصري ؟!

---

565 ـ يوسف زيدان اللاهوت العربي وأصول العنف-مذكور ص 117

566 ـ زيدان: اللاهوت العربي وأصول العنف-مذكور ص 115

إذا ترجمنا اسم هيبا إلى العربية كان من الفعل (هَيَبَ): كلمة إجلال ومخافة. ومنه رجل مهيب .."الإيمان هيوب" أو مهيب.. أهاب به كما يهيب الراعي بغنمه لتقف أو ترجع"[567] وعلينا أيضاً ذكر إجابة هيبا على سؤال الأسقف المبجل ، قال هيبا : بعد خروجي من الإسكندرية يا أبتِ. وتابع الأسقف تيودور سؤاله لهيبا ؛ معترضاً على حرص نسطور الأبوي على صحته، قائلاً: دعني أحادث الطبيب الراهب ، فأنا مرتاح للنظر إليه ، فالاندهاش البريء الساكن في عينيه يذكرني بالدهشة التي كنت أراها في عيني شقيق روحي يوحنا فم الذهب حين كنا صغاراً.

و يوحنا ذهبي الفم هذا واسمه باليونانية: Ἰωάννης ὁ Χρυσόστομος يوانوس خريسوستوموس، *(347-407 م)*، كان بطريرك القسطنطينية واشتهر كقديس ولاهوتي. عرف باليونانية بـ "فم الذهب" لفصاحته. يعرف بيوحنا الإنطاكي ، قديس وأب من أبهات الكنيسة اليونانية، وبطريرك قسطنطينية سنة *398* كان مصلحاً في الكنيسة وواعظاً كبيراً، حارب فساد الإمبراطور البيزنطي. وعقد مجمع السنديان الذي حكم بعزل ذهبى الفم واستبعاده، ووافق الإمبراطور. سعى المتآمرون لدى الإمبراطور لنقله من كوكوزة إلى بيتوس ، مع وعد للجند بمكافأة سخية إذا مات في الطريق. وقد كان حيث عامله الجنود بقسوة حتى أسلم الروح في كنيسة صغيرة في قومانة مدفون فيها الأسقف الشهيد باسيليكس، الذى ظهر له يقول تشدد وتقوّ يا أخي يوحنا، فإننا غدا نكون سويا. وقبل نياحته لبس ثوبا أبيضا وتناول الأسرار المقدسة، ونطق عبارته المفضلة (ليكن الله مباركا في كل شيء آمين). وكان هذا في **شهر توت** *(14 سبتمبر)* سنة *407*م.

قال نسطور: كما تحب يا صاحب النيافة. وأنت ياهيبا سأراك في الغرفة الكبيرة بعد أن تفرغا من حديثكما .

قال الأسقف تيودور: لا يا نسطور اجلس معنا ، وأنت يا هيبا قل لي أين ولدت ومتى دخلت الإسكندرية؟

---

567 - معجم مقاييس 6 ص 22

ونظراً لجو الإرهاب الفكري السائد تجاه قسوس آسيا الآرامية/ العربية، فقد أشار نسطور إلى الشمامسة الثلاثة والخادمين اللذين كانا عند الباب، فانصرفوا جميعاً. لم ينقطع حديثنا إلا حين دخل خادم النزل حاملاً طعام العشاء على طاولة خشبية قديمة ، وضعهما إلى جهة اليمين من سرير الأسقف . اعتدل تيودور عن اتكائه ودعانا للتحلّق حول مائدة الطعام مداعباً نسطور بقوله بالسريانية: قد تكون هذه اللقيمات هي العشاء الأخير بالنسبة لي". فالمؤمن حقاً يقول الدعابة ويمازح. كان الأكل طيباً شهياً ، ولما امتدحت مذاقه قال لي القس نسطور ممازحاً: هو طعام مبارك مطهو بالمزامير ، على نار التسبحة الهادئة! ابتسمنا لدعابته وعاد الأسقف للالتفات ناحيتي مشجعاً على ما كنت أحكيه . قال جعفر بن محمد للمفضل: من سألكم شيئاً يزيل عنكم الشك فاعطوه من نثارة موائدكم .. والمائدة الباب والنثارة العلم الذي يخرج منه"[568]

كنت قبلها قد أخبرته بمولدي في القرية التي بجنوب أسوان ، وبدراستي بنجع حمّادي وأخميم. سألني وهو يمضغ لقيمة قدمها له نسطور.

- هل درست المنطق يا ولدي؟

- نعم يا نيافة الأسقف ، درست المنطق في أخميم على يد رجل غير مسيحي، أصله من ناحية أسيوط ، كان ماهراً في الفلسفيات القديمة ، ومتبحّراً.

- هذا منطقي يا ولدي ، فمن هذه الناحية جاء أهم فيلسوف ، أتعرف يا هيبا من أقصد؟

- لا يا نيافة الأسقف لا أعرف

- قل له يا نسطور

- نيافته يقصد **أفلوطين**

- نعم يا أبتِ نسطور ، نعم

---

568 - الخصيبي: كتاب المائدة – مذكور ص 25

ابتسم نسطور وهو ينظر إليّ بطرف عينه ، بما معناه أنه أدرك أنني أحجمت عن الإجابة تأدباً مع الأسقف ، فنظرت إلى أصابع قدمي تهيباً وخجلاً . لم يلحظ الأسقف تيودور شيئاً من ذلك فقد كان يحلّق بنظره في سماء الغرفة. بدا لي كأنه يحدث نفسه أو يناجي رفيقه القديم يوحنا فم الذهب قائلاً: إنني أفكر كثيراً في أفلوطين ، وفي مصر فأرى أن كثيراً من أصول الديانة أتت من هناك ، لا من هنا (آسيا الآرامية/ العربية). الرهبنة ، حب الاستشهاد، علامة الصليب ، كلمة الإنجيل. فبينما ترجع كتابة أناجيل العهد الجديد إلى ما بعد عام 70 للميلاد نجد أن إنجيل توماس أو تحوتمس في المصرية القديمة يعود إلى عشرين عام قبل هذا، هكذا يصبح أقدم الأناجيل المعروفة حتى الآن[569] حتى الثالوث المقدس ، هي فكرة ظهرت أولاً بنصوع عند أفلوطين، وقد قال في كتاب "التاسوعات"..

لا أعرف كيف اندفعت فجأة فقلت بلا روية مقاطعاً تأملات الأسقف: لا يا أبتِ، ثالوث أفلوطين فلسفي، هو عنده: الواحد والعقل الأول والنفس الكلية، والثالوث في ديانتنا سماوي ربّاني: الآب والابن وروح القدس، وشتان بين الاثنين.

- مهلاً أيها الراهب ، لا يجوز لك أن تقاطع نيافة الأسقف هكذا. أوقفتني عبارة نسطور الحاسمة. لقد خجلت من نفسي كثيراً. لا عليك أيها الراهب، الشباب شعلة متأججة. وقد كنا مثلك. يا نسطور الحبيب اصحب الراهب الطبيب إلى الخارج وترفق معه فإني أحببته . لما خرجنا من النُّزُل سار من خلفنا اثنان من الشمامسة ورجل نحيل في حدود الأربعين من عمره ، أظنه من خدام أسقفية إنطاكية . مشوا خلفنا على مقربة ومشينا صامتين . نسطور يُسبّح[570] في خفوت وأنا خجلان في صمت. في منتصف الطريق فاتحني بالسؤال: هل قرأت يا هيبا كتاب أفلوطين المسمى التاسوعات ؟ فأجبته

---

569 - مخطوطات البحر الميت- مذكور ص 124

570 - قال أمير المؤمنين علي: تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح.." كتاب المائدة ص 20

بحذر: نعم يا ابتِ ، ودرسته عدة شهور في نجع حمّادي. ومعي نسخة منه يزيد عمرها عن مائة عام.

- جيد أحب أن أراها.

طمأنتني إجابته ، فطرحت عني بعض حذري ، وقد وددت أن يستمر بيننا الكلام، فقلت إن الكتاب في صومعتي، وعندي أيضاً كتاب آخر قد تحب أن تراه وهو كتاب آريوس الذي عنوانه "ثاليا"[571]

- ثاليا ! هي العمل الأساسي الشعري لآريوس ، الذي اختار له عنوان ثاليا أي "الوليمة الأدبية"، حيث يعرض تفصيلاً العلاقة بين الآب والأبن، عبر مجموعة قصائد وتراتيل. هذه القصيدة قرأناها من زمن في إنطاكية، وكنت أظن أن نسختنا هي الوحيدة التي نجت من الحرق . دعني على كل حال أرى نسختك، هل هي كاملة ؟

- نعم يا أبتِ ومكتوبة بالقبطية على ورق البردي

- بالقبطية ! عجيب، بكم لغة تقرأ ياهيبا .

أربع يا أبتِ اليونانية والعبرية والقبطية والآرامية ، وأحبها إلي قلبي الآرامية ، لأنها اللغة التي تكلم بها يسوع المسيح .

لم نعد نسميها الآرامية، بل نقول السريانية ليتميز زمانها المسيحي المبارك عن زمانها الأول الوثني واليهودي.

حفظك الرب يا هيبا .. بمناسبة كلام السيد المسيح ، هل لديك نسخة من إنجيل توماس؟ نعم يا أبتِ عندي أيضاً نسخة من إنجيل المصريين وإنجيل يهوذا وسفر الأسرار .. فأنا أحب اقتناء الكتب.

" فحسب مخطوطات نجع حمّادي هناك أناجيل أخرى غير الأناجيل الأربعة المعترف بها من الكنيسة ، متداولة منذ القرن الميلادي الأول وحتى القرن الرابع ، ومن أهم هذه الأناجيل: **إنجيل توماس** أو توما الذي يحتوي على

---

571 - اللاهوت العربي- مذكور ص 115

أقوال للسيد المسيح بنصها موجود في الأناجيل الأربعة المكرسة، وبعضها غير موجود . كذلك لدينا إنجيل مريم المجدلية وإنجيل المصريين وإنجيل فيليب، وإنجيل يهوذا[572] . إن مجموعة المزامير المسماة "مزامير توماس" هي جزء من الكنز القبطي الثمين من أوراق البردي المانوية المكتشفة في مدينة المعادي في مصر(قرب أسيوط) ، ومن المحتمل أن المزامير تعود بشكلها الحالي إلى حوالي *340* ميلادية ، وكما هو الأمر بالنسبة للقفالايا *kephalaia* يبدو أن النصوص الأصلية قد جرى تأليفها باللغة السريانية، وتمت ترجمتها إلى اللغة القبطية ، كما أن "توماس " صاحب المزامير معروف على أنه داعية للعقيدة المانوية أو كنيسة طيسفون."[573]

ابتسم المبجل نسطور وهو يقول إنني احتفظ بكل الكتب الممنوعة ! فقلت إن الكتب المسموح بها موجودة في الكنيسة. دعوته إلى صومعتي . أعجبته الفكرة فوافق ، وسعدت لذلك.

لم أكن أعلم أن هذه الجلسة التي طالت بنا إلى حدود الفجر سوف تُحوّل معها حياتي، وارتحل بعدها من أورشليم (بيت الرب المدينة المقدسة ومقصد الحُجّاج) إلى دير في الشمال حيث الوحدة والعزلة والغربة والشؤم . وشاءم به أخذ به نحو الشمال كما تقول العرب.

كان إحساسي بالرفاقية كبيراً بصحبة نسطور، ليلتها شعرت باطمئنان غامر وأنا معه . فتحت باب الصومعة وأضأت السراج الضئيل (النحيل) الذي كان معلقاً بالركن الأيمن وأبديت لضيفي الترحاب. نظر نسطور طويلاً في صورة العذراء المعلقة فوق سريري ، ولم يقل شيئاً لقد جال في فكره حين جال بعينيه في أرجاء الغرفة العهد الجديد الذي معناه التحول من الصورة الحسية للعذراء إلى الصورة النفسية المحررة من الجسدية الباطنية البتول، ولكون مصدرها واحد هو الروح القدس النازل من عند الآب السماوي، لم يعد مجال بعد للتعددية الوثنية . ولا لعبادة الأصنام ، ولا للحكام الآلهة- الأباطرة الأراكن، ولسوف يكون هناك شهداء على هذا الدرب الذي يناهض

---

572 - مخطوطات البحر الميت- مذكور ص 123

573 - راجع كتاب: ماني والمانوية ص 236

التمييز والجور والظلم. وقد تتعجب مني أيها القارئ لكون الصور نازلة من الآب السماوي، وعلي أن أذكرك بأن التحول من النمط البضاعي الصغير للإنتاج إلى النمط البضاعي الكبير والموسع كان بفعل نزول العلاقة الرأسمالية البورجوازية على جسد البضاعة في النمط الثاني البورجوازي، وليس نتيجة نمو "مادي" / جسدي وانبثاق وتوسع للبضاعة ذاتها في كثرة عديدها . العلاقة الرأسمالية أو أسلوب التملك البورجوازي نازل راكب على جسد البضاعة ما يؤدي إلى توسع هائل في السلع (البضائع).

قال نسطور: صومعتك نظيفة ومرتبة يا هيبا ، تدل على شخصيتك . أين الكتب التي حدثتني عنها ؟

ـ تحت السرير[574] الذي تجلس عليه يا أبتِ

نادني باسمي يا هيبا ، فكلنا أخوة، كلنا خراف ضعاف في حظيرة الرب.

ـ بل أنت يا أبتِ أقرب إلى الراعي .

ضحك نسطور بعذوبة نورانية، وهو يقوم ليسنح لي الفرصة لطي الكليم الدمشقي المنسوج من وبر الجمل، الكليم المزركش الذي ما يزال إلى الآن مفروشاً تحتي ، بل هو فرشتي الوحيدة منذ ذلك الزمان ."

ما زال هيبا إلى الآن مأخوذاً بالفراش الدمشقيّ، وبالثقافة الآرامية/ العربية التي باتت فراشه ومستقرّه؛ أي سكنه وسكينته الوحيدة.

"رفعت ألواح السرير فبدت الكتب ولفائف البردي . لما رفعت اللوحة الأخرى وانكشف كنزي المخبوء كله ، أطل نسطور من شبّاكي، ونادى على التابعين الثلاثة، وأمرهم بالعودة إلى النزل. ولشدة الاهتمام قال نسطور:

---

574 ـ سرّ: بجميع فروعه يعني إخفاء الشيء.. ومن الباب؛ السّر: النِّكاح (تسلّم الأسرار).. أسررت الشيء: أخفيته. وأسررته: أعلنته (ضد) ..والسُّرة: ما يبقى. ومن الباب : السَّرير: ما على الأكمة من الرمل.. أما الذي ذكرناه من الاستقرار فالسرير ، وجمعه سُرر ، وأسرّة . والسرير: خفض العيش ؛ لأن الإنسان يستقر عنده وعند دعته. وسرير الرأس: مستقرّه.. "مقاييس 3 ص 67-69

يبدو أني سأبيت عندك الليلة يا هيبا. قلت: يسعدني ذلك يا أبتِ المبجل ، سأنام أنا على هذه الأريكة. قال نسطور: لا أظن أن أحد منا سينام الليلة."

كنت ألتفت دوماً إلى ملامحه البهية المشرقة، ففي سماته صفاء ربّاني يفتقر إليه كثيرون من الرهبان ، الكبار منهم والصغار . كان نموذجاً سماوياً لما يجب أن يكون عليه رجل الفكر ورجل الدين . انتبهت إليه وهو يهز رأسه اندهاشاً. خطب شيشرون! يا لك من ماكر أيها الراهب المصري ، أنت تحب الفصاحة مثلنا، ومدينة الله، نعم يا أبتِ هذا المجلد الكبير هو كتاب الأسقف أوغسطين وهو الجزءان الأول والثاني منه فهو لم يتم الكتاب بعد.

أعرف يا هيبا، أعرف ، لكني أستغرب وصوله إليك ، هنا . يا أبتِ الحجاج يأتون معهم بكل جديد وقديم فيهدونني التمر ، و الكتب وأحياناً اشتريها منهم. "

يبدو أن للحج "منافع" أخرى غير تعزيم الإيمان وتعزيزه وتنقية النفس من عكر الشكوك والإحساس بأنك في بيتك المقدس من جديد لم تخرج منه أبداً ، من هذه المنافع انتقال الكتب والثقافات بين الشعوب والأمم .

سألني إن كنت أعرف دلالة تاريخ تأليف الكتاب *(413 ميلادية)* ، فنفيت تأدباً. طلبت منه التفضل علي بإخباري ، فاستدار نحوي وقد ازدادت ابتسامته إشراقاً وربّانية ، أخبرني بوقائع كنت **أعرفها ولا أربط بينها** . قال نسطور ما ملخصه: أوغسطين رجل مبارك. نعم، ولم يسبقه في أسقفية أفريقيا من هو مثله ، وربما لم يسكن مدينة هيبو؛ أي لم يسكن موطنه الأصلي ولم يخدم أبناء قومه ، بل خدم الإمبراطورية وكنيسة روما. من هو مثله في الفضل والهمة العالية . لكنه التحق بخدمة الرب متأخراً بعدما قضى معظم حياته جندياً، وخاض حروباً كثيرة . وفي العام العاشر بعد الأربعمائة للميلاد المجيد ، جرت الحرب التي سقطت فيها روما سقوطها المدوي بأيدي القوط وإن كانوا لم يخرّبوها ، كما كان متوقعاً منهم ، وروما كما تعلم عاصمة العالم ومدينة الدنيا، وإذا سقطت الدنيا تعالت السماء وفي مقابل سقوط مدينة الإنسان يكون المجد لمدينة الله. لقد أراد الأسقف أوغسطين بعدما أمعن فكره لسنوات ثلاث تلت سقوط روما المؤقت (أي في سنة *413* م

) أن يعلنه سقوطاً أبدياً ويعلن بعنوان كتابه أن مدينة الله لن تسقط أبداً مثلما سقطت مدينة الإنسان التي هي فانية بالضرورة ، وأراد أيضاً أن يبرئ المسيحية من اتهام الجهّال لها بأنها سبب السقوط المروع لروما."

هيبا سيقوم بمعاكسة سيرة أوغسطين تيمناً بمفكري آسيا الغربية الآراميين/ العرب المهرطقين الكافرين "بشهادة الإيمان" التي وضعها آباء الكنيسة لصالح الإمبراطورية والمُسلِّمين "بقانون الإيمان" الذي وضعته الكنيسة الرسمية في عهد الإمبراطورية البزنطية (روما الشرقية). من هنا كان من الواجب قلب حرف العلّة (الواو) في اسم هيبو مسقط رأس أوغسطين إلى حرف العلّة (ألف) في اسم هيبا . إنه نكوس هيبا من الصورة إلى الهيولى ومن الكون المسيحي إلى عماء التحير؛ أوغسطين من التحير والتقلب في تيارات المسيحية بما فيها المانوية إلى المسيحية الرسمية، وهيبا على العكس من المسيحية الرسمية إلى الشك المميت بها وبأفكارها وشهاداتها وقانونها الإيماني على درب آريوس ونسطور. الواو صورة الألف علامة الضم والرفع والوحدة والسيطرة، والألف عكسها علامة التطيّر والتحير! مرة أخرى: من نظام الكون إلى العماء والفوضى!

القديس أوغسطين هو سانت أوغستين أوف هيبو . اسمه باللاتينية أوريليوس أوغسطينوس هيبونيسيس *Aurelius Augustinus Hipponesis* ولد في *13* نوفمبر *354* م في تاجاست (سوق أهراس بالجزائر على مقربة من مدينة قسنطينة) توفي *28* أوغسطس *430* م في هيبو (عنّابة بالجزائر) ينحدر من أصول أمازيغية ، يعتبر أعظم آباء الكنيسة ؛ ودكتور الكنيسة الكاثوليكية. ثاني أهم شخصية أثرت في الفكر المسيحي بعد القديس بولس الرسول . كان أسقف مدينة هيبو (عنّابة) تأثر بالكثير من التيارات الفكرية (الفلسفية والدينية) في عصره وانتهى بالإيمان المسيحي الرسمي، على عكس هيبا الذي تأثر بالتيارات الفكرية في عصره وانتهى إلى الشك الرهيب بالمسيحية الرسمية أو المسيحية السائدة في عصره. كانت أمه نصرانية وأبوه وثنياً (مثله كمثل هيبا) سعى أوغسطين في شبابه إلى النجاح الدنيوي، واجتذبته عدة حركات غير الكاثوليكية كالمانوية؛ إن المصادمات في إفريقيا بين ممثلي العقيدة المانوية وبينه ، وهو المتحول حديثاً من الديانة المانوية إلى

الديانة المسيحية الرسمية، كانت عنيفة جداً. وقد وصف حياته الأولى والصراعات الروحية التي عانى منها في كتابه الشيّق "اعترافات" وهو واحد من أوائل السير الذاتية في الأدب *memoir* . وحسب شهادة أغسطين نفسه فإن الشيء الذي فتنه كان مقدرة الديانة المانوية الظاهرة بالإيحاء بتفسير كوني كامل محاولة أن تقدم في المنزلة الأولى تفسيراً معقولاً لجميع الظواهر. إن هذا الجمع بين الديانة والمعرفة وهذه التعليلات العقائدية قد كان قبل كل شيء ما أثّر على الخطيب الإفريقي الشاب واستحوذ عليه. كان يعتقد وهو مانوي أن المسيحيين قد جرى فرض الدين قبل العقل عليهم بينما هم أنفسهم لم يقبلوا أي بند من العقيدة إلا بعدما جرت مناقشته وإظهار صحته "[575]

لا شك أن هيبا كان قد قرأ كتاب "اعترافات "، وقرأ عن صراع أوغسطين مع شكوكه وعن مكابدته في رحلة الحياة . لكن هيبا سلك طريقاً خاصة معاكسة في الاتجاه لطريق أوغسطين . أوغسطين أصابه شك بمدينة الإنسان روما فاستعاض عنها بمدينة الله ، بينما هيبا أصابه الشك بمدينة الله التي يسيطر عليها الرومان والبيزنطيين ، وبمدينة الإنسان الإسكندرية التي تطرد وتحرم غالبية المصريين من نعيمها ورفاهها ، تطردهم كخدم بيوت محتقرين. لقد اتخذ هيبا في اعتقاده الإيماني طريقاً هابطة من المسيحية الرسمية (دين الإمبراطورية) نحو شكّه الرهيب ، ولم يبق لديه إلا أمل بعيد بمفكري آسيا الآراميين/ العرب.

في أوائل الثمانينات من القرن الرابع للميلاد عُلِّم أوغسطين البلاغة والخطابة في قرطاجة وروما ثم في ميلانو بإيطاليا، شجعه بعض أصدقائه على قراءة مؤلفات الفلاسفة المسماة الأفلاطونية المحدثة (الجديدة) وقد أقنعت هذه الكتابات ومواعظ القديس أمبروزو أسقف ميلانو أقنعت القديس أوغسطين باعتناق النصرانية . ولكن يالها من غرابة أن تحوّل قراءة أفلوطين وتلامذته أوغسطين نحو المسيحية الكاثوليكية، بينما أوقعت الشك في قلب هيبا بهذه الكنيسة ومسيحيتها الرسمية. في العام *387*م عَمَّدَ الأسقف أمبروزو أوغسطين، وبعد فترة قصيرة عاد إلى تاجاست حيث نظَّم جماعة

---

575 - ماني والمانوية – مذكور ص 158-159

من الرهبان . وفي عام *391* م سافر أوغسطين إلى مدينة هيبو (عنّابة) المجاورة حيث أقنعه جمهور المؤمنين النصارى بالبقاء ، حيث رُسم قسيساً في هيبو سنة *391* م وبعد عام *396* وحتى وفاته سنة *430* م عمل أسقفاً في هيبو (عنّابة) حاول التوفيق بين الفكر الأفلاطوني المحدث وبين العقيدة المسيحية الكاثوليكية.

ما أعجب اسم هيبا: *hippo- , hipp-* : بادئة معناها حصان.. *Hippocratic oath*: يمين أو قسم أبوقراط الطبيب .. *hippie, hippy*: الهيبّي أو الوجوديّ *hipped*: شديد الولع والافتتان .. *hip and thigh*: بقوة ومن غير رحمة. *hip*: ثمر الورد البري .. *hypo-* بادئة معناها نقص أو تحت أو أدنى، أقل من السويّ .. *hypn-* أو *hypno-* بادئة معناها نوم .. *hippea*: شديد الولع، مكتئب، محزون .. *hepato-* أو *hepat-* بادئة معناها كبد (خلق الإنسان في كَبَد).. *hepta* أو *hept* : مجموعة من سبعة ، بادئة معناها سبعة . و(هبت) قريبة من الكلمة الفارسية (هَفْت) التي تعني سبعة أيضاً.. *hep*: حسن الإلمام مطلع على أحدث التطورات أو مهتم بها.. *Heptateuch* (هيبتاتوك): الأسفار السبعة الأولى من التوراة.. والهِبَة: العطية (ولسوف يعطيك ربك فترضى)، والموهبة.

في كتاب أوغسطين الأطول "مدينة الله" يصور تاريخ البشرية كصراع بين الذي يعتمدون على الله (هو- نحن) وأولئك الذين يعتمدون على أنفسهم (أنا).

ثم سألني المبجل نسطور عن بقية كنزي المخبوء ، فأخرجت له الكيس الذي أحفظ فيه النصوص المصرية . راح يسألني عن عناوين الكتب ولفائف البردي القبطية. وبعدما نظر طويلاً في الترجمة القبطية لميمر *memoir* الرحلة المقدسة الذي كتبه الأسقف ثيوفيلوس السكندري، اكتست ملامح نسطور بالأسى، وأخذه شرود مفاجئ لم أدرِ له سبباً قلت: ميمر الرحلة المقدسة ميمر مشهور في مصر، الم تر أصله اليوناني يا أبتاه؟

رأيته، لكن أفكر يا هيبا في جرأة هذا الأسقف ، كيف له أن يحكي عن السيدة العذراء مريم المبجّلة ، ويورد عنها الأوصاف والأقوال غير مستند إلا لدعواه بأنه رآها في منامه."

ثاؤفيلوس *(385-412 م)* أسقف مدينة الإسكندرية دفن في كنيسة بوكاليا، وكان بطريرك الكنيسة المرقصيّة الثالث والعشرون في الإسكندرية. كان تلميذاً للأب أثناسيوس الرسولي. وضع ميامر كثيرة تيمناً بميامر الكتاب المنسوب خطأ إلى أرسطا طاليس الفيلسوف *(أثالوجيا) theology* أو في "القول على الربوبية ترجمة ابن ناعمة الحمصي؛ تفسير فرفوريوس الصوري" والأخير أبرز تلامذة أفلوطين، وأثالوجيا: عشر ميامر، يعتقد أن الكتاب يعود إلى أفلوطين لكون عبارته متماثلة مع عبارة كتاب "التاسوعات". ولثاؤفيلوس أو تيوفيلوس أقوال مفيدة في الحثّ على المحبة والرحمة!؟ والتحذير من الدنو من الأسرار الإلهية بدون استعداد وأقوال في القيامة والعذاب.

وثاؤفليوس كلمة من أصل يوناني تعني المحب لله، وهي مشتقة من ثيو الله وفيلو مُحبّ، خلف أثناسيوس الرسولي وسلف كيرُلُّس الكبير؛ ابن أخته. ارتبطت حياته بثلاثة أحداث هامة أولها؛ إبادة الوثنية في مصر، فظهر في صورة عنيفة مستبدة في تحويل البرابي الوثنية إلى كنائس. والثاني الصراع ضد أوريجينوس *(أوريجين)* الفيلسوف المسيحي السكندري ، والثالث مقاومته للقديس يوحنا فم الذهب.

ولد ثيوفيلوس من أبوين مسيحيين في مدينة ممفيس جنوب عين شمس وتيتم وهو طفل وله أخت صغيرة فقامت بتربيتهما جارية أثيوبية وثنية. هؤلاء اليتامى قساة وطغات عندما تسنح الفرصة ويحكمون! الصورة الموجودة على غلاف رواية عزازيل هي لثيوفيلوس وهي مأخوذة من الموقع الإلكتروني للأنبا تكلا . مكتوب تحتها بالإنكليزية والعربية. قداسة البابا المعظم القديس الأنبا ثيوفيلوس بابا الإسكندرية الثالث والعشرون ، ومعه الإنجيل المقدس في يده ، يقف ظافراً بجانب السيرابيم *(السيرابيوم Serapeum)* الصورة ترجع إلى سنة *391* م تقريباً في معبد **سير- آبيس** الوثني ، ويوجد صورة توضيحية جانبية تعود إلى بداية القرن الخامس ، ما يعني أن الصورة معاصرة للبابا السكندري .

امتاز حكم الإمبراطور ثيودوسييوس الأول *(379-394 م)* بضرب الوثنية، فاستقبل أسقف الإسكندرية "ثيوفيلوس" هذه البلاغات والقرارات الإمبراطورية بالتنكيل بالوثنيين بالفرح والسرور (تم استثناء اليهود من هذه القرارات الإمبراطورية)، وبادر في الحال لتطهير معبد (مِثرا) وتحطيم الأصنام بمعبد سير- آبيس الشهير ، وعرّض ما كان فيه لسخرية المسيحيين ، بالرغم من وجود الكثير من أهل المدينة الذين يكرمون هذا المعبد. استاء منهم جمهور عظيم ، وثار مدافعاً عن دينه وتقاليده ، فاصطدم الفريقان حتى سال الدم كالسيل ، إلا أن الوثنيين لقلة عددهم انهزموا ، وتوارى زعماءهم خوفاً من الحكام . قطع الجنود صنم سير- آبيس الخشبي بالفؤوس وأحرقوه إلا رجليه فقد كانتا من الرخام الضخم . ومع تدمير معبد سير- آبيس (السيرابيوم) تم تدمير السبعمائة ألف كتاب التي كانت فيه. كان ثيوفيلوس خصماً للآريوسيين والأوريجينيين ، وكان معادياً لليهود والوثنيين هو وخلفه كيرُلُّس؛ و هذا الأخير أحرق معابد اليهود في الإسكندرية وطردهم منها. لكن، من أوريجين هذا الذي يُكنُّ ثيوفيلوس لأفكاره كل هذا العداء؟

أوريجين السكندري *(185-254 م)* هو تلميذ كليمان السكندري حضر عليه في صباه ، ثم تعلّم على يد والده ، ثم حصّل علمه بنفسه ففاق أستاذه علماً وغزارة إنتاج وبُعْد أثر . هو أول مسيحي حاول أن يرسم الحدود بين العقل والوحي. وضع كتاباً فلسفياً ضمنه مذهباً في الوجود طغت عليه الأفكار اليونانية. ولد أوريجين في الإسكندرية في أسرة وثنية ما لبثت أن تنصّرت ، اسمه متصل بالأسطورة المصرية ومعناه (هِبَةُ حورس) كان أبوه مثقفاً يقتني مكتبة عامرة بالمؤلفات ، تعلّم أوريجين الكتاب المقدس على يده . كان عمره في السابعة عشرة عندما عصف بالكنيسة ذلك الاضطهاد الذي اضطر كليمان لوقف تعليمه ومغادرة مصر . اعتقل أبوه فيمن اعتقل وأراد هو أن يلتحق به فأمسكت به أمه بكل ما أوتيت من قوة ، فبقي على مضض . وكتب إلى أبيه رسالة حارة يحثه فيها على الثبات ويقول: لا تتخذ طريقاً آخر من أجلنا . أعدم أبوه وصودرت أملاكه ، ولزم أوريجين أمه وأخوة ستة أصغر منه. خلف كليمان على المدرسة المسيحية وعمره *18* سنة . في **الثلاثين** قصد روما لكنه عاد إلى الإسكندرية ، فتقاطر إليه التلاميذ من المدارس الفلسفية

والفرق الغنوصية . شُغل بمسألة البعث ، وكانت مثار خلاف شديد بين الكنيسة من جهة وبين الوثنيين والمسيحيين "الهراطقة" و"أصحاب البدع" من الجهة الأخرى. دوّن رسالة بهذا الخصوص وشعر برغبة في الاستزادة من الفلسفة فذهب إلى المدرسة الوثنية وكان يُعلّم فيها حينذاك أي حوالي سنة 220 ميلادية أمّونيوس ساكاس أحد مؤسسي الأفلاطونية الجديدة (المحدثة)، فأخذ عنه وعرف عنده أفلوطين . ويبدو أنه أخذ عن ساكاس الوجه المخالف للمسيحية في الأفلاطونية . لم تمتاز ثقافته الفلسفية عن ثقافة أستاذه كليمان لا في السعة ولا في الدقة والعمق (آراءه عن أرسطو والرواقيين وأبيقور) أعْرَف بأرسطو قليلاً من أستاذه كليمان . وقد كان أمّونيوس يعنى به ويحاول التوفيق بينه وبين أفلاطون . مضت أثنتا عشرة سنة، ليطلبه الوالي الروماني على جزيرة العرب ليتعلم منه المسيحية فيلبي الطلب، ثم طلب منه أسقف أورشليم وأسقف قيصرية أن يشرح الكتب المقدسة في الكنائس ففعل ، ثم رجع إلى الإسكندرية ولكن أسقفها حظر عليه التعليم لانحرافه عن العقيدة الرسمية. واستمر الحظر مع الأسقفان التاليان للإسكندرية مع أنهما كانا من تلاميذه. فرحل إلى فلسطين . وفيما هو هناك نشب اضطهاد هائل سنة 250 م فاعتقل وعُذّب عذاباً أليماً احتمله بشجاعة فائقة . ولكن صحته تأثرت تأثراً بليغاً فتوفي بمدينة صور، وكان قد أعلن عن رجوعه عن الأفكار التي هيجت السلطات الدينية عليه . معظم تآليفه شروح على الكتب المقدسة . فلكي يحقق نصوص هذه الكتب ومعانيها تعلم العبرية وقابل بين الترجمات اليونانية بعضها ببعض وبينها وبين الأصول ودوّن ذلك في صحائف مقسمة إلى أنهر بعدد النسخ المحققة. كتابه "المبادئ" متأثر بتعليم ساكاس وهو عبارة عن "قصة إلهية" تحكي عن صدور الكائنات عن الله فانصرافها عنه فهبوطها ، فعودتها إليه. يُقرّ أوريجين بالعقاب والثواب الآخرويين وبالبعث والحساب وبالملائكة، وأن إبليس كان ملكاً فتمرّد وأغوى ملائكة أخرى . كان يأخذ على العامة تصورهم الحسي لله والملائكة والنعيم والجحيم، وأنه أخذ على عاتقه أن يعرض تأويلاً للمسيحية أعمق من التصور الشائع لدى عامة المؤمنين.

يقول هيبا: شكرت الرب في نفسي لأنه أدار دفّة الحوار بعيداً عن سيرة الأسقف ثيوفيلوس وكتابه . فقد كنت وما زلت أضطرب قلقاً كلّما طرق سمعي ذكر أساقفة الإسكندرية.

قال نسطور: ما هذه اللفافة القبطية القديمة وما هذه الصور المرسومة فيها؟ لا شيء يا ابتِ إنه كتاب "الخروج إلى النهار" الذي يحكي عن يوم البعث، وعما يجب أن يشهد به الموتى على أنفسهم في حضرة الآلهة. بحسب المعتقد المصري القديم ، وتلك صور الآلهة ؛ الآلهة القديمة جداً . قال نسطور: صور بديعة، من هذا الرجل الممسك بعجلة الفخار؟ يسمونه خنوم[576] يا أبتِ الذي كان القدماء يعتقدون أنه يصنع البشر من طين الصلصال، ثم ينفخ فيهم آمون ليهبهم الحياة، عقيدة قديمة يا أبتِ. خنوم اسم عجيب هل يذكرك بشيء يا هيبا ؟ نعم يذكرني بأشياء ، لكن كيف عرفت يا أبتِ المبجل ؟ من اضطراب قلبك، بل أرى عيناك تكادان تدمعان.

لم يكن البوح يوماً من صفاتي، ولا الاطمئنان لأحد، غير أني رحت ليلتها أحكي لنسطور عن معبد الإله خنوم (هرمس) الذي يستقبل جريان النيل، عند الطرف الجنوبي من جزيرة ألفنتين الواقعة جنوب مصر بالقرب من أسوان. حكيت له عن المهابة المعتقة والقدسية المبثوثة في أرجاء المعبد وأسواره منذ قرون، وحكيت عن أبي الذي كان يحمل السمك كل يومين للكهنة الحزانى المتحصنين في المعبد منذ سنين. الكهنة المحصورين المتحسرين على اندثار ديانتهم مع انتشار عقيدة المسيح. كان أبي يصحبني في قاربه كلما زار المعبد ليقدم للكهنة نصف ما علق في شباكه من سمك خلال اليومين. كنا نذهب للمعبد خفية وقت الفجر. لم أستطع منع ما انفلت من دموعي حين وصفت له فزعي المهول في ذلك الفجر المروّع ، يوم كنت في التاسعة من عمري ، فقد تربّص بنا عوام المسيحيين عند المرسى الجنوبي القريب من بوابة المعبد كانوا يختبئون خلف الصخور من قبل رسو القارب، ثم اندفعوا نحونا كأشباح فرت من قعر الجحيم . قبل أن نفيق من هول منظرهم ، كانوا قد وصلوا إلينا من مكمنهم القريب ، فسحبوا أبي من قاربه ،

---

576 - خنوم أو أخنوخ أو هرمس في صعيد مصر

وجرّوه على الصخور ليقتلوه طعناً بالسكاكين الصدئة التي كانوا يخبئونها تحت ملابسهم الرثة. كنت أزوم متحصناً بانكماشي في زاوية القارب ، وكان أبي غير متحصن بشيء يصرخ تحت طعناتهم مستغيثاً بالإله الذي كان يؤمن به. كهنة خنوم أفزعتهم الأصوات التي شقت السكون، فاصطفوا بأعلى سور المعبد ينظرون إلى ما يجري تحتهم بوجل واضطراب. كانوا يرفعون أيديهم مبتهلين لآلهتهم ومستصرخين! ما كانوا يدركون أن الآلهة التي يعبدون قد ماتت منذ زمن بعيد، وأن دعاءهم الفزع لن يسمعه أحد، ولن يدرك عمق عذاباتي من بعد ذلك الفجر أحد. نظروا نحوي بعيون ذئاب قد ارتوت، و جاؤوا بالقارب فخطفوا مشنة السمك وقذفوا بها في وجه بوابة المعبد المقفل بإحكام ، ثم حملوا جثة أبي المهترئة فألقوا بها فوقها. أختلط دمه ولحمه وأسماكه بتراب الأرض التي ما عادت مقدسة. ثم تملكتهم نشوة الظفر والارتواء فتصايحوا وقد رفعوا أذرعتهم الملطخة بدم أبي، وراحوا و بأيديهم السكاكين الصدئة المضرجة بالدم يلوحون في وجه الكهنة المذعورين فوق السور. ثم مضوا متهللين بالترنيمة الشهيرة : المجد ليسوع المسيح والموت لأعداء الرب.

قال نسطور: بعد أن رسم علامة الصليب على رأسي اهدأ يا ولدي، حياتنا مليئة بالآلام والآثام ، أولئك الجهّال أرادوا الخلاص من موروث القهر بالقهر، ومن ميراث الاضطهاد بالاضطهاد ، وكنت أنت الضحية."

لم يدرك هؤلاء الجهلة الرعاع أن إقامة العدل لا تكون بالثأر، بل بإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح . إقامة العدل ورفع الجَوْر والظلم بالرحمة والعفو (لا تثريب عليكم اليوم). قم يا ولدي لنصلي معاً صلاة الرحمة.

أتاني صوت نسطور وقد تهدجت نبرته ، ولما رفعت رأسي عن صدره الحاني رأيت دموع تبلل لحيته ، ورأيت عينيه تحتقنان بالاحمرار. كان الأسى مبثوثاً في قسمات وجهه ومنعكساً على جبهته التي اكتست بأسف عميق.

بخشوع العذراء صلينا ، وأطلنا في الصلاة حتى جاء النور فصبغ سواد السماء زرقة عميقة.

في الوقت الممتد من بزوغ الضياء إلى ارتماء نور الصبح على الأرض من حولنا ، درنا مرتين في الفراغ الفسيح المحيط بأسوار[577] الكنيسة ، ثم سرنا إلى الجهة المقابلة حيث تتراص البيوت وتتلاحم لتطمئن."

والفجر فجران ، يقال للأول منهما " ذنب الِّسِرْحان" وهو الفجر الكاذب شُبّه بذنب السِّرْحان لأنه مستدق صاعد في غير اعتراض (وهو أشبه بلحظة الظاهر في ديالكتيك التعرّف والمعرفة والعرفان)، والفجر الثاني وهو" الفجر الصادق" الذي يستطير وينتشر وهو عمود الصبح "[578]

على وقع خطواتنا الهادئة حكى لي نسطور بعضاً من ذكريات طفولته في بلدة مرعش ، وشيئاً من وقائع شبابه في إنطاكية، وحكايات كانت بينه وبين أستاذه تيودور المصيصي ، وغير ذلك مما جرى معه خلال سنيّ حياته .

"لما فتحت جزءاً من شباكي انهمر النور فملأ جنبات روحي بإشراق مفاجئ من غير تمهيد.."

ولسوف يأتي هذا الإشراق بعد قرنين من الزمن من ناحية شبه جزيرة العرب؛ الإشراق الذي يتكلم كل اللغات من آرامية ويونانية ونبطية وقبطية وسريانية وعبرية وحميرية وجعزية بلغة عربية[579] .

كنت أعيد ترتيب الكنوز المخبوءة تحت سريري حين أخرجني من السكون طرق خفيف على الباب ، ومناداة اعتدت عليها أيامها. يا أبتِ الطبيب الراهب. كان الطارق رجلاً عربياً يلبس زي التجار، جاءني يشكو ماءً نزل بعينه اليسرى قبل سنين، وصار يغشى عينه اليمنى. سألني العربي يومها عن الأجر، فقلت عبارتي المعتادة ؛ أجري عند الرب. **فأنا لست سوى طبيب لهذه الأمة المريضة**. ولما أغلقت بابي وراء العربي عدت إلى عالمي

---

577 ـ قد تكون مفردة السورة في القرآن آتية من أسوار المدينة المقدسة أو بيت الرب

578 ـ أدب الكاتب ص 90

579 ـ بني هيكل القران واكتمل في الحرف السابع ؛ الحرف العربي ؛ وهو وجه من وجوه ما جاء في الحديث: "أُنزل القران على سبعة أحرف " وقوله: "إن أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون" وكذلك أنزلناه قراناً عربيا وصرفنا فيه من الوعيد. وقوله : وكذلك أنزلناه حكماً عربياً وقوله "و ننزل من القران ما هو شفاء ورحمة "

الداخلي المليء بشجون المسجون وبالإشراق الذي تملكني من غير تمهيد. وبعدما رتبت ما في الصومعة من متاع فقير خرجت قبيل العصر إلى ساحة الكنيسة." وبعد أن أسند هيبا رأسه إلى شجرة وارفة في الجانب الأيمن من الساحة ، وبعد أن أحس أنه يتماهى ويتوحد مع الشجرة الظليلة ، تذكر وقتها ما قرأه في أخميم من شذرات فيثاغورث حيث يقول الفيلسوف الصوفي: أنه تذكر في لحظة إشراق كثيراً من حيواته السابقة، منها حياة كانت روحه فيها شجرة. تمنيت ساعتها لو أصير شجرة وارفة الظلال وغير مثمرة. سيكون ظلي رحمة للذين سيستظلون بي بلا مقابل سأكون مأوى للمنهكين لا مطمعاً لطالبي الثمار. سأكون شجرة طوبى؛ إنه طلب الشفاعة من الطبيعة الأم والرغبة في التوحّد معها بعد أن خذلته عبارات التاريخ. ومدينة الإنسان وبعد طغيان الحكام من دينيين ودنيويين .

"ابتهلت يومها بحرقة الغريب عن دياره وعن ذاته ، وناديت في سري: يا إلهي الرحيم خذني الآن إليك وخلّصني من جسدي الفاني. الشجر أنقى من البشر، وأكثر حباً للإله. لو صرت هذه الشجرة سأنشر ظلي على المساكين."

وكم خطر لي أن الحيرة مملوءة بالرحمة؛ كنت في حيرة تمنع الدنيا من الظلم. وكم من "المحقين" طغاة مستبدون! إنه الطغيان واستحواذ "الفكرة المحقة".

انتبهت وابتهجت لمّا فوجئت بالقس نسطور جالساً بجواري. سألني برفق باللغة السريانية ، لا باليونانية التي هي لغته المعتادة، في أي بحر من الأفكار كنت غارقاً أيها المصري الطيب؟ كنت الآن أتمنى لو كنت الشجرة التي نستظل بها!

من أين يا ولدي تأتيك هذه الأفكار؟ من باطني العميق ، ومن الماضي البعيد. كان فيثاغورث يقول .. فيثاغورث .. هذا يا هيبا تراث وثني قديم . قلت له يا أبتِ ، هل ترى أن الوثنية كلها شر؟ قال نسطور: كانت أرواح الناس تخطئ الطريق في الأزمنة القديمة، حين يظنون أن العقل كاف لمعرفة الحقيقة من دون خلاص يأتيه من السماء."

يتحدث نسطور عن خلاص بطريق الوحي وتحقيقه في إقامة العدل على الأرض ورفع الظلم والجور. عدم كفاية العقل في سبيل تحقيق الخلاص يعني عدم كفاية التفسير ولا بد من تكملته بالتغيير . وإذا لم يحصل التغيير كان لدينا علم القلب أو التحقيق الذاتي لدى الصوفي بالاستشهاد والقتل على درب الحلاج والسهروردي. وعلينا أن نضيف أن الدين عزاء لعامة المؤمنين في الزمن الخارج عن سكته، بينما الفلسفة لا تستطيع أن تكون إلا للخاصّة.

"عفواً يا أبتِ المبجل. ولكن فيثاغورث كان روحاً طيبة مع أنه عاش زمناً وثنياً. قال نسطور: يجوز ذلك، من يدري فلعل الله بمشيئته النافذة أن يهيئ الإنسانية لمجيء بشارة الخلاص ببعض الإشراقات الممهدة للمسيح، وكلما اقترب زمانه كانت علامات مجيئه تتوالى وتكثر حتى كانت **علامته الكبرى** يوحنا المعمدان ، الصوت الصارخ في البرية.."

إن الخلاص الذي يتحدث عنه نسطور هو الخلاص من الجسدية وفتنتها والتي تحجب الإنسان عن معرفة الحق. يعترف كليمان السكندري بأن الفلاسفة والشعراء ، وبخاصة أفلاطون ، قد أدركوا بضع حقائق بإلهام من اللوغوس الإلهي، وأَخْذٍ عن التوراة ."[580] فقبل مجيء الرب كانت الفلسفة ضرورية لليونان كي يمارسوا العدالة، وهي الآن مفيدة للتقوى، وهي تمهيد ضروري للذين يأتون للإيمان عن طريق الاستدلال . إن الله مصدر كل حقيقة ، ومن الحقائق ما يصدر عنه بصفة أولية ، مثل حقائق العهد القديم والعهد الجديد، ومنها ما يصدر عنه بصفة ثانوية مثل الحقائق الفلسفية. إن الفلسفة هي "العهد" الخاص باليونان وأساس الدين المسيحي "[581] يقول انجلز: إن الدين العالمي الجديد، أي المسيحية، كان قد نشأ بدون ضجة، من خلط بين اللاهوت الشرقي المعمم، ولا سيما اليهودي وبين الفلسفة اليونانية المبتذلة، ولا سيما الفلسفة الرواقية"[582] ويقول القديس جوستين *(103-167)*

---

580 - يوسف كرم تاريخ الفلسفة ص 270

581 - يوسف كرم مرجع سابق ص 271

582 انجلز: لودفيغ فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية اللمانية (منتخبات ماركس-انجلز) الجزء2 ص 228

أشهر الثلاثة المحامين عن الدين في القرن الثاني للميلاد، والمولود في نابلس بفلسطين من أبوين وثنيين : الفلسفة لا تخلو من الحق على نقصها " وهو يعطي رأيين في ذلك. الأول يأخذه عن المفكرين اليهود وجمهور اليهود في الإسكندرية ، وهو أن الفلاسفة أخذوا عن الأنبياء؛ في كنعان ومصر، هذه الحجة ذات طابع قومي أو أقوامي. والرأي الثاني أو الحجة الثانية. وهي الأهم لأنها ذات طابع عالمي غير عنصري ولا أقوامي وهي الاعتراف للعقل الإنساني بطبيعة أصيلة وثابتة، وهي قدرته على كشف الحق ومعرفة الحقيقة. يقود الرأي الثاني لجوستين إلى أن المسيح ، كلمة الله أو اللوغوس (العقل الإلهي) ينير العقول البشرية منذ البدء؛ فأحصيت بعض بذوره واهتديت إلى الحق. العقل الإلهي هو النموذج البدئي الكلي بالحدس للعقل البشري[583]. كل ما يكشفه الفلاسفة من جميل هو من قبل اللوغوس، يظهر بعض جوانبه بما في ذلك ما اكتشف بالعقل الطبيعي (علوم الطبيعة). العدالة والفضيلة جميلتان. الذين عاشوا بحسب اللوغوس هم مسيحيون حتى لو كانوا في عصور الوثنية. (سقراط، هيراقليطس عند اليونان ، وإبراهيم وحنانيا عند البرابرة). لقد كان فرجيل علامة على العهد الجديد وعلى زمنه؛ فقد أصبح الشعر الرعوي (أشعار الرعاة) بفضل فرجيل أكثر رصانة وأشد تعقيداً ، أصبح يعبر عن الطبيعة بالرمز والألفاظ الغامضة ، بعد أن كانت تعبيرات هذا الشعر **مباشرةً**، طابعها البساطة والوضوح"[584] إن ظهور رعويات فرجيل (أناشيد الرعاة) هي علامة على عهد جديد، بل وساهمت مساهمة فعالة في خلقه، فاستقبلت (أناشيد الرعاة) كرمز يشهد لعهد جديد. فكل من هذين المجلدين الصغيرين ضئيل في محتوياته غير ناضج في صياغته ، ذاخر بما هو غير أصيل ، مليء بما هو مناهض للتقاليد البالية. ومع ذلك كان يبشر بنغمة جديدة ذاخرة بالحياة ؛ هي علامة على ظهور الطفل (يسوع المسيح).

أعجبني كلامه ورأيت فيه إجابة مقبولة لمشكلة طالما شغلتني. أعني سر ارتباط يسوع المسيح بابن خالته يوحنا المعمدان وهو الإنسان: كيف تسنى

---

583 - علّم آدم الأسماء كلّها

584 - من مقدمة الأينيدة لفرجيل

للإنسان أن يعمّد الإله؟/[585] وإذا أراد القارئ أن يعلم سر العلاقة بين ديونوسوس الإلهي ابن سمِلي من زيوس حفيد قدموس وابن خالته الحاكم الشاب بنثيوس المستبد الطاغية ذو العقل الفيزياوي الطبيعي عليه بالرجوع إلى كتابي "نقد النساء- قراءة في عابدات باخوس" .

سألت نسطور: يا سيدي ، هل تعتقد أن يسوع هو الله أم أنه رسول الله ؟ قال نسطور: المسيح يا هيبا مولود من بشر، والبشر لا تلد الآلهة . كيف نقول أن السيدة العذراء ولدت رباً، ونسجد لطفل عمره شهور، لأن المجوس سجدوا له/ المسيح معجزة ربانية ، إنسان ظهر لنا الله من خلاله ، ونزل فيه ليجعله بشارة الخلاص وعلامة العهد الجديد للإنسانية، مثلما أوضح لنا الأسقف تيودور أمس في مجلسه الذي رأيتك فيه لأول مرة. بشارة الخلاص؛ هي الخلاص من الجسدية ، ولعنة الجسدية.

بالمناسبة لماذا اضطربت روحك عندما أشار الأسقف إلى سر المعمودية؟ لم أجد حرجاً في البوح له بواحد من أخطر أسراري ، وقد عجبت وقتها من أن سرّي لم يدهشه. قلت: عندي شك في معموديتي . فأمي كانت تؤكد أنها عمدتني رضيعاً وأبي كان ينفي. لم أشأ يومها أن أخبره أنني عمدت نفسي، بعد خروجي من الإسكندرية. لم تبدأ ولادة هيبا الروحية إلا بعد مكابدته ومعاناته في الإسكندرية واتجاهه نحو بلاد آسيا الغربية الآرامية / العربية. قال نسطور بهدوء: لا عليك .. ولكن ، كيف صرت راهباً؟ انتظمت سنين في كنيسة أخميم الكبيرة ، رآني معلمي القس الأخميمي لائقاً بالرهبانية فرسمني حين التمست منه ذلك، ولم أكن قد أخبرته بشيء عن العماد، لأنني كنت قد نسيت أو تناسيت وقائع طفولتي.

قال نسطور: لا بأس يا هيبا، كثيرون غيرك تأخر عمادهم. ومنهم من صار مع الأيام أساقفة/ أمبروزو (أمبروزيوس) أسقف ميلانو (أستاذ أوغسطين القديس، ونكتاريوس أسقف القسطنطينية) لم يعمّدا إلا يوم رسما أسقفان. قسطنطين نفسه (الإمبراطور) لم يعمّد إلا على فراش الموت، وهو الملقب بمحبوب الإله وحامي الإيمان ونصير يسوع. لاحظت أن نسطور ذكر

---

585 - وهذا السؤال يصلح لطرح مشكل العلاقة بين ورقا بن نوفل والنبي محمد

الألقاب المسيحية للإمبراطور قسطنطين بنبرة تمتزج فيها السخرية بالأسى. أردت أن أعرف منه أكثر مما باح به . فقلت متفاخراً بما أعرفه مستفهماً عن المزيد. إن هذا الإمبراطور أدى للمسيحية خدمات جليلة نعيش اليوم في ظلها. فقد كان أهل ديننا في زمانه كله ضعفاء لا يزيد عددهم عن عشر سكان الإمبراطورية فصاروا اليوم أغلبية السكان في الإمبراطورية شرقاً وغرباً- بعد مائة عام فقط على المجمع الكنسي العالمي (المسكوني) الذي رئسه هذا الإمبراطور . أقصد يا أبتِ مجمع نيقية ، الذي حرم فيه آريوس لقوله أن المسيح إنساناً لا إله، وأن الله واحد لا شريك له في ألوهيته. كنت أتحرّق شوقاً لمعرفة رأيه في آريوس الذي اختلف فيه الناس وكرهته كنيسة الإسكندرية أكثر مما تكره الشيطان. إذن قم بنا نمشي نحو قصر إقامتنا، فإنني أودّ الاطمئنان على الأسقف تيودور.

كنا نمشي بخطى رتيبة ونتوقف أحياناً إذا ما انهمك نسطور في بيان نقطة دقيقة . وهكذا وصلنا بعد ساعة أو أكثر، قال لي خلالها ما أنا متردد الآن في تدوينه ، خاصة في هذه الأيام الحوالك المدلهمة. سأقوم لأنام .

النوم هبة إلهية لولاها لاجتاح العالم الجنون . كل ما في الكون ينام ن ويصحو وينام إلا آثامنا وذكرياتنا التي لم تنم قط . صحوت اليوم من نوم مليء بأحلام قوية ، كأنها الواقع . أم ترى واقعي هو الذي تهافت وبهت حتى صار أضغاثاً؟ صرت أشعر بأنفاس الموت قريبة مني حتى تكاد تلفحني . أتراني سأموت أثناء نومي، أم في الكنيسة أثناء الصلاة ؟

هناك نوعان من موت النفس: موت في المنام (الموت الفاسد) تموت النفس من الشك والحيرة حيث يختلط الواقع بالحلم والحلم بالواقع ؛ قوة الأحلام وبهتان الواقع ، وهناك موت حقّ أثناء الصلاة أي بحضرة الحق. يقول هيبا: أظن أن **خوفي من الانتماء** وليس إلحاح عزازيل هو دافعي للكتابة. أو لعلّي أودّ أن يصل صوتي إلى أبعد مما ينهيه الموت. في فترت بعيدة من حياتي، ومتباعدة كان إيماني يؤنسني ويملأ وجودي غبطة. واليوم تحيط بي الغيوم من كل جانب، وتهب في باطني الأعاصير تأزّني أزاً وتسوقني سوقا حتى تكاد تقتلعني من الكون كله. كيف سينتهي الحال بنسطور، بعد كل ما جرى

معه؟ وإلى أين تراني سأذهب بعد انتهاء هذا التدوين؟ وهل سأرى ثانية مرتا، ثم عرفت بعد رحيلها لوعة القلب وعصف الاشتياق ؟ ليتني منعتها من الذهاب إلى حلب، وأعفيتها من خطر الغناء الليلي وسط سكارى التجار وأراذل العرب، ولأعفيت نفسي مما أعانيه الآن .. عيناها الدامعتان لا تغيبان عني مذ رحلت ، وقلقي عليها لم يهدأ.

-أنت السبب يا هيبا ، أنت السبب فهي توسلت إليك أن تنقذها من ذلك وتنقذ نفسك ، لكنك ضعفت.

-عزازيل !

-نعم يا هيبا ، عزازيل الذي **يأتيك منك وفيك**

يبدو أنه ليس لدى كل من المسيحية الكاثوليكية وأفلوطين ثالوثه الخاص فحسب، بل بات لدى هيبا ثالوثه أيضاً ؛ ثالوث شيطاني : قلقي على مصير نسطور، وشغفي بمصير مرتا ، وطلات عزازيل المفاجئة أو نفسي الأخرى.

عزازيل حججه قوية وهو غالباً ما يغلبني .. أم تراني جرّأته عليّ لأنني حسبما يزعم ، أجلبه نحوي ، استدعيه بترددي الدائم وقلقي المزمن . صار الصبح قريباً ولا خطر مما أكتبه الآن . وقد أوشك هذا الرق أن يمتلئ . ولم يبق فيه غير هذه المساحة الصغيرة النقية من المداد، ولسوف أكتب فيها خلاصة ما سمعته يومها من نسطور. **سأكتبه بحرفي أنا** ؛ بالسريانية فيكون ملزماً لي لا حجة عليه. قال لي المبجل نسطور في أورشليم يومها بلفظه اليوناني البليغ ما ترجمته: الحقيقة يا هيبا أن الأمر كله تلبيس[586] ، فإبليس هو المحرك الرئيسي لكل ما جرى قبل مائة عام في مجمع نيقية . **أعني بإبليس شيطان السلطة الزمانية** التي تغلب سكرتها الناس، فينازعون الرب في

---

586 - لبس: أصل واحد يدل على مخالطة ومداخلة .. واللَّبْس: اختلاط الأمر .. واللَّبْس اختلاط الظلام.. ومن الباب ؛ اللباس وهي امرأة الرجل .. فيه ملبس، أي مستمتع .. م 5 / 230

سلطانه، ويتمزّعون[587] فيما بينهم ، فيفشلون فتذهب ريحهم بددا [588] ، تغلبهم أهواؤهم فيتحامقون ويخالفون روح الديانة ، سعياً لامتلاك حطام الدنيا الفانية. ما جرى يا هيبا في نيقيا باطل من تحته باطل ومن فوقه باطل. فالإمبراطور قسطنطين كان متعجلاً لإعلان ولايته على أهل الصليب، حتى أنه لم يصبر على دعوته المسكونية للمجمع إلى حين اكتمال مدينته الجديدة القسطنطينية ، فعقد المجمع في القرية المجاورة نيقية التي كانت لسوء اختيار موضعها تسمى أيامها مدينة العميان . وقبلها بعام واحد كان هذا الإمبراطور يقضي حياته مشغولاً بأمر وحيد هو تثبيت سلطانه بالحرب ضد قدامى رفاقه العسكريين . ولما انتهى من حروبه إلى الظفر بهم ، أراد الظفر بالولاية الدينية على رعاياه. فدعا كل رؤساء الكنائس للمجمع المسكوني، وأدار جلساته وتدخل في الحوار اللاهوتي، ثم أملى على الحاضرين من الأساقفة والقسوس القرارات ، مع أنه في ظني لم يقرأ كتاباً واحداً في اللاهوت المسيحي ، بل إنه لم يكن يعرف اللغة اليونانية التي كان يحتدم بها الحوار اللاهوتي بين الأساقفة في نيقية ، ولم يكن يهتم أصلاً بالخلاف اللاهوتي بين القس آريوس وأسقف الإسكندرية في زمانه، اسكندر . يظهر ذلك من رسالة الإمبراطور إليهما ، التي يصف فيها خلافهما حول طبيعة يسوع المسيح ، بأنه خلاف تافه وسوقي وأحمق ووضيع ، ويؤكد عليهما أن يحتفظا بآرائهما في باطنهما ، ولا يستغلان الناس . الرسالة مشهورة وفي الأسقفيات نسخ منها . ثم انتصر الإمبراطور للأسقف اسكندر ليضمن قمح مصر ومحصول العنب السنوي[589]. وحرم الراهب آريوس، وحرّمت تعاليمه، وحكم عليه بالهرطقة كي يرضي الأغلبية من الرعية، ويصير الإمبراطور بذلك نصير المسيحية."

---

587 - مزع: يدل على قطع وتقطع .. وفلان يتمزع من الغيظ ، أي يكاد يتقطع ..م 5 /318

588 - حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون " آل عمران / 152

589 - ليس للدين ماهية؛ فماهيته في الاقتصاد السياسي للإمبراطورية، وفي نمط الانتاج .. يوجد رجل في معون وأملاكه (ماهيته wesen) في الكرمل "

الأيديولوجيا السائدة هي فكرة الطبقة السائدة والحاكمة ، إن فكرة ألوهة المسيح وأمّه مريم تناسب الإمبراطور، لأنه بهذا تكون الكنيسة التابعة له، وهو من ورائها وسيطاً بين الإله الذي فوضهم من جهة وبين خضراء المؤمنين الرعايا. أما لو كان أخذ بفكرة آريوس فهذا معناه أن وساطة الكنيسة ومن وراءها الإمبراطور لاغية لأن الوسيط بين الإله والإنسان هو المسيح نفسه الروح القدس النازل من الآب المتعالي أو النازل من عالم الأمر إلى رعاياه المؤمنين؛ خرافه المؤمنة بالكلمة التي قالها يسوع. هكذا كانت فكرة آريوس تناهض احتكار الكنيسة الرسمية للوساطة بين الله والإنسان.

لم تكن حكمة آريوس سوى سلاح الحقيقة الذي سوف يقوض بهتان السلطة الغاشمة وطغيان الإمبراطورية البيزنطية واستبدادها. ولم تكن حكمة آريوس سوى القول بأن الحقيقة قابعة في المجتمع والتاريخ، وأن السلطة ليست سوى مظهراً (بنية فوقية) لهذه الحقيقة. وإذا ما استبدت السلطة وطغت وتجبرت على المجتمع والناس بمساعدة دين سلطة فما هذا سوى تلبيس؛ وهو ما عناه ديريدا نقلاً عن شكسبير "بالزمن خارج الوصل"، أو خروج الزمن عن محاوره (انحراف القطار عن سكته) ومجيء زمان الجَوْر والظلم . وتكون حكمة آريوس إيديولوجيا الثورة للمهمشين والمظلومين .الذين لن تكون ثورتهم وسعيهم للتغيير من أجل الثأر والانتقام من أعدائهم ، بل من أجل إقامة العدل وإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح برفع الظلم والجور، وإعادة الزمن إلى الوصل. إن حكمة آريوس تضيع اليوم على يد الجهلة الذين يزعمون أنهم أتباعه تماماً مثلما يضيّع التروتسكيون حكمة تروتسكي بحماقاتهم الفارغة وجملتهم الثورية الرومانسية الخاوية على عروشها. الجملة الثورية التي باتت صنماً وتمثالاً بديلاً عن الحقيقة في المجتمع والتاريخ المعاصر.

لقد ارتضى الإمبراطور قسطنطين قبل مائة عام باغتيال آريوس في وضح النهار؛ هي المواجهة بين دعاة الحق الاجتماعي التاريخي ودعاة الباطل والتسلط والبهتان والجور. كما أمر الإمبراطور بإحراق كتبه وبإحراق كل الأناجيل التي كانت بأيدي الناس والإبقاء على أربعة فقط هي المعروفة

بالأناجيل القانونية أو المكرّسة بقوة السلطة. لكن ما الذي تقصده بحكمة آريوس؟

استغرب عدم استغرابي مما قاله. لن أنسى ملامحه وهو يترفق في كلامه ليقول لي : أنني أدرك يا هيبا معنى دراستك اللاهوت في الإسكندرية، وأعرف كل ما علموك إياه هناك، وكل ما أعلموك به من أمر آريوس وآرائه التي يعدونها هرطقة . لكنني أرى الأمر من زاوية أخرى ؛ زاوية إنطاكية؛ زاوية آسيا الآرامية/العربية، تجاه عنصرية الإمبراطورية البيزنطية واستبدادها. الفكر التحرري المهرطق يهرب من الإسكندرية عاصمة الملح والقسوة وقاتلة المفكرين الأحرار ؛ مفكري الحقيقة في القرن الخامس الميلادي، حيث تدفعهم للهرب نحو أملهم الباقي آسيا الآرامية/ العربية .

كان آريوس رجلاً مفعماً بالمحبة والصدق والبركة . إن واقع حياته وتبتله وزهده ، كلها تؤكد ذلك . أما أقواله فلست أرى فيها إلا محاولة لتخليص ديانتنا من اعتقادات المصريين القدماء في آلهتهم ؛ تخليصها من بقايا الديانات الوثنية الكونية / الطبيعية كمرحلة بائدة للاعتقاد البشري جاءت مصالح الإمبراطورية في فارس وبيزنطة وجددتها وبعثتها من الرماد. فقد كان أجدادك المصريون يعتقدون في ثالوث إلهي زواياه: إيزيس وابنها حورس وزوجها أوزيريس الذي أنجبت منه حورس من دون مضاجعة (حبل بلا دنس؛ عذراء بتول). ولا يصلح عند الله أن يقال أنه ثالث ثلاثة ، الله يا هيبا واحد لا شريك له في ألوهيته لا حاكم ولا غيره . ولقد أراد آريوس أن يكون الدين لله وحده ، وألا يكون إلا في خدمة الحق والعدل ، وليس في خدمة أي سلطة أو أي سلطان.

لم يعترف آريوس بألوهية يسوع كشريك للإله الواحد ، بل أفشى سر الظهور الإلهي في المسيح. لقد اكتوى آريوس بنار الإسكندرية. ولما دعاه الإمبراطور من منفاه الطويل بأرض القوط ليوفّق قسراً بينه وبين أسقف الإسكندرية ، كي يضمن الهدوء ويرضي أساقفة المدينة العظمى المثمرة، جرى اغتياله بالسم. مات آريوس مسموماً . صمتَ وتلفتُّ حولي لم يكن يمرّ بالقرب منّا غير امرأتين تلبسان السواد ، وتسدلان على رأسيهما ستراً من

ذلك الذي تتحجب به اليهوديات . ولكن لا تنخدعوا فليس السواد هنا حداداً على موت آريوس ، ولا هو كتمان للأسرار ومنها كتمان سر موته المقدس، بل هو تعصب وتقيد حَرْفيّ بالشرع الذي باتت كلماته قيداً حديدياً كما هي الشريعة الإسلامية في أيامنا سيفاً مسلطاً على رقاب حرية الفكر والمفكرين الأحرار ، وقيداً ولباساً أسود تحبس فيه أجساد النساء وعقولهن .

قال نسطور: هذا هو الراجح عندي

ففي اليوم السابق على لقائه المرتقب مع الإمبراطور وأسقف الإسكندرية كان آريوس يسير ساعة الظهيرة (الخروج في وضح النهار) مع جماعة ، فدهمه مغص مفاجئ ، لا مقدمات له . فتنحى عن الطريق ليلبي نداء الطبيعة . فنزل منه دم كثير وقطع من لحم البطن وأجزاء من الأمعاء. ومات ميتة مخجلة . إذ سقط فوق ما سقط من بطنه . كان ذلك يوم سبت من أيام العام السادس بعد الثلاثين وثلاثمائة للميلاد قبل الغروب . لم يسمع الإله اليهودي (الإله- الحاكم ؛ إله الأراكنة الديموريج؛ الأعمى سيكلاس) بهذا الحدث المخجل في مسيرة البشرية نحو الحرية والحقيقة، إذ كان اليوم يوم سبت، وهو يوم راحته واستجمامه .

تنصّل منه أتباعه وأصدقاؤه ، وأدانه جميع الأساقفة وخرجوا عن آرائه في بيان وقّعوه للإمبراطور. اجتمع الأساقفة بعد وفاة آريوس بسبع سنين في إنطاكية أيام مجمع التدشين سنة *342* لمناسبة افتتاح الكنيسة الذهبية المثمّنة ، وصاغوا بياناً قالوا فيه بوضوح فاضح، إننا لم نكن يوماً من أتباع آريوس، وكيف يعقل ونحن أساقفة أن نسير وراء كلام قس!

وهكذا انتصرت الإسكندرية كما هو واضح من صورة ثيوفيلوس وبجانبه معبد السيرابيوم بعد "تطهيره" بتدميره.

وبمناسبة الإسكندرية، هل كنت حاضراً يا هيبا يوم مقتل الفيلسوفة هيباتيا؟ لكن عصف بي الأرق تلك الليلة مثلما يحدث معي كلما تذكرت الإسكندرية، وامتلأ فراشي شوكاً ملْحيّاً. اختلطت دموعي الدافقة بدعائي الحارّ: هبني يا إلهي ميلاداً جديداً أعيش به من غير ذاكرة ، أو فا قبضني إليك ، وأبعدني

عن هذا الكون وعن هذه المدينة المكونة من الملح والموت. غير أن الرب لم يستجب لدعائي واجتاحني بحر الذكريات السّكندرية.

الرق الثالث

ميمر1: في ذكر خروج هيبا من أخميم قاصداً الإسكندرية ساعة العصر واشتداد شمس شهر أبيب (تموز/ يوليو) التي لا تعرف الرحمة . وكيف جاء شاب مع قرد وصعدا النخلة العالية وكيف التقط الشاب من البلح الذي لم يفسده الدود ووضع حفنة منه في حجر جلبابه حائل اللون، وكيف ظن هيبا يومها أن الله أرسل هذا الشاب كبشارة؟ وكيف اعتقد أنه ربما يكون واحد من ملائكة السماء الذين يملؤون الأرض ويسيرون بين الناس من غير أن يعرفهم أحد. وكيف سأل نفسه : كيف يصحب الملاكَ قردٌ!

الرب يبني هيكله في اليوم السابع ، واليوم السابع هو أوان العصر، هذا البناء لا يعرف الرحمة ، فقانونه عنيد كالسيل المندفع والطبيعة الصارمة.

كان القدماء في أزمنة مجدهم يعتقدون أن الشمس مجلى لسطوع الإله رع الذي هو كبير آلهتهم ، آلهتهم التي اندثرت ومات ذكرها وذاكروها .

بناء هيكل الرب في العهد الجديد في أوان عصره لا رحمة فيه للوثنيين ، إنه صارم و متقدم بثبات لا يعرف الرحمة ولا الرأفة ؛ إنه التقدم الأخلاقي للتاريخ، تقدم الوعي بالحرية . ولكن ، يا لها من قسوة! ويا له من حزن!

ميمر2: ونحدثكم أيضاً كيف انتقل هيبا مع أهل قارب في عجلة من أمرهم عبر النيل إلى ليكوبوليس (أسيوط) التي تبعد مسافة يومين إلى الشمال من أخميم وتمتد بيوتها على خدّ النيل، وكيف رآها إشارة من الله تدعوه لزيارة الموضع المقدس بأسيوط ، يعني به ذلك المزار الذي في حضن الجبل المسمى قسقام حيث أقامت السيدة العذراء بطفلها يسوع المسيح أيام جاءت به إلى مصر هاربة من بطش الرومان .

وصلتُ أسيوط ظهيرة اليوم التالي . المدينة كبيرة جداً أهلها مسيحيون في معظمهم ، وبعضهم وثنيون . لكنهم على الجملة ناس طيبون ، ومساكنهم

رحبة ومتجاورة ، يومها ظننتها أكبر مدن الدنيا ! لم أكن قد دخلت الإسكندرية ولا أورشليم ولا إنطاكية.

"إن اكتشاف رزمة من ورق البردي المانوي الأصلي في عام *1930* باللغة القبطية قد مثل اكتشافاً أثرياً رئيسياً ، فقد تم اكتشاف هذه البردية في مدينة المعادي بالقرب من ليكوبوليس / أسيوط *Lycopolis* في مصر الوسطى، واشتملت المجموعة على تراتيل باسم "الكفالايا"(القفاليا) *kephalaia* أو "الفصول". وتبدو النصوص على انها ترجمات من اللغة السريانية إلى اللغة القبطية، وهي لغة المصريين الشعبية ، ومن المحتمل أن المبشرين المانويين قد حملوا معهم النسخ السريانية الأصلية إلى مصر، ومن الممكن أن "ليكوبوليس" كانت مركزاً للنشاط الديني الأبعد"[590]

لقد تولّد شكّي وتأسس من حادثة مقتل أبي الوثني على يد رعاع مسيحين في مسقط رأسي وزاد في الطين بلّة أمي المسيحية المتواطئة ضد أبي . إن مشهد القتل الهمجي الوحشي زرع بذرة الشك التي سوف تنمو على أرضية قراءاتي في أخميم حيث اطلعت على أمور بخصوص الدين الجديد زاد من شكوكي ودفعني للرحيل عن بلادي والسياحة في أقطار الأرض. متجهاً نحو الشمال الشرقي.

عزازيل في داخلي ، إنه مروادة نفسي ؛ نفسي تأزُّ كالقِدْر الذي يغلي من شدة النار في داخله، إبليس هو شكي وانقسام إرادتي . وعندما تأزّ النفس وتغلي كالقدر على النار ، نرى علامات خارجنا كثيرة بعضها ربّاني والآخر شيطاني من عزازيل اللعين . ولكن "فن الإشارات" هذا مصدره أزيز النفس وغليانها. وبدل أن تُسَكِّن الزيارة هواجسي، زادت من شكّي أكثر، فأنا في منتصف الطريق بين الشك واليقين. على أي حال، من أسيوط اتجهت غرباً إلى حيث الجبل الموحش الذي احتضن يوماً ، العائلة المقدسة، لم أجد الكثير لكني لم أندم على زيارة المكان.

---

590 ـ نغرين: ماني والمانوية – مذكور ص 224

ارتقيت إلى حضن الجبل فوجدت كنيسة فقيرة حولها بعض المباني المتهالكة التي شككت في أنها تعود إلى زمن السيدة العذراء ، بعض الرهبان المتوحدين كانوا يعيشون في ذاك الموقع الصغير الذي لم أشعر به بروحانية ، حسبما كنت قبلها أود وأتوقع . شعرت هناك بالوحشة . بعدما قضيت يومين هناك، عدت إلى أسيوط مع جماعة من زوار المكان، كانوا في حدود العشرة . في منتصف طريق عودتنا ، اقترب مني رجل متأنق في ملبسه ، عليه رغم حرّ النهار عباءة سوداء من الصوف الرقيق الناعم حوافها محلاة بخيوط من الحرير الأسود اللامع . استغربت هيئته ونظرته الماكرة ، كان لا يعلّق في عنقه الطويل صليب . لما التقت أعيننا ابتسم ، فازدادت هيئته مكراً ، ولمعت عيناه ذكاء . أخذني وجل منه **فأبطأت** خطاي . أبطأ خطوة حتى اقترب مني وتهيأ للكلام نظرت نحوه (التفتُّ) رغماً عنّي (قيل لإبليس اسجد، ولأحمد أنظر، هذا ما سجد وأحمد ما نظر؛ ما التفت يميناً ولا شمالاً). كان وجهه مليئاً ببقع البهاق البيضاء، التي زادتها سمرته وضوحاً. وباليونانية التي قلّما يستعملها الناس في تلك البلاد قال لي من غير تمهيد، ما معناه: كيف جاءت العذراء إلى هنا هاربة بوليدها بعد سنوات من وفاة الحاكم الذي يزعمون أنه كان يقتل أطفال اليهود؟ ولماذا عادت به إلى البلاد القاحلة الصفراء بعدما جاءت إلى وادي مصر الأخضر؟ قال ذلك بهدوء ماكر ثم انحرف عن طريق الجماعة **العائدة** إلى أسيوط فاتخذ سبيلاً إلى جهة الشمال الشرقي . وتوغل بين الحقول وأجمة **الغابة** المتناثرة حتى غاب عن ناظري. هذه الأبلسة/الشيطنة هي أثر ثقافة مفكري آسيا الآراميين/العرب لدى هيبا بخصوص قصص يسوع وأمه في الأناجيل المكّرسة.

إبليس يأخذ شكله حسب شكل الحضارة ودرجة تطورها، ففي مجتمع سوفياتي/ سلافي مصاب بالمرض البيروقراطي بكل امتيازاته وضيقه وانطوائيته، وبكل إعاقاته تجاه التطور التقني ورهابه من فتنة النقود و الاستهلاك الرأسماليين في أوربا الغربية يأخذ إبليس الشكل الذي رسمه بولغاكوف له في رواية "المعلم ومارغريتا"؛ يقول بولغاكوف: " لم يكن يعرج على أي من رجليه ، وأنه لم يكن قصير القامة ولا هائلها بل، بكل بساطة ، طويلها . أما أسنانه، فنصفها الأيسر كان ملبّساً بالبلاتين ونصفها الأيمن بالذهب . كان يرتدي بدلة رمادية ثمينة وينتعل حذاء أجنبياً من نفس

اللون ويميل قبعته الرمادية على أذنه **بفتوة** ويتأبط عصا (مِخْصر) ذات مقبض أسود على شكل رأس كلب. كان منظره يوحي بأنه في الأربعين أو تجاوزها قليلاً ذو فم ملتو ، وذقن محلوق بعناية، أسمر اللون. عينه اليمنى سوداء واليسرى لأمر ما خضراء . حاجباه اسودان إنما أحدهما أعلى من الآخر . وباختصار كان أجنبياً (غريباً)"[591]

لماذا أحكي كل هذه التفاصيل؟ يبدو أنها تؤرقني، إنه هاجسي الذي لا يفارقني. ولأن المسألة هنا هي الدافع لكتابة سيرتي الذاتية. فإبليس يوصف بالغريب واللعين وينعت بالماكر واللامع والمتأنق والأسود أو الأخضر والبارح والبطيء كحمار وقت اشتداد الحر ، وبالأبقع وهو تعدد في الألوان وهذا التعدد والتمزّق في الميول مولّد للشؤم فهو كالغراب الأبقع. والفعل (بقع) أصل واحد، وهو مخالفة الألوان بعضها بعضاً وذلك مثل الغراب الأبقع ، وهو الأسود في صدره بياض. ومصاب بالبهاق وهو خليط من أبيض وأسود (جناح أسود وجناح أبيض) ، وكان في غابر العصور ، وقديم الزمان مع الملائكة . إن **عدم عودته** مع العائدين إلى أسيوط أمر يمكن فهمه؛ فهو لا يعرف العود لأن العود أحمد(أبين) ، ولكن اتجاهه نحو الشمال الشرقي ، ما هي إلا إشارة لي هذه المرة كي أتابع الطريق نحو آسيا العربية/ الآرامية . ربما كانت من عمل الجناح الأبيض لعزازيل. فحركة النفس باتجاهين واحد للأعلى نحو العقل وعالمه وآخر للأسفل نحو الجسدية وتعددية عالم الحس .

بعدما قضيت بضعة أسابيع بين أديرتها وكنائسها ، حائراً، خرجت من أسيوط إلى الإسكندرية في مركب نهري يملكه تجار فقراء أصلهم من عين شمس (هيليوبوليس). كانوا قوماً طيبين لولا أنهم لا يكفون عن احتساء الخمر القوي، ولا يهدؤون عند سكرهم عن الغناء الهزلي الصاخب. كنت يومها أرتدي زي الرهبان المصريين، الذي صار اليوم ملزماً لكل الرهبان. توقيراً لردائي رفض أهل القارب ، بعد أن وافقوا على سفري معهم ، أن يأخذوا

---

591 ميخائيل بولغاكوف: المعلم ومرغريتا – رواية ، ترجمة يوسف حلاّق ، مراجعة عبد الله حبّة ، دار رادوغا موسكو ، 1990 ص 20-21

مني أجراً. قال أحدهم وكان بالطبع مسيحياً. يكفينا يأبانا أن تحلّ بركاتك بقاربنا ! كانت المرة الأولى التي يدعوني فيها أحدهم بالأب. يوم وصلنا إلى أقصى نقطة كانوا يقصدونها في شمال النيل ، سألني صاحب المركب عن وجهتي التالية ، فلما أخبرته نصحني: لا تدخل الإسكندرية في زيّ الرهبان، فأنت لا تعرف في هذا البلد الهائج، من سيلقاك أولاً ! وأهداني ثوباً من أثوابه. **يا للفقراء، دائماً يقدرون رجال الدين!** أدركت في لحظة إشراق أن الآب الذي في السماء أراد أن يوصل لي رسالة على لسان هذا الرجل. بقلب مفعم بالمحبة والامتنان دعوت لهم بالخير والبركة ثم أخذت سبيلي نحو الشمال الغربي بين حقول خضراء على مد النظر. لا جبال في دلتا النيل لتوقف نظرة المتلفت. أناسها طيبون تخرج نساءهم معهم إلى الحقول. بالقرب من بلدة اسمها تيمّن حور (دمنهور) وجدت جماعة من الفلاحين يقصدون الإسكندرية على حميرهم، فصحبتهم ولبست قميصاً مما نلبس في جنوب الوادي. كانوا عشرة رجال وسبعة بغال وثلاثة خراف وامرأتين، إحداهما عجوز ، كان دليلهم متفاصحاً لا يكف عن الكلام المتغامز وكانت إشاراته لا تخلو من فحش الوثنيين. سألني همساً عن ذهابي إلى الإسكندرية، وضحك لما قلت له ذاهب لطلب العلم: الإسكندرية مدينة العاهرات والذهب ! هل تنوي الإقامة هناك أيها الجنوبيّ؟

ـ حسبما يشاء الرب.

ـ أي رب فيهم يابن العم ؟ في الإسكندرية أرباب كثيرة ! المهم أن يكون لك قريب هناك ، وإلا ستعاني الكثير.

اشتدت حرارة الظهيرة. وكلما اقتربنا من الإسكندرية كان اللون الأخضر يتناقص ، وتتباعد الحقول مفسحة ما بينها للحجارة والرمال. كان ازدياد اللون الأصفر من حولنا مزعجاً لي. الأصفر لون الموت ، ولون الجدب، ولون معابد الآلهة المندثرة . لم أكن قبلها قد رأيت انبساط هذه الصفرة الكالحة على الأرض ، إلى آخر امتداد الأفق. عرفت بعد ساعة مسير، أن الكتلة الخضراء هي مستنقعات وأحراش تحفّ المدينة من جهة الجنوب، حيث البحيرات الضحلة اللصيقة بها والترعة الآتية إليها من فرع النيل

الكانوبي . وعرفت أن علينا الدوران لمسافة طويلة ، لندخل المدينة من الناحية الغربية، ومن بوابة لها يسمونها باب القمر ! هكذا عاد اللون الأصفر ليطغى على الأرض ثانية بعدما اكتسى مع مغيب الشمس حمرة خفيفة. بعد ساعة سير بدت لنا الإسكندرية كالحلم . قال لنا الفلاح الفصيح باستخفاف وهو يلكز بطن حماره بكعبيه، وينطلق : سألحق الأبواب قبل الغروب، فإني أبيت داخل المدينة !

كان كاهن الكنيسة الكبيرة في أخميم قد حكى لي أن الإسكندرية من يوم إنشائها ولزمن طويل تال ، لم تكن تسمح بمبيت أمثالنا نحن المصريين داخلها، ثم تغير الأمر مع مرور الأيام ، فصارت المدينة بعد انتشار ديانتنا مفتوحة للجميع. ما زلت أذكر هيئة الكاهن وهو يهز رأسه ويضيف يومها قائلاً بالقبطية الصعيدية ما معناه سيأتي اليوم الذي لا نسمح فيه للوثنيين ولليهود بالمبيت لا في الإسكندرية ولا في غيرها من المدن الكبيرة إطلاقاً. غداً سوف يكونون جميعاً خارج كل الأسوار وتكون المدن كلها لشعب الرب!

ولكن ياله من شعور رهيب بالثأر والانتقام! على كل حال إقامة العدل لا تكون بالثأر والانتقام من الخصوم والأعداء ، بل بوضع الأمور في نصابها وإقامة العدل لجميع البشر على اختلاف مذاهبهم وأفكارهم، وإعادة الزمن إلى سكته ومحاوره . فالحكاية ليست في وجود يهودي أو وثني أو مسيحي، المسألة في وجود إمبراطورية الظلم والجور وغياب وجود حكم العدل والمساواة بين البشر. هنا الوردة فلترقص هنا. في السياسة وليس في الدين؛ في الاقتصاد السياسي للإمبراطورية، وفي نمط إنتاج الحياة المادية يكمن سر العداوة والثأرية والتكفير والعنف الماسخ المميت، المنفلت من عقاله.

قلت في نفسي لا بأس سأدخل المدينة في صورتي الأصلية؛ إنسان لا غير من جنوب الوادي كان أبوه يصطاد أسماك النيل ، ويتجنب التماسيح وأفراس النهر *hippocampus* ، أنا من هؤلاء الذين يملؤون المكان من حولي ولا يحميني إلا أن اندسّ بين خراف الربّ هؤلاء وألوذ بهم. انزويت بطرف الخيمة الرحيبة ، منهكاً تحسست في جوف مخلاتي الرسالة التي بعثها معي القس الأخميميّ الذي رسمني راهباً إلى صديقه القس يوانس الليبي المقيم في

الكنيسة الكبيرة المسماة كنيسة القمحة أو الكنيسة المرقصية تيمناً بمرقص الرسول صاحب الإنجيل الذي بشّر بالمدينة وقتله حكامها. فكروبيوس أسقف "قيصرية" في كتابه عن تاريخ الكنيسة الذي وضعه خلال القرن الرابع قال أن القديس مرقص الإنجيلي صاحب ثاني أناجيل العهد الجديد هو الذي أقام أول كنيسة في الإسكندرية إلا أن الباحثين الدينيين مصممون على أن هذه الكنيسة كانت وقفاً على اليهود واليونانيين من دون المصريين. ويعتبر الأقباط المصريون أن القديس مرقص هو مؤسس كنيستهم[592] ويقولون أنه مات مقتولاً في الإسكندرية عام 63 م وقد تم دفن جسده تحت مذبح كنيسة بطريركية الإسكندرية القديمة" [593]

إن هي إلا محاولات المتعصبين للثقافة اليونانية- الرومانية/ الأوربية من مثقفي الغرب لإظهار مرقص وكأنه ليس مصرياً ، وهي تندرج في السياق العام لتهميش الثقافة الآرامية/ العربية ـ المصرية منذ قرون عديدة.

يحدد يوسيبيوس وصول مرقص إلى مصر بأنه كان في أوائل حكم الإمبراطور كلوديوس الروماني ؛ أي في أربعينيات القرن الأول الميلادي. وذلك قبل أن يبدأ بولس الرسول رحلاته التبشيرية ، فالكنيسة المصرية أسبق من بقية الكنائس . إن كتاب أعمال الرسل من كتب العهد الجديد ليحدّث عن خروج المبشرين المسيحيين من مصر لنشر المسيحية في العالم الروماني . فقد جاء في الإصحاح الثامن عشر أن شخصاً اسمه أبلوس وصل إلى مدينة أفسس على الضفة الآسيوية للبحر الأسود وكان اسكندري الجنس، رجل فصيح مقتدر في الكتب . فمنذ قيام الدولة البطلمية في القرن الثالث قبل الميلاد أصبحت اللغة اليونانية مستخدمة إلى جانب اللغة المصرية القديمة في الكتابة بسبب الأصل الإغريقي للأسرة الحاكمة ، كما أن اليونانية كانت قد أصبحت منذ ذلك الوقت لغة التخاطب العالمي بين الشعوب" [594]

---

592 - مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 161

593 - مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 162

594 - مخطوطات البحر الميت-مذكور ص160

تفوتنا في الطريق أشياء كثيرة ، بلاد مصر مليئة بالعجائب وبالمعجزات، وكذلك بلاد العرب لأنها مليئة "بالمؤمنين". يبدأ ابن إياس روايته عن عجائب مصر عن القضاعي نقلاً عن الجاحظ الذي ذكر أن عجائب الدنيا ثلاثون، عشرة منها في سائر الدنيا والباقي منها في مصر. منها الأهرام وصنم الأهرام (يقصد تمثال أبي الهول) حيث يذكر أن **الصابئة (صابئة القرآن)** كانت تحج إلى أبي الهول وتقرّب إليه الديوك البيض ويبخّرون حوله بالضُّحى لبان الشرب وصنم على هيئة امرأة في حِجْرها مولود من حجر الصوّان، وكان الناس يسمونه سرية أبي الهول. ومن الأعاجيب بوبا(معبد) سمنود، وبربا أخميم ، وهي عجيبة من العجب ، بما فيه من الصور والعجائب ، وكان به صور الملوك الذين ملكوا مصر، وكان ذو النون المصري يقرأ ما على الحيطان من الحكم والعجائب فأفسد أكثرها وسدّ بابها. ومنه بربا دندرة ، وهو بربا عجيب فيه ثمانون كوة تدخل الشمس كل يوم من كوة منها حتى تنتهي آخرها ثم تكرر راجعة إلى موضع بدأت منه"[595]

منعني من النوم ليلتها توالي المشاهد التي مررت بها في حياتي .. نظرة أمي الفزعة، حين أخبرتها بعلمي بأنها أوشت بأبي لدى أقاربها من جهّال أهل الصليب .. جريت من أمامها ولم تستطع اللحاق بي، ولم أرها بعد ذلك اليوم قط، بكائي الحار يوم علمت بزواجها من أحد أقاربها الذين قتلوا أبي. صورة بيتنا الذي هربت منه، وهجرته أمي بعد هروبي وزواجها.. يوم ارتميت في حضن عمي الذي جاء يبحث عني فرأيته في إهاب المخلِّص.. التحاقي بالمدرسة الكبيرة في نجع حمّادي حيث كنت في الحادية عشرة من عمري. زوجة عمي النوبية الأصل، رائحة طبخها الشهي قبل الغروب.

ميمر3: في ذكر كيف دخل الخيمة قس ضخم أجش الصوت وبدأ يزعق في خطبة حيث باركنا ووعظنا وختم عظته بالقول: أحبّوا أخوانكم وأقاربكم، وأولادكم ، وأحبّوا أعداءكم". وكيف همس بالقرب مني فلاح خبيث النظرات

---

595 - ابن إياس : مختصر كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور، اختصار وتقديم : مدحت الجيّار ص 29

ساخراً من الخراف الضالة التي حوله. وهل سيحبّ سيده كيرُلُّس إخوانه اليهود ، أو خصومه القسوس من غرب آسيا الآرامية/العربية ومن مصر وليبيا والجزائر؟ طبعاً، لقد بلغ حبّ كيرلس لليهود إلى درجة طردهم خارج أسوار الإسكندرية ، ووبلغ حبه لقسوس آسيا الغربية في العراق والشام إلى درجة الحرمان والطرد من الكنيسة والاتهام بالهرطقة والمروق على الدين. وقال بما معناه في آخر عظته. ياأبناء الله بيت الربّ مفتوح لكم ، فتعالوا إلى الكنيسة صبيحة الأحد ، واحصلوا على البركة. بالطبع كانت الكنيسة الرسمية ووفقاً لمبدأ تأليه يسوع وأمه مريم ، قد كرّست من قبل الإمبراطور كبيت وحيد للرب، ومصدر أوحد للحصول على البركة!

في ساعة مبكرة من الصباح يعرفونها اتجهوا إلى بوابة المدينة أدهشني أن البوابة لم تكن خلال الليل مغلقة ! بل هي لا تغلق أبداً. ومصراعاها المفتوحان مطمور أسفلهما برمال متحجرة وصدأ ملحي ، بما يدل على أنها لم تغلق منذ سنوات بعيدة. فلماذا يبيت هؤلاء الناس خارج الأسوار؟ أخذني نهر الفقراء الدافق نحو البوابة كانوا يسيرون بخطى مثقلة، لم يتدافعوا مشيت معهم تاركاً نفسي لتيار النهر البائس المستسلم لمشيئة الرب. وجوه الداخلين شاحبة، ملابسهم قديمة ونظيفة، تتخللهم غبطة خفية لا تشي هيئتهم بها .. تحققت لوهلة خاطفة بأن هؤلاء جميعاً مسيحيين ووثنيين هم أبناء الرب؛ هنا الوردة !

لا أتذكر أني رأيت ابتسامة واحدة يوم دخولي بوابة القمر. الإسكندرية هائلة عظيمة الاتساع ، امتصت شوارعها نهر الداخلين بيسر كأنهم نمل يدلف في شق صخرة عظيمة . الطرق مبلطة بأحجار صغيرة ، رمادية على حواف معظم الشوارع أرصفة .. الشوارع نظيفة كأنها عروس تغتسل كل ليلة فتصبح مستبشرة . الكادحون يغسلونها كل ليلة ويبيتون خارج أسوارها.

لم تدهشني ضخامة بيوت الإسكندرية وكنائسها ، فقد رأيت في مصر من المعابد القديمة ما هو أضخم كثيراً من تلك البنايات . لكن الذي أدهشني في أنحاء المدينة ، كان الدقة والتأنّق ، الطرقات الجدران واجهات المنازل، النوافذ المداخل المزروعة الشرفات المحفوفة بالورود ونباتات الزينة.

المدينة كلها دقيقة الصنع ، ومتأنقة ، غير أن هذا الجمال المنبث في المكان؛ هذا الجمال الجهويّ المنحاز لم يكن يشعرني بأن الإسكندرية هي مدينة الله العظمى كما يسمونها، رأيتها أقرب إلى مدينة الظلمات /

ميمرا: في ذكر أن الإسكندرية كانت علامة على التمييز العنصري والترف الجهويّ المنحاز للرومانيين واليونانيين. وأن هذه الفوارق الصارخة بين "مدينة الرب" المترفة وبين محيطها المزري كان لا بد أن تحرّك نار التمرد وتشعلها لدى شعوب مصر وآسيا الآرامية/ العربية؛ التمرد على كنيسة الإمبراطورية المتعجرفة المترفة.

"وإذا كنا نجري إلى ميعاد أحلامنا، فوق منحدر عال من الأرض الحمراء، مشحونٍ بالقرابين والماشية، وإذا كنا نسير فوق أرض التضحية الحمراء المزينة بالتوابل وأغصان الكرم، كجبهة كبش تحت أهداب الذهب وتحت الأوشحة، رأينا هذا الوجه الآخر لأحلامنا يعلو: الشيء المقدس في مستواه الأدنى، البحر، الغريب، هناك ، الساهر سهر الغريب - فريداً لا يصالح ولا يتزاوج - البحر التائه الأسير في شرك تيهانه" [596]

أنا ذاهب إلى البحر .. البحر في كل مكان .. البحر هو الذي سيجدك.

يومها عبرت في طريقي جسراً حجرياً صغيراً، يعلو ترعة عذبة تجري من جنوب المدينة إلى الشمال حتى تصب في البحر . لم اتجه مع مسار الترعة، فضلت المشي شرقاً في الشارع الكانوبي، هو شارعهم الكبير الذي يشقّ المدينة لنصفين ، النصف الشمالي يسكنه الأغنياء والفقراء يسكنون جنوباً، فقراء الإسكندرية أغنى من أغنياء الناس في بلادي .

ميمرا: في ذكر كيف أن أوربا الغربية وملحقاتها الولايات المتحدة واليابان هي إسكندرية العصر وكيف أن شمالها أغنياء والفقراء جنوباً، وكيف أن هؤلاء الفقراء؛ فقراء أوربا أفضل حالاً من الأغنياء في مدننا المهمشة والمهملة. ولكن المثل هنا قاصر ومضلل فلا تأخذوه إلا على وجه الشبهة.

---

596 - سان جون بيرس: منارات .. ابتهال ، ترجمة أدونيس ص 23

على كلٍ، فالغنى متركّز في أحياء بعينها ومدن بعينها، ومحيط العاصمة نحو الجنوب تسكنه خراف الرب المفقرة المهمّشة.

مررت بجماعة من رجال الكنيسة يتجهون شمالاً وحولهم عمالاً يحملون معاول . كان العمال يرددون خلفهم: باسم يسوع الإله الحقّ، سنهدم بيوت الأوثان ، ونبني بيتاً جديداً للرب ، العبارات الثلاث منظومة الإيقاع في لفظها اليوناني ووقعها يختلف عن نصّها السرياني، هي ترجمة محرّفة للنص السرياني. الإسكندرية لا تتكلم السريانية، الإسكندرية مدينة الإمبراطورية غريبة عن روح آسيا الغربية الآرامية / العربية وفقرائها، وعن فقراء جنوب مصر وفقراء وادي النيل.

ميمر5: في ذكر كيف يستغل الأغنياء العاطفة الدينية للفقراء ، وكيف يوجهون حقد وتمرد العمال والفقراء والمهمشين بشكل مضاد لمصالح هؤلاء المهمشين، وكيف يحرّضون الفقراء على أضرابهم من خراف الرب على أساس العاطفة الدينية خدمة لمصالحهم الدنيوية الدنيئة . إن دين السلطة ؛ دين الإمبراطورية يلعب دور قدّيسة المسالخ "جان دارك" في مسرحية بريخت؛ الإمبراطور يستغّل مدينة الرب ليبني مدينة الأغنياء على أشلاء الفقراء وبقايا أجسادهم. إنه ينظف مدينة الأغنياء ليرمي في العراء خارج السور ملايين المعدمين المحرومين. و كيف أن مدينة الأغنياء تتكلم اليونانية وهي لغة كنيسة الإمبراطورية ، وكيف أن الإسكندرية لا تعرف السريانية، وأن التمرد سوف يقوده مفكرو آسيا الغربية الآرامية/العربية ومن هاجر إليهم من مفكري مصر "الجنوبيين".

أسرعت خطاي مبتعداً عنهم حتى بدت لي الكنيسة الكبيرة جهة اليسار. لم أمضي في طريقهم ، وإنما سرت شرقاً مع الشارع الكانوبي الكبير الأنيق الممتد بطول المدينة من بوابة القمر التي دخلت منها إلى بوابة الشمس الواقعة شرق المدينة. ومن خلفها تمتد بيوت اليهود التي مررت عليها يوم خروجي من الإسكندرية ، بعد سنوات ثلاث من دخولي إليها وانزوائي بها. كل ما حولي يومها كان بديعاً إلا ذلك التمثال اليائس الذي يتوسط الطريق. عرفت بعدها بأسابيع أنه تمثال لإله كانوا يسمونه سير- آبيس. وقد استبقاه

أسقف الإسكندرية السابق مُحبّ الرب (ثيوفيلوس) من معبد سيرابيوم الكبير بعدما هدمه على رؤوس الوثنيين المعتصمين في داخله.

Sir-Apis إله من عهد بطليموس الأول مؤسس الدولة البطلمية في مصر، وهو إله كوني /طبيعي توفيقي بين المصريين واليونانيين، كان يتمثل عند المصريين على شكل العجل المقدس *Apis* وعند اليونانيين على شكل زيوس الآخي المحارب (الثور رمز القوة والخصب) . إنه إله وثني (إله- حاكم) أوزيريس- آبيس كالحاكم اليوناني زيوس- أولمبوس الآخي المحارب . إنها مشاركة السلطة للمجتمع (المجتمع- السلطة) *Osiris- Apis* .

و الحرف اللاتيني *A* معناه الثور وكذلك حرف ألف بالكنعانية تعني بقرة (ثور) وهي نبتاوو زوجة خنوم الحامي سيدة الحقول مثلت على هيئة امرأة ترتدي على رأسها قرني بقرة وقرص شمس ، و *A* شكل مقلوب لرأس ثور بقرنين . ومن هذا الازدواج (مجتمع – سلطة؛ حقيقة المجتمع- سر السلطة وقوتها) اشتق اسم معبد سير- ابيس.

كان سيرابيس في أبو قير شرق الإسكندرية (من جهة بوابة الشمس)[597] محج للمصريين واليونانيين في العصر البطلمي للتبرّك وطلب الشفاء.

إمرأته إيزيس وابنه هاربوكراتس، هذا الإله المزدوج يشبه الإله اليوناني (زيوس- أولمب) أو إله- حاكم . إنه سرّ آبيس ؛ سرّ الثور المقدس أو العجل المقدس ؛ سر قوة السلطة ، حيث مصدر هذه القوة في مكان آخر ، في المجتمع الذي تطفو السلطة على سطحه، كالطحلب الذي ثار على سطح الماء . ثور: انبعاث الشيء وظهوره على السطح. والعرب تقول للسيد (الحاكم) ثور على التشبيه. إنها محاولة خلق دين عالمي بتلفيق ديانتين كونيتين/ طبيعيتين لأمتين (مصريين- يونانيين) زيوس- الثور؛ محاولة لدعم وتثبيت الدولة العالمية اليونانية في مصر .

---

597 ـ الشمس كأساس للديانات الكونية/ الطبيعية ، بينما يلعب القمر في ديانة الأنبياء في آسيا الغربية دوراً مركزياً.

أوزيريس الآب الخالد خلود الروح ، وإيزيس النفس الكلية ؛ الأنثى المقدسة؛ تظهر للمصريين أنثى فاتنة بجناحين حامية أوزيريس ومرضعة حورس؛ حورس (حور العَيْن) الإله الابن في مصر القديمة ، نصير الخير في دندرة وفيله وأسوان والطود وأرمنت ومنديس والإسكندرية ومتليس والكرنك وأخميم. لُقّب بحور الطفل، واسمه باليونانية هَرْبوقراط *Harpocrates* [598](حربوقراط).

التثليث ديانة كونية / طبيعية؛ الإله أوزيريس الآب هو ثالث ثلاثة (أوزيريس- إيزيس- حورس). وإيزيس بجناحين واحد ابيض والآخر أسود؛ ميل للأعلى باتجاه أوزيريس الآب السماوي والآخر هابط نحو الجسد والجسدية هو الجناح الأسود المظلم . وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي. من انعكاس نور الآب (الخير الأول؛ الخير المحض) النازل على النفس الكلية (إيزيس) تحبل العذراء إيزيس من غير دنس ويكون الابن حورس نصير الخير. إن ولوج قضيب النور السماوي في النفس المنفرجة يمثل على شكل الصليب المصري الذي هو مفتاح الحياة.

قال هيبا: جرى هدم المعبد الكبير في العام الذي ولدت فيه *117* للشهداء الموافق لـ *391* للميلاد. ولثلاثة وعشرين عاماً ظل التمثال خير شاهد على بؤس الوثنية الغابرة.

وأنا أنظر إلى إشارة التعجب قبالة كلمة "الغابرة" السالفة الذكر قلت في نفسي لعلها تشير إلى حاجة دائمة للإنسان المعاصر بغض النظر عن معتقداته الدينية؛ حاجته إلى شيء من الجسدية في دياناته التاريخية الروحية؛ كالحجر الأسود الذي يحج إليه المسلمون ، وكنيسة القيامة و مقام الصخرة في بيت لحم وغيرها من مقامات الشهداء والقديسين والأولياء الصالحين. ليس بالتجريد وحده يحيا الإنسان، لا بد له من شيء من التمثيل الحسي ليقبض عليه بيده غير المجازية ؛ يده اليومية الشائعة المبتذلة.

---

598 - الثالوث في مصر القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة ص 186

كان اليهود يحظون في الإسكندرية بكراهية الفريقين/ يكرههم الوثنيون لجشعهم ، ويمقتهم المسيحيون لوشايتهم بالمخلّص وتسليمه للرومان ليصلبوه، وهي القصة التي تبين أنها ملفقة من قبل الكنيسة الرسمية الرومانية. أما جشع اليهود فتاريخي وغريب ؛ وقد تكرّس جشع عَبَدة المال هؤلاء بقوة التاريخ .

فإذا كنّا نجد في بلد التحرر السياسي الكامل (دولة لا دينية) ليس وجود الدين وحسب وإنما وجود الدين المفعم بالحياة والقوة أيضاً ، يكون الدليل قد قدم على أن وجود الدين لا يتعارض مع قيام الدولة السياسية الكاملة أو السياسية الخالصة من كل دين، بل العكس هو الصحيح ، حيث أن قيام الدولة الكاملة (السياسية الخالصة) هي الضمانة الأكيدة والكاملة لحرية التدين. ولأن وجود الدين دليل وجود نقص -*hypo* فإن مصدر هذا النقص لا يمكن أن يبحث عنه في الدين نفسه بل يبحث عنه في جوهر الدولة نفسها ، لأن الدين في مكان وجوهره في مكان آخر إذا جاز القول. لا يعود الدين بالنسبة لنا هو الأساس؛ وإنما يعود كعلامة ودليل على المحدودية الدنيوية " [599]

التحرر السياسي لليهودي والمسيحي والمسلم وللمتدين بوجه عام هو تحرر الدولة من اليهودية والمسيحية والإسلام ومن الدين بوجه عام. إن طغيان الدولة واستبدادها بحجة القضاء على تناقضاتها وتناقضات المجتمع تؤدي إلى عودة قوية للتدين ولتدخل الدين في السياسة ، بعد أن كان المواطن بعيداً عن المتدين، يعود المواطن ليندمج بالمتدين، وتعود الدولة السياسية الخالصة دولة شبه دينية أو مصابة بالبهاق الديني. وكما تكون الدولة انجيلية رغم أنها دولة وتتصرف كدولة مسيحية إزاء اليهودي والوثني فإن اليهودي والوثني يتسيسان، ويطالبان باسم الدين الذي يعتنقه كل منهما بحقوق المواطنة وبالمساواة مع المسيحي . لن نبحث عن سر اليهودي في دينه؛ يهودية السبت أو اليوم السابع *Septum* يوم راحة الإله ؛ وإنما عن سر الدين في اليهودي الواقعي العملي. ما هو الأساس الدنيوي لليهودية؟ الحاجة العملية؛ المنفعة الخاصة. ما هي العبادة الدنيوية لليهودي؟ التجارة . ما هو الإله الدنيوي لليهودي؟ المال.

---

599 - انظر : كارل ماركس : حول المسألة اليهودية ص 12

إن تنظيماً للمجتمع يلغي التجارة ؛ أي إمكانية التجارة بإلغاء الملكية الخاصة، يجعل وجود اليهودي الواقعي مستحيلاً. سينحل وعيه الديني ويتبعثر مثل غبار باهت في هواء الحياة الحقيقية للمجتمع الجديد. إننا نتعرف في اليهودية على عنصر مضاد للمجتمع عام؛ عبادة المال. دفَعَه التطور التاريخي الرأسمالي إلى مزيد من الاتساع والنمو ومعه نمو جشع اليهودي للمال. إن تحرر اليهود كأفراد هو في معناه الأخير تحرر البشرية من اليهودية (من الجشع والملكية الخاصة والتجارة)؛ أي التحرر من الملكية الخاصة والرأسمالية. كلما أصبحت التجارة روح مجتمع أصبح المجتمع أكثر يهودية. كلما سيطر المال على الحياة العامة وسيطر رأس المال كلما أصبحت الروح اليهودية هي الحاكمة. لقد بقيت اليهودية ليست رغماً عن التاريخ، وإنما من خلال التاريخ. لقد أصبح إله اليهود دنيوياً وصارت الصرافة هي الإله الحقيقي لليهودي .

في كل سيادة للملكية الخاصة والمال[600] يكون احتقار الأشياء الطبيعية والحطّ العملي من قيمة الطبيعة، ويكون احتقار الفن والتاريخ والإنسان. هذا هو الموقف الحقيقي لإنسان المال. أما العلاقة بين الرجل والمرأة فتصبح موضوع للتجارة؛ تصبح المرأة سلعة يتاجر بها. إن القومية الخرافية لليهودي هي قومية التاجر؛ إنسان المال بشكل عام ، وقانون اليهودي الذي لا أساس له ليس سوى الكاريكاتير الديني للأخلاقية التي لا أساس لها وللقانون بوجه عام وللطقوس الشكلية و حسب، تلك التي يحيط عالم المنفعة الذاتية نفسه بها. جاءت المسيحية لتلغي فجاجة الحاجة العملية عبر تصعيد الطبيعة وتحويلها إلى أثير وخيال محرر من الطبيعة. وجاءت اليهودية مرة أخرى وجعلت من الطبيعة المغتربة والإنسان المغترب (الطبيعة والإنسان المتخلى عنهما) قابلين للبيع وموضوعاً لعبودية الحاجة الأنانية والتجارة. المسيحية التي غرّبت الطبيعة والإنسان عن نفسيهما جعلت منهما اليهودية المتجددة بالتاريخ الرأسمالي موضوعاً للبيع والتجارة .

---

600 ـ المال أن النفوس تميل إليه ، لأنه جُعل عنده قضاء الحاجات ؛ ولأن النفس فقيرة بالذات.

قال هيبا: الجديّة حسب ما تعلمناه في أخميم هي نقيض الخبل . المنادي يزعق باليونانية التي تميز بين صيغتي المؤنث والمذكر بشكل لا لبس فيه: الحاكم أوريستيس يدعو العلماء والمتعلمين ، إلى محاضرة أستاذة كل الأزمان صباح يوم الأحد بالمسرح الكبير . وعندما سألت المنادي أين تكون المحاضرة ، قال: إنك تطمع في الحلوى التي يوزعها الحاكم هناك

ـ أنا لا آكل حلوى

ـ فلاح ولا يأكل حلوى ويتكلم اليونانية الفصيحة ولا يعرف هيباتيا ، هذا وحق سيرابيس عجيب! غاب عني وتركني مبهوتاً أفكر في المرأة التي يمكن أن تكون كما يقول أستاذة كل الأزمان .

ألقيت عنّي مخلاتي التي ثقلت علي طوال ما حملتها . وبحرص بالغ تقدّمت حتى لمس ماء البحر أقدامي، هالني الامتداد . كاد يغمى علي من هول اتساع الماء . مددت ذراعي كأني أوشك أن أطير ، وملأت صدري بالهواء المحمول على الأمواج ، أبهجني مسّ البحر لكعبي ، ورقّة ارتماء موجته المنهكة تحت قدميّ .

ميمر6: في ذكر كيف مال هيبا إلى البحر وغسل وجهه بمائه المالح. وكيف تردد في النزول إليه، وكيف دغدغت مياه البحر حواسه المنسية ، وكيف استسلم لهزات الموج اللطيفة المثيرة . وكيف ضحك بصوت عال لم يسمعه من قبل عندما كادت موجة توقعه . وكيف عاد إلى الشاطئ وخلع جلبابه ووضع مخلاته قرب صخرة ، وكيف اندفع إلى الماء وكيف خفق قلبه ساعتها، يالله الغبطة! وبعد مقارنات بين ماء البحر وماء نهر النيل الذي يثور الطين عند النزول فيه ويغدو ماءه عكراً ، وكيف ظن أن لا أخطار في النزول إلى مياه البحر (تعامة؛ اليمّ) ؛ الماء الأصلي (العماء) الذي ظهر منه العالم وتكوّن بفعل الأمر الإلهي .

حملتني صفحة الماء بلا جهد كبير مني ، وجال بصري في السماء وفي الأفق الممتد من حولي. ناحية الغرب لمحت مراكب كبيرة بعيدة وإلى الشرق كانت نوارس تطير على امتداد الشاطئ . كانت كثيرة وطيرانها مبهجاً

غمرتني السعادة فوق صفحة الماء حتى وقع ما جرى معي . فجعلني لا أقرب البحر من بعد ذلك أبداً.

ميمر7: في ذكر كيف شعر هيبا بأنه جنين يخرج من رحم هائل، وكيف انتابته الأحاسيس الغريبة ، وكيف أخذته لهفة اللمس ودغدغة الشهوة ، وهو الذي لم يعرف من قبل امرأة في حياته ولم يكن يهوى ذلك . وكيف جال بباله أن البحر امرأة لعوب تمتّع الرجال العائمين، من دون خطيّة يحاسبون عليها، وكيف ظن أن البحر رحمة للمحرومين!

قال هيبا: كانت المرة الأولى التي رأيت فيها جسمي جميلاً وسمرتي لطيفة؛ البحر يظهر ما لا يظهره النهر من بدائع الصنع الإلهي في الكون وفي أجسامنا.

ولما مالت الشمس عن وسط السماء إلى جهة الغروب انتبهت لعضّات الجوع . بدا الشاطئ بعيداً عني ولمحت قرب ثيابي شخصاً يلوح لي بطول ذراعيه فانتابني قلق مفاجئ وغاص في صدري توجس. بعد لحظات طويلة طوال الدهر عرفت أني لا أتقدم نحو الشاطئ . أُنهكتُ وفزعتُ لمّا أدركت أن الماء يجرفني إلى قلب البحر العميق. عاودت العوم منهكاً ولكن جذب الماء كان أقوى من ضربات ذراعي المتلاحقة الفزعة . وأدركت ساعتها أن البحر غادِر. كان البحر لا يرحم ، لما تيقنت من أنني أغرق صحت رغماً عني ، ثم كتمت صيحاتي لاستعين بما تبقى من قوتي على الرجوع . صار الألم مبرّحاً بذراعي اليسرى ، لكني واصلت التجديف بها. هتفت في باطني: يا يسوع المسيح كن معي الآن وسأنذر كل حياتي لك.

ازدادت ضرباتي لسطح الماء ، وعانيت طويلاً مما زججت نفسي وتورطت فيه.. بعد معاناة طويلة مع جذب الماء إلى الوراء وجدتني اندفع مع ضربات ذراعي إلى ناحية الشاطئ . كان لهاثي متتابعاً ، مثل زخات بهجتي بالنجاة . لما وصلت إلى النقطة بقرب الشاطئ حيث تنكسر الأمواج وتهدر، لمستْ قدميّ الأرض وشكرتُ الرب بقلب مضطرب .

يا لها من هولة؛ تعامة؛ هولة البحر؛ اللوياثان وحش البحر الخرافي، الماء عندما كان روح الإله يرفّ على وجهه؛ اليَمّ قبل بناء الرب لهيكله في اليوم السابع وظهور العالم والكون. اليم قبل بناء المدينة المقدسة ؛ قبل التكوين. اليم هذا العماء الرهيب المهول. روى الإمام أحمد في مسنده عن عامر العقيلي أنه قال قلت يا رسول الله أين كان ربنّا قبل أن يخلق السموات والأرض قال كان في غمام فوقه هواء وتحته هواء ثم خلق عرشه على الماء قال بعض العلماء الغمام هو السحاب[601] . عن أنس بن مالك قال قال رسول الله إن لله لوحاً أحد وجهييه من ياقوتة حمراء والوجه الآخر من زمردة خضراء وأقلامه من نور. أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره أن الله تعالى خلق العرش من نوره والكرسي ملتصق بالعرش وحول العرش أربعة أنهار نهر من نور يتلألأ ونهر من نار تلظى ونهر من ثلج أبيض ونهر من ماء والملائكة قيام في تلك الأنهار يسبحون. وقال أيضاً خلق الله العرش من زمردة خضراء وخلق له أربع قوائم من ياقوتة حمراء ما بين القائمة مسيرة ثمانين ألف عام واتساعها مثل ذلك وهو كهيئة السرير والقوائم تحملها ثمانية من الملائكة وهو كالقبّة على الملائكة والعالم."[602]

ميمر8: في ذكر كيف ظن هيبا أن الذي كان يلوح له من على الشاطئ منبّهاً إياه من خطر الغرق لم يكن من البشر وإنما ملاك مرسل من عند الله و كيف وصل قرب مخلاته على الشاطئ ولم يجد أحداً غيره. قال إبليس: عبدته حين لم أجد غيره غيرا. وكيف اعتقد أن غاية إشارة الملاك هي منعه من التوغل أكثر في غواياته.. وكيف قال : أبانا الذي في السماوات رحيم بنا، وأن أسراره في الوجود لا تنتهي وكيف قرّر ألا يقرب البحر بعد ذلك أبدا.

قال هيبا: جلجلت ضحكة ناعمة من ناحية الصخور القريبة فنهضت من استلقائي على ظهري نظرت إلى جهة الصوت مذعوراً، فرأيت امرأة بيضاء من غير سوء في ثوب سكندري مكشوف الصدر والذراعين . أقبلت المرأة متمايلة كأنها نجت تواً من الغرق في بحر الميوعة .

---

601 ـ بدائع الزهور- دار الكوثر ص 2

602 ـ بدائع الزهور- دار الكوثر ص 2-3

أنا أوكتافيا خادمة السيد الصقلّي ، تاجر الحرير. لا تعبس أيها الجنوبي, سوف أخبرك بكل شيء

ميمر9: في ذكر كيف قالت له أن اسمها أوكتافيا ، وأنها تأتي إلى هذا المكان معظم الأيام التي يكون فيها سيدها مسافراً مع تجارته ، فيأخذ معه خدمه كلهم فلا يبقى معها في البيت إلا الحارس الجالس على بابه . وكيف باحت له أنها تأتي على[603] البحر لتحكي همومها إليه . لأن البحر يحفظ الأسرار. وكيف أخبرته أن هذا الشاطئ مهجور لكثرة صخوره الخطرة ودواماته القريبة من الشط.

قال هيبا: آه ، عرفت الآن ما جرى معي ، ولكن كيف عرفتي أني جنوبي – من لهجتك ، وأعرف الآن أنك جائع من طول بقائك في البحر، تعال لتأخذ شيئاً تأكله. أخرجتني بلطف من حرجي حين قالت بحسم ممزوج بميوعة لم أر مثلها: هات مخلاتك وتعال. مشت نحو شق واسع بين الصخور وبقيت في موضعي مشدوهاً مدلّهاً، أتصبب من قريب مشيتها المدللة ، كانت في سن الأربعين أو الثلاثين لا اعرف ، جسمها يميل قليلاً إلى البدانة ، ويميل كثيراً إلى اللدونة. كانت تتمايل في مشيتها كأنها خيط بخور.

وعلي أن أذكر هنا أن عدد الرجال الذين سافر معهم هيبا من أخميم إلى أسيوط كانوا عشرة ، وكذلك كان عدد الذين سافر معهم من أسيوط إلى آخر نقطة شمال مجرى النيل؛ عشرة. وعشرة هي الأربعة *(4+3+2+1= 10)*، والأربعة في منزلة العشرات أربعون والأُوكتاف *octave* هي الثُمانيّة (مقطوعة شعرية ذات ثمانية أبيات؛ أو الثُماني) أربعتان؛ كالحاء العربية في اسم محمد، فأوكتافيا عمرها أربعون. والميم في حسابات الجُمّل الكبير أربعون، والحاء ثمانية (حيرة) والدال أربعة؛ هي خمس أربعات في اسم محمد. وميم مريم ، ومرتا ومايا وميثرا ، و *Moon* والعذراء حاملة السنبلة ورمزها *m*.. والكأس المقدسة وزهرة الزنبق الخماسية ونجمة الصبح أو

---

603 - قارن مع: حتى إذا اتوا **على** واد النمل (النمل/ 18)

الزهرة.. هي حرف السؤال (ميم) وهي النفس الكلية، نفس محمد واسمه هي إيزيس المصرية.

الرق الرابع والخامس

ميمر1: في ذكر كيف ترجم المبجل الدكتور يوسف زيدان الرق الرابع والخامس من تراجم عزازيل باسم غوايات أُوكتافيا أو غوايات الثماني ، وكيف أن الثُّمانيّ علامة على الأربعة الخامسة في اسم محمد ، وكيف أن اسم اوكتافيا أو الثُّمانيّ أو الحاء العربية ما هي إلا علامة على الرابوع أو الخاموس الذي يمكن أن يظهر الله فيه لعباده. وكيف ظهر الخاموس السماوي ومقابله الأرضي في المباهلة بين النبي محمد ونصارى نجران. وكيف أن الخماسي يبدأ بـ أربعة فخمسة فستة فسبعة فثمانية وهي الأعداد (من 4 إلى 8).. وكيف أن أربعة هي رمز الميم العددي ورمز الهاء خمسة في العدد ورمز الواو في العدد ستة ومجموعهما أحد عشر وهو الرمز العددي لـ (هو) والسبعة في العدد رمز العين ومجموع الميم والعين في العدد أحد عشر (هو)، والثمانية في العدد رمز الحاء ، وهي ترتيل النفس وتكرارها، و "الميم" شخصها محمد و (هو) شخصها علي وهو شخص العين والحاء شخصها الحسين الشهيد وهو عودة الميم إلى السماء وازدواجها هناك. إن (4) تتضمن جميع المناسبات الدينية، حيث (4+3=7) وهي السماوات السبع، و (4+1=5) وهي السماء الدنيا، و (4+2=6) رمز لما بين السماء والأرض من الأسباب، وهو جبريل وكنيته سلمان. و (4+4=8) وهو ترتيل النفس وسواسها الديني وطقوسها المكررة، وهي فتنة الجسدية وتكرار الصور الحسية.

قال هيبا: لطالما أحببت الأشياء التي تتم فقط في داخلي. غير أن ما جرى على الشاطئ الرملي الصخري ، الواقع شرقي الإسكندرية كان مختلفاً. كان فعلياً، ومؤرقاً لي لزمن طويل تال. كان الهواء قد صار بارداً، حين خرجت من البحر ناجياً من الدوامة الغادرة ، وكنت وحيداً ، جداً ، مع المرأة التي اسمها أوكتافيا (أ. و. ك. ت. ا. ف. ي. ا في ثمانية حروف)، لم أستطع تدبير الأمور هي دبّرت كل شيء لأنها وفق ما أخبرتني في اليوم الثالث، سوف

تنتظر وقوع نبوءة أخبرتها بها عجوز من كاهنات المعبد المهدوم؛ معبد سير- آبيس الوثني. وعناصر التكوين لجهة الشيئية ثلاثة كما أسلفنا. مشيت إلى المغارة الصخرية القريبة حيث غابت هي عن عيني المشدوهتين. وقفت أمامها، مرتبكاً عند مدخل المغارة الصخرية الصغيرة التي جلست هي في وسطها. كنت قد رأيت قبل ذاك اليوم نهود نساء يرضعن أطفالهن لكن ما رأيته يومها كان مختلفاً. رأيت من مكاني ومن جلستها انضمامة نهديها. كانت أوكتافيا مشغولة عني بما تفعله.. فرشت على الأرض منديلاً أبيض كبير، ووضعت على أطرافه بعناية ماهرة قطعاً صوان البحر البيضاء المتناثرة في أرض المغارة. كل شيء على المنديل الأبيض كان أبيضاً ثوبها الشفيف .. نهدها المطل .. بشرتها ، كلها بيضاء.. وكانت دهشتي بيضاء". "واضمم[604] يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى"[605]. لم أشعر قربها بخطر الخطيئة، وإنما شعرت أنني أغوص فيها، وأنسى ما عداها. شعرت بيدها اليسرى تعتصرني، وبأنفاسها الفواحة بالتنهدات تلفحني. يدها اليمنى توغلت تحت سروالي، المبلول بماء البحر و بالرغبة المحرّمة . كانت يدها تغوص فيّ فتنتهك أرضي المستسلمة كلها من أصابع قدمي إلى سائر جسمي المتكوّم في حضنها . لما لمست بباطن كفها ركبتي اليمنى، وضمتني إليها بقوة غبت تماماً. كنت آدم الذي يوشك أن يخرج من الجنة، لأنه يوشك أن يدخل الجنة فيأكل ثانية من الشجرة. وبهذا الاشتهاء المحرّم، المفعم بانجذاب سحري، كدت أقبل عليها من دون روية."[606]

يروي سقراط كيف أن البشر ينقذفون خارج ذواتهم عبر المتعة ليغيبوا عن أنفسهم وينسوها ، ويموتوا في لذاذة الفناء"[607]

---

604 - الضم يدل على ملاءمة بين شيئين . أدخل يدك: الدخول الولوج ؛ والدُخْلة: باطن أمر الرجل؛ ودخيلك الذي يداخلك في أمورك . أسلك يدك: سلك نفوذ شيء في شيء ؛ سلكت الشيء في الشيء انفذته. نزع يده عن الأمر تركه . هما آيتان العلم والعمل (النظرية والممارسة). أيضاً، هما آيتان: العقلي والحسي والباطن والظاهر.

605 طه / 22

606 - ترجمة عزازيل، الرق الرابع

607 - صيدلية أفلاطون-مذكور ص 19

وفي سورة الشعراء: ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين"[608] وبئر نزوع: قريبة القعر، ينزع منها باليد، وعاد الأمر إلى النزعة أي رجع إلى الحق . ومنزعة الرجل: رأيه. ونازعت النفس إلى الأمر، نزاعاً ونزعت إليه: إذا اشتهته ، وكل غريب نزيع. إنه اغتراب النفس في الشيئية.. والأنزع البطين هو عليّ هو الظاهر الباطن.

يا ملكوت السماء، قلت لها: ما هذه الفخامة؟ فابتسمت وهي تأخذ ذراعي إلى صدرها. أمسكت يدي بإحدى يديها، وبالأخرى حملت سراجاً منيراً لا يتصاعد منه دخان . في طريقنا من البهو الفسيح إلى الدور الأعلى، رأيت الجمال مبثوثاً في كل الأماكن . كلما سارت أوكتافيا بسراجها، وقعت عيناي على زاوية رخامية مزخرفة، أو تمثال بديع لآلهة الوثنيين الخلابة، أو مفارش حريرية متقنة التطريز رهيفة الحواف. السلّم الواصل بين الطابقين، كله كان من الرخام الأبيض . وفي درجاته كلها نقوش متنوعة، وحليات من الرخام الملون المبثوث في رخامه الأبيض[609] . كان لكل درجة زخارفها، وصورها المختلفة عن الدرجة الأخرى . بكم من المال والوقت والجهد والفن، عُمل هذا السلّم ! حتى بقايا المعابد البديعة الممتدة على طول وادي النيل، وقد بناها الأقدمون في سنين طويلة ، ليست بهذه الدقة ولا بهذا الإتقان.

ميمر2: في ذكر كيف سأل هيبا نفسه ساعتها عن قدرة الديانة الجديدة أو العهد الجديد في أن تعطي الغنى الإبداعي والفني للديانات الوثنية التثليثية في مصر القديمة وفي اليونان، وكيف يظهر الانتقال من الديانات التكوينية / الطبيعية الوثنية التي تعتمد على التصوير الخارجي الفيزيائي أي التصوير في الشيئية إلى العهد الجديد أو الانتقال إلى الصورة النفسية العذراء البيضاء واستبطان كل ما هو فيزيائي؛ استبطان الشيئية وعودة ظهورها في الرمز اللغوي المقدس (أبجد هوز) وفي بقاء بقايا من ديانات التثليث المصرية في

---

608 الشعراء/ 33

609 - بيضاء فارس على طريق خراسان موطن النحوي سيبويه ؛ وسيبويه هذا كان مولى لبني الحارث من نصارى نجران عندما كانوا في اليمن قبل تهجيرهم إلى العراق على يد عمر بن الخطاب. وبيضاء هذه موطن الحسين بن منصور الحلاج الشهيد المتصوف المعروف.

الديانة الجديدة المكرّسة من قبل الإمبراطوريتين الرومانية والبيزنطية. وفي حديث هيبا الذي طغت الدهشة عليه؛ حديثه عن غنى السلّم الواصل بين الطابقين أو بين الديانتين .

وفي أن الثواليث في ديانات مصر القديمة الوثنية تسعة.

1- ثالوث يتكون من الإله أوزير والإلهة إيزيس والإله حور (أب وأم وابن)

2-ثالوث يتكون من الإله أتوم والإله شو والإلهة تفنوت (أب وابن وابنة)

3-أوريون أب وسبدت أم ، الملك ابناً- إلهاً .

4-الملك ونوت وسبدت (ابن وأم وابنة)

5-الملك حور ابن والإلهة ريسة أم والإلهة نفتيس مرضعاً.

6- خير و رع وأتوم (ثالوث إله الشمس ؛ أقانيم إله الشمس) كتثليث لإله الشمس .

7-الملك ابناً والإله جب أباً والإلهة نوت أماً.

8- الملك-أوزير والإلهتين إيسة ونفتيس حاميتين.

9-أوزير أباً الإله والإلهة حتحور؛ الضفدعة (أماً) وحور ابناً (60)

ولقد ظهرت ثواليث أخرى في عصر الدولة القديمة، حيث كان ينظر إلى التاسوع على أنه ثواليث أو بناءات ثلاثية وهذا ربما يعني تأكيداً لفكرة الثالوث نفسها والأسرة الإلهية . كالنظر إلى تكوين تاسوع هليوبوليس (أسيوط) مسقط رأس أفلوطين نجد الإله أتوم ونجد شو وتفنوت اللذان أنجبا جب وتوت والديّ أوزير وإيسة وست ونفتيس أي أضيفت آلهتين ثلاث مرات إلى الإله الواحد (2+1، 2+1 ، 1+2) .

ميمر3 : في ذكر أن تاسوعيّ الكرنك وأبيدوس قد تكونان من بناءات ثلاثية، فتاسوع الكرنك يتكون من ثلاث مراحل هم الإله الأول الذي أصبح إلهين والإلهان اللذان أصبحا أربعة ، والأربعة اللذان أصبحا ثمانية (1+ 2 + 2 +

4). وفي تاسوع أبيدوس ثلاث ثواليث هم الثالوث الأوزيري وثالوث الدولة (أمون-رع-بتاح) ومعهم الفرعون يمثل ثالوثاً. إضافة الواحد إلى الثمانية يمثل ثالوثاً. وثالوث الكنيسة الآب والابن والروح القدس، وثالوث الهند: براهما وفيشنو وسيفا. فقد اتسمت الديانة البوذية بأنها ديانة رهبانية ، ذلك أن جوهر الجماعات البوذية مشكل من مجموعة من الرهبان ، فبوذا والعقيدة والرهبان هم الثالوث القائم عليه كل شيء بينما الأعضاء الدنيويون هم عنصر مؤيد وموجود في المقام الأول لتقديم الحماية والمؤازرة للرهبان"[610]. وأخيراً ثالوث أبو نواس ، يقول فيه:

عقار أبوها الماء والكرم أمها وفي كأسها تحكي الملاء المزعفرا

(الماء وعقار والكرم؛ ثلاثة أشياء)

أسجت فتيلاً فشعّ نوره ونورها عند أعلى السُلّم . نظرتُ خلفي فبدت لي في أرضية البهو لوحة مرسومة بالفسيفساء، لم أتبين تلك الليلة ملامحها . وعرفت صبيحة اليوم التالي أنها صورة كلب! استغربت الأمر، فشرحت لي أوكتافيا حقيقة الحال: هذا الكلب الحزين المرسوم داخل الدائرة الكبيرة بقطع الرخام الصغيرة، وبجواره إناء اللبن المسكوب ، كان كلب السيد الصقلي الذي أراد أن يُخلّد كلبه الوفي في مرض وفاته، تقصد وفاة الكلب، فكلف الفنانين المهرة برسمه في بهو الدّور الأرضي، أمام السلّم، ليراه كل يوم عند نزوله من الطابق الأعلى! وقد خلّد أبو نواس الكلب؛ حيث نعته في تسع أُرْجوزات؛ **وجاء نعت الكلب في باب الطَّرْد** (الصَّيد)؛ وهو الباب الثامن من شعر أبي نواس؛ وفيه سِتٌّ ومائة[611] أرجوزة في أربعة فصول الفصل الأول في ثلاثين بين رَجْزٍ وقصيدٍ ، حيث يبدأ الفصل:

أنعت كلباً أهله في كدّهِ قد سعدت جدودهم بجدّهِ

فكل خيرٍ عندهم من عنده وكل رفد عندهم من رفدهِ

يظل مولاه له كعبده يبيت أدنى صاحبٍ من مهدهِ

610 - ماني والمانوية – مذكور ص 125

611 وهو عدد فصول رواية دان براون : شيفرة دافنشي ، مرجع مذكور

يقول في البيت الثالث: ينام حيث نام هناك صاحبه فهذا الكلب أقرب إليه من كل أصحابه.[612] "وطرد : أصل واحد صحيح يدل على إبْعاد ، يقال طردته طرداً، وأطرده السُّلطان وطرده: إذا أخرجه عن بلده. والطّرد معالجة أخذ الصيد . والطريدة: الصَّيد.. واطرَدَ الأمر؛ استقام.."[613] وقد انتشر الحواريون في الأصقاع لاصطياد الأتباع من جميع الأمم. الصيد/ الطرد: "أراد المسيح أن يجعل الرسل صيادين للبشر لكن القساوسة الذين هم عمليون أكثر من المسيح حولوا ذلك إلى وسيلة نافعة لتحسين دخلهم المحدود."[614]

والصفات التسع هي في أصلها الصفات السبع مع القلب والروح التي أعطيت لموسى في تسع آيات، ولم يعط الذات فبقي غريباً عن الذات التي أعطيت لمحمد. "ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ."[615] في كل واحدة ذات وصفة. إضافة واحد إلى ثلاثة *1+3= 4* الصفات الذاتية الثلاث لمحمد. ولكون سلمان غريب بين قومه لاعتزاله ديانتهم فله تسعة، ولكونه غريب عن قومه الفرس بين "أهله" ؛ "سلمان منا أهل البيت"، فله تسعة ثانية وحاصلهما العددي *18* وهو الرمز الرقمي سلسل : *(ل=3 ، س=6)*. وهذا هو حال افلوطين صاحب كتاب "التاسوعات"؛ كتاب يحوي ست "تاسوعات" *(تسعات)*.

ميمر *4:* في ذكر أن الديانات اليهودية و الوثنية ديانات قومية أو إقليمية أو محلية في الأغلب، وأن الديانة الجديدة أو العهد الجديد ذات طابع عالمي/ أممي. لا يكون الحزن فيها على الزوجة بمقدار ما يكون على الكلب الرفيق. خاصة زوجة كأم هيبا. أو أوكتافيا محظية هيبا. التي لم يثق بها قط "النساء طبعهن التقلّب"، قال هيبا: لا أعرف كيف أروي كل هذا/ وقلت أنا: لا أدري كيف خطر ببالي الحديث عن دعوة النبي محمد نصارى بني الحارث في نجران إلى المباهلة سنة *10* هـ *(631 م)* في المدينة.

---

612 - ديوان أبي نواس المجلد 2 ص 194

613 مقاييس 3 ص 455-456

614 - إمام عبد الفتاح إمام: كيركيجور رائد الوجودية – مرجع مذكور

615 - الحِجْر / 87

في العدالة بين الناس يتم توكيد الحقيقة إما بالقَسَم أو بالمباهلة أو بالاستدلال اليقيني أو بالالتجاء التحكّمي إلى العمل (الحكم على النظرية بالممارسة). وكنّا عرضنا في متن قراءتنا لترجمة عزازيل نهجين للتأكد من موضوعية المعرفة والحكم عليها: واحد قائم على الدهشة (*pathos*) وآخر قائم على الحكم بالعمل. ومنذ العهد البابلي كانت الوسيلة الوحيدة في القانون الدولي الالتجاء إلى الإلوهية (أياً كانت العقائد المحلية) عند الساميين كانت هي القسم التَّطهريّ (في مقابل قسم الوعد) وهذا الأخير عبارة عن صيغة ملاعنة شرطية يتفوه بها المتهم ضد نفسه وبهذا عينه يحققها الله إن شاء؛ وهذا القسم (قسم الوعد) هو المكوِّن للمباهلة نفسها، أكثر من شعيرة الشهادة المادية (نار الهولة[616] عند البدو) ، أو الامتحان القضائي نفسه (الماء المشروب أو النار الملموسة)، لأن الله المعتقد أنه قادر قدرة مطلقة، يدعى بهذه الصيغة: إذا كنت فعلت هذا **فليعاقبني** الله (وأحياناً يقول: فعلت هذا **فليغفر لي** الله وهذا هو **الاعتراف**). وليس من الضروري لتحقيق المباهلة بالمعنى الاصطلاحي الفني أن ينظّم حكم الله ويُهاب منه بواسطة السلطات الدنيوية، بل يكفي أن يعتقد الطرفان المتنازعان أن تدخل الله لا مفر منه.

في الجماعة الإسلامية شعيرة خاصة للملاعنة الشرطية المتبادلة تسمى المباهلة. الجذر بهل: بالعبرية يعني أرهب، وفي السريانية يعني هدأ؛ إنها المسافة والتحول بين اليهودية والنصرانية الآرامية /العربية. التحول في الألوهة من إله غاضب مهدد بالوعيد والعقاب والانتقام إلى إله مليء بالرحمة والعطف على الإنسان؛ مليء بالرحمة والمغفرة والخلاص. وفي العربية؛ بهل: لها أصول ثلاثة. الأول؛ التخلية ؛ بهلته إذا خليته وإرادته. والثاني: جنس من الدعاء (دعاء فرد واحد يسمى ابتهالاً؛ الصيغة الثامنة للجذر) وملاعنة متبادلة تسمى مباهلة (الصيغة الثالثة للجذر) ، عند الفرد هي

---

616 - طرح ملح وكبريت على النار تستشاط يقول المهول (الطارح) للمستحلف عندها: هذه النار قد تهددتك فينكل عن اليمين.

الابتهال والتضرع في الدعاء، والمباهلة يرجع إلى هذا فإن المتباهلين يدعو كل واحد على صاحبه ثم يبتهل فيجعل لعنة[617] الله على الكاذبين"[618]

الابتهال رفع اليدين ممدودتين فوق الرأس (أو إلى الخلف قبالة لوحي الكتف) والراحتان موجهتان إلى الوجه. في الأصل كانت المباهلة تتكون من **ثلاث عمليات**: "استهلال" و" تشبيك" و"رفع" الأيدي المتشابكة مع تنحية الأصابع والنطق بالصيغة . مسألة **الذهاب إلى المقبرة** تشير إلى الأصل التاريخي لهذه الشعيرة وإلى الصراع الأيديولوجي على العبارة التراثية. فعند مقبرة البقيع بالمدينة ، دعا محمد وفد نجران من النصارى إلى المباهلة في المكان المعرف بـ "الكثيب الأحمر". نقرأ في آل عمران: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون *(59)* الحق من ربك فلا تكن من الممترين *(60)* فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا[619] ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لّعَنتَ الله على الكاذبين*(61)* إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم *(62)* ". هذه الآيات تتعلق بالمناقشة التي دارت بين محمد ونصارى نجران سنة *10* هـ *(631 م)* وأن الخمسة الرهائن التي أعلنها بقوله من بين أهله كانوا: الحسن والحسين (أبناءنا) وفاطمة (نساءنا)، وعلى ومحمد (أنفسنا). استعد محمد للمباهلة وخرج مع خلاصة أهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين بل انه قصر أهلية البيت عليهم لا أزواجه ولا احد من بني هاشم أو من قريش وأعلنها للكافة (اللهم هؤلاء أهل بيتي)[620]

---

617 ـ لعن : يدل على إبعاد وطرد ، ولعن الله الشيطان: أبعده عن الخير والجنة . م 5 252

618 ـ راجع مقاييس 1 /310-311

619 ـ تعال: تفاعلَ؛ من عَلَوْتَ ، قال الله تعالى : فقل تعالَوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم .. أصلها : علِ إلينا ؛ أي اصعد إلينا "تأويل مشكل القرآن-مذكور ص 556 وهذه إشارة إلى الخمسة السماويين من أهل بيت محمد أو الكون المحمدي . وقد وردت كلمة لعنة: لعنَت بالتاء المبسوطة.

620 ـ دولة يثرب ص 302

(ويلعنهم اللاعنون) قال ابن مسعود: إذا تلاعن اثنان وكان أحدهما غير مستحق للعن، رجعت اللعنة على المستحق لها ؛ فإذا لم يستحقها أحد منهما رجعت على اليهود" [621]

من المقرر أن محمداً قد عقد حوالي سنة 10 هـ بعد آية الزكاة في سورة التوبة" قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون (29)" مع وفد من نصارى نجران اتفاقاً سياسياً (صلح، مصالحة) صار بعد تجديد خلفائه له وتعديله النموذج الأول "للامتيازات" التي يسّرت للطوائف المسيحية في الدولة الإسلامية البقاء فيها طوال ثلاثة عشر قرناً نظير دفع الجزية. هذه المصالحة سبقتها وبعثت عليها دعوة إلى المباهلة.

هذا الاتفاق مع أهل نجران كان الوحيد الذي لم يكن من شأن موت محمد أن يبطله، وهذا لأنه شارك فيه ضامنون عاشوا بعده وحافظوا عليه، ولم يكونوا مجرد شهود على صحة توقيعه مادياً، إبّان حياته، بل كانوا أيضاً أبدالاً حقيقيين، هم آل محمد، صاروا أبدالاً عنه بنطق سابق وصيغة شعائرية؛ صيغة المباهلة التي نطق بها النبي؛ فعليٌ والحسن والحسين وفاطمة بمثابة بدلاء عنه. منذ النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة يورد كتّاب السيرة النبوية عن عام 10 هـ المعروف بعام "الوفود" أو "السفارات" حديثاً مفصلاً عن وفد نجران. لمّا امتدت الدولة الإسلامية الناشئة إلى اليمن أرسلت جمهورية نجران النصرانية وفداً سياسياً إلى المدينة في شوّال سنة 10 هـ وكان قوامه ستون[622] راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أعيانهم (أشرافهم) . منهم العاقب وهو عبد المسيح والسيد وهو الأيهم وآخرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم (معتمدهم المعول عليه)، وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأيهم وأبو حارثة بن علقمة أحد

---

621 ـ غريب القران 67 وهذا دليل عدم ثقة المسلمين بإيمان اليهود ولا بديانتهم, فهم يحرفون الكلم عن مواضعه من بعد ما عقلوه.

622 ـ الرمز العددي للسين؛ لسلمان ستون إذا قسمت على 12 كان الناتج خمسة

بني بكر بن وائل أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم" [623]. وجاء هذا الوفد للمفاوضة. كانوا يرتدون الديباج، واتصلوا بالشعب (جمهور محمد)؛ وسمح لهم النبي بالدخول إلى مسجده للصلاة متجهين قِبَل المشرق. فلما اجتمعوا مع النبي لامهم محمد على الاعتقاد **بألوهية المسيح** ودعاهم إلى الإسلام واحتدمت المجادلة فاقترح عليهم النبي المباهلة مستلهماً الآية *(61)* من سورة آل عمران؛ المباهلة بأن يتلاعنوا صبيحة الغد *4* شوال سنة *10* هـ *(15* يناير سنة *631* ميلادية). فلما تشاوروا واستشاروا، جاء الرؤساء المسيحيون في الميعاد ليعلنوا تخليهم عن المباهلة ويصالحوه.

الشروط التي قبلوها: أن يؤدوا كل ستة أشهر *1000* حلّة مرصّعة من حلل الأواقي (ثمن كل حلة أوقية من الفضة أو أربعين درهماً) وذلك في رجب وفي صفر . وأن يقدموا إذا أرسل المسلمون حملة إلى اليمن *30* درعاً و *30* رمحاً؛ أو *30* بعيراً و *30* فرساً . وإذا بعث النبي إليهم رسلاً فليضيفوهم شهراً على الأكثر . وفي مقابل هذا سيكونون في حماية الدولة الإسلامية (جوار الله؛ ذمة الرسول) تضمن لهم أشخاصهم وأموالهم وعبادتهم (الإبقاء على الرهبان والأساقفة والقسيسين= الواقف)، ولا يدفعوا عشوراً ولا يؤدوا خدمة عسكرية ولا نفقات جند **بشرط ألا يأكلوا الربا** ولا يتعاملوا به. يروي الزمخشري في الكشّاف أن الوفد سُئل عن عدد (أهل الكهف) .

اللون الأحمر علامة على أزمنة التحول والانتقال من حال إلى حال سواء أكان تقدماً أو نكوصاً. الاحمرار يظهر وقت بناء هيكل الحب أو وقت تفككه وانهيار أسواره.

المصادر الشيعية تهتم بوصف مناظر "الكثيب الأحمر" في صبيحة اليوم الذي عدل فيه النصارى عن المباهلة. فبين شجرتين مقطوعتين كعمودين

---

623 - خليل عبد الكريم : دولة يثرب ص 289

أمر محمد بنصب كساء أسود كبير "كساء قطواني"[624] على هيئة رواق، وجلس تحته؛ عن يمينه علي وأمامه أبناءه (الحسن والحسين)[625] وخلفه فاطمة . فلما أراد العاقب والسيد بأولاد عمّهما الخمسة التقدم ناحية الكساء شاهدوا من فوق رؤوسهم أضواء صاعقة فارتاعوا، وتلألأت النجوم، وانحنت الأشجار وسقطت الطيور على الأرض منشورة الأجنحة وهي تتقيأ، وبدء محمد فرفع يديه، حينما التمس النصارى هدنة. أما **المسلمون الموالي** من غير العرب فقد شاهدوا تجلّي المجد الإلهي وهو يحيط بالخمسة (السماويين) تحت "الكساء".

وبعد تدقيق الشيخ المفيد نرسم المشهد من جديد: "فلما كان من غد غدا النبي بيمينه علي وبيساره الحسن والحسين ومن ورائهم فاطمة، عليهم (نصارى نجران) النمار النجرانية (الحبرة) وعلى كتف رسول الله كساء قطواني رقيق خشن ليس بكثيف ولا ليّن ، فأمر بشجرتين فكسح ما بينهما ونشر الكساء عليهما وأدخلهم تحت الكساء وأدخل منكبه الأيسر معهم تحت الكساء معتمداً على قوسه النبع، ورفع يده اليمنى إلى السماء للمباهلة."[626]

كانت نجران المركز الوحيد الذي كانت الأموال فيه في يد النصارى، لا في يد اليهود كما كانت الحال في الحجاز؛ وهذا هو مصدر عداوة نجران لليهود؛ عداوة نجدها عند الوزراء الحارثيين[627] في القرن الثالث الهجري. نصارى نجران من بني الحارث تم تهجيرهم من قبل عمر إلى العراق أصبح لهم نفوذاً في الخلافة العباسية. كانت معاهدة سنة *10* هـ بين ندّين أحدهما

---

624 - نسبة إلى بلدة قرب الكوفة

625 - الحاء : ازدواج الميم ؛ بداية الميم ونهايتها؛ الميم وتحقيقها أو مآلها وتؤيلها.. بين (م) الأولى و(م) الثانية في اسم الحرف (م[يـ] م) ياء الحسين وهي الفرق بين الحسن والحس[ي] ن

626 - الشيخ المفيد: الاختصاص ، ص 115 النبع: شجر للقسي والسهام ، والحبرة: شملة فيها خطوط بيض وسود، كانت على وفد نجران . ولكون النبي أخرج منكبه الأيمن من تحت الكساء هذا يعني أن علي لم يكن تحته لأنه على يمينه.

627 - عندما بعث النبي رسالته إلى بني الحارث المشهورين بالشجاعة عقدوا اجتماعاً عاماً في الكنيسة مع اليمنيين وهم خمس قبائل (مذحج وعك وحمير و أنمار وسبأ)

صناعي/حرفي (نصارى نجران) والآخر عسكري/تجاري (المدينة) عاصمة دولة النبي .

تجعل الطقوس الشيعية ـ وقد حولت تاريخ عيد المباهلة ـ من المباهلة عيداً للتبنّي الروحي للموالي (المسلمين من غير العرب)؛ أي تبنّياً روحياً من جانب أهل البيت (آل محمد)، ولهذا فإن سلمان الفارسي، وهو أول مولى تبناه النبي حين قال فيه: "سلمان منا أهل البيت"؛ نجده (سلمان) حاضراً في المباهلة، يلعب فيها دوراً رئيسياً هو تفسير سر المَلِك المُبشِّر (جبريل)، ويلعب دور الحكم؛ فبين الخمسة المحمديين الجالسين تحت الكساء، يحيط بهم الجلال، وبين مناظريهم المسيحيين المشدوهين، كان سلمان على رأس جميع الموالي يفسر المنظر؛ لقد كان سلمان من أتباع عيسى، ومهمته أن يتعرف في مجد محمد وأهله؛ في هذا التجلي الإلهي، تجلياً جديداً لذاك الروح الإلهي الذي مسح المسيح لجلال الملوكية وصعد به إلى أحمد.

وسلسل الاسم الغنوصيّ لسلمان؛ هو حكم أو صلة السبب بين الطرفين المتباهلين؛ محمد والنصارى. التبني الروحي والدخول تحت الكساء (القطواني/ المحمدي)، فإن كان أهل الكهف خمسة كعدد أهل الكساء، فإن سادسهم هو سلمان، ملكهم الحارث. يقول هيبا: سرت وراءها غير بعيد، فرأيتها تكلم حارس البيت المسن بشيء، ثم توارى الرجل خلف البيوت الهادئة، وتبعه خروفه النحيل الذي كان ينظر نحوي كما تنظر الكلاب. يظهر سلمان هنا في ازدواجه المسيحي- المحمدي (خروف- كلب) كحكم (الدور القضائي لسلمان) أو وسيط في المباهلة بين النبي ونصارى نجران. هو صورة الكلب في بهو الدور الأرضي أمام السلّم، ليراه كل يوم عند نزوله من الطابق الأعلى. سلمان والخمسة الأرضيون (الأيتام الخمسة) يقابلون و يناظرون الخمسة السماويين المار ذكرهم، هو سلسل أو صلة الوصل بين الأرض والسماء . في المباهلة كان الحسين بمثابة ازدواج للميم مقدماً الشكل النهائي لدور الميم . حيث ح= 8 (أربعتان). هي عودة الميم وصعودها إلى السماء. الشهيد يعود من عالم الشهادة إلى عالم الغيب (يغيب)؛ فلام العمل تقطع ميم العلم وميم العلم تقلع لام العمل بقول ابن عربي. لكن الحسين هو الميم في الزمن خارج الوصل.

يقول ابن هشام الأنصاري: الفاعل مرفوع أبداً، وأن المفعول منصوب أبداً. والسبب في ذلك أن الفاعل لا يكون إلا واحداً، والرفع ثقيل، والمفعول يكون واحداً فأكثر، والنصب خفيف فجعلوا الثقيل للواحد (للقليل) والخفيف للكثير قصداً للتعادل (العدل) . والمفعول خمسة: مفعول به، مفعول مطلق (مصدر) ، مفعول فيه (ظرف)، مفعول له، والمفعول معه (يقول هيبا في سيرته: سرتُ والنيل)[628] ، والقوافي في الشعر خمسة هي المتكاوس: أربع حركات بين ساكنين (0 //// 0) ، والمتراكب: ثلاث حركات بين ساكنين (0 /// 0) ، والمتدارك: حركتان بين ساكنين (0 // 0)، والمتواتر: حركة بين ساكنين (0 / 0)، والمترادف: التقاء ساكنين(00)، والعرب لا تجيزه فتحرك أحدهما.[629] " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تماري فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفتي فيهم منهم أحدا"[630]

و"للرفع أربع علامات: الضمة والواو والألف والنون. وللنصب خمسُ علامات: الفتحة، والألف ، والياء ، وحذف النون ، والكسرة. وللخفض ثلاث علامات: الكسرة ، والياء ، والفتحة."[631] فيكون مجموع العلامات في العربية اثنتا عشرة علامة (12) أما الجزم فله علامتان : السكون التي هي عدم علامة، والحذف الذي هو إسقاط الحرف . السكون عدم حركة ، والحذف قيام العلامة بإسقاط الحرف. قال الزجّاجيّ: "وجميع ما يعرب به الكلام تسعة أشياء: ثلاث حركات وهي: الضمة، والفتحة، والكسرة. وأربعة أحرف، وهي: الواو ، والياء ، والألف، والنون . وحذف، وسكون. لا يكون معرب في شيء من الكلام ، إلا بأحد هذه الأشياء، فافهم تصب إن شاء الله

---

628 - (قطر الندى 278-279)

629 - ديوان المتنبي شرح العكبري ج 1ص2

630 - الكهف/ 22

631 - كتاب الجمل في النحو ، صنفه أبو القاسم عبد الرحمن ابن إسحاق الزجّاجيّ المتوفى سنة 340 هـ ص 4-5

"[632]. والأفعال ثلاثة. فعل ماضٍ ، وفعل مستقبل ، وفعلٌ في الحال يسمّى الدائم"[633] فسبحان الدائم تنزّه عن كل هوى.

تظهر السلسلة ذات السبعين ذراعاً يوم الحساب، سلمان يأخذ دور الحكم أو دوراً قضائياً. تقول الآية. "ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم. إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلاً ما تذّكرون "[634] وفي المباهلة حسب "كتاب مجموع الأعياد " لسرور بن ميمون الطبراني، أنه في البقيع عند "الكثيب الأحمر" في مواجهة **القبّة العتيقة**، هناك وجد أبو دجانة سماك بن خرشة جماعة مؤلفة من خمسة أشخاص (عبد الله بن رواحة ، وعثمان بن مظعون، وأم سلمة، ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة) يجلسون مع سلمان فسألهم ماذا تفعلون؟ فأجابوا سترى. هناك رأى أبو دجانة النجرانيين الأحد عشر وعلى رأسهم الحارث بن اسحق وشهاب بن أبي تمام قادمين. ولاحظ أن ابن رواحة رفع يده بالدعاء ناحية الكثيب وقد انبثق عليه حينئذٍ بروق، ثم لما تفرقوا شاهد محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين وسلمان فارتدّ إلى جماعته فشاهد فيها سلمان (مزدوجاً) مع ابن رواحة ورفاقه. فسقط أبو دجانة على الأرض ، ونادى سلمان قائلاً: يا باب كل حكمة، ودليل كل ضال. وبعدها شاهد ابن رواحة وسائر الموالي لابسين الكساء القطوانيّ . وأنشد الحارث ثلاثة أبيات يقول فيها أنه في التجلّي الإلهي العاشر عيسى وأحمد واحد (أحمد في السماء ومحمد في الأرض. الألف الخفي والميم الظاهرة؛ مدخله وبابه السين في كلمة (بسم) في بداية القرآن الكريم) سلمان في الأرض سادس الأيتام أو آخر أشخاص النفس الأرضيين أولاد النساء، وفي السماء سادس التجلي السماوي أو الأشخاص السماويين؛ أعلى أشخاص الأرض وأدنى أشخاص السماء. باب الأرض والسماء؛ والباب بين الأرض والسماء وبين المسلمين العرب والمسلمين الموالي وبين النبي ونصارى

---

632 - كتاب الجمل في النحو - منكور ص 6

633 - كتاب الجمل في النحو - مذكور ص 7

634 - الحاقة/ 32-42

نجران رمزه المساواة أو الاستواء (=) مع دائرة قي الأعلى ودائرة في الأسفل كعلامة حساب الرمل.

سلمان رابع الثلاثة و سادس الخمسة وثامن السبعة، هو صلة الوصل والسبب بين الأرض والسماء الدنيا؛ **السبب: هو كل ما يوصل به إلى غيره**[635]؛ هو الجبر أو جبريل وهو الديالكتيك، المنهج والطريق والصراط. وإنما كانت الفروض المقدرة في الفلك الأطلس، اثني عشر فرضاً ، لأن منتهى أسماء العدد اثني عشر اسماً ، وهو من الواحد إلى العشرة ، إلى المائة - وهو الحادي عشر- إلى الألف - وهو الثاني عشر- وليس وراءه مرتبة أخرى.."[636] للعذراء السبعة من الأعداد، وهي السموات السبع، والخمسة هم أشخاص النفس الأرضيين الأيتام . سلمان يُذكّرنا بيوحنا المعمدان؛ وبعبارة هيبا: كيف لإنسان أن يعمد إله؟/ يقولون المعمدان علّم عيسى وسلمان علّم محمد. يردّ القران بالقول: "ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين "[637] وسيقول اليونانيون الحكام أنهم علموا مصر وآسيا الغربية وينسون أفلوطين الحزين لغربته في بلاد اليونان وهو المصري من أسيوط ، هو سلمان بين ثقافتين؛ الثقافة اليونانية من جهة والثقافة الآرامية/ العربية ـ المصرية من الجهة الأخرى. مثله كمثل سلمان؛ هو الكلب الحارس للثقافة اليونانية في آخر ابتكاراتها وألقها لكن هذه المرة بدمجها بالتصوف الشرقي وبوثنية مصر وإيران وآسيا الغربية. "السُلّم الواصل بين سطح البيت وطابقه الأعلى، كانت درجاته عشر، كأنها على عدد العقول السماوية الواصلة بين الله والعالم، بحسب ما يقوله أفلوطين الحزين"[638] ألم يهجر سلمان وطنه فارس ويتغرب ليساهم في إنجاز المشروع المحمدي الآرامي/ العربي. فبعد وفاة أفلاطون أخذ أتباع أفلوطين يكوّنون لاهوتاً على مذهبه، وما زالوا يعملون حتى أنضجوه وأتموه في القرن الثاني والثالث للميلاد. هي محاولة لوضع فلسفة دينية أو دين متفلسف.

---

635 ـ نصر بن مزاحم المنقري: وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون ، هامش ص 30

636 ـ السفر الرابع الباب الستون ف 483

637ـ النمل/ 103

638 ـ العقول العشرة المفارقة عند أرسطو

هو مذهب قام على أصول أفلاطونية، وتمثل عناصر من جميع المذاهب فلسفية ودينية يونانية وشرقية بما في ذلك السحر والتنجيم والعرافة. كانت محاولة من مؤسسي المذهب للحفاظ على الروح اليونانية (الروح العلمية) التي أسسها سقراط؛ التي تنظر إلى الكون كأنه هندسة كبرى، مستبعدة الحدثي والعارض وتستخرج الجوهري وتخضعه للضرورة - يعارضون هنا الديانات اليهودية والمسيحية، مع تأثرهم بها ، لأن المسيحية جاءت بعد موجة من فلسفة الشك عند اليونان. كما يعارضون أفلاطون في تصويره الصانع يتدخل شخصياً طوعاً لخيريته، وينظم العالم وفقاً للمُثُل؛ فيتوخّى غايات، ويخلق الزمان (التاريخانية). كان الأفلاطونيون الجدد يقومون بتأويل القصص الأسطورية الأفلاطونية إلى ما ترمز إليه من المعاني (تأويلاً رمزياً)[639].

يقول هيبا: كان الرجل الصقلّي لا يدرك فيما بدا لي أن الديانة لا شأن لها بالعقل ، وأن الإيمان لا يكون إيماناً ، إلا إذا كان يناقض العقل والمنطق، وإلا فهو فكر وفلسفة .

ميمر5: في ذكر كيف أخطأ هيبا هنا في علاقة الدين بالفلسفة، وكيف أن أفلوطين بمحاولته تجديد الفلسفة الأفلاطونية خصوصاً واليونانية عموماً لم يفهم علامات الأزمنة في الشرق المحكومة بأوامر نمط الإنتاج الآسيوي والتي كانت تميل لتأسيس عهد جديد هو مرحلة أولى سوف تجد تكملتها في الإسلام. ومع ذلك كان نتاج أفلوطين وتلامذته المصريين والسوريين خصوصاً فرفوريوس و إيمبليخوس (يمليخا السوري) وبرقلس مرحلة تأسيسية ضرورية لانجاز محمد تكملته للعهد الجديد أو الزمن المسيحي . وضع فرفوريوس عدداً كبيراً من المؤلفات، أشهرها إطلاقاً كتاب إيساغوجي أو المدخل ، وهو عبارة عن شرح "الألفاظ الخمسة" (الحروف الخمسة) . أراد أن يقدم بها لمقولات أرسطو الخمس، وهي **الجنس والنوع والفصل والخاصة والعَرَض**. ينسب إليه أيضاً تلخيص لفلسفة أفلوطين ورسالة إلى أنابو حول الشياطين، وردّ على المسيحيين في(15) جزء اً انتقد

---

639 يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية-مذكور ص 285

فيه ألوهية المسيح. وفي شرحه على أفلوطين حاول فرفوريوس إضفاء طابع ديني على تعاليم أستاذه الميتافيزيقية والصوفية الطابع."[640] كان أهم تلامذة فرفوريوس أيمبليخوس السوري (يمليخا) (توفي330م) الذي دفع بالنزعات الدينية في فلسفة معلمه خطوة أخرى في اتجاه ممارسة الطقوس والمعجزات ودمج آلهة الديانات الوثنية وطقوسها في نظام أسطوري مبني على فلسفة أفلوطين إلى حد ما وعلى الوحي الكلداني (الكلمات الكلدانية: *Chaldean Oracles*) والطقوس السحرية المفضية إلى التطهيرات (التطهر عند هيبا). في الفلسفة ألف شروحاً على أفلاطون وأرسطو والكتابات الأورفية والفيثاغورية (ديانات الأسرار) الأسطورية الطابع، كما ألف سيرة لفيثاغورث[641] وكتاب في الحث على الفلسفة بناء على موعظة أرسطو المفقودة المعروفة بهذا الاسم، وكتاب الأسرار المصرية. ويمثل أيمبليخوس طوراً جديداً في تطور الأفلاطونية المحدثة من حيث التقريب بينها وبين الديانات القديمة (الأسرار في مصر وآسيا الصغرى واليونان) ومن حيث التشعب والتفريع لمبادئ فلسفة افلوطين (ظهور الوسطاء الملائكة). يقول الشيخ يوسف الخطيب:"فأما اهل الكهف فهم يمليخا وأخوته (بالإيمان) وقد كانوا في زمن دقيانوس الجبار وكان ساكناً في مدينة طرسوس وقد ادعى الألوهية لنفسه ولما علموا بادعائه كفروا به وعبدوا الحق.."[642]

إلا أن الأشهر هو برقلس *Proclus* (توفي485م) ولد في القسطنطينية، ورأس مدرسة أثينا لعدة سنين وكان آخر الفلاسفة اليونانيين العظام تتلمذ على سوريانوس الذي تتلمذ بدوره على أيمبليخوس ونسج على منوالهما في التشديد على دور "الرموز" السحرية وخصائصها الخفية في بلوغ مرحلة الاتحاد مع الأول. كان يصف أمبليخوس بالمتأله أو أعظم المتألهين *Theios* أو *Theiotatos*، ويقول إن سيريانوس كان مملوءاً من الحقيقة الإلهية وإنه نزل إلى الأرض ليكون المحسن على النفوس المنفية فيها. وصنع الخلاص

---

640 تاريخ الفلسفة اليونانية ماجد فخري-مذكور ص 201-202

641 يمليخا: فيثاغورس، حياته؛ فلسفته ترجمة زياد الملا ، دار الينابيع الطبعة الأولى 2003

642 يوسف علي الخطيب: شرح القصيدة اللامية للشيخ سلمان بيصين

لا لجيله وحسب بل لجميع الأجيال اللاحقة. أشهر مؤلفات برقلس وأهمها هو "المبادئ الإلهية" الذي عرف باللاتينية تحت اسم (عناصر الثيولوجيا) *Elementatio Theologica* وراج في الأوساط الفلسفية في العصور الوسطى تحت اسم "كتاب العلل" *Liber de Causis* الذي ترجمه عن العربية جيرارد أف كريمونا . كان الكتاب يعرف في الأوساط العربية باسم "الإيضاح في الخير المحض"[643] أول المبادئ الصادرة عن الواحد سلسلة الآحاد *henads* تختلف عن الواحد الأول (الأحد) أنها مشاركة في الوحدة وليست واحدة بحد ذاتها. الواحد الأول الذي لا يدرك ولا يوصف(المنزّه).

و في الحديث عن حزن أفلوطين؛ السيد الصقلّي، أن غربته كانت مزدوجة. غربة عن الفلسفة في شكلها اليوناني الصرف وغربة أخرى عن الدين في ظهوره الآسيوي الغربي وفي شبه جزيرة العرب. وكيف كان هذا حال فرجيليوس(فرجيل) الذي كان أتروسكياً وقدم ثقافته باللاتينية؛ لا تينية روما ولمجدها، كما يظهر في اللوحة؛ ففي عام *1896*م عثر أثناء القيام ببعض الحفريات في مدينة سوس بتونس على لوحة رائعة من الموزاييك يبدو أنها كانت جزءاً من أرضية قاعة أحد القصور الرومانية من بين المناظر المنقوشة على هذا الأثر منظر لفرجيل وهو يجلس بين اثنين من ربات الفنون، ويضع على ركبتيه قرطاساً يحوي ملحمة الآينيدة وقد ظهر على إحدى صفحاتها هذا الكلام: قصّي عليّ يا ربة الشعر *Musa mi hi causas memora* . وموسى هي ربات الفنون التسع يصدرن عن أمّهن أو أسّهنّ منيموزين (الذاكرة) قال تعالى لموسى: "وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه."[644]

---

643 ماجد فخري: تاريخ اليونانية-مذكور ص 203- 204

644 أينيدة ص 32 ومظاهر الأسطورة الفصل السابع، سورة النمل 2 ، ولموسى الصفات السبع (بيضاء من غير سوء) قال أبو نواس:

حتى ترى في تخوم الكأس أعيُنُها بيضاء وليس بها من علّة داءُ

في فقرة واردة في الكتاب العاشر من "الآينيدة"[645] يقول فرجيل: مانتو غنية بأجدادها وأسلافها ، لكنهم ليسوا جميعاً من أصل واحد ، يتكون سكانها من ثلاثة أجناس يسكن كل جنس أربع مدن، وترأس مانتو هذه المدن لكنها تستمد قوتها من الدماء الأتروسكية[646] جاء في سورة الأنعام: " وما من دابة على الأرض ولا طائر يطير بجناحين إلا أمم أمثالك"[647]

ما علينا ذكره بمناسبة أوكتافيا أو الثماني: عن الرجال الواصلين وإمداداتهم من الأنوار الثمانية (البرق، الشمس، البدر، القمر، الهلال، السراج، النجم، النار)[648]

قال هيبا: "عند دخولنا غرفتها، أسرجت أوكتافيا قنديلاً معدنياً شع نوره في جوانب الغرفة، وأنارت هي روحي بقبلة أبهتتني .[649] عند خروجي وجدتها في رداء آخر غير الأبيض الذي كانت ترتديه رداؤها الآخر بدا لي على ضوء القمر، أكثر بياضاً وعرياً . عند باب الحمام التصقت بي، احتضنتني طويلاً بحب طاهر من أي شهوة ، وتنهدت ، فمس صدري حرّ صدرها. ثم تركتني لتفرش على أرضية السطح الرخامية سجادة، لا هي شرقية و لا هي غربية[650]، ولا تشبه أي سجاد رأيته من قبل ولا من بعد . كانت أكثر زخرفة من كل السجاد، وأكبر حجماً ، وأنعم ملمساً وأجمل تلويناً . فكانت أطرافها المزركشة هي حدود عالمنا طيلة الليلة حتى أخرجنا منها شعاع شمس الصباح.

ليس مهماً الآن أن تفهم المهم أن تحس ! قل يا حبيبي : كم تبلغ من العمر؟

ثلاثة وعشرون عاماً أو أربعة وعشرون .

---

645 Aeneid الأينيدة لفرجيل Virgil أو Vergil أقدم .. (Ennedes: "التاسوعات" لأفلوطين) أو التّساعات أو التّسعات

646 (الأتروسكيون : شعب سكن روما قبل الرومان)..

647 الأنعام 38

648 ابن عربي الفتوحات ، السفر الرابع ف 132

649 - بهت: أصل واحد ، وهو الدهش والحيرة م 1 307

650 يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية (النور / 35)

ميمر6: في ذكر أن هذا العدد *(23أو 24)* إذا أضيف إليه خمسة كان ثمانية وعشرون أو تسعة وعشرون وهو عدد حروف العربية .

قالت أوكتافيا: أنا إذن، اكبر منك بخمس سنين . حين سألتني ثانية عن سنوات عمري ، ولما قلت ثلاث وعشرون . ردت بسرعة بأنها، وإن كانت أكبر مني بخمس سنين[651] ، إلا أن العبرة لا تكون بفارق السنين بيننا .

كان فرويد يتمناه زوجاً لتلميذته ومساعدته الأميركية روث برونشفيك؛ إنه مارك برونشفيك الذي كان يصغرها بخمس سنوات ويحبها حباً جماً. كانت روث مكتشفة تعبير "قبل أوديبي" والتي تعني علاقة انفعالية باكرة سابقة على النزاع المثلّث الذي تتوق فيه الفتاة الصغيرة إلى حب أبيها وتشعر بمنافسة تجاه أمها ، حيث تشتمل هذه "الوضعية" الباكرة والتي تأتي قبل عقدة أوديب ، على حب الفتاة الصغيرة لأمها وتماهيها معها . وهو تورط انفعالي أكثر قدماً وبدئية بكثير من التورط الأوديبي ، وقد افترضت روث أنه يكمن في جذر المشاكل الذهانية التي كانت تدرسها. ولكن كلما كان عمل روث يكتسي أكثر بنظرية العوامل قبل الأوديبية ، كلما كانت عقدة أوديب تصبح أكثر أهمية، ذلك أنها كانت عندئذ تمتلك تاريخاً تطورياً خاص بها. وهكذا فإن فرويد كتب في عام *1931*: إن نفاذ بصرنا إلى هذا الطور قبل الأوديبي الباكر لدى البنات يقع علينا وقع الشيء المدهش، شأنه شأن اكتشاف الحضارة المينوية المسينية خلف حضارة الإغريق في حقل آخر"[652]

وكيف تَقَصّد مشاغبتها بحديثه عن زواج كليوباترا السابعة من أنطونيو وكيف كانت تكبره سناً وكيف نغّصت حياته وجعلت منه رجلاً منتحراً مهزوماً متبرئاً من أهله وأصدقائه ، غريباً عن وطنه ، ومطلّقاً زوجته أم أطفاله والتي اسمها أوكتافيا أخت حاكم روما أوكتافيوس. وكيف كان هذا الحاكم زميل دراسة لفرجيل الشاعر. ولما كان للعذراء السبعة من الأعداد، وكيف قسم حينها فرجيليوس الأينيدة إلى اثني عشر كتاباً وكيف شكّل الكتاب

---

651 أ. الحريم الفرويدي ص 55

652 - الحريم الفرويدي مذكور ص 67-68 هذا المفهوم؛ "قبل الأوديبي" مهم لاستيعاب سيكولوجية النساء على الخصوص..

السادس نقطة تحول وانتقال[653] من الأرض إلى السماء؛ من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، ومن المظهر إلى الجوهر ، كالرقّ السادس من رواية المبجل يوسف زيدان؛ الرق السادس الذي هو "نقطة تحول". وكيف خطرت حروف اللغة اليونانية الأربعة والعشرون وكيف استخدمها المصريون و زادوا سبعة حروف وكيف ظهرت بعدها اللغة القبطية مستقلة عن اليونانية وعن الديموطيقية اللغة المصرية القديمة.

إن العلاقة الحميمة بين الآرامية/ العربية واليونانية كانت منتجة ونهايتها سعيدة بعد مائتي سنة من حرمان نسطور وطرده من الكنيسة. بينما العلاقة بين اليونانية والمصرية القديمة (الهيراطيقية والديموطيقية) لم تصل إلاّ إلى مسيحية على شكل دين دولة وقانون إيمان مولد للعنف و الاضطهاد والتعصب والحزن والدموع .

قال هيبا: كانت ظلال السماء قد امتدت ، فقامت لتنير السراج، وتعود لتندسّ في حضني، وتكمل حديثها: لما أخرج أتباع الأسقف المسيحي الذي كانوا يسمونه تيوفيلوس كل ما بقي من المعبد الكبير الذي كان قائماً على الطرف الغربي من جزيرة فاروس التي تحتضن الميناء، هرب بقية كهّان المعبد وتفرقوا في الأرض . كاهنة[654] عجوز منهم لجأت إلى بيتنا، لأنها كانت تعرف إجلالي للإله بوزيدون ، وتضرّعي الدائم إليه كي يحفظ مراكب سيدي الصقّلي. أقامت الكاهنة معي، هنا على سطح البيت ، الأسابيع الأخيرة ، من حياتها . كانت تقضي أغلب أوقاتها عند هذا السور ، محدقة في البحر[655] حيث بوزيدون إله البحر يلعب هنا دور الرسول الوسيط (مثل سلمان) في التداول الثقافي- الحضاري بين أوربا وآسيا - مصر. قبل وفاتها بأيام نادتني إلى غرفتها ، وبصوتها الممتلئ بصدق الكاهنات ، قالت لي وهي نائمة على سرير موتها: يا أوكتافيا لا تحزني ، سوف يرسل الإله بوزيدون من البحر،

---

653 - برزخ

654 Pythoness: كاهنة معبد دلفي الوسيطة العرافة بيثيا وهيرا ، الكاهنة العرّافة المورد 745

655 - يلعب البحر المتوسط ومعه الميناء هنا دور الممر المزدوج لتبادل وتلاقح الحضارات واللغات بين أوربا وآسيا (بما فيها مصر)

رجلاً تحبينه ويحبك ، يمسح عنك دمعك ، ويملأ أيامك بالفرح، سيأتيك بعد علامتين. لما سألت أوكتافيا عن العلامتين، أخبرتها الكاهنة أنهما علامتان في مسيرة الزمن: يومان, أسبوعان، شهران ، سنتان؛ قرنان. ماتت الكاهنة ومرّت الأيام وكانت المباهلة بين النبي محمد ونصارى نجران في *10* هـ سنة *631* ميلادية أي بعد قرنين بالتمام على اليوم المشؤوم الذي عزل فيه المبجل نسطور وطرد وحرم كنسياً سنة *431* ميلادية.

للسيد الصقلي رحلتان كل عام، الأولى قصيرة إلى إنطاكية بلد نسطور والثانية تطول لثلاثة أشهر أو أربعة تمر فيها مراكبه على المدن الخمس الغربية (ليبا)[656] . كان آريوس قساً سكندرياً ترقّى حتى صار كاهناً لكنيسة بوكاليا المطلّة على الميناء الشرقي بالمدينة، أصله من ليبيا التي كانت قديماً تسمى المدن الخمس الغربية، وكانت آنذاك تابعة للإسكندرية مثلها مثل عموم البلاد المصرية والحبشة، تحت الهيمنة الروحية للكنيسة المرقصية التي مقرها الإسكندرية[657] . آريوس هو الذي تمّ عزله وحرمه كنسياً في مجمع نيقية سنة *325* ميلادية حيث مات سنة *336* م غيلة بالسم وهو في طريقه إلى القسطنطينية .

عرفتُ منها أن سيدها الصقلي هذا لا يؤمن بدين معين ، وإنما يعتقد في صحة كل الأديان وجميع الآلهة ، ما دام ذلك يرتقي بالإنسان! همستْ وهي تضع رأسها على كتفي بأن سيدها يؤكد دوماً أن الله يظهر للإنسان في كل موضع وكل زمان بشكل مختلف ، وان تلك هي طبيعة الألوهية .

ضيّعتها وضيّعتني مرتين..آه .. من يوقف بقلبي إعصار الأسى الفتاك، ضيعتني وضيعتها وقت حرمان آريوس وضيعتها وضيعتني عند طرد نسطور ونفيه.

ميمر7: في ذكر كيف قال له عزازيل أنا حيرتك يا هيبا؛ أنا لا أجيء ولا أذهب ، أنت الذي تجيء بي حين تشاء . فأنا آت إليك منك، وبك وفيك. إنني أنبعث حين تريدني لأصوغ حلمك ، أو أمدّ بساط خيالك ، أو أقلب لك ما

---

656 لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف (قريش / 2)

657 اللاهوت العربي- مذكور ص 114

تدفنه من الذكريات . أنا حامل أوزارك وأوهامك ، ومآسيك أنا الذي لا غنى لك عنه ولا غنى لغيرك ، أنا الذي.

قال هيبا: هل بدأت ترنيمة التمجيد، لذاتك الإبليسية، هل خطرك بودلير الشاعر الرجيم: بقوله في ابتهال الحضور (الصلاة):

المجد والثناء لك أيها الشيطان،

في أعالي السماء، حيث هيمنت،

وفي أعماق الجحيم حيث تحلم، مهزوماً في صمت!

فلتؤمّن لروحي أن ترقد بجانبك،

ذات يوم، تحت شجرة المعرفة ، ساعة أن تمد أغصانها

على جبينك مثلما على معبد جديد![658]

وكيف أن التخفف من الأثقال والاعتراف ؛ والابتهال؛ والتطهر؛ و كتابة السيرة الذاتية هي اعتراف. وكيف أن غوايات أوكتافيا هي غوايات الوثنية لهيبا؛ يقول : لن أستسلم لها أبداً يمكن أن أبقى معها أيام فقط ، ثم أذهب إلى ما جئت من أجله ولا أسمح لقلبي أن يتعلق بها ولا أختار لنفسي اسماً وثنياً من لغة اليونان مهما كان. لن أسمح أن تسلخني من اسمي ومن لغتي أرملة سكندرية عرفتها قبل يومين مهما كانت جميلة ومتوقدة بالرغبة الوثنية الجامحة. غوايات أوكتافيا فيها تغريب عن اللغة والموطن وفيها تغريب عن عقائد آسيا الآرامية / العربية. لن أتغرب كما فعل أفلوطين بتبنيه الفلسفة اليونانية واللغة اليونانية وهو المصري من أسيوط (هليوبوليس). سألتها ونحن نطل من الدور الأعلى على صورة الكلب الحزين ، لماذا أسموك أوكتافيا؟ أبي تزوج مرتين وأنجب كثيراً **وكنت الثامنة** بين أبنائه وبناته **العشرة** . إذن سوف أسميك تيمآشموني فهي تعني الثامنة بالمصرية مثلما تعني أوكتافيا باليونانية.

---

658 بودلير: الأعمال الكاملة ص 418-419

الغالب على قراءات التاجر الصقلي ، بحسب ما يظهر من تعليقاته الذكية التاريخ والأدب كان الرجل يحتفظ بعدة نسخ قديمة من "أمثال إيسوب" وقصائد هيراقليطس الفيلسوف ، ولديه أيضاً رسائل لاهوتية بخط أوريجين (أوريجانوس). أوكتافيا تنتقد رأي أرسطو بما يخص المرأة والعبيد وتعتبره رأياً متخلفاً.

ميمر8: في ذكر غيرة هيبا من التاجر الصقلي وحسده الخفي وسؤاله لها عن علاقتها بالصقلي وما إن كان يضاجعها ، وزعلها منه ، وقولها من أنه بمثابة أب أو جدّ . وكيف اعتقد هيبا خطأ أن غوايات أوكتافيا سوف تحرفه عن دربه وآماله.

قال هيبا: شعرت لحظتها بكراهية شديدة لهذا الرجل ، وبغضب شديد من هذه المرأة التي توشك أن توقعني في حبها ، وتنسيني كل الآمال .

ميمر9: في ذكر كيف غاب عن هيبا أن ثقافة اليونان لم تكن العقبة في طريق نهوض الثقافة الآرامية / العربية وثقافة آسيا الغربية عموماً وإنما العقبة كانت في سيطرة الكنيسة الرومانية ومعها كنيسة الإسكندرية المرقصية، وفي تسلط الإمبراطورية الرومانية وطغيانها وفي قمع الفكر المتنور والتحرري والمنزّه عن الأهواء السلطوية والدنيوية في آسيا الغربية. وفي أن هذه المفارقة هي ما يشير إليه حزن التاجر الصقلي وصورة كلبه الحزين التي ترمز إلى أفلوطين الذي حاول أن يدمج الثقافتين الآرامية/العربية- المصرية واليونانية- الرومانية لمصلحة الأخيرة.

ما من شك في أن أوكتافيا تريد إبقاء هيبا لديها بالتالي منعه من متابعة سياحته وسفره إلى آسيا الغربية وزيارته أورشليم ولقائه المبجل نسطور.

في الرقّ الرابع تصل غوايات أوكتافيا إلى الدرجة الأولى من السُلّم ذو الدرجات العشر كعقول أرسطو المفارقة العشر، وهي ترمز إلى العقل الأول؛ القريب من الطبيعة (الوجود الأول المباشر؛ الانطباعات الحسية العامة *notion*). بينما في الرق الخامس سوف يهبط هيبا مع أوكتافيا إلى ما

قبل العقل الأول؛ إلى مرتبة الهيولى التي لا صورة لها ؛ إلى القبو؛ إلى العماء الأصلي (اليمّ)؛ إلى ما قبل التكوين.

أشعار السيد الصقلي مثل صورته؛ هادئة وحزينة كان أغلبها تأملات ساخرة في الحياة والبحر. بعض سطوره الشعرية أعجبتني فطلبت من أوكتافيا أوراق لأنسخها. لم أنقل الأشعار اليونانية بنصّها لوثنيتها المفرطة، وإنما كتبت الكلمات رأسية من الأسفل إلى الأعلى على أعمدة متفرقة، وهذا ضرب من الجناس التصحيفي *anagram* فإذا قُرئت أفقياً بدت مجرد كلمات مفردة غير منظمة لا معنى لها. فالكلمات المُصحّفة غير المنظمة؛ المفردة لا إثم فيها ولا خطيّة. الآثام والخطايا تكون بوجود تنظيم ومعنى وغاية ومقاصد بعيدة ؛ تكون بعد التكوين. بالطريقة ذاتها نقلتُ بعضاً من تعليقات السيد الصقلي المكتوبة على حواشي الترجمة اليونانية للتوراة المعروفة بالسبعينية وتعليقاته على بعض الأناجيل. ففي واحدة من مخطوطات كهوف قمران بجانب البحر الميت وتحت عنوان"أبراج" هناك وثيقتان من الكهف الرابع إحداهن بالعبرية والأخرى بالآرامية وتحتويان على جذاذات معرفة الطالع بواسطة الأبراج .. ونشر النص العبري ج.م. اليغرو وقد كتب على شكل أحاجي صبيانية ، وكتب النص من اليسار إلى اليمين عوضاً عما هو معتاد من اليمين إلى اليسار ، ومع أن النص كتب بالأبجدية العبرية "المربّعة الدارجة" ، فقد تمت استعارة حروف من العبرية المهجورة (أو الفينيقية) ومن الإغريقية"[659] . ويبدو أن المُبجّل يوسف زيدان استخدم طريقة الجناس التصحيفي والتكثيف الحُلمي والنقل كي لا يُجَرَم ولايعاقب على آثامه في إفشاء سر الكنيسة الكاثوليكية والقبطية (المرقصية).

كان السيد الصقلي لا يدرك الفارق بين وظيفة الدين ووظيفة الفلسفة. أشفقت يومها على هذا الرجل الحائر مثلما صرت اليوم مشفقاً على نفسي لفرط حيرتي .

ميمر *10*: في ذكر كراهية أوكتافيا لثيوفيلوس وابن أخته كيرُلُّس وكيف حوّلا المدينة إلى خرائب كئيبة، حيث قادا كنيسة الإسكندرية التي أظلمت العالم.

---

659 ـ النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت- مذكور ص 581

وكيف التقت كراهية هيبا مع كراهية أوكتافيا لأسقفي الإسكندرية الطغاة مع أنه مسيحي وهي وثنية؛ هي تمقت عبارات أهل الصليب الاعتقادية المتزمّتة وهو يصم كلامها عن نبوءة الكاهنة العجوز بأنها خرافات باطلة.

وأنا أفكر في الغد وما سيكون من أمري مع أوكتافيا، قادتني وقد طفرت في ذهنها فكرة جامحة .

يا حبيبي تعال لأريك قبو النبيذ.

الهبوط في الرقّ السادس إلى ما قبل التكوين وظهور أورشليم والعالم؛ البرزخ؛ النقطة الفاصلة . إن ما يشير إليه مفهوم البرزخ لأمر أساسي إذاً، في مجمل طبيعيات السهروردي . **فالبرزخ هو ظلمة محض**، وهو يمكن أن يوجد على هذا الحال حتى ولو كان النور قد انسحب منه ، فهو ليس إذاً نوراً بالقوة بالمعنى الأرسطي؛ هو حيال النور سلب محض.[660]؛ عدم نور

<u>الرق السادس ؛ نقطة التحول</u>

ميمر1: في ذكر أوكتافيا أخت أوكتافيوس وزوجته بعد أن اعتلى عرش روما وتحول اسمه إلى الملك أوغسطوس (أوغسطوس- أوكتافيوس؛ البعل - الملك) الرب- الملك أو ملاك الرب .آب ؛ الأب ؛ الشمس.

أوكتافيا؛ ربّة القمر، أخوها الشمس وزوجها وسيدها؛ إيزيس ربّة الإشعاع والنور والقمر المعبودة المصرية القديمة . قرأ عليها فرجيل الكتب المزدوجة *(2، 4، 6)* في العدد ثلاثة كتب وفي مجموع الأعداد *(12)* وهو عدد كتب الآينيدة مجتمعة وبقي لأوغسطس/ أوكتافيوس منها تسعة

في الكتاب السادس من الآينيدة يموت الابن الوحيد لأوكتافيا من أوغسطس الأب . الذين يولدون لستة أشهر يموتون قبل الأوان وهم عيسى ابن مريم ، و يحي ابن زكريا ، والحسين ابن علي" في ديانة الأنبياء، وتموز/ أدونيس في الديانة الكونية. وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز، وإذا عند هيكل

660 - هنري كوربان تاريخ الفلسفة الاسلامية ص 317

باب الرب وبين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلاً ظهورهم نحو هيكل الرب، ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس ." [661]

أتذكّر جيداً كي نصل إلى القبو نزلنا السلّم الصاعد للسطح (معراج أفلوطين) ومن بعده السلّم الكبير الواصل بين الطابقين ثم سلّماً آخر خلف الباب الخشبي الذي في أقصى بهو الصالة الكبيرة المرسوم بأرضيتها صورة الكلب الحزين . السلّم الأخير حجري يتسع درجة كلما هبطنا القبو[662] .

في الهبوط من الواحد (الخير الأول أو الخير المحض)، إلى العقل الإلهي إلى النفس الكلية (إنه الديالكتيك الهابط عند أفلوطين الحزين)؛ يقابله الديالكتيك الصاعد من النفس المثقلة بالماديات (الحسيات والجسدية) إلى الاتحاد بالواحد .

بعد مغادرة آينياس قرطاجة وانتحار الملكة ديدو، يصل آينياس إلى جزيرة صقلية مع بداية الكتاب الخامس من الآينيدة. وهنا يقيم الألعاب الطروادية والاحتفالات تكريماً لرفاة والده أنخس، ينتهي هذا الكتاب بإبحار آينياس فجأة وسقوط بالينورس في البحر صريعاً **فداء** ً للأسطول الطروادي[663]. بعد ذلك ينتقل فرجيل من المقدمات إلى جوهر الموضوع عابراً الكتاب السادس نحو الكتاب السابع. يهبط بالقارب إلى العالم الآخر ويتخطى حدود الزمان والمكان ويستحضر صوراً لما كان وما سيكون.[664]

لا أدري لماذا خطر لي أن أورد آيات من سورة الكهف مفادها: "فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا(61) فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا (62) قال أرأيت إذا أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت **وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره** واتخذ سبيله في البحر عجبا(63) قال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا(64) فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما(65)" يقول

---

661 حزقيال 8-14 : 16

662 - صحراء التراث اللامتناهية .

663 - بالينورس الفادي

664 - آينيدة 1 ص 56

انجلز: "غير أن فيورباخ لا تخطر حتى في باله دراسة **الدور التاريخي للشر الأخلاقي**"[665] فقابيل حسب فيورباخ ليس سوى قاتل أخيه، مع أنه رمز إلى هيمنة الزراعة وانتصارها على الرعي بالمعنى التاريخي. ففي الآيات السالفة الذكر يظهر الشيطان متضمناً في ديالكتيك العرفان. أما (السلب) عند هيغل، فهو الشكل الذي تتجلى فيه القوة المحركة للتطور التاريخي"[666]

رأيت مع أوكتافيا على ضوء سراجها المعدني طابقاً فسيحاً مرتفع الحوائط يقوم تحت الأرض على صفوف من أعمدة رخامية قوية، كل صف منها موصول بجدار من الطوب عليه من الناحيتين **أرفف ثلاثة** (ستة أرفف أو رفوف) فوق كل رفّ منها جرار لا تكاد من كثرتها تقع تحت الحصر. قالت بفخر: عندنا نبيذ يكفي لألف سنة، تعال إلى هذه الناحية ففيها النبيذ المعتق الذي عصر في أجود السنوات.

ولماذا تعتقون كل هذا النبيذ؟ هل يظن صاحب البيت أنه سوف يعيش إلى الأبد!

رفقاً يا حبيبي ، لقد كان أبوه يُعْصَرُ له نبيذ كثير، وكان هو يجلب بعض أنواعه من اليونان وقبرص، فقد كانوا يستقبلون هنا ضيفاً (أضيافاً) أحياناً كثيرة، ويقيمون الولائم الحافلة. رأيت ذلك منذ كنت طفلة صغيرة.

في ذكر الخمر والتخمير، وبعض من أشعار أبو نواس في الخمر. خمر: أصل واحد يدل على التغطية والمخالطة في ستر . فالخمر الشراب المعروف . قال الخليل : الخمر معروفة ؛ واختمارها: إدراكها وغليانها. ومُخَمِّرُها: متَّخذُها. وخُمرتها : ما غشي المخمور من الخُمار والسكر

لَذٌّ أصابت حُميّاها مقاتِلَةً فلم تكَدْ تنجلي من قلبه الخُمَرُ

---

665 - فريدريك انجلز: لودفيغ فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية ، منتخبات م3 ج2 ص 210

666 - انجلز: لودفيغ فيورباخ، مذكور ص 210

ويقولون: دخل في خُمار الناس؛ أي زحمتهم. "وفلان يدبُّ لفلان الخَمَر" كناية عن الاغتيال. وأصل الخمر ما وارى الإنسان من شجر (ستره). والخِمار: خِمار المرأة .. والتخمير التغطية.. أما قولهم "ليس عند فلان خلٌّ ولا خمر" أي ليس عنده خير ولا شر .. قال أبو زيد: خامر الرجل المكان، إذا لزمه فلم يبرح.. وخمّرتُ العجين : وهو أن تتركه فلا تستعمله حتى يجود. قال الخليل : المُسْتَخمر بلغة حِمْيَر: الشريك.. ويقال اختمر الطيب واختمر العجين والمخامرة: المقاربة .. والخُمرة: السجّادة الصغيرة، وفي الحديث: "أنّه كان يسجد على الخُمرة".. ومما شذّ عن هذا الأصل الاستخمار، وهو الاستعباد "[667] والخمر كالموسى تدخل في باب ما يذكر ويؤنث[668] . والخَمَرة: الريح الطيبة..والخُمْرة: في اللبن والعجين والنبيذ"[669]

الحد الثالث من شعر أبي نواس وهو باب واحد؛ الباب التاسع في الخمريات. يقول:

أما يسرُّك أن الأرضَ زهراءُ والخمرُ ممكنة شمطاءُ عذراءُ

ما في قعودك عذر عن معتّقةٍ الليل والدها والأم خضراءُ [670]

ويقول:

بين المدام وبين الماء شحناءُ تنقدّ غيظاً إذا ما مسها الماءُ

حتى ترى في تخوم الكأس أعيُنُها بيضاء وليس بها من علّة داء

تبني سماء على أرض معلّقة كأنها علق والأرض بيضاء

جلّت عن الوهم حتى ما يطالبها وهمٌ فيخلفها في الوصف أسماء

تقسَّمتها ظنون الفكر فانقسمت كما تقسّمت الأديان آراء

---

667 - مقاييس 2 ص 215-217

668 -أدب الكاتب- مذكور ص 289

669 - أدب الكاتب-مذكور ص 320

670 ديوان أبي نواس-مذكور م 3 ص 18

من كف ذي غنج حلو شمائله كأنه عند رأي العين عذراء

لها بكيت ولمّا يُبْكِني رجلٌ على المعالم والأطلال بكاء

ويقول:

شجاني وأضناني تذكّر من أهوى فألبسني ثوباً من الضُّر ما يبلى

خطبنا إلى الدهقان بعض بناته فزوجنا منهنّ في خدره الكبرى

رحيقاً أبوها الماء والكرم أمها وحاضنها حَرُّ الهجير إذا يحمى

مساكنها دَنٌّ به القار مشعراً إذا برزت منه فليس لها مثوى

مسيحية الأنساب مسلمة القرى شآمية المغدى عراقية المنشا

مجوسية قد خالفت أهل دينها لبغضها النار التي عندهم تُذْكى

رأت عندنا ضوء السراج فراعها فما سكنت حتى أمرنا به يُطْفى

وبتنا نراها في الندامى أسيرة إذا اندفعت فيهم فصاروا لها أسرى

إذا أصبحت أهدت إلى الشمس سجدة وتسجد أخرى حين تغرب للممسى

أُميتت بلذات الكؤوس نفوسهم فأنفسهم أحيا وأجسادهم موتى

وساقٍ غرير الدلّ و الطرف فاتر ربيب ملوكٍ كان والده كسرى .[671]

ويقول:

مِنَ اللواتي خطبناها على عجلِ لما عجبنا بربات الحوانيت

في فيلق للدجى كاليمٍّ ملتطمٍ طامٍ يحارُ به من هوله النُوتي

إذا بكافرة شمطاء قد برزت في زي مختشع لله زِمّيتِ

تنمي إلى محتد الكفار في نسبٍ أهل الصوامع عباد الطواغيت

---

671 ديوان أبي نواس-مذكور م 3 ص 25

قالت مَنِ القوم قلنا من عرفتهُم من كل سمح بفرط الجود منعوتِ

فقد ظفرت بصفو العيش غانمة كغُنم داوود من أسلاب جالوت ِ[672]

يقول هاملت: لا، أبداً! بإمكاننا أن نتعقبه إلى غايته دون مبالغة قد تفسد الاحتمال، هكذا: الاسكندر مات، الاسكندر دفن، الاسكندر عاد إلى تراب، ومن التراب نصنع الطين، فلماذا يستبعد أن يسد بعضهم بذلك الطين (الذي تحول الاسكندر إليه) دناً من دنان الخمر؟"[673]

ميمر2: في ذكر كيف بادر هيبا لأول مرة مع أوكتافيا، وكيف علا صوتها وهي تئن طالبة أن يشقها نصفين .. يإلهي لقد شقها أربعتين، وكيف بدأ بعد ذلك تحوله وصعوده ومن ثم خروجه.

قال هيبا: كانت أوكتافيا نائمة بجواري كحلم فاحش .. بهدوء نزلتُ إلى غرفة الكتب .

ميمر3: في ذكر كيف تحدث المتنبي الشاعر أحمد بن الحسين عن الضيف وكيف مات الشاعر وعمره بعدد أبواب تاسوعات أفلوطين الأربع والخمسين، يقول:

ضيف ألمّ برأسي غير محتشم السيف أحسن فعلاً منه بالّلمم

افترشتُ الأرض معاوداً جلستي بين الكتب. لا تقدم بلا نزول؛ لا تقدم من دون رجوع إلى الخمرة المعتقة في أقبية التراث؛ القبو حيث مؤلفات الأقدمين المتخمرة. لقد أنزله عزازيل وأنساه هدفه الأخير (غايته) لوهلة **"قال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا"**. في القبو رسائل وشذرات لفلاسفة الإسكندرية القدماء؛ وشذرات منسوبة إلى فيلسوف قديم

---

672 ديوان أبي نواس-مذكور م 3 ص 70

673 - شكسبير: هاملت ترجة جبرا..ص 187

هو هيجاسياس الداعي إلى الانتحار! لا تتعجبوا فهو "الانتحار المعقول"[674] عند أفلوطين؛ الفيلسوف الحزين.

دخلت أكتافيا علي فزعة .. لا تفجعني برحيلك المفاجئ.

وربما تذكرت أوكتافيا انتحار الملكة القرطاجية ديدو حين هجرها آينياس مبحراً إلى صقلية ، في الكتاب الرابع من آينيدة فرجيل.

ميمر4: في ذكر ما حصل لهيبا مع أوكتافيا ، وكيف شعر هذه المرة (في الرق السادس) بالتياعها، وكيف أخذها في حضنه بحنو أبوي ، وكيف خطرت بباله أن يقيم مقارنة بين حبها له وشعور أمه نحوه، وكيف شعر أنها تحبه في تلك اللحظة أكثر من أمه حين كان طفلاً ، وكيف تساءل: هل كانت أمي تكرهني مثلما كانت تكره أبي، وهل تراها أحبت من بعده زوجها الغشوم؟ هل كان علي أيامها أن أثق بأوكتافيا، بأكثر مما فعلت؟ من يدري. على كل حال هي مغامرة خطيرة أن نأمن، مثلما هي مغامرة كبرى أن نؤمن. بالفعل هي مخاطرة كبرى أن ننزل إلى قبو التاريخ؛ أن نعود أدراجنا قصصاً إلى الماضي البعيد؛ هذا النزول محفوف بالمخاطر؛ وخطبتنا إياه يجب أن تكون حذرةً وعجلةً .لأن البقاء ملياً هناك يعني فيما يمكن أن يعنيه عدم القدرة على العودة إلى الديار والوطن ، وعدم تحقيق الغاية التي من أجل إكمالها كان النزول. وإنه لحزن وشحوب في ذلك الوقت وفي العالم السفلي، حيث يمضي العمر مع الموتى .

قالت: لا تتركني أبداً يا حبّي الوحيد.

حتى عادت وارتدت الثوب الأبيض الذي رأيته عليها أول مرة وفي يدها ثوب السيد الصقلّي المطرزة حوافه؛ الثوب الذي رفضت قبلاً أن أرتديه. كانت عيناها ترجوني ، فخلعت عني جلبابي وارتديته صامتاً ؛ هي ألبسته لي على طرف سريرها ، أي هناك، جلست وهي تمُدُّ ذراعيها نحوي ، مثل ربّة مانحة، ربّة حنون وطيبة ومرحة. لكن أفكاري ساعتها عاودتني: من يدري أن صفاتها هذه سوف تدوم إلى الأبد؟ لا شيء يدوم إلى الأبد، ماذا لو غدرت

---

674 - التاسوعات (1، 9)

بي؟ والنساء بطبعهن غادرات، قد تغضب مني يوماً لأي سبب، فتشي بي عند رجال الكنيسة وتفضح لهم سري؛ تقول إنني أغويتها، أو إنني كنت راهباً وفسقت معها.. كنيسة الإسكندرية بحسب المشهور من أخبارها قوية وحاسمة، ورجالها الآن أغلبهم قساة، فما الذي يمكن أن يفعلوه بي؟ هل سألقى هنا، المصير الذي لقيه أبي هناك.

ميمر5: في ذكر كيف نشب الخلاف بينهما بسبب وثنيتها ومسيحيته الرسمية، وكيف سخرت مستهترة بالعهد القديم ناعتة إياه بالخرافات، وكيف امتلأ باطنه بالغيظ ، وكل ذلك بمناسبة طلبها منه أن يأخذ التفاحة من يدها؛ وهي الثمرة المحرمة التي أخرجت آدم من الجنة؛ هو وحوّاء وعزازيل. "وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ" [675]، "قال اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين "[676]، " قلنا اهبطوا منها جميعاً"[677]

وكيف كان استهتارها بالعهد القديم يثير غضبه، وأن هذا الغضب لم يكن سوى علامة على الشكوك التي كانت تختمر في نفسه تجاه ما ورد في أسفار التوراة الخمسة التي كتبها موسى.

ولكن مهما يكن فلا يجوز لإنسان إهانة عقائد غيره من الناس وإلا لهانت كل الاعتقادات وهانت. "إن التوراة تقتصر، بوجه الحق، على جزء يسير من الكتاب المقدس (العهد القديم) هي الأسفار الخمسة الأولى منه المنسوبة إلى موسى، وهي: التكوين ، الخروج و اللاويين (اللافيين)، والعدد، والتثنية. ومن الباحثين في العلوم التوراتية من يدخل في أسفار موسى ، السفر السادس (سفر يشوع أو يسوع)"[678]. هناك إجماع أنها ألّفت بعد موسى بقرون طويلة، وكتبت بالعبرية ، وهذه الأخيرة حسب التوراة نفسها هي "شفة كنعان"؛ أي لسان الكنعانيين.. فكلمة آدم عرفناها قبل التوراة وهي كلمة كنعانية/ فينيقية معروفة في مدونات (أوغاريت).

---

675 ـ البقرة / 36 .. "

676 ـ الأعراف/ 24

677 البقرة / 38

678 ـ سيد القمني: قصة الخلق ص 91

ظلت مدونات التوراة زمناً طويلاً خالية من التنقيط والتشكيل، إضافة إلى اختلاط النطق في الحروف العبرية ذات المخرج الواحد: الشفاه، الأسنان، الحنجرة اللسان، الحلق.. مع غياب الأزمنة ، الحاضر الماضي الناقص، الماضي التام ، المستقبل السابق في الصيغة الإخبارية، ناهيك عن غياب الحروف المتحركة (حروف العلة)، ولم يتم وضع ذلك كله إلا أيام الحشمونيين قبل الميلاد بحوالي قرنين من الزمان ، وفق قواعد اللغة الآرامية مما أدى إلى لبس وأخطاء لا مزيد عليها، مما يجعل قراءة أي كلمة في التوراة موضع حذر وشك كبير."[679]

قال هيبا: أخذت التفاحة متردداً ، فرفعت أوكتافيا يدي نحو فمي ، كنت لحظتها أفكر في سفر التكوين وهو الأول من الأسفار الخمسة المنسوب إلى موسى". وهي الأسفار الوحيدة المعتمدة من قبل كهنة معبد أورشليم اليهود الصدوقيين الذين وصفوا من قبل عيسويّ كهوف قمران الواحد منهم "بالكاهن الشرير" لطغيانهم واستبدادهم.

أخذت التفاحة متردداً ، فرفعت أكتافيا بها يدي نحو فمي، كنت لحظتها أفكر في سفر التكوين. قضمت من تفاحتها قضمة صغيرة ، وقد اجتاحني شعور جارف بأنني آدم الذي أغوته امرأته (إغواء الجسدية)، وخدعه عزازيل اللعين، فأورثنا من بعده خطية العصيان الأولى. الخطية الأولى، طافت بذهني الآيات التوراتية المشهورة، التي لا يمكن أن يصدقها غيرنا. وتوالت على قلبي الأسئلة: لماذا أمر الرب آدم الابتعاد عن شجرتي المعرفة والخلود؟ ولماذا انزعج الرب لما أكل آدم من شجرة المعرفة ؟ فقال في نفسه بحسب ما هو مكتوب في سفر التكوين: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا، عارفاً الخير والشر(الخَمْر والخَلّ). والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً فيصير خالداً. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليحرث في الأرض التي أخذ منها. طرد الرب الإله الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن ملائكة ولهيب وسيف متقلب ليحرس طريق شجرة الحياة. لماذا أراد الله أولاً ، أن يبقى الإنسان جاهلاً ؟ وهل المعرفة التي أدركها آدم ، هي تمهيد

---

679 - القمني قصة الخلق منقول عن حسن حنفي في هوامشه على ترجمته لكتاب أسبينوزا "رسالة في اللاهوت والسياسة" ص 93

لإدراكه الخلود ؟ ومن هم أولئك الذين قال الرب إنه واحد منهم؟ وهل لو بقي آدم وحواء جاهلين ، كانا سيخلدان في الجنة ؟ كيف يصح الخلود مع الجهل والغفلة عن الطبيعة ؟ وما الذي عرفاه بالضبط حين أكلا من الشجرة؟ أهو الذي عرفته مع أوكتافيا في الأيام الماضية. ما جرتني إليه هي من غير تدبير مني ولا قصد .. أتراني أعيد فعلة آدم ، فأغضب الرب ، فيعيد الطرد ؟ .. من أين ولأين سيطردني، أنا الطريد منذ سنين.. ولا أين لي ولا كيف/ فحالي اليوم كحال المتنبي الشاعر حين قال: أنا الغريق فما خوفي من البلل"[680]

ميمر6: في ذكر كيف أن القدرة على معرفة الخير والشر؛ أي القدرة على التفريق بينهما هي تمهيد للوصول إلى عين اليقين والخلود، وكيف أن الفقرة التي اقتبسناها مليئة بالأسئلة وإشارات الاستفهام، وليس معنى ذلك أنها لا تتضمن أجوبة بل على العكس من ذلك. وكيف أن كلمة الرب الإله يمكن أن تقودنا إلى دلالتين: واحدة سياسية (ملاك الرب أو الربّ- الملك؛ البعل- مولوخ) ودلالة معرفية (الرب/ الإله)، وكيف أن إفشاء السر في الدلالتين يقود إلى التهلكة . وما معرفة الطبيعة إلا كشف أسرارها . وكيف امتنع سقراط عن الكتابة ؛ فإفشاء سر السلطة الذي يجد مفتاحه في كلمة "الخوف" يعني الإعدام. وإفشاء سر المعرفة في غير أوانها (النسيء)؛ يعني الموت والإعدام (قال اقرأ، قال ما أنا بقارئ/ . إفشاء الأسرار لغير أهلها ظلم وهو وضع الأشياء في غير موضعها ظلماً وخطأ. وكيف امتنع الحواريون عن الأكل من المائدة الحمراء التي نزّلها رب عيسى المسيح. المسألة في النهي عن شجرة المعرفة تكمن في الاطلاع على لأسرار الإلهية من دون استعداد و ما يترتب على ذلك من عقوبة . أما خطأ آدم فهو في الانصياع لعزازيل وتصديقه بأن الحقيقة في الجسد والجسدية. أما الجانب السياسي فهو إفشاء سر السلطة والعصيان والتمرد في ظروف غير مواتية، في الزمن خارج الوصل؛ الشيطنة وعقوبة ذلك .

إن إفشاء العرفان لغير أهله ومن دون استعداد لتسلمه أمر ضار وخطر. وهذا ما نلاحظه في الاستعداد لتسلم الأسرار في ديانات الأسرار وطقوس

---

680 شعر للمتنبي

التسليم المعقدة؛ ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين(16) وحفظناها من كل شيطان رجيم (17) إلا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين (18) [681]

ميمر7: في ذكر كيف يشير التفسير الفيزياوي العقلاني إلى قصة هبوط آدم؛ وأنه كان قبلها في جنته الحيوانية، لا يتألم كالبشر ولا يعرف كالبشر، وكيف كان هبوطه مع انسلاخ وعيه ومفارقته للطبيعة الفيزيائية وإدراكه لها، وكيف جاء كلام الله من الإنسان وعبره ومن حوله؛ الإنسان الذي ضاق ذرعاً بالاضطهاد والظلم والجور الذي كرسته الإمبراطوريات المستبدة. وكيف صعّد الإنسان كل ذلك إلى كلمات ربانية ما هي إلا معنى معاناته ومكابدته وقد رفعها إلى مستوى عقله وأنزلها في حروف اللغة.

وبعد أن بادر هبا لأول مرة تجاه أوكتافيا وهيمن عليها قليلاً ، بدأت الأفكار تعتصره ، وسوف ينتهز فرصة للخروج من العالم السفلي (القبو) الذي أنزلته إليه.

قال: اعتصرتني الأفكار التي أحاطتني بها هذه الربة الوثنية التي تجلسني على سريرها . هل أرادت بتفاحتها أن تعيدنا إلى الخطيئة ، تعود بنا إلى بدء خلق جديد؟ تريدني أن أقضي العمر معها وهي لا تعرف الإيمان القويم.

ميمر8: في ذكر كيف أن البقاء معها العمر كله هو الخطأ أو الخطيئة، وأن البقاء ملياً عند المستوى الحسي للمعرفة خطأ أول، وأن كل خلق جديد بحاجة إلى هبوط جديد. وإلى قضم تفاحة جدنا آدم من جديد! والقضم: النهش أو النهس بأطراف الأسنان، والجلد الأبيض أو الصحيفة البيضاء.

قال: كان عقلي غائباً في خدره، وكانت تكمل حكايتها فتخبرني أن زوجها خرج ذات صباح ليضع البخور في المعبد الصغير الذي كان قائماً بشرق الميناء ، فحوصر هناك (تقصد حاصره أهل ديانتنا) أجهشت وهي تقول: قتله المجرمون وقادتهم من الرهبان ، وهم يدمرون المعبد .

---

681 - سورة الحِجْر

ما هذا الذي تقولين؟ الرهبان لا يقتلون! عزازيل: هيبا أيها التعس، ولكن ألم يقتلوا أباك من قبل!؟

رهبان الإسكندرية يفعلون باسم ربهم العجيب، وببركات الأسقف ثيوفيلوس؛ محب الرب المهووس وخليفته وابن أخيه كيرُلُّس الأشد هوساً.

أرجوك يا أوكتافيا (من أين يأتي بها ! كلام أوكتافيا الجارح الواقعي، وشكوكه تجاه هؤلاء الأساقفة وجرائمهم ، ومقتل أبيه على يد رعاعهم، وشكوكه تجاه العهد القديم وعباراته الملتبسة، وشكوكه حول بعض عبارات أناجيل العهد الجديد / عهد الكنيسة الكاثوليكية ومعها المرقصية الأورثوذوكسية في الإسكندرية) ؛ ولكن من أين يأتي بها !؟

أوكتافيا لا تعرف مكابدته وشقائه.

حبيبي ، ما علينا من هذا الكلام الآن ، ولكن لماذا تبدو يا حبيبي متألماً هكذا! ومنحازاً لهم؟ إنهم يطاردوننا في كل مكان ويطردون إخوانهم اليهود ويهدمون المعابد على رؤوس الناس ويصفوننا بالوثنيين الأنجاس. إنهم يتكاثرون من حولنا كالجراد، ويملؤون البلاد مثل لعنة حلّت بالعالم.

يا لهذا الدين الغاضب ، الخارج من نقيضه الوثني للتو! **ما من دين غاضب إلا وسرّه في سلطة مستبدة وآفلة**. والسر ملتبس ، كما هو سر كل سلطة تعتقد أنها الأصل بينما الحقيقة قائمة في المجتمع الذي يولدها باستمرار، وتخضعُه!

لماذا تحمرّ عيناك هكذا، وتوشك دموعك أن تنسال؟

ميمرو: في ذكر كيف عادت ذكرياته كالقِدْر الذي يغلي؛ ذكرياته عن مقتل أبيه على يد هؤلاء الرعاع الغاضبين، وكيف عصف التردد به .. وماذا يقول لها.. أن أباه وثني وأمه مسيحية وشت بأبيه و كانت السبب في مقتله على يد أقربائها وأنها تخلت عنه وتزوجت من أحد قتلة أبيه الغاشمين! ماذا.. وماذا..!؟ وكان الجواب الأقرب: أنا راهب مسيحي!

العقاب؛ عقاب إفشاء السر. لكن الافشاء هنا اضطراري (كاضطرار الحلاج والسهروردي) ليخرج هيبا من عالم أوكتافيا السفلي؛ من عالمه السفلي الذي نزل إليه برغبته. وكما كان ارتداد موسى وفتاه على آثارهما قصصا و"ذلك ما كنا نبغي"، كذلك كان الحال مع هيبا على وجه التمثيل.

وكان غضبها وانفجارها وعقابها رهيبا؛ كان هو الطرد والإخراج ؛ فجأة انتفضت واقفة وقد صارت لها **هيئة كتلك التي تكسو التماثيل الضخمة القديمة**[682]. وبكل ما فيها من عنفوان وثني، ومن مرارة موروثة مدت ذراعها اليمنى نحو الباب، وزعقت في بصوت هائل مثل هزيم رعد سكندري أو صرير ريح وثنية عاتية. اخرج من بيتي يا حقير.. أخرج يا سافل ..

الرق السابع؛ (الرق الناقص)

ميمر1: في ذكر كيف عجز هيبا عن إقامة بيته المقدس أو هيكله كونه ما برح يرزح في حيرته بعد أن أُخرج مطروداً ملعوناً مهيناً[683] من بيت أوكتافيا عند نهاية الرق السادس، على اثر افتضاح أمره واكتشاف سره بأنه راهب مسيحي يقيم في بيت محظيته الوثنية .

وكيف جاء الرق السابع من ترجمة المبجل يوسف زيدان على شكل رق ناقص غير مكتمل .

عند هذه النقطة كتب هيبا: الآن إن يديّ ترتجفان.. أوكتافيا الحبيبة المسكينة .. ما عدت قادراً على الكتابة.

---

682 جبروت الصورة الحسية البهيمية وقدم موروثها في الديانات الكونية/الطبيعية - الوثنية

683 - أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين " الزخرف /52

III

القسم الثالث

تعليقات، تحقيقات وهوامش

الرق الثامن

تعليق: عصيان الرب أول مرة هو في عبادة الحسيات أو الصورة الفيزيائية الخارجية؛ الصورة البهيمية ، والظن أن الحقيقة قابعة في الجسد والجسدية، في التمثال الكبير لأوكتافيا و إيزيس. وقد وقع في هذا الخطأ عزازيل حين ظن أن حقيقة آدم أو الإنسان هي في جسديته أو في طينيته؛ هكذا هبط هو وآدم وحواء من عالم العقل/ الروح. لم يدرك عزازيل ومعه آدم حين أخطأ وعصا الأمر، أن حقيقة آدم هي فيما وراء الجسدية أو فيما وراء طينية آدم، تماماً كما أن حقيقة القيمة ؛ قيمة البضاعة هي فيما وراء جسد البضاعة .

تحقيق: عزازيل الذي تحوّل إلى إبليس بعد ظهور آدم وظهور الجسدية، هو أَبْ / ليس. وأب كما مر معنا معناها أنه أبى واستكبر. قال أنا خير منه. أما ليس فهي تعني: لا أيس .″من اليسير إذن أن نمضي إلى مادة ″أيس″ في العربية فنجدها تقول أن ″أيس″ كلمة قد أميتت، والعرب تقول: جيء به من حيث أيس وليس، لم تستعمل أيس إلا في هذه الكلمة، وإنما معناها كمعنى حيث هو في حال الكينونة والوُجْد. وقال (الليث): إن معنى لا أيس هو (ليس)، أي لا وُجْد (لا ″وجود″) ـ كما جاء في اللسان.

قولنا من حيث أيس وليس (لا أيس) يساوي قولنا من حيث وجود ولا وجود. إذا أيس كلمة عتيقة استعملها العرب ثم أهملوها، ″قال الخليل: أيس كلمة قد أميتت ، غير أن العرب تقول : ″ائتِ به من حيثُ أيسَ وليسَ″ لم يستعمل

أيس إلا في هذا فقط . وإنما معناها كمعنى "حيث" هو في حال الكينونة والوُجْد والجِدة. وقال: إن "ليس" معناها لا أيسَ ، أي لا وُجْد "[684] يظهر الاستقراء أن المعني أصلاً هو الوجود عن عدم؛ أي الظهور الأول؛ أي ظهور الإنسان الأول آدم, أبّ البشر؛ أي ظهور الرجل (الإنسان الذكر) من بعده الأنثى مميزة بعلامات التأنيث بحسب قواعد اللغة. من هنا جاءت الصفة الواضحة للوحدة، بين تسميات العدد "واحد" في مختلف اللغات باعتباره "الموجود قبل غيره" في حساب الأشياء الحسية ثم الأشياء المجردة. لأن الوجود نفسه بدأ واحداً أو دفعة واحدة . أو لأنه في ذاته واحد.

في الآكادية القديمة تأتي هذه الصيغ حسب الإعراب:

Ishtanu, ishtenum,ishtum, ishten, ishtu, ishti, بمعنى العدد "واحد" . وفي الآشورية الجديدة *issi, issu* = واحد . ومن ذلك *isdum (is+ dum)* بمعنى القاعدة ، الجذر ، الأصل .

نلاحظ أن الجذر فيها كلها هو *is (ish)* . وتمكننا مكافأة الآشورية *isdum* (جذرها *is*) بالعربية. أس؛ أساس ؛ قاعدة ، جذر ، أصل وكذلك أُسّ. وإيزيس المصرية : *Is is*

في العبرانية "إيش" *esh* : إنسان، رجل ، وتصغر إلى "إيشون" *eshon*.

في الكنعانية "إث" (ث= ش): الوجود ، الكيان. وفي الأكادية "إش" *ish* إنسان. في الأمازيغية أو البربرية المعاصرة نجد تسمية العدد واحد "إج" (= إش) وتؤنث (إشت) يقرنها الأستاذ زافادوفسكي بالأكادية "إشتن" *ishten* الأول/ واحد ومؤنثها إشتِيَت *ishtiat*..(الأولى؛ واحدة)

الجذر الأحادي *s* ومنه *esse* اللاتيني يفيد الواحدية الأولية كما يفيد الوجود ، وله مقابلات في اللغات العروبية، ومن هنا جاء الاشتقاق *essential* (الوجود)، ومنه في الإنكليزية مثلاً *essence* (ماهية، وجود، جوهر، ذات). ويذكر معجم اللاتينية التأثيلي أن *esse* اللاتينية مأخوذة عن اليونانية *eis*

---

684 - مقاييس 1 ص 164

(أيس، وهي أيس العربية المهملة) وتقابل اليونانية *to aeinai* (الوجود) وهذا هو ما في العربية (الأين): التأيّن؛ الوجود في الزمان (الأيان) والوجود في المكان (الأين) ، كما هو حال "أون" [685] ومنها : الأوان ، الآن ، أين ، الآونة أي الزمان.

وقد يرى أحد أن العربية "أين" و "أون" من اليونانية *aenai*، بيد أن وجود مادة "ون" *wn* في العروبية المصرية القديمة بمعنى "الوجود" يدحض هذا الزعم كما يرد وجود "أيانو" *ianu* في العروبية الأكادية. واللغتان العروبيتان أقدم من اليونانية بكثير . ليس هذا فحسب بل إن كلمة "ون" *won* موجودة في اللغات الإفريقية وتعني في لغة (البانتو) الوجود أو الكينونة *etre* كما يذكر أمبرجيه، كما تعني *ne, na* العدد واحد في تلك اللغة، وهذا يذكرنا باللاتينية *unu* واليونانية *en* ومنها الإيطالية *uno; una* والفرنسية *un; une* ، وفي جملة اللغات الجرمانية الإنكليزية *one*.[686]

تعليق: لماذا كان يوحنا المعمدان يخزّق ثيابه وهو هائم على وجهه يصرخ في البرية؟ أيكون الخوف من أن ينفرد الإنسان بنفسه وتغلبه الوساوس والمخاوف، أم يكون الصراخ في البرية للتغلب على خوف الإنسان من هولة نفسه؟ إن النفس لأمّارة بالسوء. وربما كان مملوءً بالغيظ من الظلم الغاشم حوله؛ يقول هيبا في "سيرته" التي هي "تراجم عزازيل": "كان انفرادي يمزّعني"، وقد يكون؛ فزع المعمدان فزعه المهول عند الاقتراب من الحق ومعاينته من دون استعداد كاف. أضف إلى ذلك شكاية النبي حبقوق من اشتداد الظلم.

تحقيق: مزع: أصل واحد يدل على قطع وتقطّع ؛ والقطعة من اللحم مُزْعة. والمَزْعة: الجُرعة من الماء ، وفلان يتمزّع من الغيظ : يكاد يتقطّع.

تعليق وتحقيق: في معنى نزول هيبا إلى القبو ومن ثم خروجه منه؛ وزيادة حيرته وشكوكه، و في معنى إلقاء النبي يوسف في غيابت الجب ومن ثم

---

685 اليونانية: تي تو أن؟ ما الوجود؟ مارتن هايدغر : ما الفلسفة؟ ص 61

686 اللاتينية العربية-مذكور ص 25-26

خروجه منه وسيادته في مصر . كانت عودة هيبا من القبو أحمر، وكان عود يوسف من الجب أحمد. والأحمد المبين. و موت أحمر إذا وصف بالشدة؛ قال عليّ: "كنا إذا احمرّ البأس اتقينا برسول الله ، **فلم يكن أحد أقرب إلى العدو منه**". ومن الباب قولهم: وطأة حمراء: وذلك إذا كانت جديدة . وقولهم للذي لا سلاح معه أحمر. وأما الأصل الثاني فالحمار معروف، حمار وحمير وحُمر حُمُرات كما يقال صعيد وصُعُد وصُعُدات.[687] أما قولنا (حمد): أصل واحد هو خلاف الذم، يقال حمدت فلاناً أحْمُده، ورجل محمود ومحمد، إذا كثرت خصاله المحمودة."[688] وحمد *hmtt* ثالوث مصري في أربعة حروف.

ما سرّ الغفوة التي غلبت تلاميذ المسيح ليلة العشاء الأخير بعدما أخبرهم بقرب رحيله عنهم إلى الآب الذي في السماء ؟

تعليق: في أن الغفوة إشارة إلى دخول يسوع في البرزخ؛ أي في نقطة التحول أو الانتقال، أو الأصح العبور من الأرض إلى السماء، ومن الشهادة إلى الغيب ومن الجسدية إلى الحق، ومن الظن إلى اليقين (ما لهم به من علم الا اتباع الظن **وما قتلوه يقينا**)[689]؛ شبهة الجسدية وتلبيس الجسد للحق وهو ما حصل لآينياس في الكتاب السادس من الأينيدة لفرجيل. فالبرزخ هو ظلمة بحتة[690] مثلها مثل الغفوة يغيب فيها الوعي.

قال هيبا في المغارة على شاطئ البحر التي التقى فيها لأول مرة مع أوكتافيا: لن أشغل نفسي بشيء من حطام هذه الدنيا . لن يشغلني إلا تسبيح الرب ومشاهدة حقائق الوجود المتجلية على باطني الذي سوف أجلوه فيصير كالمرآة؛ سوف أصفو من كدر هذا العالم.

تعليق: التسبيح ؛ التنزيه وصفاء النفس من كدر هذا العالم؛ عالم الجسدية.

---

687 مقاييس اللغة2 ص 101-102

688 مقاييس2 ص 100

689 - النساء / 157

690 - تاريخ الفلسفة الاسلامية ص 317

تحقيق: سبّح أصلان: الأول جنس من العبادة وهي الصلاة خاصة النافلة (غير المفروضة، ولا نافلة بلا فرض يسبقها، ولا طيفية بلا حدث مؤسس يسبقها). ومن الباب؛ التسبيح: تنزيه الله من كل سوء ؛ والتنزيه: التبعيد؛ سبحانه من كذا أي ما أبعده (عن النعوت والصفات). وعجباً له إذ يفخر ؛ أي ما أبعده عن الفخر. وسُبُّوح: اشتقاق منه: أي أنه منزّه من كل شيء لا ينبغي له. وسُبّحات: جلال الله (جَلَّ ثناؤه وعظمته). والأصل الثاني: العوم في الماء, والسابح من الخيل: الحسن مد اليدين في الجري " [691]

خاطرة: في أن النيل أحلى من البحر وأرحم ؛ النيل يجلب إلى ضفتيه الحياة ، والبحر يزيح عن شواطئه كل ما اخضرّ فلا يجاوره إلا الصخور. الإسكندرية مدينة للبحر والصخر؛ مدينة للملح والقسوة.[692]

الرق التاسع

قال هيبا: كانت المرة الوحيدة والأولى التي أحضر فيها درساً تلقيه امرأة وتحضره النساء. الداخلون إلى القاعة كلهم يتكلمون اليونانية ، وكلهم درسوا الفلسفة. لم يجر على لسانهم ذكر أي واحد من القديسين والشهداء، فكأنهم يعيشون في عالم غير العالم (المسيحي) .

تعليق: في أن هذا العالم عالم الطبقة الوسطى من ذوي الثقافة اليونانية، وهنا يحدث اصطفاف (شبه تحالف) بين الوثنية والثقافة اليونانية من جهة ، وبين المسيحية الرسمية وعامة المصريين من الجهة الأخرى. هكذا تكون الإمبراطورية الرومانية قد ضمنت ولاء العامة عن طريق المسيحية الرسمية المكرّسة وولاء الطبقة الوسطى المثقفة عن طريق رعاية الوثنية إلى أن ظهر الشقاق في السلطة نفسها مع انحطاط الإمبراطورية وطموح الأساقفة في الإسكندرية كمدينة عالمية للعب دور سياسي أعظم والحصول على مكاسب وامتيازات أكبر.

---

691 مقاييس 3 ص 125

692 عزازيل : الرقّ الثامن

ظننت أولاً أنني سأسمع محاضرة وثنية جداً ، ثم عرفت أن الرياضيات لا شأن لها بالوثنية ولا بالإيمان .

تعليق: في أن هيبا غير محق في قوله، أن الرياضيات القديمة محايدة بما يخص البحث في الربوبيات؛ فالرياضيات مرحلة تمهيدية للانتقال من الحسي إلى العقلي المجرد؛ ومن الطبيعيات إلى الإلهيات . التجريد الرياضي محطة وسيطة بين الحسيات والعقليات. إنها مجازة أو معبر . الخط الهندسي وسط بين الحسي والمجرد . قال أفلاطون : "لا يدخل علينا إلا من درس الهندسة"

هيباتيا لعلها أجمل امرأة في الكون ، كان عمرها في حدود الأربعين[693]؛ وهو عمر النبي محمد حين نزل عليه الوحي لأول مرة وأمره جبريل بإشهار الدعوة. وهو عمر خديجة حين تزوجها محمد، وكذلك كان أمر موسى: "وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر"[694]

فرجيل أو فرجيليوس أعظم شعراء اللاتين السابقين منهم والمعاصرين (مع كونه أتروسكي من سكان إيطاليا الأصليين قبل مجيء الرومان)، كان قد ناهز الأربعين من عمره . كان حتى ذلك الوقت يفكر في نظم ملحمة إيطالية . وبدأ وهو في سن الأربعين في تحقيق حلمه الذي ظل يداعبه سنين عديدة . وقضى بقية حياته كي يخرج ذلك العمل إلى الوجود [695]

في ذهاب المسيح عيسى إلى الصحراء أربعين يوماً صائماً وهو يواجه الشيطان حتى غلب شيطانه في اليوم الأربعين، وهي الفترة التي أعطاها عزازيل لهيبا كي يدوّن سيرته الذاتية!

هيباتيا فيلسوفة الإسكندرية والدها عالم الرياضيات ثيون *thion* ومعناها (الكبريت) الأحمر، لعله كان خيميائياً على شاكلة جابر ابن حيان.

---

693 "غير أن وجه مايا بخطوط عمرها الأربعين الجميلة، عبّر عن كل خفايا أفكارها ومشاعرها " ، ستيفن فيزينشيي:"في مديح النساء الأكبر سناً" ص 58

694 الأعراف 142

695 (أينيدة 28)

كانت لهيباتيا تلك الهيئة التي تخيلتها دوماً ليسوع المسيح ؛ جامعة بين الرقة والجلال ، في عينيها زرقة خفيفة ورمادية ، وفيها شفافية . في جبهتها اتساع ونور سماوي ، وفي ثوبها الهفهاف ووقفتها وقار يماثل ما يحف بالآلهة من بهاء .

"اتسمت التيارات الفلسفية في القرنين الأخيرين ما قبل الميلاد بسمة خلقية اقترن بها التنكُّب (العزوف) عن الأبحاث النظرية والجنوح نحو التشكيك والتنكر للإلهيات أو الميتافيزيقا. ومن المفارقات البارزة أن الأفلاطونية نحت في أواخر هذه الحقبة منحى شكوكياً واضحاً بعكس التيارات المعاصرة التي وقفت من مشكلة المعرفة موقفاً سلبياً وأنكرت أن يكون للمعرفة معيار ثابت . من ذلك أخذت الأفلاطونية الوسطى (المسافة بين أفلاطون وأفلوطين) تعود تدريجياً إلى الجذور الميتافيزيقية في فلسفة أفلاطون ."[696]

تأتي هيباتيا بعد أكثر من قرن من وفاة أفلوطين لتقول بمقدرة العقل البشري على معرفة جوهر الأشياء الكائنة "يمكن للعقل البشري أن يستشف النظام الكامن في الكون، وأن يصل بالفهم إلى معرفة جواهر الأشياء ، بالتالي يميز أعراضها وصفاتها المتغيرة ". حتى المشهور من كلام الفيثاغوريين مثل قولهم العالم عدد ونغم؛ شعرتُ من عمق إحساسها بالعبارة ورهافة نطقها بها أن الكائنات كلها إيقاعات منظومة واحدة.

تعليق : العدد يشير إلى ترتيب عناصر الظاهرة في الذهن وله أهمية حاسمة في معرفة جوهر الظاهرة وحقيقتها. هذا الترتيب الذي يقوم به الذهن أو الذات العارفة هو ما يسمى التنزيل أو **فاعلية الذات أو فاعلية العقل المستفاد من أثر العقل الفعال**. فحتى نعرف كائناً ما يتوجب على الذهن أن يعيد ترتيب عناصره بطريقة تجعل معرفة جوهره وحقيقته في قبضة اليد.

النغم هو الوصول إلى الدهشة أو حال الدهشة التي ترجمتها العربية (حال). يقول أفلاطون: الدهشة هي "الباثوس" (الحال) الذي يميز الفيلسوف حقاً؛

---

696 - ماجد فخري تاريخ الفلسفة اليونانية -مذكور ص 184

وليس للفلسفة من مبدأ سواه"[697] يقول هايدغر: الدهشة "باثوس" *pathos* (حال) . ونحن (الأوربيين) نترجم عادة "باثوس" بـ "حال" أي فورة من فورات العاطفة ، لكن كلمة "باثوس" مرتبطة بالفعل اليوناني "باسخين" يعاني ويكابد ويخبر ويتناغم مع[698]. ونحن نخاطر كما هو الحال دائماً في هذه الحالات- لو ترجمنا "باثوس" بكلمة "نغم" التي تعني التناغم والنغمية . ولكن ليس لنا بد من المخاطرة بهذه الترجمة ، لأنها هي وحدها التي تحفظنا من الوقوع في تصور من تصورات علم النفس الحديث لكلمة "باثوس". وإذا فهمنا "الباثوس" على أنه "نغم" (تَحَدّد؛ تعيين؛ تحديد) ففي مقدورنا كذلك أن نميز به الدهشة على نحو أكثر دقة ، ففي الدهشة نقف مع أنفسنا، نحن **نفزع** إليها من الموجود، نفزع منه ، لأنه كذا وليس غير ذلك ، والدهشة لا تستنفذ في **هذا الفزع** من وجود الموجود ، بل هي هو ، بوصفه هذا الفزع وهذا التوقف. وفي نفس الوقت **الانتزاع منه ، والتعلق به** ، أي بهذا الذي يتراجع عنه . الدهشة هي **التحدّد** الذي فيه ومن أجله ينكشف وجود الموجود . الدهشة هي **التناغم** الذي من خلاله قيض للفلاسفة اليونانيين التجاوب مع (نداء) وجود الموجود."[699] ولأنه فزعَ من الاقتراب مما رأى؛ لأنه فزع من هول ما رأى، راح يصرخ في البرية ويمزق ثيابه. يوحنا المعمدان أعظم أولاد النساء!

يقول هيبا في سيرته: استمر خداعي لأوكتافيا ثلاثة أيام ؛ أي أنه كتم سره عنها ثلاثة أيام. " قال ربي اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيراً وسبّح بالعشي والإبكار"[700] والرمز تحريك الشفتين أو الحاجبين أو العينين ولا يكون كتاباً[701]، بل وحياً.

---

697 - مارتن هايدغر ما الفلسفة؟ ص 68

698 - هذه الصفات مطبوعة في اسم هيبا إلا التناغم والوصول إلى اليقين.

699 - هايدغر – مذكور ص 69-70

700 - آل عمران / 41

701 - تأويل مشكل القران- مذكور ص 489

"قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا"[702] وسويا هنا: أي سليماً غير أخرس[703] . والآية العلامة . تشير الآية إلى الكتم وإخفاء السر، وأنت قادر على الكلام من حيث القدرة والإمكان ، لكن لا كلام بالفعل.

في قول هيباتيا من أن "الحقائق التي تصل إليها بالمنطق والرياضيات إن لم نستشعرها بأرواحنا سوف تظل حقائق باردة."

تعليق: في أن هذا طلب للمتعلم والتلميذ أن يتمثل المعارف ويتحقق منها لدرجة يصبح لها قوة عاطفية ؛ أخلاقية تدفع إلى العمل، تجد تحقيقها وتكملتها في الممارسة العملية.

أضافت هيباتيا وهي تشير إلى أحد الواقفين حولها ، وكانوا خمسة رجال في منتصف العمر وامرأة نحيلة .

تعليق : في أن تجليات الحقيقة خمسة. والمرأة النحيلة ليست سوى هيبا الحيران المهزول من الجوع والعطش والغربة. حضر هيبا إلى مجلس هيباتيا وكأنه من المسيحيين الموالي ؛ أي من الوثنيين- المسيحيين !

أشارت هيباتيا: زميلي الوسيم هذا ؛ سنوسيوس القورينائي ، كان أيضاً يريد دراسة الطب في بداياته، لكنه درس الفلسفة ، أضافت وهي تنظر إليه بطرف عينها ، وهو الآن يريد أن يكفر بالفلسفة ويؤمن بنقيضها! "

ضحك الرجل المسمى سينوسيوس ضحكة عذبة، مال معها رأسه قليلاً إلى الخلف، ثم قال بمودة صافية وقد وضع كفه اليمنى على كتفي الأيسر: لا تصدق الأستاذة يا أخي، فقد خالفت الحقيقة في كلامها مرتين، الأولى حين وصفتني بالزميل، وما أنا منها إلا تلميذاً ، وهي مني بمنزلة الأستاذ، والثانية أنني لو سلكت السبيل الكنسي، فهذا لا يعني أنني سأكفر بالفلسفة وأؤمن بنقيضها .

---

702 - مريم / 10

703 - غريب القران-مذكور ص 273

يشبهه شبهاً قريباً جداً . وقد بقي هذا الخط محافظاً على صورته الأصلية منذ أول نشأته ولم يطرأ عليه تغيير كثير في كل عصوره المختلفة."[707]

أسماء: الموسيون: المعهد العلمي، المسيحية: الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية الآفلة ، محبي الآلام: جيش الرب، الخ.

خاطِرة: في أن هيباتيا ومعناها السامية باليونانية، تكبرني خمسة عشر عاماً؛ إنها كخديجة الكبرى حين تزوجت محمداً كان عمرها أربعين سنة، كانت تكبره بخمسة عشر عاماً !

خبر: قرارات المجمع المقدس لكنيسة الإسكندرية تدين أوريجين سنة *135* للشهداء *(399 م)* ؛ تدينه وتطرده وتحرمه كنسياً. وكان بابا الإسكندرية وقتها هو ثيوفيلوس *(محب الربّ)*

خبر: مقتل الأسقف جورج الكبادوكي *(361 م) 77* للشهداء: أسقف الإسكندرية . كان مفروضاً من روما "مارقاً" يميل إلى أراء آريوس الملعونة. قتلته سواطير جماعة محبي الآلام في شوارع الحي الشرقي بالإسكندرية.

احتدم الخلاف بين البابا كيرُلُّس وحاكم الإسكندرية أوريستوس؛ الخلاف بين الحاكم **الحزبي/العقائدي** من جهة وبين **الحاكم المدني** في إحدى عواصم الإمبراطورية الرومانية الآفلة؛ بتعبير آخر: بين رئيس الحزب المسيحي ومحافظ الإسكندرية ذو الميول الوثنية.

حضور النزعة الوثنية القومية والعقلية الرومانية الأميل إلى التفلسف والوثنية، جعل الأسقف الكبير *(البابا)* كيرُلُّس غاضباً، خاصة وأن للوثنية حضور مدني وثقافي قوي تعززه في الإسكندرية وجود نخبة من المثقفين، و زاد في الطين بلّة كون اللغة اليونانية لغة عالمية في ذلك الوقت.

ففي ظروف إمبراطورية في طريق الانحلال والأفول *(انحطاط روما)* شكلت المسيحية المكيّفة بقانون الإيمان العقار المطلوب ، بينما لم تكن

---

707 ـ تاريخ اللغات السامية-مذكور ص 254

الفلسفة سوى العدو الأكثر خطراً على هذا الدين الرسمي . فالامبراطورية الرومانية العالمية التي اعتنقت الدين المسيحي للتو، كان هذا الدين العالمي يستجيب لوضعها الاقتصادي والسياسي والروحي"[708]. الفلسفة في ظروف الصعود والتقدم أداة معززة وداعمة ومكملة للتأسيس الديني. بينما تزيد، مع شعب مريض ودولة متدهورة، من مرضه و من عزلته، حسب قول لنيتشه الفيلسوف.

ومن دون تدبير أو بتدبير خفي عنّي (فضول العالِم) خرجت مدفوعاً بتوجس خلف الجموع ، فلحقت بهم ، ولكنني لم أكن بالطبع أردد وراءهم ما يقولون.

قال أفلاطون في "المأدبة" على لسان سقراط: "من أجل هذا يا ديوتي سعيت إليك ، فأنا في حاجة إلى معلّم، فخبرني بالله عليك: هل يمكن أن توجد فضيلة العفة عند الخصيّ ؟!"

ويقول أبوللونيوس: وهل مجرد الامتناع عن الظلم يشكل العدل"

"هيباتيا فيلسوفة الإسكندرية (عدد حروف اسمها سبعة ورمزها العددي سبعة). عند السُكْر تقال الحقيقة *in veno veritas*.. " وسط تيارات فكرية متعددة هنا الأفلاطونية المحدثة (أفلوطين وفرفوريوس الصوري)؛ ومفكرين أصلحوا علاقة الدين بالفلسفة (فيلون السكندري وأوريجين وكليمان السكندري) ولدت هيباتيا عام *370* ميلادية ابنة ثيون *Thion* (الكبريت) أستاذ الرياضيات في متحف الإسكندرية وآخر عالم عظيم من علمائه الذين سجلت أسماؤهم في سجل المتحف. لا بد أن نفترض على أقل تقدير أنها درست الفلسفة على يد فلاسفة من مدرسة الأفلاطونية المحدثة، وهي الفلسفة السائدة في ذلك الوقت . قرب نهاية *400* للميلاد تم تعيينها في المتحف . كانت في الخامسة والعشرين أو في الثلاثين. ويظهر هنا الاستثناء واضحاً لاسيما إذا عرفنا أن حكومة الإسكندرية كانت شبه- مسيحية .[709]

---

708 - راجع : انجلز لودفيغ فيورباخ مذكور ص 208

709 - إمام عبد الفتاح إمام : نساء فلاسفة. الفصل الثامن

تعرفها دائرة المعارف البريطانية: "فيلسوفة مصرية وعالمة بالرياضيات ولدت بالإسكندرية سنة 370 م وماتت بالإسكندرية سنة 415 م ". يقول سقراط ـ المؤرخ المسيحي: أنها بزّت أهل زمانها من الفلاسفة عندما عينت أستاذة للفلسفة بالإسكندرية ، فقد هرع لسماع محاضراتها عدد كبير من الناس من شتى الأقطار النائية. كانت الخطابات توجه إليها باسم الربّة *muse* أو "الفيلسوفة".

وكلمة *muse*: هي الموسية إحدى الإلهات التسع *(musa)* الشقيقات اللواتي يحمين الغناء والشعر والفنون والعلوم في الميثولوجيا الإغريقية، ومن معانيها: مصدر وحي؛ يتأمل، يستغرق في التفكير.[710] وبعدها مباشرة في القاموس تأتي كلمة *museum* : متحف (باللاتينية)

كانت هيباتيا معروفة بجمالها الأسطوري، وكانت قد عزفت عن الزواج وتفرغت للفكر، تأثراً بالأخلاق الأفلاطونية المحدثة (العذراء الفاضلة). وصفت أيضاً بالعذراء المتواضعة . يقول المؤرخ الإنكليزي إدوارد جيبون في كتابه "اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها": رغم أن هذه العذراء المتواضعة كانت بارعة الجمال ناضجة الحكمة فإنها رفضت عشاقها وعلمت تلاميذها دروساً، ولذا تلهف أشهر الناس مقاماً وجدارة على زيارة تلك الفيلسوفة "[711] . كان مسيحيوا الإسكندرية ينظرون إليها بقدر غير قليل من الكراهية ، وكان هؤلاء المسيحيون ينظرون إلى العلم والفلسفة والثقافة بصفة عامة على أنها والوثنية شيء واحد (هوية واحدة)، وكانوا ينظرون إلى هيباتيا على أنها تجسيد لهذه الهوية (الوحدة) بين الفلسفة والعلم من جهة والوثنية من جهة أخرى . يقول أ. ولف: كان العداء عنيفاً بين المسيحية في عهدها الأول وبين الفلسفة والعلم ، وقد تجلى هذا العداء في موقف الاحتقار الذي كانت تقفه منهما. وهو ما كان يترجم عملياً في اضطهاد المفكرين الوثنيين وتدمير معابدهم ، وإحراق كتبهم وهدم دور العلم التي

---

710 ـ المورد، ص 599

711 ـ نساء قلاسفة ـمذكور ص 229

يترددون إليها ونهب ما يجدونه فيها . وهو ما كان يقوده ثيوفيلوس كبير الأساقفة؛ بابا الإسكندرية في ذلك الوقت .

كانت هيباتيا في رأي مسيحيي الإسكندرية ترتبط بعلاقة صداقة وطيدة مع حاكم المدينة الوثني أوريستيس *Orestes* الذي كان يستشيرها في كثير من المسائل الفلسفية، ولما كانت الخلافات مستمرة بين الحاكم وكبير الأساقفة (البابا) فقد حمّلوها مسؤولية هذه الخلافات، التي كانت تطغى على المدينة .

كبير الأساقفة الذي عاصرته هيباتيا هو الأسقف الكبير كيرُلُس أو "القديس كيرُلُس" وهو الذي نال لقب "القديس" لقاء ما ارتكبه من جرائم في حق الطوائف الأخرى (يهود ووثنيين) انتصاراً للمسيحية . فلقب قديس دليل غلبة الجماعة المسيحية المتعصبة تحت راية كيرُلُس .

تولى كيرُلس السكندري منصب رئيس أساقفة المدينة عام *412* ميلادية خلفاً لخاله ثيوفيلوس *Theophillus* ، بعد أن تشرّب في منزل هذا الخال درس الغيرة والحقد والهوس الديني . وقد قضى خمس سنوات من شبابه في أديرة صحراء النطرون مع مجموعة من الرهبان عندما ظهر نظام الرهبنة المسيحي أول ما ظهر في مصر وفي مدينة الإسكندرية على وجه التحديد.

ونظام الرهبنة هذا نظام مصري أساساً، فهو امتداد لنظام الرهبنة أو التنسك الذي عرف في عبادة سرابيس *Sarapis (Sir- Apis)* في **منف** وغيرها.

رغم ترهبه كانت تسيطر عليه قيم الحياة الدنيا ومباهجها. ولهذا السبب لبّى دعوة خاله ثيوفيلوس بلهفة وسرعة عندما استدعاه إلى الإسكندرية حيث المناصب والأضواء والأنصار وزخارف الحياة . فبادر الناسك الطموح إلى الاستجابة لتلك الدعوة. وشجعه عمه على تقلد منصب "واعظ الشعب"، وحقق في هذا الصيت والشهرة التي كان يرجوها. دوّى صوته الرخيم في أرجاء الكنيسة، بينما راح الكتبة يدوّنون أحاديثه ومواعظه في مذكرات سريعة لتوزيعها على الجمهور .

وعندما تربّع كيرُلُس على عرش الأسقفية، استغل بعده عن البلاط الإمبراطوري، ورئاسته الدينية لعاصمة ضخمة في العالم القديم هي مدينة

الإسكندرية، وراح يغتصب شيئاً فشيئاً مكانة حاكمها المدني أورستيس وسلطته، فتصرف بمحض إرادته في صدقات المدينة العامة والخاصة، وكان صوته يلهب مشاعر الجماهير التي تحولت حديثاً إلى المسيحية، وهكذا كثر الأتباع والأنصار، بل تعصب لآرائه وأفكاره كثيرون ممن ألفوا مشاهد الموت، فكانوا يطيعون أوامره طاعة عمياء.

واشتد حماس كيرلُس لمحاربة "الهرطقة" التي اتسع مفهومها عنده حتى شمل كل من ليس مسيحياً يدين بأفكار كبير الأساقفة . فاليهود الذين زاد عددهم حتى بلغ أكثر من أربعين ألفاً، كانوا يعيشون في جو من التسامح كفله القياصرة، والبطالمة من "الوثنيين" وإقامة طويلة قدرها سبعمائة سنة منذ تأسيس الإسكندرية، غير أن كيرلّس، ودون أي سند قانوني، ودون أي تفويض ملكي، ودون أن تكون له أدنى سلطة سياسية قاد- مثلما فعل خاله من قبل- مجموعة من "الغوغاء " من الجمهور الهائج ومن مثيري الشغب والفتنة ، في فجر أحد الأيام لمهاجمة معابدهم، فهدمت أماكن عبادتهم وسويت بالأرض. ثم كافأ الأسقف "المناضل" قواته الظافرة بأن سمح لها بنهب ممتلكات اليهود، ثم طرد من المدينة من تبقى من أبناء "الشعب الكافر" مبرراً عمله هذا بأنهم كانوا مسرفين في الثراء، وأنهم كانوا يكرهون المسيحيين. ولقد شكا أورستيس حاكم مصر إلى الإمبراطور ما يرتكبه كيرلُس من جرائم، غير أن شكواه العادلة ضاعت أدراج الرياح، إذ لم تقابل من وزراء "ثيودسيوس" إلا بالنسيان السريع ، ولاسيما أن رئيس الأساقفة كان يلجأ إلى الهدايا القيمة التي تساعد الذاكرة على النسيان ، لكنه مع ذلك كان يضمر المقت والكراهية لهذا الحاكم، ويتربّص به، حتى واتته الفرصة. فعندما كانت عربة الحاكم تخترق شوارع المدينة هاجمها فريق مكوّن من خمسمائة راهب من رهبان صحراء النطرون، فهرب حارسه أمام وحوش الصحراء، وقوبلت احتجاجاته بأنه مسيحي وكاثوليكي بسيل من الحجارة، فسالت الدماء من وجهه، وسارع مواطنو الإسكندرية المخلصون إلى نجدته" هذا ما رواه جيبون، وهذه القصة ستتكرر مرة ثانية مع هيباتية فيلسوفة الإسكندرية ، لكن بطريقة أكثر إحكاماً ووحشية.

كان كيرلس يشاهد بعين الحقد والحسد ذلك الرتل الضخم من الجياد الذي اصطف على باب أكاديميتها، فسرت إشاعة - هو نفسه مصدرها - تقول إن "ابنة ثيون" هي العقبة الوحيدة في طريق التوفيق بين الحاكم أورستيس ورئيس الأساقفة كيرلُّس، كما لو أن العذراء المتواضعة كانت هي المصدر الذي أوحى لرئيس الأساقفة بأن يبدأ عهده بالتنكيل بأتباع وفاشيانوس - وهم أكثر أبناء الطوائف براءة وبعداً عن الأذى- أو أنها هي التي أشارت عليه بمهاجمة حيّ اليهود في المدينة، ونهب ما فيه وطرد من فيه، أو أنها هي التي رتبت قيام خمسمائة من الرهبان باعتراض طريق الحاكم ومهاجمته.

لم يكن شيء من ذلك صحيحاً ، لكن رئيس الأساقفة كان يمهد لجريمة جديدة، ففي يوم مشؤوم من فصل الصيام الكبير "المقدس" وعلى وجه التحديد في ليلة مظلمة من ليالي مارس *415* م ، اعترضت جماعة من رهبان صحراء النطرون - الذين قضوا في الصحراء سنوات طويلة "يصارعون قوى الشر مجتمعة" كما يقولون، ويديرون معركة "صراع باطني ضد شهوات الجسد، ووسائل النفس الأمّارة بالسوء"- اعترض هؤلاء الرهبان طريق عربة هيباتيا بإيعاز من كبيرهم كيرلُّس، فأوقفوها وأنزلوا الفيلسوفة الشابة الجميلة، ثم جرّوها إلى كنيسة قيصرون ، حيث تقدمت مجموعة من هؤلاء الرهبان وقاموا بنزع ثيابها واحداً واحداً حتى تعرّت كما ولدتها أمها. تقدّم بعد ذلك بطرس القارئ (وهو قارئ الصلوات في الكنيسة) وقام بذبحها، وهي عارية، وقد أمسك بها مجموعة من الرهبان ليتمكن قارئ الصلوات من ذبحها ذبح الشاة، ثم عكف الرهبان "أنقياء القلب" على سلوك بالغ الغرابة، وهو تقطيع جسدها إلى أشلاء مستمتعين بما يفعلون، ثم أمسكت كل مجموعة شلواً بعد شلو وراحت تكشط[712] اللحم عن العظم بمحار حاد الأطراف، وفي شارع سينارون أوقدوا "ناراً ذات لهب" وقذفوا في النار أعضاء جسدها وهي ترتعش بالحياة، فيما يقول برتراند رسل ، حتى تحول

712 - كشط: كلمة تدل على تنحية الشيء وكشفه ، يقال : كشط الجلد عن الذبيحة . ويقولون : انكشط روعه : أي ذهب. م5 184

الجسد إلى رماد ، وهم يتحلّقون حوله "في مرح وحشي شنيع" كما يقول ديورانت". [713]

لما كان يصعب عليهم (الرهبان) أن يقتربوا منه أو يصلوا إليه (الجسد)؛ فما أن اقتربوا منه كثيراً بفعل جنون التعبئة السلطوية من كيرُلُّس حتى باشروا بتمزيقه وتفريق أجزائه المتناسقة التي كانت تعطيه حضوره الطاغي والفتّان. ما أن اقتربوا من المقدس- الدنس كثيراً وبالغوا في الاقتراب حتى افترسهم بالغضب الجهنمي داخلهم! ولكن، يا لهم من تعساء أشقياء!

يقول هيبا الراهب: كنت غير بعيد عنهم وغير قريب

تعليق: في أهمية المسافة بيننا وبين المُقدّس؛ المسافة مهمة "الانفصال الكامل بين المجموعة والمقدس، لا تقل خطورة عن الاندماج الكامل. إنها خطرة لأنها تعني عودة **المقدس**؛ عودة **العنف** بشكل رهيب، إذا ابتعد المقدس كثيراً يمكن للإنسان أن ينسى القواعد التي تعلّمها منه لحماية نفسه. ذلك يعني أن حياة الإنسان يتحكم بها المقدس ، ينظمها يراقبها ، الخ.."

إن علاقة المجموعة بالمقدس معقدة ودقيقة ولا يمكن التعبير عنها، إلا باللجوء إلى المسافة (اللجوء إلى الهندسة). على المجموعة ألا تقترب كثيراً من المقدس لأنه عند ذلك يفترسها (بانفجار عنف رهيب)، كما يترتب عليها ألا تبتعد كثيراً عنه فتفقد آثاره الخيّرة. [714] خلال الطقوس تزول المسافة الموجودة بين الملك وحاشيته والمقاتلين والشعب بصورة مؤقتة، زوال المسافة لا يعني "التآخي" بل يعني أن العنف استولى على جميع المشاركين دون استثناء. يستعمل "بودلمان" هنا تعبير "ذوبان الفرق" *dissolving of distinctions* وهو محقّ لأن انحطاط الإمبراطورية الرومانية بدأ في تذويب الفروق بين المسيحية الرسمية والوثنية، وبين المدارس الفلسفية اليونانية "الوثنية" والمدارس المسيحية في الإسكندرية . هذا الذوبان للفروق بفعل الانحطاط يعني ذوبان الفروق في الأنا؛ أنا المسيحي وميل شخصيته

---

713 - نساء فلاسفة-مذكور ص 235

714 - العنف والمقدس 290

للانحلال ، وهذا معناه أن العنف المجنون سوف يستولي على جميع المؤمنين من جيش الرب. وهو يفسر بشكل مقلوب عنف الوثنيين (في نفس الإمبراطورية) من قَبْل ، ضد المسيحيين الأوائل. يكتب نيتشه: ما أن تظهر بوادر ضعف أو خطر عميق على الجماعة حتى تظهر من جديد أشكال من الجزاء أكثر تطلباً أو تشدداً "[715]؛ تكريس الانتقام تحت اسم العدالة[716]. كل خطوة نحو الانحطاط (الإمبراطورية الرومانية/ المسيحية) كل الحوادث المفجعة الطارئة، كل إمارات التقهقر ومؤشراته (كتاب القديس أوغسطين: مدينة الله) كل المؤشرات التي تشير إلى الدمار تقلل دائماً من الخشية التي توحي بها الروح المؤسسة للجماعة (المسيح الرحيم)، إنما تعطي فكرة أقل رفعة وسمو على الدوام عن ذكائها وبعد نظرها وعن الفعالية الدائمة لسلطتها . لنتصور الآن هذا المنطق البدائي مدفوعاً إلى حدوده القصوى: أجداد السلالات الأكثر قوة (ورحمة) عليهم في النهاية أن يتخذوا نظراً لتخيل الرعب المتعاظم (بفعل الانحطاط الحضاري) أشكالاً فظيعة ومخيفة، وأن يضيعوا في الغياهب المظلمة لما هو غريب وشاذ ومستعص على التحديد. ثم إن الجدّ الأول يتخذ بصورة حتمية وقدرية صورة الإله . ولعل من الواجب علينا أن نبحث هنا عن كل أصل الآلهة ، وهو أصل يعود بمبتداه إلى الخوف/ ويمكن أن نضيف الشفقة"[717]، وهو الموضوع الأثير عند ديستويفسكي الذي عاش ظروف روسيا القيصرية المحتضرة مع بوادر الصعود التاريخي للبروليتاريا الروسية.

تحقيق؛ سحل: ثلاثة أصول؛ الأول: كشط شيء عن شيء، قولهم: سحلت الريح الأرض، إذا كشطت عنها أدمتها. قال ابن دريد: ساحل البحر هو بهذا المعنى مسحول لأن الماء سحله. والأصل من سحلت الحديد؛ أسحلها. وذلك إذا بردتها. والسَّحل: الثوب الأبيض، كأنه قد سحل من وسخه ودرنه (ثوب هيباتيا)، وجمعه: السُّحُل. والأصل الثاني: السَّحيل: نهيق الحمار، وكذلك

---

715 - أصل الأخلاق 68

716 - (لا تقابل الشر بالشر)

717 - نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها ص 84

السُّحال. ولذلك يسمى الحمار مَسْحلاً. وهم مساحل صحراء النطرون. ومن الباب: المِسْحل: لسان الخطيب؛ لسان الرجل الخطيب (كيرُلُس).

الأصل الثالث: سحله مائة: إذا عجل له نقدها. والسحيل: الحبل الذي فتل فتلاً رخواً؛ خلاف البريم (مبروم)؛ ارتخاء فتل حبل الإمبراطورية الرومانية. ومما شذ عن هذه الأصول: المسحلان وهما حلقتان على طرفي شكيم اللجام[718] (وقد أفلتتا حين ولّى سائق عربة هيباتيا مدبراً ولم يعقب).

حاشية: في أن سفر حبقوق؛ هو الوحي الذي جاء النبي حبقوق على شكل رؤيا، قال النبي: "حتى متى يا ربّ أدعو وأنت لا تسمع . أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تُخلِّص ، لِمَ تريني إثماً وتبصر جوراً ، وقدامي اغتصاب وظلم ويحدث خصام وترفع المخاصمة نفسها، لذلك جمدت الشريعة ولا يخرج الحكم نيّة (صادقة) لأن الشرير يحيط بالصدّيق فلذلك يخرج الحكم مِعْوجّاً"[719]

تعليق: يتحدّث حبقوق النبي عن ظلم الإمبراطورية الكلدانية بأسلوب قيامي وشعرية عالية: ها أنذا مقيّم الأمة المُرّة الغاصبة السالكة في رحاب الأرض لتملك مساكن ليست لها[720]. على مرصدي أقف، وعلى الحصن أنتصب، وأراقب لأرى ماذا يقول لي وماذا أجيب عن شكواي. فأجابني الرب وقال: اكتب الرؤيا وانقشها على الألواح لكي يركض قارئها لأن الرؤيا تَعْبُر إلى الميعاد وفي النهاية تتكلم ولا تكذب . إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً

---

718 - مقاييس 3 ص 140-141

719 الإصحاح الأول 1، 3، 4 هنا ، الزمن خارج محاوره؛ مغوج؛ خارج الوصل؛ لا وجود للعدل فيه

720 حبقوق الإصحاح الثاني 5،6

ولا تتأخر" [721]. وليس من المفارقة في شيء أن يقول عزازيل لهيبا في وحيه (وهو إعلام بالوسوسة من الشيطان)[722]

اكتب يا هيبا، اكتب باسم الحق المختزن فيك. يا عزازيل، لا أقدر. اكتب ولا تجبن فالذي رأيته بعينك لن يكتبه أحد غيرك ، ولن يعرفه أحد لو أخفيته . حكيته لنسطور في أورشليم قبل سنين يا هيبا ، حكيت يومها بعضاً منه، فاكتبه اليوم كاملاً ، اكتبه الآن كله.[723]

الرق العاشر

يقول هيبا: أنا لستُ منهم ولستُ مني .. يا لعذابي وحيرتي! في لحظة ما أدركت أني لا أعرفني .. أنا / آخر غير هذا الذي كان ثم بان. هنا تمتزج الأرض بالماء بالسماء ومن هنا سأبدأ من البداية (بداية التكوين الجديد) أولم يرى الذين كفروا أن السموات والأرض كانت رتقا ففتقناهما"[724]

وصلت إلى منطقة مرجيّة بأعلى دلتا النيل، حيث تلتقي الأرض بالبحر عند نقائع شاسعة، ماؤها مزيج من المالح والعذب[725] هناك رميت على صفحة الماء ردائي الكنسي المشقوق وغطاء رأسي، وهناك راح صوتي يعلو حتى صار صراخاً يملأ الفراغ المحيط بي؛ الفراغ الأول الأصلي؛ العماء الأصلي ما قبل التكوين الذي ابتدأت منه الأشياء . أنا يوحنا المعمدان الذي مزق ثوبه و راح يصرخ في البرية من هول الفراغ (العماء)!

حين لا أجد اليوم إجابة على تساؤلاتي لا أجد بداً من القول: إنها مشيئة الربّ. إن تعليمي في أخميم وقراءتي للكتب "المُحرّمة" الملعونة قادتني بالمشيئة وبطبيعة الأمور إلى الشرق ؛ إلى آسيا الآرامية / العربية. بعد أن عَمّدت

---

721 الإصحاح الثالث (1، 2، 3)

722 تأويل مشكل القران-مذكور ص 490 قال: "وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم" الأنعام / 121 ولكن ، كم هو مفارق أن يوحي شيطان لأجل شيء من الحق! الشيطان وديالكتيك العرفان!

723 عزازيل: الرق التاسع

724 الأنبياء/ 30

725 لاحظ : مرج البحرين.. أيضاً, قوله: فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما ..

نفسي بنفسي؛ شعرت أنني **أنا الآخر** المؤيّد بالملكوت الخفي وأنا المولود مرتين مرة في جنوب الوادي ومرة في شماله، وما أن حدثت ولادتي الثانية الروحية، حتى مضيت وراء ظلي الذي قادني نحو الشرق. حين أعرف نفسي أعرف الآخر؛ وأغدو مؤيداً بالملكوت. يا لها من حكمة تلك؛ حكمة دلفي: اعرف نفسك!

في صحراء سيناء قال لي كبير الرهبان الطاعن في السن: "إن كنت تبحث عن أصل الديانة كما تقول فاذهب إلى مغارات البحر الميت، وقابل الأسينيين ، فهم اليهود حقاً. واليهودية هي الأصل، وإذا ذهبت إلى هناك فاحرص على لقاء الراهب خريطون فهو أكثر أهل الأرض صدقاً وتوحداً" والأصل كالسر ملتبس . وأصل: **ثلاثة أصول؛** متباعد بعضها عن بعض أحدها: أساس الشيء، قال الكسائي: لا أصل ولا فصل: إن الأصل الحسب والفصل اللسان. وأما الأَصَلة فالحية العظيمة . وفي الحديث في ذكر الدجّال: كأن رأسه أصَلة . أما الأصيل فهو الزمان بعد العشي وجمعه أُصُل وآصال "[726] وهذا هو حال أصل الديانة المسيحية: **ثلاثة أصول**: كنعاني- رافدي، ويوناني ، ومصري.

أوصاني السقّاء النحيل الأعرج لما عرف أنني متجه إلى سيناء: لا تدع البحر يغيب عن عينك ولا تدخل جوف سيناء لأي سبب، وإلّا فلن تخرج منه أبداً، وابحث عن حمار تركبه فهذه الصحراء لا يمكن عبورها مشياً"

خاطِرة: ولا أدري كيف خطر ببالي "التراث القديم" وأنه أشبه بالصحراء في سيناء. وكيف اعتقدت بوجود تهكّم في هذه العبارة ، وذلك لأن الاهتداء في البحر يكون بالنجم ، وهنا الاهتداء بالصحراء يكون بالبحر؛ والأحرى بساحل البحر .

سرتُ مع قافلة الحجيج حتى نزلنا أرض فلسطين، فأكملوا طريقهم شمالاً، **ومنفرداً** عنهم أكملت مسيري شرقاً قاصداً البحر الميت للبحث عن أصل الديانة . كنت أيامها أعتقد أن الديانة الحق واحدة ولها أصل واحد.

---

726 مقاييس 1 109-110 أسّ: يدل على الأصل والشيء الوطيد 14 م1

في ذكر أن للحق خمسة تجليات (أشخاص)، وأن الدخول إلى معرفته يكون من أبواب متعددة. " وقال يا بنيّ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أُغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون "[727]

أذكر لكم كيف سميت نفسي باسم هيبا وهو النصف الأول من اسم هيباتيا!

ها قد امتلأ الرق وما انتهت الذكريات التي صيرتها الكتابة حاضراً يعاش مرتين، غير أنني أراها على نحو جديد كلما مضت السنون. ولا أدري إن كان هذا القول مديحاً للكتابة أم ذماً، ولكن الواضح من كلام حبقوق النبي أنه مديح. "و لا يأبَ كاتب أن يكتب كما علمّه الله، ولا يأبَ الشهداء إذا ما دعوا"[728]

الرق الحادي عشر:

حكيت لنسطور كيف سحل الأستاذة بطرس القارئ ومن كانوا معه، ثم جرّوها، وقد تقشر جلدها عن لحمها وتنسّلت أعضاؤها، إلى حيث أضرموا فيها النار، عند أطلال المدرسة العلمية المهجورة التي كانت معروفة باسم الموسيون . عند هذا الحد توقفت عن الحكاية.

تعليق: و كيف أنّ للحكايا وجوه وأقانيم؛ فتفاصيل الخبر تتغير بينما يبقى جوهره واحد وهو آلام العذراء؛ آلام يسوع المسيح، وانفلات العنف في زمن معوجّ خارج عن محاوره ؛ زمن انحطاط الإمبراطورية الرومانية.

لم أقصّ على نسطور كل القصص، ولم أخبره أنني وقفت أحدّق في النار المشتعلة إلى أن خمدت ، بعدما التهمت جسم هيباتيا وبقايا الموسيون الذي كنت أحلم يومها بدراسة الطب فيه.

---

727 يوسف/ 67

728 البقرة/ 282

تعليق: فلما جاءه وقصّ عليه القصص قال لا تخف"[729] .. فاقصص القصص لعلهم يتفكرون "[730]. ولكن لماذا وقف هيبا يحدّق في النار المشتعلة إلى أن خمدت، ولماذا لم يخبر نسطور بذلك؟

يمكن أن يكون عنده شيء من التشفّي بالأنثى أو بالنساء نظراً لحادثة مقتل أبيه ووشاية أمه المسيحية، ولطرد أوكتافيا له بتلك الطريقة المهينة. هذا مجرّد احتمال لا أكثر؛ وهو يدخل في باب التحليل النفساني.

نحن نقص عليك أحسن القصص"[731] ؛ أدركت أنني أصبت وأحسنت إذ أوجزت الواقعة، وأخبرته بمجمل الأمر، لا تفصيلاته ؛ لأن المهم جوهر الأمر. لم يدهشني ما قاله متحسّراً من أن القضاة الذين أرسلهم الإمبراطور للتحقيق فيما جرى لهيباتيا لم يصلوا لشيء ، ولم تتم إدانة واحد من قاتليها، وأن الواقعة مرت كأنها لم تكن/ لقد دفع كيرُلُس لهذه اللجنة القضائية رشاوى كثيرة ، وبذل لهم الهدايا النفيسة حتى ينطمس الأمر.

وقد اكتفى الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني كي يطوي الصفحة الدامية بإرسال تنبيه إلى الرهبان السكندريين بعدم اختلاطهم بالناس في الأماكن العامة بالمدينة . قال نسطور: مهما يكن الإنسان ضعيف ، نحن ضعاف ولا قوة لنا إلا بالمحبّة.

للصلاة فعل كالسحر فهي براح الأرواح ومستراح للقلب المحزون. وكذلك القدّاسات التي تغسلنا من همومنا بأن تلقيها عن كاهلنا إلى بساط الرحمة الربّانية ، فنرتاح إلى حين.

تعليق: في أن الصلاة والقداديس إن هي سوى عملية إسقاط الهموم إلى حين على بساط الرحمة الربانية ؛ على بساط الآخر؛ إسقاط الهموم مؤقتاً، من هنا يعاودنا إليها الحنين ما دمنا مؤمنين بالرب. فإن خرجنا عن حظيرة الإيمان انفردنا وصرنا فريسة تمزقها مخالب القلق وأنياب الأفكار.

---

729 القصص / 25

730 الأعراف / 176

731 يوسف / 3

تعليق على التعليق: في ذكر يوحنا المعمدان وانفراده في البرية وتمزيق ثيابه وصراخه الرهيب .

لما دخلنا على الأسقف تيودور تهلل لمجيئنا وابتهج وشعرتُ يومها بعمق المحبة التي تجمعهما، وتمنيت أن يكون ما بيني وبين نسطور مثل الذي بينه وبين الأسقف.

تعليق: في فتنة الرفاقية الحقّ و ما فيها من المحبة الصادقة المعززة بالتناغم الفكري والعقائدي. الرفاقية القائمة على مشروع تاريخي للتقدم يقوم على أساس البحث عن حقيقة الأمور وإقامة العدل .

تحقيق: الباب الرابع؛ طبقات الأطباء اليونانيين الذين أذاع أبوقراط فيهم صناعة الطب

أبوقراط؛ هيبوقراطس: هو السابع من الأطباء الكبار المذكورين الذين أسقليبيوس[732] أولهم . وأبوقراط أشرف أهل بيته وأعلاهم نسباً. فهو بالطبع الشريف الفاضل نسباً لأنه التاسع من قريساميس الملك والثامن عشر من أسقليبيوس والعشرون من زيوس. أمه فراكسيثا بنت فيناريطي من بيت إيراقليس (هيراكليس) . تعلّم صناعة الطب من أبيه إيراقليدس ومن جده أبوقراط ، وهما أسرّا إليه أصول صناعة الطب .[733]

تعليق: في أن الطب عند أبوقراط ديانة أسرار؛ لها أب ولها أم وتعود بنسبها أخيراً إلى الإله زيوس كبير آلهة اليونان وهو العقل الخالق للنظام والروح العلمية التي ألهمت سقراط الفيلسوف. الرمز العددي لأبوقراط سبعة وأنه تاسع آل أسقليبيوس، وأنه أشرف أهل بيته كالنبي محمد مع أنه كمثل عيسى،

---

732 اسقليبيوس هذ هو تلميذ هرمس المثلث العظمة في الفلسفة المصرية القديمة، أحياناً يكون التلميذ هرمس نفسه والملقن يكون العقل بوامندريس (راجع هرمس المثلث العظمة أو النبي إدريس).. أخنوخ ص 34 نلاحظ هنا مستويان للخطاب واحد يكون فيها هرمس تلميذاً متلقياً للوحي(المستوى الإلهي) ، وآخر يكون ناقلاً له وملقيه إلى تلامذته وأتباعه(المستوى البشري)

733 ـ طبقات الأطباء اليونانيين الذين أذاع ابوقراط فيهم صناعة الطب (عيون الإنباء في طبقات الأطباء) ص 43

وأن أبيه وجده من أسرّا إليه وعلماه أسرار الصناعة، وأنّه راح يميل من ديانة محلية لتناقل هذه الصناعة إلى ديانة عالمية تذاع فيها صناعة الطب لمن يستحقها بعيداً عن قرابة الدم." لما نظر أبوقراط في صناعة الطب ووجدها قد كادت أن تبيد لقلة الأبناء المتوارثين لها من آل أسقليبيوس، رأى أن يذيعها في جميع الأرض، وينقلها إلى سائر الناس، ويعلّمها المستحقين لها حتى لا تبيد . وقال: "إن الجود بالخير يجب أن يكون على كل أحد يستحقه قريباً كان أو بعيداً . واتخذ الغرباء وعلمهم هذه الصناعة الجليلة، وعهد إليهم العهد الذي كتبه ، وأحلفهم بالأيمان المذكورة فيه ألا يخالفوا ما شرطه عليهم، وألا يعلموا أحد هذا العلم إلا بعد أخذ هذا العهد عليه (قسم هيبوقراطس)."[734]

تعليق: كيف يشبه هذا العمل في كثير من جوانبه عمل المسيحية في تحويل اليهودية بما فيها من توحيد وتعاليم دينية عامة، من ديانة محلية خاصة بقبائل محلية و بأقوام بعينهم إلى عهد جديد لجميع الأمم بعد تعميد كل داخل إليها؛ وكأنها تأخذ عليه عهداً. تحويلها من ديانة قومية عنصرية إلى ديانة أممية عالمية (كاثوليكية).

يقول ابن أبي أصيبعة: الذي انتهى إلينا ذكره، ووجدناه من كتب أبوقراط الصحيحة يكون نحو ثلاثين كتاباً . والذي يدرّس من كتبه لمن يقرأ صناعة الطب ، إذا كان درسه على أصل صحيح ، وترتيب جيد ، اثنا عشر كتاباً وهي المشهورة من سائر كتبه.[735]

تعليق: في ان عدد الكتب المنسوبة إلى أبوقراط يساوي عدد الرقوق في ترجمة عزازيل؛ ثلاثون كتاباً أو رقاً. وهي عدد أيام الشهر، والمشهور منها كأصول بعدد أشهر السنة ؛ اثنا عشر شهراً.

تحقيق: الباب الخامس: طبقات الأطباء الذين كانوا منذ زمان جالينوس وقريباً منه

---

734 عيون الأنباء- مذكور ص 43-44

735 عيون الأنباء –مذكور ص 53

جالينوس. خاتم الأطباء الكبار المعلمين وهو الثامن منهم، مثله كخاتم أنبياء الطب، وليس يدانيه احد في صناعة الطب ، فضلاً عن انه يساويه. وذلك لأنه عندما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقاويل الأطباء السوفسطائيين، وانمحت محاسنها ، فأنتدب لذلك وأبطل آراء أولائك ، وأيّد وشيّد كلام أبوقراط وآرائه وآراء التابعين له ونصر ذلك بحسب إمكانه، وصنف في ذلك كتب كثيرة كشف بها عن طبقات مكنون هذه الصناعة، وأفصح عن حقائقها ونصر القول الحق فيها ولم يجيء بعده من الأطباء إلا من هو دونه منزلة ومتعلم منه. ولا نغالي إن قلنا: ان قياس جالينوس بالنسبة لأبوقراط كقياس محمد بالنسبة للمسيح عيسى، ولكن كلٌّ في حقله؛ الأول في الطب والثاني في النبوة والرسالة.

تعليق: الحدث التأسيسي والجدل الهابط ، والحنين الدائم للصعود والعود إليه. هذا الحنين إلى الحدث المؤسس أو العصر الذهبي نشهده في فترات الانحطاط والأفول للدول والإمبراطوريات. وبالتالي يظهر الشعور العام بعودة المخلّص، ليعيد الزمن إلى نصابه والعصر إلى ألقه؛ العهد الجديد.

قال جالينوس في بعض كتبه أنه دخل الإسكندرية، في أول دفعة، ورجع عنها إلى فرغامس موطنه وموطن آبائه وعمره ثمان وعشرون سنة.[736]

ما ذكره جالينوس في كتاب "مراتب قراءة كتبه" قال: إن أبي لم يزل يؤدبني بما كان يحسنه من علم الهندسة والحساب والرياضيات التي تؤدب بها الأحداث حتى انتهيت في السن إلى خمس عشرة سنة ، ثم أنه أسلمني في تعليم المنطق وقصدي حينئذ في تعليم الفلسفة وحدها فرأى رؤية دعته إلى تعليمي الطب فأسلمني في تعليم الطب وقد أتت علي من السنين سبع عشرة سنة.[737] جاء مولده حسب المسعودي بعد مئتي سنة من ميلاد المسيح. وقد أورد في كتبه ؛ في مواضع متفرقة ذكر موسى والمسيح.

ملك ألبيوس طرينوس قيصر تسع عشرة سنة وهو الذي ارتجع إنطاكية من الفرس . وكتب إليه خليفته على فلسطين يقول له أنني كلما قتلت النصارى

---

736 - عيون الأنباء-مذكور ص 126

737 - عيون الأنباء-مذكور ص 110

ازدادوا رغبة في دينهم ، فأمره برفع السيف عنهم وفي السنة العاشرة من ملكه ولد جالينوس."[738] كان عمره حين قدم إلى رومية القدوم الأول ثلاثين سنة؛ وهو نفس عمر هيبا حين دخل أورشليم أول مرة.

عن الخلاف بين الباحثين بخصوص تاريخ مولده يقول ابن أبي أصيبعة (في إشارة إلى أغلاط التدوين؛ والتصحيف): قد يكون الغلط من النساخ ويستمر حتى تحصل حجة يضل بها من لم يفحص عن حقائق الأمور.[739] قال جالينوس: من ذلك قد نرى القوم الذين يدعون نصارى إنما أخذوا إيمانهم عن **الرموز والمعجزة**، وقد تظهر منهم أفعال المتفلسفين أيضاً وذلك أن عدم جزعهم من الموت وما يلقون بعده أمر قد نراه كل يوم. وكذلك عفافهم عن الجماع وأن منهم قوماً لا رجال فقط بل نساء أيضاً قد أقاموا أيام حياتهم ممتنعين عن الجماع . ومنهم قوم قد بلغ من ضبطهم لأنفسهم في التدبير في المطعم والمشرب ، وشدة حرصهم على العدل أن صاروا غير مقصرين عن الذين يتفلسفون بالحقيقة."[740]

تعليق: في مقارنة هذا الكلام مع حياة أفلوطين وتلامذته السوريين: فرفوريويوس الصوري ، ويمليخا السوري (إيمبليخوس) وبرقلس.

ذُكر موسى في المقالة الرابعة من كتابه في التشريح على رأي أبوقراط إذ يقول: هكذا يشبهون من تعين من المتطببين لموسى الذي سن سنناً لشعب اليهود لأن من شأنه أن يكتب كتبه **من غير برهان**، إذ يقول: الله أمر والله قال". قال ابن جلجل: كان جالينوس من الحكماء اليونانيين الذين كانوا في الدولة القيصرية بعد بنيان رومية ومولده ومنشؤه بفرغامس وهي مدينة صغيرة من جملة مدن آسيا شرقي قسطنطينية وهي جزيرة في بحر قسطنطينية، وهم روم إغريقيون يونانيون. و فرغامس موقع سجن للملوك، هناك كانوا يحبسون من يغضبون عليه."[741] سافر جالينوس إلى أثينة ورومية

---

738 - عيون الأنباء-مذكور ص 113

739 - عيون الأنباء-مذكور ص 116

740 - عيون الأنباء-مذكور ص 117

741 - عيون الأنباء-مذكور ص 117

والإسكندرية وغيرها من البلاد في طلب العلم، وتعلّم من أرمنيس الطب، وتعلم أولاً من أبيه ومن جماعة مهندسين ونحاة. الهندسة واللغة والنحو وغير ذلك . درس الطب أيضاً على امرأة اسمها قلاوبطر، وأخذ عنها أدوية كثيرة ولاسيما ما تعلق بعلاجات النساء. شخص إلى قبرص، وإلى جزيرة لمنوس. وسافر إلى مصر وأقام بها مدة فنظر عقاقيرها ولاسيما الأفيون، في بلدة أسيوط من أعمال صعيدها. ثم خرج متوجهاً منها نحو بلاد الشام راجعاً إلى بلده (جزيرة فرغامس؛ مرمرة الحالية بالأناضول) فمرض في طريقه ومات بالفرما وهي مدينة على البحر الأخضر في آخر أعمال مصر. وهناك قصة أخرى تقول أنه مات في صقلية وهي يومئذ سلطانية، وأنه مات بالذرب ؛ وهو داء في الكبد.[742] والذرب: فُحش اللسان:

أرحني واسترح منّي فإني ثقيل محملي ذَرِب لساني

والذرب: الداء لا براء منه؛ يقال، ذرب الجرح إذا كان يزداد اتساعاً ولا يقبل دواء، قال الشاعر:

أنت الطبيب لأدواء القلوب إذا خيف المطاول من أدوائها الذَرِبُ

ذرب: أصل واحد يدل على خلاف الصلاح في تصرّفه، من إقدام وجرأة على ما لاينبغي"[743]

تعليق: في أنها مصادفة أن يكون قبر جالينوس قرب البحر الأخضر الذي عمّد هيبا نفسه عنده وخلع ثيابه وغطاء رأسه، وولد ولادته الثانية! وأنها لمصادفة سارة أن يكون جالينوس زار الصعيد وأسيوط تحديداً ليتعلم من أطبائها، وأن تكون رحلته إلى فلسطين سبب موته بداء في اسمه شيء من اسم هيبا. *hepatitis (hepatic disease)*. قال جالينوس: النفس كامنة في الدماغ والقلب والكبد. فإذا خلت هذه المواضع الثلاث ارتاحت النفس، ويقول: **إن معرفة الإنسان نفسه هي الحكمة العظمى**. ويقول: الغضب

---

742 ـ عيون الأنباء-مذكور ص 124

743 ـ معجم مقاييس ج2 ص 353

مرض النفس والجهل قبحها. ويقول: الهمّ فناء القلب والغمّ مرضها. الغمّ بما فات والهمّ بما هو آت, فإياك والغمّ فإن الغمّ ذهاب الحياة.

وفي مديح العرب لكتب جالينوس، ومدوني الطب، يقول أبو العلاء بن سليمان المعري في كتاب "الاستغفار":

سقياً ورعياً لجالينوس من رجلٍ ورهط بقراط غاضوا بعد أو زادوا

فكل ما أصّلوه غير منتقض به استغاث أُولو سقم وعُوّاد

كتب لطافٍ عليهم خف محملها لكنها في شفاء الداء أطواد[744]

ورأى جالينوس رجلاً تعظمه الملوك لشدة جسمه، فسأل عن أعظم ما فعله، فقالوا: أنه حمل ثوراً مذبوحاً من وسط الهيكل حتى أخرجه إلى خارج فقال لهم: فقد كانت نفس الثور تحمله ولم تكن له في حمله فضيلة.[745]

تعليق: في قوة الجسم أو النفس الحيوانية / الجسمية، و رمزها الثور وهي رمز للسلطة وتعظيم الملوك، فلا فضل للملوك على المجتمعات لأن المجتمع نفسه يحمل السلطة.

وجالينوس هو القائل أيضاً: المريض كالمتوكل والطبيب كالقاضي. وله "كتاب إلى أغلوقن في التأنّي لشفاء الأمراض". ومعنى أغلوقن باليونانية: الأزرق، وكان فيلسوفاً وعندما رأى من آثار جالينوس في الطب ما أعجبه سأله أن يكتب له ذلك الكتاب. ولما كان لا يصل المداوي إلى مداواة الأمراض دون تعرّفها، قدّم قبل مداواتها دلائلها التي تعرف بها ، ووصف في المقالة الأولى دلائل الحُميات ومداواتها ، ولم يذكرها كلها ، لكنه اقتصر منها على ذكر ما يعرض كثيراً. (هذا ما فعله هيبا حين حكى بعض قصصه لنسطور). تنقسم مقالة جالينوس إلى قسمين: الأول؛ الحُميات التي تخلو من الأعراض الغريبة، والقسم الثاني: الحُميات التي معها أعراض غريبة.[746]

---

744 - عيون الأنباء-مذكور ص 130

745 - عيون الأنباء-مذكور ص 133

746 - عيون الأنباء-مذكور ص 135

وقد وصف في كتاب صفات الحُميات جنسين من أجناسها، إحداها يكون في الروح، والآخر في الأعضاء الأصلية. ووصف الجنس الثالث الذي يكون في الأخلاط إذا عفنت.

ابتسم الأسقف تيودور وهو يقول لي: سوف أرسل لك كتباً طبية أخرى بعد عودتي، وسوف أطلب من كتبة الأسقفية أن ينسخوا لك أعمال أبوقراط، وغيره من مشاهير الأطباء .

هذا كرم منك يا نيافة الأسقف .

سيكون ذلك نافعاً لك وللناس بمشيئة الرب، فالناس تحتاج الطب. وقد تدهورت صناعته مؤخراً، فليحفظ الرب بكم هذا العلم المفيد. تدخل نسطور بلطف في الحوار، فذكر للأسقف أنني أكتب الشعر. فالتفت إليه الأسقف مؤكداً أن صديقه القديم "يوحنا فم الذهب" كان في بداياته يكتب الشعر. ألم أخبرك يا نسطور الحبيب أنهما متشابهان.

قال هيبا: ضم مجلسنا راهباً متقدماً في السن لا ينطق أبداً، واثنين من القسوس. وما كان الأسقف تيودور ينتهي من حكاية ذكرياته حتى طفر من أحد القسوس سؤال؛ كيف تجرأ الإسكندرانيون على إدانة يوحنا فم الذهب وهو القديس/ بدد السؤال المفاجئ الأجواء الطيبة التي كانت تحف المجلس. نظر نسطور للقس السائل باستنكار أشعره بالحرج ، ولذنا جميعاً بالصمت. قلّب الأسقف تيودور كفه اليمنى في الهواء مرتين وقال ممتعضاً وقد عقد حاجبيه: للإسكندرية سخافات كثيرة. توقعت أن يكون كلام الأسقف تيودور هو ختام للمجلس وإيذان بانتهائه، غير أنني فوجئت بالراهب الصموت الذي لم اسمع له صوتاً منذ رأيته، وهو ينطق **بلسان يوناني ذي لهجة شرقية**، قائلاً بحدة وهو مستند بكتفه على عصاه: وليغفر الرب للإسكندرانيين ما فعلوه ويفعلوه الآن. وما سوف يفعلونه غداً، فكنيسة الإسكندرية لم تكفّ أبداً حتى تنهار أو تنهار هذه الديانة كلها.

أطبق الصمت على الجميع ، ولم ينظر أحد لأحد . حدقت فيهم جميعاً، مستغرباً وقع كلام الراهب الغريب وصمتهم كلهم من بعده. هو بالقطع ذو

مكانة عندهم، وإلا ما كان ليتكلم بتلك القوة فيربك الجميع ، مع أن هيئته لم تكن تدل على أي أهمية. أدركت لحظتها أن للرب في هذا العالم رجالاً متوغلين في أسرار المحبة، لا يعرف أقدارهم إلا الكاملون .

كان هذا الراهب فيما بدا لي من هؤلاء المتوغلين. هو شديد الشبه بالقديس خريطون الذي رأيته في المغارة التي بقرب البحر الميت. كلاهما ذو لهجة شرقية وقوام شديد النحول وسن متقدم، وكلاهما يهتز بدنه حين يتكلم، وتهتز الناس حين تسمع كلامه. فهل كان هذا الراهب الغامض، أخاً للراهب خريطون؟ أم تراهما **شخصاً واحداً يظهر في أماكن مختلفة**، ليكون هؤلاء القديسون آية للناس وشاهداً على عجائب الرب في العالم.

تعليق: في ان شخصاً واحداً يظهر في أماكن مختلفة بملامح مختلفة. سندعو هذه الظاهرة **"بالاختفاء الظاهراتيّ"** ، ومعناه أن "الفكرة الكاملة" موجودة وغير حاضرة إلا حين يتكلم الشخص الحامل لها. يبدو أن هناك مع نسطور ورفاقه كان يتواجد حزب أيديولوجي/ سياسي منظم آرامي (سرياني)/ عربي، بنسب متعدد الأشكال فلسفي (أفلاطوني محدث) ويهودي /عيسوي (آسينيّ وهي جماعة العيسويين في قمران أو عمران في كهوف البحر الميت) ، هؤلاء الذين هجروا اليهود الصدوقيين كهنة المعبد في أورشليم هرباً من الاضطهاد إلى كهوف البحر الميت . هذا الحزب المسيحي الآرامي /العربي الذي يتزعمه نسطور له رجال متوغلون في الفكر الفلسفي والديني وفي المحبة والرفاقية، وفي أسرار العلم التاريخي / السياسي في سبيل اجتماع بشري عادل مستقيم غير معْوَج خال من الظلم والجور. هؤلاء الرجال الكاملون الصائمون/ الصامتون أغلب الوقت ليس لعيب في نطقهم ولا لعِيٍّ في صدرهم؛ وإنما لكتمانهم سر الظلم والجور. هم صائمون صامتون لحضور الصفات وغياب الذات التي هي كفيلة في حال حضورها حمل الصفات وجذْلها أو قرنها. هؤلاء حين ينطقون هم آية أو علامة على وجود هذا الحزب العقائدي (الأيديولوجي) وعلى أن التاريخ يجمع عناصره ويخمّرها. فيظهر هؤلاء في أماكن مختلفة وكأنهم شخص واحد يظهر في أماكن متعددة في نفس الوقت. إنه التخمير كيفما نظرت إلى العجين المتخمر تشاهد نفس الهيئة. هو تيار مسيحي آرامي/ عربي ينطق بلغة يونانية ذات

لهجة شرقية. ينطق باليونانية للضرورة التاريخية بحكم عالمية اللغة اليونانية في ذلك الزمان، وبحكم عدم وجود جماعة بشرية تقوم بدور الذات أو الحامل أو المعدن (الجوهر) لهذه العقيدة، ولسوف تتقدم قريش لاحقاً كقبيلة- بذرة دولة لتلعب هذا الدور وتحمل الدعوة المحمدية.

إنهم أخوة في الحقيقة التاريخية . لكي يصل تظلمهم إلى الحاكم الإمبراطور الروماني شبه- المسيحي، رجال متوغلون في الحقيقة التاريخية وعلامات الأزمنة لا يعرف أقدارهم إلا الكاملون من الرجال. نقرأ في "ترتيلة الحمد والشكر":

"فكل **الذين تجمعوا في ميثاقك**

يسألون عنّي

وكل الذين يسيرون في هدي مرضاتك يصغون لقولي

وهم الذين اصطفوا لك

في مجلس المقدسين"[747]

حين سؤالي عن هذا الراهب، أجابني نسطور بأنه واحد من أشهر الرهبان المتنسكين في أقدم أديرة بلدة كبادوكيا المباركة، التي قدمت للديانة آباء الكنيسة الثلاثة الكبار المشهورين والمعروفين بالآباء الكبادوكيين. وهذا الراهب معروف بطول صمته وندرة كلامه.

قلت لنسطور: جلست أمام الأسقف خريطون على بساط الأدب وحدثته بالشكوك التي كانت تملؤني وتدفعني للنظر في أصول الديانة، وأخبرته برحلتي إلى كهوف البحر الميت أملاً أن أجد عند الأسينيين أجوبة فوجدت كهوف خالية. وأفضيت إليه بفزعي من أنهار الدم التي تتدفق في أرض الله، وفزعي من القتل المروع الذي يجري باسم المسيح . وصرّحتُ له باحتياجي إلى اليقين وافتقاري إليه.

---

747 ـ النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت – مذكور ص 369

تعليق: في أن الشكوك حول الديانة هي ما تدفع للنظر في أصولها. والشكوك تأتي من الأحوال والأفعال العنيفة لأساقفة الإسكندرية البعيدة كل البعد عن تعاليم المسيح والرسل وأقرب ما يكون إلى أفعال طلّاب الدنيا، أفعال سلطوية متجبّرة ؛ ظالمة ومتعسفة ومستكبرة.

في أن الحج والعودة إلى الأصول تهدف لتعزيز اليقين المتزعزع.

نصحني بالحج إلى أورشليم.. ولا أدخل المركز الذي هو موطن قيامته إلا بإشارة تأتيني من يسوع المسيح.

تعليق: في أن المركز الذي هو موطن قيامته هو سر القيامة نفسها؛ سر الولادة الثانية الروحية وتسلُّم الأسرار والعِرفان.

تحقيق: في أن المخطوطات التي تم العثور عليها في قمران، ما هي إلا مكتبة الجماعة القديمة المعروفة بالإنكليزية باسم "إسّينز" (الأسينيين)، إلا أن الخلاف لا يزال قائماً حول الأصل المحلي (الآرامي/ العربي) لهذه الكلمة ومغزاها. يقول الأستاذ عباس محمود العقاد في الطبعة الثانية من كتابه "حياة المسيح" الذي كتبه بعد الاضطلاع على ما نشر في الخمسينات من ترجمات للمخطوطات والمعلومات الأولى عن جماعة قمران ، لعلّ أرجح الأقوال التي خلصت إليها أكثر البحوث والمناقشات؛ أن نسّاك صومعة القمران كانوا زمرة من الأسينيين، إحدى الطوائف المتشددة في رعايتها للأحكام الدينية، وانتظارها الخلاص القريب بظهور المسيح الموعود . وهذه هي الطائفة التي ذكرناها في "عبقرية المسيح"، فقلنا عنها ما فحواها أنها أقرب الطوائف الإسرائيلية إلى التطهّر من أدران المطامع والشهوات، وأنهم كانوا ينتظمون في النِّحْلة على ثلاث درجات، وأن أحدهم يقسم مرة واحدة يمين الأمانة والمحافظة على سر الجماعة ويحرم عليه القسم بالحق أو بالباطل مدى الحياة. وهم مؤمنون بالقيامة والبعث ورسالة المسيح المخلّص . ورجحنا أن الاسم مأخوذ من كلمة "الآسي" بمعنى "الطبيب" [748]

---

748 - مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 17- 18

يعلق الدكتور أحمد عثمان بالقول: إن جمع كلمة آسي لن تكون "إسيين"، وإنما تكون "آسيين" فإن هؤلاء النساك وإن كانوا يستخدمون العقاقير لعلاج بعض الأمراض المستعصية، إلا أنهم لم يكونوا أطباء، وليس هناك في الكتابات القديمة التي تحدثت عنهم ما يفيد بأنهم اشتهروا بممارسة الطب"[749] ورد اسم الجماعة مكتوباً باليونانية في كتابات فيلو جودایاس ويوسيفوس وبليني الكبير وهو "إيسنوى" أو "إيسايو" واسم الشخص الذي ينتمي إليها هو "إيساوي" بالرغم من اسم هذه الجماعة مصدره كلمة محلية، إلا أنه لم يتم العثور عليه مكتوباً إلا باللغة اليونانية. ويكون علينا محاولة التعرف على الأصل المفقود."[750]

اقترح الباحثون العديد من الكلمات الآرامية والعبرية . هناك إشارات قوية إلى علاقة هذه الجماعة بتلاميذ النبي أشعيا. الذين انفصلوا عن يهود المعبد (الصدوقيين) وراحوا يعدون الطريق في البرية لمجيء المخلص عند آخر الأيام (يوم القيامة). واسم أشعيا بالعبرية (يشع يا) مثل "يشوع" و "يسوع" ومعناه (خلاص الربّ). واسم يسوع باليونانية هو تصحيف للاسم العربي عيسو أو عيسى ، ويلفظ باليونانية "إيسو" . ويبدو أن اسم أشعيا قد أطق على عدة تلاميذ من مِلّة أشعيا (الاختفاء الظاهراتي؛ أو الحزب الأيديولوجي)[751] ، فمن المؤكد أن جماعة قمران كانت لها علاقة قوية بالنبي أشعيا. حيث تم العثور في مكتبتها على عدد كبير من كتاباته، وكانوا يفسرونها تفسيرهم الخاص .الذي احتفظوا به سراً ، وخاصة في الأجزاء المتعلقة بأناشيد "عبدْ الرب" ومولد "عمانوئيل" وهي نفس النصوص التي اعتمد عليها كتبة الأناجيل (الرسمية) في الإشارة إلى ميلاد يسوع المسيح والتي وصفوها بأنها كانت نبوءات بما سيحدث للمعلِّم. فإذ عرفنا أن حرف العين في العربية يتحول إلى ألف في اللغات الأوربية ، وأن عيسو يتحول إلى إيسو، ولو استبدلنا الألف بالعين في الكلمة اليونانية لوجدنا أن الكلمة الأصلية التي تدل

---

749 - مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 18

750 - مخطوطات البحر الميت-مذكور ص 18

751 - قارن هذا مع اسم هرمس

على عضو هذه الجماعة تصبح "عيساوي"ويكون اسم الجماعة "العيسوييون"[752]

وكلمة *(Issue)*؛ إيشو) الإنكليزية تعني: ريع ، عائدات ؛ فضل قيمة ، صدور، انبثاق ، ثمرة، إنتاج (بضاعة) ، إصدار أمر أو كتاب أو **كلمة جديدة**. ينتج كريح أو ريع. يتحدر من أب أو سلف ، يقول عن ، يرسل، يطلق ، يوزع طعام أو ملابس أو سلاح.

In-issue: تحت البحث أو النظر ، موضع النزاع [753]

Ist- المتخصص بعلم أو فن. *isthmus (إيزموس)*: البرزخ

قال نسطور موضحاً الفرق بين أصل الديانة العقلي / الروحي وأصلها الروحي البحت ، الأول إيمان مع عقل وعمل، والثاني إيمان محض وترهُّب وانسحاب من الحياة الدنيا. **المعجزة يا هيبا تقع على سبيل الندرة** ، نحن نؤمن بوقوعها النادر، ثم نعمل العقل والقياس في الظواهر حتى نفهمها ونحل تناقضاتها، وهكذا الحال مع بقية الأمور: **نؤمن ثم نتعقل** فيتأكد إيماننا ، هذا هو طريقنا.

تعليق: في أن نسطور مؤسس حزب أيديولوجي/ سياسي مسيحي آرامي/ عربي.

قلت: وسوف تبقى يا سيدي تناقضات لا يستطيع العقل حلها.

قد لا يستطيع ذلك عقلك أنت ، ثم يأتي من بعدك من يقدر على ذلك ، أو تسقط التناقضات من تلقاء نفسها (التناقض المتلاشي) وتُنسى فلا تشغل أذهان الناس.

صحيح يا هيبا ، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك .

---

752 - مخطوطات البحر الميت- مذكور ص 19-20

753 - المورد 2010 ص 613

تعليق: في أن من التناقضات ما هو متلاشٍ؛ يظهر ويختفي ضمن إطار إعادة نمط الإنتاج الواحد لنفسه، وتناقضات منتجة بالمعنى التاريخي/ الاجتماعي تقود إذا ما تضافرت الشروط ونضجت الذات التاريخية واستوت، إلى تغيير نمط الإنتاج نفسه وتجاوزه إلى نمط آخر وعلاقات إنتاج أخرى مختلفة خالقة بذلك تناقضات جديدة.

لسوف أصارحك بأن كلام الراهب الكبادوكي هيج في فكري التناقضات الواقعة بين ديانتنا القائمة على الفداء والمحبة وتلك الأفعال التي تجري باسم المسيح في الإسكندرية.

ما يجري في الإسكندرية لا شأن للديانة به. إن أول دم أريق في هذه المدينة بعد انتهاء زمن الاضطهاد الوثني لأهل ديانتنا كان دماً مسيحياً أراقته أياد مسيحية / فقد قتل الإسكندرانيون قبل خمسين سنة أسقف مدينتهم جورجيوس الكبادوكي لأنه كان يوافق على بعض آراء آريوس السكندري . وقتل الناس باسم الدين لا يجعله دينياً . إنها الدنيا التي ورثها ثيوفيلوس وأورثها من بعده ابن أخته كيرُلُّس، فلا تخلط الأمور ببعضها يا ولدي، فهؤلاء أهل سلطان لا أصحاب إيمان ، أهل قسوة دنيوية لا محبة دينية.

تعليق: في أنه ليس للدين تاريخ خاص به، فما تاريخه وحركة هذا التاريخ إلا تمظهراً لنمط الإنتاج وعلاقات الإنتاج الاجتماعية التاريخية المتولدة عنه. تمظهر يتحرك مع قيام الدول والإمبراطوريات وانحطاطها؛ وهما الدين والدولة مظهران في مستويين مختلفين لذلك النمط وتلك العلاقات من الإنتاج عندما ينفجر العنف في الإسكندرية فهذا معناه أن هذا العنف الديني المظهر هو في جوهره علامة على انحطاط الإمبراطورية الرومانية عَبَّر عنه صراحة في بداية القرن الخامس الميلادي القديس أوغسطين في كتابه الشهير **مدينة الله**. وقد ظهر الارتباط الوثيق بين ظهور مدينة الله وانحطاط وأفول مدينة الإنسان. العنف الديني المعاصر علامة بارزة على انحطاط وأفول البورجوازية العالمية ممثلة بالإمبراطورية الأميركية.

حياة الدير، حياة الكهوف ، أهل الكهف؛ الحياة الإيديولوجية/ السياسية الكهفية في الزمن المعوج؛ الزمن خارج الوصل.

أريد العيش في سلام ، فعليّ أن أفكر في الإقامة بأحد الأديرة . قال نسطور: لن أصف لك سلام الحياة في الدير، فأنتم المصريين ابتدعتم الرهبنة والديرية إحياء لتقاليد كانت عندكم من القدم. أخبرني نسطور يومها بأن ديراً تابعاً لكنيستهم الإنطاكية، يقع في منطقة خضراء إلى الشمال من حلب، هي من أهدأ مناطق الأرض وأجملها وسألني إن كنت أحب الاستقرار هناك . فقلت من دون أن أفكر، نعم يا ابتِ أحب ذلك. لا شيء سيغريني في أورشليم بعد رحيلكم عنها .

تحركت قافلة نسطور فحركت كوامن الشجن في نفسي ، مشيت وراءهم حتى خرجوا من بوابة أورشليم الجنوبية ؛ ثم انحدروا غرباً ليعرّجوا إلى إنطاكيا من الطريق الساحلي المحاذي للبحر الكبير .

ولكن، يا للكلب الحزين!! وكيف خطرت ببالي صورة الكلب الحزين في بيت التاجر الصقلي .

خاطر؛ تعليق/ تداعي: في اليوم الثالث حين عرفا أن قد سكن الناس عنهما أتاهما صاحبهما ببعيرهما وبعير له . وأتتهما أسماء بنت ابي بكر بطعامهما. وزادهما اختفاؤهما بالغار وعلمهما بإمعان قريش في تتبعهما حرصاً وحذراً ، فاتخذا إلى يثرب طريقاً غير الطريق الذي ألفه الناس ، سلك بهما دليلهما عبد الله بن أُرَيْقط (أحد بني الدُّئِل) ممعناً إلى الجنوب بأسفل مكة ثم متجهاً إلى تهامة على مقربة من شاطئ البحر الأحمر . فلما كانا في غير الطريق الذي ألف الناس ، اتجه بهما شمالاً محاذياً الشاطئ مع الابتعاد عنه، متخذاً من السبل ما قلّ أن يطرقه أحد ، وأمضى الرجلان ودليلهما طيلة الليل وصدر النهار على رواحلهم ، لا يعبآن بمشقة ولا يضنينهما تعب.

صحيح أن محمداً لا تساوره ريبة في الله ناصره ولكن لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة . والله في عون العبد مادام العبد في عون نفسه، وعون أخيه ."[754]

قال هيبا: عدت مسرعاً إلى صومعتي وقد عقدت النية على الخروج إلى الدير الشمالي في أقرب وقت.

تعليق: في أن الشمال يعني الغربة والوحدة . وشاءم به أخذ به نحو الشمال.

أمضيت أسبوعين أرقب أمر رحيلي وأسبوعاً ثالثاً أنتظر قدوم قافلة التجارة المارة بقرب حلب ، رأيت أن رحلتي معهم ستكون أقل عناء وأكثر أماناً من كل أسفاري السابقة وارتحالاتي . أغلب تجار القافلة كانوا من هؤلاء العرب الذين لا معرفة لي بدقائق لغتهم ، ولا عندي نية في تعلمها. فهي لغة وإن كانت قريبة من السريانية، إلا أنها بلا آداب مكتوبة تثير حماسي لتعلمها، وأهلها قوم بلا دين مخصوص (أميّون) ، فيهم يهود ووثنيون، ولهم في قلب جزيرتهم الجدباء بيوت أوثان، يطوفون بها وهم عراة، يقال إنهم أبناء إسماعيل المذكورون في التوراة ، وأنا لا أصدق ذلك . الذين على دين المسيح منهم لهم أسقفية في بادية جزيرتهم تعرف باسم "العربية" ، وهم أهل تجارة ومكر وحرب .

تعليق: في أن العرب حتى منتصف القرن الثاني الهجري قوم بلا تدوين، ثقافتهم شفاهية ، حتى بدأ التدوين رسمياً وبشكل منظم ومهيمن في سنة 143 هـ كتاريخ لبداية التدوين في الإسلام. انتشرت النصرانية في العراق والشام ونجران باليمن وكذلك اليهودية ؛ أي في مناطق الاستقرار الحضاري.

قال الذهبي: في سنة ثلاث وأربعين ومائة للهجرة شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير. وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس وقبل هذا التاريخ كان الناس يتكلمون من حفظهم ويروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة. وهذه الصحف هي "تقييدات" غير مبنية على أي مقياس من المقاييس التي

---

754 - حياة محمد ص 226 – 227

تراعي تأليف الكتب عادة كوحدة الموضوع وتبويب المسائل، الخ.." [755]؛ إنها "أساطير"!

مررنا في طريقنا ببلدة كبيرة حولها بساتين تسمى دمشق . يشرف عليها جبل عال، تنبسط الأرض من بعده، ويمتد السهل شمالاً حتى يصل إلى حلب والقرى المتناثرة حولها. وصلنا حلب بعد ساعتين ساعة الغروب، فلم أتبين ملامح البلدة إلا صباح اليوم التالي . هي مدينة لطيفة يسكنها كثير من العرب والسريان واليونان وبعض اللاجئين إليها قديماً من تدمر التي خربت واندثرت قبل قرن ونصف من الزمان ولذلك فهي (حلب) عربية الطابع والسكان.

تعليق: في أن حلب يسكنها عرب وفيها سريان ويونان وفيها تدامرة هم عرب، لذلك فهي عربية الطابع.

للناس في حلب وإنطاكية طريقة غريبة في دفن موتاهم، فهم لا يوارونهم التراب ويجعلون عليهم شاهداً مثلما نفعل في مصر، وإنما يضعون الأموات في فتحات كالثقوب الطوال، بعضها فوق بعض ، ثم يسدون عليها بعجين لزج من تراب الأرض ويرسمون فوق الفتحات علامة الصليب.

تعليق: في أن الإسلام قد أخذ بالعادة المصرية في دفن الأموات. ومثل عليها بقصة الغراب الذي دفن أخاه ليواري سوءته. "فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليرى كيف يواري سوءة أخيه" [756] بينما بقي مسيحيو سوريا على طريقتهم القديمة حتى بعد ظهور الإسلام ، حيث تدفن أجداث الأموات في غرفة مقسمة إلى رفوف تشبه العلب الطويلة أو التابوت المغلق (خشخاشة).

الرق الثالث عشر

إنهاك الذات وتسليم أمرها لمشيئة الرب. ظننت أن مشيئة الرب قادتني أخيراً إلى هنا، ثم عرفت مؤخراً أنها كانت ظنون ذات منهكة". مبنى الدير

---

755 تكوين العقل العربي ص 62-63

756 المائدة / 31 العالِم يواري سوءة أخيه الجاهل، وهذا من آداب المائدة أو الوليمة الأدبية

كان معْبداً في الزمن الغابر، بل كان معبداً هائلاً ، هذا ما تدل عليه أحجاره المتناثرة ، وكما يدل عليه هذا المذبح الرخاميّ البديع الذي بنو حوله الكنيسة الكبيرة للدير.

تعليق: في أن هذه إشارة إلى ديانات آسيا الغربية الوثنية الطابع الموغلة في القدم؛ ديانات الكنعانيين والفينيقيين والبابليين والكلدان والفرس وغيرهم من الشعوب التي سكنت غرب آسيا. وربط ذلك بديانات جنوب وادي النيل الوثنية، وأن المسيحية أخذت من كليهما . حورس الابن ، وتموز الإله القتيل الذي يموت في ريعان الصبا . الأنثى المقدسة عشتار . إلّ: الأول والعهد، الخ..

تدل الأشجار الجافة المحيطة بالكوخ المهجور فوق المسطبة الخضراء وشجيرات العشب اليابس المتناثرة حوله وأعلاه على أن هذه الأرض كانت تزرع في الماضي على النسق البابليّ القديم المعروف باسم جدائق بابل المعلقة. في أقصى الساحة مبنى كالصندوق المغلق كبير وغامض يسمونه الحصن/ القلعة *alcazar* أو الجنيزة [757]. المبنى يرتفع بمقدار ثلاثة طوابق غير أنه يخلو تماماً من النوافذ والأبواب، فهو جدار أملس ليس فيه إلا كوة صغيرة في أعلاه تكفي لدخول شخص واحد منحنياً، إذا صعد إليها مرتقياً درجات السلم المتدلي من الكوة العالية، السُلّم مصنوع من الحبال المجدولة والدرجات الخشبية، بحيث يمكن طيّه عند اللزوم . سقف المبنى على هيئة قبّة عريضة حادة الانحدار من كل الجوانب وملساء، بحيث لا يمكن الوقوف عليها والاستقرار فوقها.

تحقيق: اكتشف في خزانة معبد اليهود في القاهرة *Cairo Geniza* ما يقارب من مائتي ألف قصاصة وقطعة من المخطوطات الآرامية والعبرية مختلفة الأشكال نقلت إلى المتاحف والمكتبات الغربية ولكن تأخرت دراستها

---

757 - بيرسا Byrsa هي في الأصل تصحيف وتحريف للكلمة الفينيقية بوصرا Bosra ومعناها "قلعة" ومن المحتمل أنها تشير إلى قلعة قرطاجة الجديدة، ولم يفهم القدماء أصل كلمة Bosra فاعتقدوا أنها مشتقة من الكلمة الإغريقية Bursa ومعناها "جلد الحيوان المذبوح" من هنا نشأت اسطورة "جلد الثور".الآينيدة ص 116

دراسة شاملة . وجنيزة تعني الكنيزة أو الكنز . وبالإنكليزية: *Genesis* تعني: سفر التكوين.

رئيس الدير يتكلم عادة اليونانية، لكنه يجيد السريانية تماماً ويتحدث بها أحياناً. معظم أهل هذه النواحي يعرفون اللغتين، لكن رئيس الدير يعرف أسرارها وهو يتبسط بالكلام مع عامة المواطنين، ولعل هذا الأسلوب متأثر كثيراً بأسلوب شيشرون في خطبه الشهيرة.

تعليق: في سوريا معظم أهلها يعرفون السريانية واليونانية والعربية، وكونها قبلة التجار العرب من شبه الجزيرة وغيرها ، فمن الطبيعي أن يتكلم التاجر العربي السريانية واليونانية بحكم العلاقات الاقتصادية والثقافية وبحم السكن.

أصرّ رئيس الدير أن أقرأ عليه شيئاً من شعري، أدهشني حين أخبرني أنه يحب الأدب ويقرأ خطب شيشرون ويحفظ منه أجزاء طوالاً . وقد لاحظنا من قبل الشبه بين أسلوبه مع عامة المواطنين وأسلوب شيشرون في خطبه.

شيشرن وثني يا أبتِ!

نعم، لكنه بليغ جداً وموهوب من الربّ ، كان القديس كليمان وهو أحد أجلاء الآباء الأوائل يُحبّ قراءة أعماله.

تعليق: في ظاهرة التكفير و رُهاب [758] قراءة الكتب الممنوعة أو المحرمة.

تحقيق: شيشرون أو *Cicero*: هو ماركوس توليوس شيشيرون الكاتب الروماني وخطيب روما المميز ولد سنة *106* قبل الميلاد صاحب إنتاج ضخم يعتبر نموذجاً مرجعياً للتعبير اللاتيني الكلاسيكي. عبره تم الوصول إلى جانب من الفلسفة اليونانية. آراءه آراء الطبقة العليا ، أما أسلوبه فقد أراد به أن يصل إلى قلوب جماهير الشعب. تم إعلانه "وثني صالح" من قبل الكنيسة الكاثوليكية المبكرة ، لذلك اعتبر العديد من أعماله يستحق الحفاظ عليه. اقتبس القديس أوغسطين وغيره من أعماله في "الجمهورية" و

---

758 الرُهاب: الخوف حتى المرض

"القوانين". صاغ شيشرون مفهوماً مجرداً عن الحقوق مبني على القانون والأعراف القديمة . كتب عدة رسائل طويلة في فن الخطابة . وقد لخّص في بعضها تاريخ البلاغة الرومانية في حوار واضح بارع وضع القواعد التي اتبعها في تأليف الخطب وفي الإيقاع والإلقاء. اتهم في هذه الرسائل بأن أسلوبه "آسيوي "(مشحون بالعاطفة والحماس)، وقال إنه حذا في هذا حذو ديموستين. واتهم "الأتيكيين"[759] بأن خطبهم الفاترة الخالية من العواطف تنوِّم السامعين أو تجعلهم يفرّون منهم.

تحقيق: كليمان السكندري؛ اسمه الكامل تيتوس فلافيوس كليمنس *(150-217 ؟ م)*؛ لاهوتي يوناني، وأبّ للكنيسة في وقت مبكر . ولد على الأرجح في أثينا وتلقى تعليمه في المدرسة اللاهوتية في الإسكندرية درس تحت بانتينيوس الفيلسوف المسيحي، بعد تحوله عن الوثنية. عين أسقفاً للكنيسة سنة *190* ميلادية بفضل بانتينيوس الذي أصبح رئيساً للمدرسة اللاهوتية. يعتبر أوريجين, المعلم واللاهوتي، من تلامذته. خلال اضطهاد المسيحيين في عهد لوشيوس سيبتيموس سيفيروس أوغسطس إمبراطور روما الليبي من جهة والده (حكم *193-211م)* ، انتقل كليمان من الإسكندرية إلى قيثارية (مذاقة) في كبادوكيا. اعتبر قديساً وظهر اسمه في سجل شهداء المسيحية المبكرة. مؤسس المدرسة السكندرية للاهوت المسيحي والتي شددت على الطبيعة الإلهية للمسيح. وهي المناقضة لمفهوم "التبني " *Adoptionis* الذي قال به آريويس ومناقضة للنسطورية وكلا التيارين الآريوسيّ والنسطوريّ قالا ببشرية يسوع المسيح .

في القرن الثاني عرفت الإسكندرية مدرسة مسيحية أرثوذكسية (سُنيّة) بدأت متواضعة، كان الأستاذ يستقبل في منزله كل طارق مسيحياً كان أم وثنياً ويعلّم بلا أجر . كان التعليم في بادئ الأمر دينياً صرفاً ، لكنه ما لبث أن اتسع ليشمل تعليم أصول الفلسفة والعلوم . كان الترتيب في البدء علوم اللغة (تعلم اللغة والرياضة الطبيعية (رياضيات وفيزياء وكيمياء) ثم النفس

759 ـ أثيكا وعاصمتها أثينا

والأخلاق وأخيراً يتم شرح الكتب المقدسة. وهو نفس برنامج المدارس اليهودية والمدارس الوثنية في الإسكندرية.

في سنة *(202 م)* أصدر الإمبراطور الروماني سيبتيموس سيفيروس أمراً باضطهاد المسيحيين ، فكفّ كليمان عن التعليم ثم رحل إلى آسيا الصغرى، وعمل على نشر الدين في أرجائها وتوفي فيها.

وضع مؤلفات وفق برنامج منطقي أبان عنه بقوله. إن المرشد السماوي هو "اللوغوس *Logos* " ويسمى "الهادي" حيث يقود الناس إلى النجاة ، ويسمى "المؤدِّب" حيث يعالج النفس ويهذبها . ويسمى "المعلّم" حيث يتلقى الوحي. هذه هي طريق اللوغوس لكي يحقق خلاصنا مرحلة مرحلة. جاء "الهادي" كتاباً شبيهاً برسائل المحامين عن الدين (القديس جوستين وتاتيان واثناغوراس) ؛ يحث الوثنيين على الإيمان . إن كلمة الله اتخذت اسماً جديداً هو اسم المسيح. انتقد كليمان تعدد الآلهة والأسرار والقرابين والأصنام. يعترف بأن الشعراء و الفلاسفة وخاصة أفلاطون أوتوا بضع حقائق بإلهام من اللوغوس الإلهي، وبالأخذ عن التوراة. وهذا القول يتشابه مع رأي القديس جوستين، ورأي فيلون الفيلسوف اليهودي السكندري .

كتاب "المؤدّب" ثلاث مقالات. الأولى شخص المؤدب، والثانية والثالثة في تعليمه. إن التشبه بالله أن يكون الإنسان على صورة المسيح ومثاله على الظاهر . كتاب "المعلّم" كان يرى إلى تعليم المسيحيين الحقيقة الكلية ولكنه لم يدونه. وإنما بقي لنا منه كتاب "الأرائك". قد تكون المادة التي أعدها لكتاب "المعلّم " وألقاها دروساً شفوية وهي عبارة عن مذكرات جمعها دون ترتيب فجاءت منوعة كوشي الأرائك . بالعربية هي نوع من "الأمالي" وهو في مجموعه كتاب أخلاق المسيحي الكامل . بينما يعدّ "المؤدب" كتاب الأخلاق العادية أو العامة. و"الأرائك" سبع مقالات تلحق بها رسالة في المنطق باسم "الأريكة الثامنة " (أوكتافيا).

كان كليمان أول مفكر مسيحي اشتد وأسهب في تحبيذ الفلسفة، كان إلحاحه رداً على حركة قوية قامت ضدها (ضد الفلسفة) في شتى أنحاء الكنيسة[760]، إذ نهضت جموع المؤمنين المسيحيين من العامة تندد بالبدع وتحمّل الفلسفة تبعتها. ونعتت الفلسفة بأنها بدعة "أثيمة" ابتدعها الشيطان الخبيث لتسميم حياة البشر. وكان العامة يتظننون باللاهوت العلمي ورجاله، ويدعون إلى الإيمان الساذج (إيمان جمهور المسيحيين). كان الخلاف بين الخاصّة والعامّة على أشده في الإسكندرية ، فصمد له كليمان. حيث قال: قبل مجيء الرب كانت الفلسفة ضرورية لليونان كي يمارسوا العدالة، وهي الآن مفيدة للتقوى، وهي تمهيد ضروري للذين يأتون للإيمان عن طريق الاستدلال. إن الله مصدر كل حقيقة ، ولكن من الحقائق ما يصدر عنه بصفة أولية (العهد القديم، والعهد الجديد)، ومنها ما يصدر عنه بصفة ثانوية كالفلسفة. كانت الفلسفة بين اليونان بمثابة "المؤدِّب" على ما كانت الشريعة بين اليهود. الفلسفة هي "العهد" الخاص باليونان، وأساس الدين المسيحي . كان يريد أن يبين للوثنيين أن عقيدة المسيح لا تقل شأناً عن أي علم إنساني. وكان اهتمامه بالفلسفة غرضه مواجهة الغنوصيين؛ فلسفة بمواجهة فلسفة. كان يريد أن يدحض الغنوصيين، وكان يرى أن واجب المسيحي تجاه نفسه يقضي التفقّه بالدين، وأن الفلسفة خير أداة لذلك. وفي بيان هذه النقطة الأخيرة يذهب إلى نوع من الغنوصية لا بأس منها على العقيدة، ولكنه يقتضي شديد الحذر. فقد كان تسرّب شيء من اعتقاد الأوساط الغنوصية بالإسكندرية إلى المدرسة المسيحية . الطلاب كانوا يتعلمون حال دخولهم أن الحياة المسيحية تدرج في تلقي العلم الإلهي، وكان برنامجها يرتبهم ويرتب المسيحيين بالإجمال طائفتين: السذّج، والكمّل . وكان هؤلاء الأخيرين يغالون في التعالي على العامة ويقولون بوحي شخصي يفيض على المسيحي العالم معرفة بحقائق الإيمان غير مكتسبة بالنظر العقلي وممتنعة عن العامة .

760 ـ حركة آباء الكنيسة في تحريض عامة المسيحيين على العلم و الفلسفة.

هذا التعالي من المثقفين المسيحيين والغنوصيين على العامة من المؤمنين تم استغلاله لا حقاً من قبل أساقفة الإسكندرية للتحريض ضد الفلاسفة والمفكرين المسيحيين والوثنيين ولتكفير المخالفين لسلطة هؤلاء الطغاة.

غير أن كليمان كان يصحح هذه النظرة باعترافه أن الفلسفة ليست ضرورية للإيمان الديني وأن المرء يصير مسيحياً كاملاً حال المعمودية . وأن الإيمان الأول لا يختلف ماهية عن كماله وتمامه . نحن هنا بإزاء غنوصية حريصة على التمسك بالأرثوذكسية والطاعة للكنيسة . الفلسفة حسب كليمان "كل ما قيل من حق في أي مذهب كان. والأفلاطونية عنده خير المذاهب، ينقل عنها نصوص مطوّلة " ويقول أن أفلاطون صديق الحقيقة الملهم من الله. يتوسط فيلون السكندري الفيلسوف اليهودي السكندري بينه وبين أفلاطون . فمصدر كليمان الأكبر كتب **فيلون**. ثم هو يفيد مما وجد عند **الرواقيين** من تحليل دقيق للفضائل والرذائل، ويلطّف من تشددهم ويفند سائر آرائهم. يعرف أرسطو بالوساطة وبشكل سيء. **الأفلاطونية المثالية والرواقية المتعالية المحررة من التاريخ، وأخلاق الزهد والتقشف هي الخلاصة المبكرة للفكر المسيحي المثقف.** يهاجم أبيقور "المادي "؛ أمير المادية والإلحاد، ومؤلّه اللذة[761] . يلحّ كليمان في إثبات وحدانية الله ضد الثنائية الغنوصية ويرجع دليله إلى أن الله هو الموجود الكامل ، وإن كمال الوجود لا يكون إلا في واحد. **الله عنده مُنزّه عن الصفات والنعوت والأسماء**. وإنما يتكشف المجهول الإلهي لعقلنا بفضل نعمته وبفضل كلمته[762]." النفس عنده مادية لكنه يجعلها لطيفة إلى حد بعيد. الله أبو (مبدأ) عموم الأشياء ولا ينبغي تسميته بـ "الكل". أساس

---

761 في مطلع 1839 يختار ماركس لأطروحته في الدكتوراه موضوع "الاختلافات بين الفلسفة الطبيعية الديموقريطية والأبيقورية ".. كان الفيلسوفان يمثلان مفهوماً مادياً للعالم .. وقد دافع بصورة خاصة عن إلحاد أبيقور ، المنور الفكري العظيم في العصور القديمة وأحد الخصوم العلنيين للاعتقاد بالآلهة وكان اعتراف ماركس بالإلحاد إعلاناً بصورة غير مباشرة للحرب على الدولة البروسية "المسيحية" والنظام الإقطاعي. راجع سيرة حياة كارل ماركس ص 28-29

762 الكلمة الناطقة أو الكلمة البشرية تخصيص للوغوس الذي يظهر بتخصيص نباتي أو حيواني أيضاً.

الأخلاق عنده أن في كل إنسان قوة طبيعية للحكم. على أن الوصول إلى قمة العِرفان لا تكفي له القدرة الطبيعية ولكن يستلزم النعمة الإلهية. من تلامذته البارزين أوريجين السكندري *(185-254 م)*.[763]

قال هيبا: مضت بي أيام هذه السنة والسنة التالية عليها هادئة *(428-429 م)* حتى دخل العام الثلاثون بعد الأربعمائة لميلاد المسيح ، وفيه كان ما كان من وقائع مزلزلة لكل ما استقر من أموري . خاصة ما جرى من تلك الوقائع في أواخر السنة في بدايات فصل الشتاء، ففي تلك الأيام احتدم الخلاف بين الكبار، وفيها أطلت شمس مرتا في سماء وجودي؛ أعني شمسها اللافحة.

تعليق: في صراع نسطور مع خصومه من الأساقفة ومن الجهاز الكنسي، وانتهاء ذلك بحرمه وطرده ونفيه لاحقاً. وظهور مرتا في حياة هيبا. فمع زعزعة إيمانه والزلزال الذي ضربه بخبر حرم نسطور المبجل، عاد لديه الاعتبار إلى الكأس المقدسة ؛ إلى العذراء البتول الشفيعة. إن ابتذال عبارات التاريخ؛ وهو الوجه الآخر لانحطاط وانحدار الإمبراطورية الرومانية كان معناه عودة نفس الجسد ؛ وعدم الثقة بالتاريخ ورجالاته الطغاة الظالمين، المنافقين المزاودين على الإيمان وعلى الإله. كان معناه ظهور مرتا *(مريم)* في سماء وجوده . إنها عودة شمس الجسدية للظهور من خلف غيوم التاريخ المتلبدة .

الرق الرابع عشر

لا يوجد في العالم أسمى من دفع الآلام، عن إنسان لا يستطيع التعبير عن ألمه. **لا تعليق.**

تعليق: يروي هيبا في هذا الرق بعض أحلامه التي تنتهي بغرقه. تظهر فيها النساء اللواتي ظهرن في حياته؛ أمه، وأوكتافيا وهيباتيا، ويظهر أبوه في بعضها. وتبدو للناظر أحلام طبيعية في سياق الأحداث الرهيبة التي مر بها.

---

763 يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، الطبعة الرابعة 1958 ، الفصل الخامس ص 269

تختلط صور النساء الثلاث في أحلامه وتمتزج أحياناً[764]. النساء اللواتي هنّ أمه وعشيقته وأستاذه ومثله . هذا ما يجعله يستيقظ فزعاً. الاختلاط والفزع!

الرق الخامس عشر

تحقيق: في مرض النار الفارسية ـ النار الفارسية و الجمرة الخبيثة : كان ابن سينا أول من أشار إلى هذا المرض ووصفه بقوله: " فصل في الجمرة والنار الفارسية وغير ذلك: هذان اسمان ربما أطلقا على كل بثر أُكال منقّط مُحْرق مُحْدث للخشكريشة إحداث الحرق والكيّ ، وربما أطلق اسم النار الفارسية من ذلك على ما كان هناك بثر من جنس النملة أكال محرق (الحلأ النطاقي) منقط فيه سعي ورطوبة ويكون صفراء المادة قليل السواد قليل التقعير ويكون مع بثور. أطلق اسم الجمرة على ما يسوّد المكان ويفحّم العضو من غير رطوبة. يبتدأ بحكة كالجرب وقد يتنقط النار الفارسية والجمر ويسيل منه شيء كما يسيل من المكوي المحرّق يكون الموضع رمادي في لونه أو اسود أو رصاصياً ويكون اللهيب الشديد مطيفاً به من غير صدق حمرة بل مع ميل إلى السواد والذي يخصّ أصل الجمرة يكون أسود أصل الجرح مائلاً إلى النارية وكأن له بريق الجمرة والنار . الفارسية منها أسرع ظهوراً وحركة والجمرة أبطأ وأغور سوى كأن مادتها مادة البثر والقوباء لكنها حادة في النار الفارسية . وكأن النار الفارسية أشد صفراوية والجمرة أشد سوداوية و لك أن تسمي كل واحد منهما بالمعنى الذي تجمعها جمرة ثم تقسم و لك أن تسميها كليهما نار فارسية لذلك المعنى بعينه ثم تقسم و لك أن تعطي كل معنى اسماً"[765]

الجمرة *Anthrax*: تسمى أيضاً بالبثرة الخبيثة وبالحمى الطحالية وبمرض الصوّافين. داء يصيب الحيوانات الآهلة والوحشية وينتقل للإنسان عن طريق التماس المباشر أو نادراً عن طريق النواقل التي تنقل الخمج بصورة منفعلة. تتصف الآفة التي تصيب الإنسان بحدوث قرحة جلدية نخرة تسمى

764 ـ التكثيف والتحويل في الحلم

765 ـ ابن سينا : القانون في الطب المجلد الثالث ص 118

"البثرة الخبيثة". تسبب المرض عصيات الجمرة عضويات دقيقة كبيرة الحجم إيجابية الغرام هوائية مبوغة تعالج بالبنسلين " [766]

أقرب الرهبان إليّ اثنان الأول الضحوك الوقور، ارتحل مؤخراً إلى إنطاكية واستقر في يوبربيوس وهو الدير الذي بدأ فيه نسطور سلك الرهبنة . لم يذكر ذلك هيبا لنفوره من "مكان المنشأ" على طريقة أفلوطين. الراهب الآخر هو الآن اقرب الرهبان على قلبي. وأكثر الرهبان شبهاً برئيس الدير؛ يتعامل دوماً مع رهبان الدير الذين يجلّونه بالنظر والإشارة[767] ؛ يستحضر الأقوال و النقول من ذاكرته من غير مراجعة ولا نظر في الكتب[768]. عيناه واسعتان وفيهما ذكاء وشغف وفي قلبه طيبة تغيب عن عين الغرباء ويعرفها الذي يقترب منه. كان ينظر في الكتب نظرة الشغوف بالنصوص غير أنني نادراً ما رأيته يقرأ . الرهبان ينادونه باسم غريب. فريسيّ الأقنوم . حكى لي يوماً أنه من أصول عربية وأنه يعرف اللغتين اللتين يتكلم بهما العرب: عرب الشمال (الحجاز) وعرب الجنوب (اليمن)، وأخبرني أنه نشأ يتيماً من جهة أبيه الذي كان ثرياً يشتغل بالتجارة ، كان يسكن بيتاً كبيراً في قلب بلدة حلب . لما تزوج عمّه بأمه ليحفظ ميراث أبيه هجر دنياهما، والتحق خادماً بالأبرشية، ثم استقر بالدير. صار بعد خدمته الربّانية يكره النساء، بل لا يطيق أي مؤنّث حتى لو كان من غير الناطق من الحيوان . قلت له يوماً وقد أفاض كعادته في الحط من الأنوثة. مَهلك يا فرّيسيّ فإن الأرض أنثى والرب جاء من العذراء .

لا يا هيبا الأنوثة والنساء سبب كل بلاء، والأرض والسماء والماء والهواء والزروع ليست أناثاً ولا رجالاً ، هي عطايا الرب لآدم الذي أغوته امرأته حواء فكان ما كان ، والعذراء مريم استثناء وحيد جعلها الأب طاهرة، لينبثق منها ربنا يسوع المسيح ، كي يعرفنا أن أجلّ الأمور قد يأتي من أقل الأشياء وأن الدرّ يتشكل في الأصداف . وإلا فما العذراء وولادتها المسيح.

---

766 ـ هاريسون مبادئ الطب الباطني المجلد الثاني ص 1133

767 ـ فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا " مريم 11 أي أشار إليهم وأومأ . تأويل مشكل القران-مذكور ص 489

768 ـ الثقافة الشفوية للعرب وقوة الذاكرة الحافظة

استغربت قوله : **لينبثق منها**، فهو لم يدرس اللاهوت في مصر، ليعرف أن الانبثاق لفظ فلسفي لا يجوز استخدامه للتعبير عن التجسّد، وأن المسيح أخذ من جسد العذراء جسديته. في الانبثاق يظهر الجسد كقديم للروح وهذا خلط. إنه خلط بين البذرة وشروط إنباتها. خلط بين البيولوجي والاجتماعي. فالسلعة ليست بذرة الرأسمالية ، فالرأسمالية أسّها علاقات الانتاج الرأسمالية الجديدة المتجاوزة للعلاقة الاقطاعية والتي تنزل على جسد السلعة وتركب عليها كما ينزل الأمر على النفس البشرية روحاً.

تعليق أول: يبدو أن مترجم عزازيل يميل هنا إلى إظهار ملمح نفساني في موقف الفريسي من الأنثى وهو زواج أمه من عمّه (وهذا يحيلنا بالتداعي إلى مأساة هاملت ومن قبله مأساة أوريست في حاملات القرابين لأسخيلوس)، وقد تكون هذه العقدة النفسانية هي سر تقارب هيبا منه وهو الملوّع من حادثة وشاية أمه بأبيه ومقتل الأخير وزواجها من أحد قاتليه المسيحيين. لكن علينا ألا نبالغ في الميل نحو النفسانيات فعبارة "ينبثق" تبدد كل شك وتعيدنا إلى التاريخ وإلى الفلسفة وإلى انحطاط الإمبراطورية، وإلى تواجد العرب الكثيف في بلاد الشام في القرن الخامس الميلادي .

تعليق ثان: يبدو أن الفلسفة الأفلاطونية المحدثة (أفلوطين وتلامذته: فرفوريوس الصوري، و إيمبليخوس السوري، أو يمليخا ، وبرقلس لاحقاً كانت منتشرة كثقافة شائعة وسائدة في الأوساط العربية في الجزيرة العربية وسوريا (حلب وإنطاكية) والعراق في تلك الفترة . إيمبليخوس أو يمليخا السوري (توفي 330 م) دفع بالنزعات الدينية في مدرسة معلمه فرفوريوس الصوري من صور، خطوة أخرى في اتجاه ممارسة الطقوس والمعجزات ودمج آلهة الديانات الوثنية وطقوسها في نظام أسطوري مبني على فلسفة أفلوطين.

قال الفريسي : لقد خانته حواء مع عزازيل اللعين وتحالفا ضده.

تعليق: في أن حواء خلقت من حيرة آدم أو تحيّره؛ ولهذا تحالف التحيّر مع الشك والالتباس (عزازيل)، وهبطوا منها جميعاً.

يبدو أن شيوع الأفلاطونية المحدثة بعد قرنين من الشك واللا أدرية في الفلسفة اليونانية أظهر العداء للجسدية والخجل من الجسد على شكل عداء للنساء والمرأة الأنثى. وجاء من انتشار المسيحية التي جاءت لتحرير العبارة من التاريخ؛ تاريخ الانحطاط والطغيان، ولترفعها إلى السماء كملكوت منفصل عن الحياة الدنيا . وذلك للهروب من الواقع الجائر وقسوته.

الفريسيّ تغيظه الفلسفة مع أنه أقرب إلى التفلسف (القريب بطبعه إلى اللاهوت)، له اهتمام عظيم بكل ما يتعلق بالأقنوم ، فهو لا يكفّ عن الكلام عنه والتفكير فيه والتشدد بصدده، ومن هنا لقبه "فريسي الأقنوم"، والفريسي هو المتشدد في ظاهر الديانة، وهو مشتق من اليهود الفريسين الذين تعلقوا بظاهر الشريعة اليهودية، ثم صارت مستعملة في الشرق المسيحي وما تزال تدل على **المتشدد في الاعتقاد**.

تحقيق: واسم الفريسين مأخوذ من كلمة عبرانية تقارب كلمة "الفرز" العربية في لفظها ومعناها الذي يدل على عزل الشيء عن غيره. وكان الفريسون يردون هذه التسمية إلى خطاب الله لبني إسرائيل جميعاً بقوله في الاصحاح العشرين من سفر اللاويين: "وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي". كانت تلازمهم في بعض الأحيان صفات الادعاء والتعالي التي تلازم كل طائفة تستأثر لنفسها بالمزية. كانوا هدفاً لحملات الدين الجديد تندبداً بما يظهرونه من الثقة والكبرياء، على أنهم كانوا يقابلون بهذه الكبرياء كبرياء الوجاهة والثروة التي كانوا يستنكرونها على خصومهم الصدوقيين"[769]

تعليق: أراد هيبا بهذه العبارة الإشارة إلى السمات الفكرية والاعتقادية لعرب بلاد الشام في تلك الفترة السابقة على الإسلام بمئتي سنة والبنية الثقافية والفكرية للتجار العرب في تلك الأزمان . النقاش حول طبيعة المسيح كان على ما يبدو يطبع الحياة الفكرية والدينية في تلك الفترة وعند تلك الأوساط التجارية العربية. وكان النبي محمد قد اشتغل بالتجارة قبل

---

769 ـ عباس محمود العقّاد: عبقرية المسيح، ص 43

إعلان الدعوة بعدة سنين، وله رحلات تجارية إلى بلاد الشام قرب دمشق لجهة الجنوب؛ بصرى الشام.

كان الرهبان يحبون مشاغبته بالسؤال عن طبيعة يسوع المسيح وجوهره وحقيقته الذاتية، وغير ذلك من المعاني والألفاظ الكثيرة المرادفة لكلمة أقنوم المحيّرة، خاصة في هذه النواحي التي تتكلم اليونانية والسريانية والعربية ولغات أخرى أقل أهمية. كان يعرف كل متقابلات الكلمة في هذه اللغات، وقد سألني أول ما لقيني عن معنى كلمة أقنوم عند المصريين والإسكندرانيين، فقلت إنها تعني **الشخص** أو الكيان الذاتي، وأننا نادراً ما نستعمل الكلمة في ديارنا.

تعليق: في أن سلمان أو سلسل هو شخص الباب؛ باب العلم، كما مر معنا في مباهلة النبي محمد مع نصارى نجران. والشخص والأشخاص مجاز مرسل وهو تشخيص الصفة أو الخاصية أو السمة، وهذا ما فعله غوغول في قصته الشهيرة الغريبة "الأنف" حين انفصل أنف أحد الموظفين الروس وراح يتمشى في الشارع كشخصية معتبرة مستقلة. والشخص إشراف؛ منزلة من منازل العلم والعرفان . والشخص كناية؛ فسلمان كناية جبريل، جبريل في العلم والنظرية وسلمان في العمل والممارسة.

تحقيق: قنمَ الفَرَس والإبل وغيره: أصابه النَّدى، فركبه الغبار فاتسخ. والأُقنوم بالضم: الأصل، والجمع أقانيم رومية.[770] وقنم الشيء قنماً إذا ندي ثم ركبه غبار فتوسخ ، ويكون ذلك في شعور الخيل والإبل"[771] كتب سعد الله ونوس في طقوس الإشارات والتحولات" على لسان الولي: "اهْمِلْ بدنك حتى يتراكم عليه الوسخ (يغدو قنماً)، وعفّر وجهك ومرقعتك حتى يزدريك من يراك، ابتدأ بهذا قبل كل شيء حتى تسقط جاهك، وتذل نفسك، ثم عد إلى معتزلك خفيفاً، لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء . وكرر النداء"[772] عندها **تتحول من فرد عادي إلى شخص من أشخاص العرفان** .

---

770 - القاموس المحيط ص 1152

771 - مقاييس م 5 ص 34

772 - سعد الله ونوس : طقوس الإشارات و التحولات ص 92

في أن الوحدة في حركتها؛ أو البنية الاجتماعية / الاقتصادية المتناقضة في حركتها تظهر مستويات متنوعة منسوبة لفعل البنية وتمظهرها في هذا المستوى ؛ هذه الأفعال المختلفة للبنية لها أسماء مختلفة كالمستوى الاقتصادي والسياسي والأيديولوجي، ويجري تجسيد هذه المستويات بصفات مشهودة أو ممارسات إدارية كمؤسسات الإعلام نسبة للأيديولوجي والنقابات نسبة للاقتصادي وأجهزة الدولة نسبة للسياسي. هذه الأسماء والصفات المنسوبة لأفعال الوحدة في حركتها تسمى أقانيم الوحدة أو مستويات البنية الواحدة.

في أواخر العام التاسع والعشرين وأربعمائة للميلاد تجمعت بعض الغيوم المنذرة بالعواصف، إذ كانت تأتينا من القسطنطينية أخبار غير مريحة وغير مفهومة بالنسبة لي ، من ذلك أن الأسقف نسطور عقد هناك مجمعاً محلياً جرّد فيه بعض القسوس من رتبتهم الكنسية وحكم عليهم بالطرد لأنهم لم يوافقوه على رأيه القائل أن العذراء مريم هي أم المسيح خريستوتوكوس وأصروا مجتمعين على ما يعتقدون و يعتقده عوام الناس من أن العذراء هي ثيوتوكوس؛ يعني أم الله، كما وصلنا أن الأسقف نسطور هدم كنيسة للأريوسيين في القسطنطينية واستصدر قراراً من الإمبراطور بمطاردة أتباع آريوس، وحكم على أتباع كنيسة الأطهار بالهرطقة ، إلى ما هنالك ..

تعليق: يبدو أن هيبا كان ينظر إلى نسطور كراهب ورجل دين وحسب، ولم يرى في سلوك نسطور سلوكاً سياسياً منخرطاً في الصراعات العقائدية والسياسية ومحاولات كسب ود الإمبراطور في هذه الصراعات، لأن سلوك نسطور لا يخرج كما هي الأخبار الواردة من العاصمة عن أسلوب التكفير والطرد والحرمان الذي كان يسود حياة الإمبراطورية ومعتمداً من قبلها، تجاه الخصوم العقائديين والسياسيين كون السياسة مغشاة بغبار الدين؛ مؤقنمة بالدين؛ الدين كشخص من أشخاص السياسة. وهذا ما ظهر من خلال سلوك نسطور تجاه مخالفيه في الرأي حول يسوع وأمه. وهذا ما أربك هيبا وزاد من بلبلته.

في غمرة هذه البلبلة وهذا الإرباك الكبير، وفي غمرة تلك الأيام الغائمة كانت العودة للجسدية وظهور عزازيل لازمة. قال هيبا: لمحت مرتا أول

مرة ولم يخطر ببالي يوم رأيتها أنني سوف أحترق بنارها اللاهبة؛ نار عزازيل، قال: "سيصلى ناراً ذات لهب "[773] فعزازيل نار ذات لهب لسانها مشقوق؛ فهو شخص الحيرة والشك المطلق والتلبيس .

ليلتها استوقفني رئيس الدير بإشارة لطيفة من يده. بدا مبتهجاً وفخوراً وهو يهمس إلي بصوته الهادئ: الأسقف نسطور يريدك في أمر مهم سيلقاك في أنطاكيا غداً بعد الغروب. سأعطيك رسالة للأسقف نسطور، تضعها بين يديه، ولا تدع أحداً يقرأها قبله . إن عرض عليك أمراً ما فاقبله ، فإنه رجل مبارك من السماء، فاترك نفسك خارج بابه ، وكن بين يديه كالميت بين يدي الغاسل، سوف يغسلك لقاؤه بالنور والبركة ، فتهيأ للغبطة . أطع إشاراته، وكن حيث أراد لك ، وأسلم ذاتك لمشيئة الرب .

تعليق: واضح من الرسالة وشكل التوصية والتوجيه أن حركة نسطور حركة دينية / سياسية منظمة بشكل ملفت؛ يمكن أن نطلق عليها اسم الحزب المسيحي الآرامي / العربي بزعامة المبجل نسطور .

الرق السادس عشر

ها هو حارس الدير نائم في أمان حارس الكون الذي لا ينام. لماذا لا يتعلم منه القسوس والأساقفة والرهبان، ويلقون إلى الله نواصي الأمور ويكفّون عن المنازعة فيما بينهم ؟ واليوم أسأل الأسقف نسطور حين تسنح الفرصة عن صحة الأخبار التي يتناقلها الرهبان حول بطشه بمن يرى أنهم مهرطقون .

تعليق: في أن هذا الوهم لدى هيبا أساسه الزعم أن الدين جوهر قائم بذاته؛ وكأنه مفارق تماماً لعالم السياسة والاجتماع البشري . مع أن الحقيقة هي في أن حياة البشر الواقعية الفعلية هي أساس كل هذا العوالم التصورية والاعتقادية.

---

773 - المسد / 3

كل الكائنات تحب النزول وتبتهج له ، إلا الإنسان الذي يخدعه وهمه وتحدوه أحلامه ، ببهجة الصعود والترقّي. ربما كان ذلك فطرياً في الإنسان وطبيعي، فهو امتداد للإله العليّ .

تعليق: أثر الأفلاطونية المحدثة ؛ النفس بطبيعتها تميل للصعود إلى موطنها الأصلي الذي هبطت منه .

على المنحدر الهابط من تلة الدير إلى السهول الممتدة في الأفق مِلْتُ للوراء لأحفظ توازني على ظهر الحمار. خُطى الحمار دلّت على أنه يبتهج مثلي، فهو يحب نزول التلة .

تعليق: الأبلسة والهبوط ؛ هبط آدم من الجنة بفعل الأبلسة ومعه حواء ؛ نفسه المتحيرة وإبليس؛ تشخيص حيرته على سبيل المجاز المرسل (تشخيص الصفة). الهبوط من عالم العقل نحو عالم الحس والجسدية . خلقت الأجساد من توقف الأرواح ، لكن لماذا يحب الحمار النزول ؟

تحقيق: يُروى أن آخر من دخل سفينة نوح من الدواب الحمار، وقد أمسك إبليس اللعين بذنبه فمنعه من الدخول فظن نوح أن الحمار يمتنع من **قبل نفسه** فقال له نوح ادخل **يا ملعون** فدخل الحمار وإبليس معه فلما رآه نوح قال له من أذن لك في الدخول فقال أنت أذنت لي ألست القائل ادخل يا ملعون وما في الخلق على الإطلاق ملعون غيري "[774]. والبلادة سمة من سمات الأبلسة ؛ لأن انقسام الإرادة يجعل الحركة بطيئة وبليدة كحمار في القرّ أو الحرّ . وفي تسمية نوح نوحاً ، قال الكسائي: كان اسمه عبد الغفار أو يشكر وسبب تسميته نوحاً ما قيل أنه رأى كلباً له أربعة أعين فقال نوح إن هذا الكلب شنيع فقال له الكلب يا عبد الغفار أتعيب النقش أم النقّاش فإن كان العيب على النقش فإن الأمر لو كان لي لما اخترت أن أكون كلباً وإن كان العيب على النقاش فهو لا يلحقه عيب لأنه يفعل ما يشاء فكان كلما ذكر ذلك ينوح ويبكي على خطيئته وذنبه فلكثرة نوحه سمي نوحاً "[775]

---

774 - بدائع الزهور(دار الكوثر) – مذكور ص 50

775 - بدائع الزهور(دار الكوثر)-مذكور ص 47

الحمراء: شدة الظهيرة.. والحِمار؛ أحمرة وحمير .. وحمراء الأسد: ثلاث قرى بمصر.."وهو أكفر من حمار".. والحامرة : شدة الحر.. وحِمرّ الرجل: شرّه .. وحمِر الرجل: تحرّق غضباً.. وحمرت الدابة: صارت من السمن - كالحمار بلادة.. والتحمير: دبغ رديء .. وتحمير: ساء خلقه..[776] حمير وحُمر وحمرات كما يقال : صعيد وصُعُد وصُعدات.[777] وطأة حمراء إذا كانت جديدة ووطأة دهماء إذا كانت قديمة دارسة.

والبلس: من لا خير عنده ، أو عنده إبلاس وشر. وبُلُس: جبل أحمر ببلاد محارب.. وأبلس: يئس وتحير ومنه إبليس.. والبُلَس: سجن بجهنم.[778]

الإمبراطورية الرومانية في سوريا؛ في إنطاكيا تُعَبِّد الطرق، وفي مصر تنهب القمح والعنب . الرومان لم يهتموا يوماً بمصر؛ تقف الإسكندرية كقاعدة متقدمة باتجاه سوريا . أيكون ذلك الاستبداد في مصر وذلك التقشف والعنف ناجماً عن أثر فعل الرومان في نمط آسيوي / مائي فيه سلطات مركزية طاغية، على العكس من سهوب آسيا الغربية ؛ نمط الإنتاج الآسيوي/ التجاري وأثر سلطة الرومان هنا. فالسبب الواحد في بنيتين مختلفتين يعطي آثاراً مختلفة. كفعل اللوغوس في النفس النباتية والحيوانية والآدمية. وهذا ما ندعوه بالخصوصية.

حارس الكون لا ينام؛ وكذلك النشاط الذهني لا ينام ؛ هو فقط يتعب ويستريح. مبارك أنت أيها الإنسان بنعمة السماء.

مرتا من سرمدة، صورة العذراء يرسمونها هنا (في آسيا الغربية) بملامح مختلفة ؛ بملامح أخرى، غير التي نعرفها بمصر ، لكن روحها واحدة في كل الصور، وستر رأسها واحد في كل الإيقونات. فتجليات النفس متنوعة وجوهرها واحد؛ وستر رأس الإيقونة أو الصورة النفسية واحد؛ هو العقل (نوس *Nous*).

---

776 - المحيط 379-380

777 - مقاييس /2/ 102

778 - المحيط 534

في الألفية الثالثة ، كما في القرن الخامس الميلادي نصادف انحطاطين، واحدٌ للإمبراطورية الأميركية، والآخر للإمبراطورية الرومانية. هذا الوضع المتشابه استدعى في كلا العصرين شفاعة العذراء المقدسة ؛ أي سلام ذاك! كلما التصق هيبا بالأيقونة والصورة، نبهه عزازيل من غفلته حتى يعاود الكتابة والسرد ؛ ولكن ما هذا الشيطان المنتج!

في زمن يغدو الشرع - "النظرية"/ النظام أو اللوغوس مُحرّفاً لتكريس الاستبداد والطغيان البيروقراطي؛ في زمن معوج كهذا الزمن " فإن قتل الأب أمر لا مناص منه . لقد بدأ "السوء" حينما تجرأ هيراقليطس على القول؛ لدى الإصغاء ، ليس لدى الأنا ، بل إلى اللوغوس، كونوا موقنين. ولكن لا تصغوا لهيراقليطس . إن هذا التصاغر ليس سوى "ذروة" الغطرسة. ليس اللوغوس هو ما تصغون إليه؛ إنه دوماً أحد، مثلما هو وحيث يكون، هو الذي يتكلم على مسؤوليته الخاصة، ولكن أيضاً على مسؤوليتكم أنتم."[779] فالمتلقّي للدلالة التي يتلفّظ بها المتكلم باسم النظام أو اللوغوس هو الذي يجسّد المعنى أو يشخّصه من خلال التواصل.

إن ما يلفت النظر هو اهتمام نسطور براهب مصري يملؤه الشك.

الرق السابع عشر

أناثيما: لَعَن؛ لَعَنه؛ طرده وأبعده [780]. وفي معجم مقاييس اللغة: إبعاد وإطراد. الثوب إذا حُرم لبسه: فهو حريم، والحيرمة[781]: البقرة. الحرم: المنع والتشديد[782].

أناثيم: اللفظ نفسه في الفرنسية والإنكليزية. *Anathéme*: لعنه؛ الحرم الكنسيّ.

---

779 - كورنيليوس كاستورياديس: "تأسيس المجتمع تخيلياً " ص 8-9

780 - المورد 2010 والمحيط 1231 مقاييس 5 / 252

781 - حيرم ملك صور، وابنته أوربا التي ضاجعها زيوس(جوبيتر) بعد تحولها إلى بقرة وتحوله هو عن صورة الثور على شاطئ صور؛ الشاطئ الشرقي للمتوسط.

782 - مقاييس 2/ 45

Anathema: الحِرْم؛ منع الأسقف شخصاً من شِركة المؤمنين.- لعنة، المحروم أو الملعون كنسياً، شخص أو شيء بغيض.[783]

قال هيبا: عدت لتلاوة لعنات كيرُلُّس أو حروماته الأثني عشر التي كانت عباراتها موجزة حاسمة لا تدع مجالاً لأي تأويل أو تخفيف من وقعها الكاوي للأكباد وكانت كلها تنتهي بقوله: إن الذي يخالفه فيما يقرره من عقائد أرثوذكسية قويمة فليكن ملعوناً.

هل تظن حقاً أن كيرلس كتب حقاً للإمبراطور في هذا الأمر؟ نعم يا ربولا المبارك، كتب أولاً رسالتين إلى بوليكيريا أخت الإمبراطور الكبيرة وإلى يودكيا الإمبراطورة، لما يعلمه من نفوذهما. كتب إلى الإمبراطور رسالة طويلة ، على ظهرها توقيعات عشرات القسوس، والأساقفة.

تعليق: في أن قمح مصر وعنبها وخمرها أهم بكثير من عقائد نسطور حول طبيعة يسوع وأمه العذراء مريم، ويبدو أن مثل هيبا كمثل ربولا.

تحقيق: بداية النسطورية في الرُّها، هيبا وبداية انتشار النسطورية. الباب الجنوبي للرُّها يسمى باب الشمس الذي يؤدي إلى حرّان الفرات ، ولهذا يسمى اليوم بباب حَرّان.

ولد الأسقف ربولا *Rubula* لأسرة سورية في مدينة قنسرين قرب حلب لأب وثني وأم مسيحية[784] ترك الأسقف ربولا الأسرة في وقت مبكر وذهب لممارسة حياة الرهبنة ذات التقاليد القاسية في شمال سوريا. بعد ذلك انتقل إلى مدينة الرُّها حيث تدرّج في السلك اللاهوتي هناك، حتى وصل إلى رئاسة الأسقفية عام *411* م . كان ربولا مونوفيزياً *[(Monophysite) G, monophysitës]* من أنصار الطبيعة الواحدة في المسيح. عندما وقع الصراع اللاهوتي بين نسطوريوس وبطريرك الإسكندرية كيرُلُّس وقف ربولا إلى جانب كيرلُّس ودعم تعاليم مدرسة الإسكندرية ضد تعاليم نسطوريوس.

---

783 - المورد 46

784 - وهيبا كذلك ولد من أب وثني وأم مسيحية.

توفي عام *436* وخلفه على كرسي الرُّها الأسقف هيبا *(إيهيبيا) Hiba* كان الأسقف هيبا صديق نسطور لذلك حاز على دعم النساطرة في المدينة ."

تعليق أول: في التشابه الواضح بين حياة ربولا وحياة هيبا المصري حيث ولد الاثنان في عائلة، الأب فيها وثني والأم مسيحية من مؤيدي الطبيعة الواحدة في المسيح. إن تردد هيبا المصري وحيرته ونقص فهمه السياسي للصراع بين العقائد المسيحية في القرن الخامس جعله يخذل صديقه نسطور تماماً مثلما خذله الأسقف ربولا. وحتى يوحي لنا مترجم عزازيل بالتشابه الإضافي استخدم آلية التكثيف والنقل الحلمية لينقل مواصفات هيبا المصري إلى ربولا السوري وبعض صفات هيبا المصري إلى هيبا السوري الذي تقلّد أسقفية الرها بعد موت ربولا . ونحن نلاحظ إتقان ربولا لعدة لغات وله ترجمات وهذا ما ظهر عند هيبا المصري في سيره نحو الشمال لقضاء حياة رهبنة صارمة وكذلك ربولا السوري . كما أن المترجم باستخدامه تقنية التكثيف يمكنه بذلك الإشارة إلى مدرسة الرُّها ومدرسة نصيبين وحرّان دفعة واحدة، والدور الثقافي الكبير الذي لعبته هذه المدارس مع مدرسة إنطاكية والإسكندرية في إحداث جدل كبير حول النصرانية بين ثقافات البحر المتوسط وآسيا الغربية.

تعليق ثان: في أنه من السهل أكثر للأشخاص الذين ولدوا لأب وثني وأم مسيحية "سكندرية" من أنصار الطبيعة الواحدة أن يتبنوا بسهولة معتقدات كيرلُّس في الطبيعة الواحدة ، خاصة وأن نظرية الطبيعة الواحدة أقرب إلى الوثنية من النسطورية التي هي تيار في التوحيد الآسيوي الغربي؛ الآرامي/ العربي. من هنا يكون من السهل تفسير تردد هيبا الشديد وحيرته المميتة تجاه عقائد نسطور وسلوكه الديني/ السياسي.

عبر تقنية التكثيف والنقل التي يشتغل الحلم بموجبهما، استطاع مترجم عزازيل أن ينقلنا من هيبا التاريخي السوري وزميله ربولا السوري إلي هيبا المصري، وهذا يجد مقابله السردي في إظهار مسيحيين سوريين ذوي آباء وثنيين يتبنون وجهة نظر الإسكندرية ، ومصريين متنورين لديهم شغف بثقافة آسيا الغربية يميلون نحو الأريوسية و النسطورية.

تحقيق: في ذلك الوقت حصل صدام بين النساطرة وأصحاب الطبيعة الواحدة في المدينة (الرُّها) . قام المونوفيزيون في الرُّها بالتشكّي على الأسقف هيبا لدى بطريرك إنطاكيا الذي اتخذ قراراً في مجمع إفسوس الثاني (449 م) بعزل الأسقف هيبا عن كرسي الرُّها. توفي هيبا سنة 457 ميلادية [785]

تعليق ثالث: في مجمع أفسوس الأول 431 تم حرم وعزل الأسقف نسطور. لاحظ تقنية تداعي الأفكار في ترجمة عزازيل .

ثم أضاف ربولا فقال ما معناه: أنه يعتقد بأن الذي وصل إلى الأسقف كيرلُّس فأثاره، هو أنباء الخطبة التي ألقاها المبجل نسطور يوم رسامته أسقفاً، حيث قال: يسوع إنسان وتجسّده هو **مصاحبة** بين الكلمة الأبدية والمسيح الإنسان، ومريم هي أم يسوع الإنسان ، ولا يصح أن تسمى والدة الإله ، ولا يجوز أن يقال لها : ثيوتوكوس!

تحقيق: صَحَبَ: يدل على مقارنة شيء ومقاربته (صاحب وصحْب كراكب وركْب) [الروح يركب النفس كما الريح تركب السحاب] . وكل شيء لازَم شيء فقد استصحبه .. ويقال: أصْحَبَ الماء إذا علاه الطحلب[786]. [لاحظ: مصاحبة السلطة للمجتمع]، وراكب الدابة، كصاحبها، فالراكب كالصاحب.

تعجبت من قدرة الأسقف ربولا على تذكّر عبارة نسطور بنصّها، وجرأته على تلاوتها بهذه القوة أمام قائلها ، ونحن في قلب هذه الزوابع.

تعليق: في كون ربولا يعمل وفق برنامج ديني/سياسي ، وهو غير مقتنع أصلاً بالطبيعة المصاحبة التي يقول بها نسطور وتيودور المصيصي . بل يؤمن بالمونوفيزية. وهو لهذا السبب منخرط في الجدال الكبير بين التيارين الكبيرين، من هنا ليس عجيباً أن يتمتع بهذا الاستشهاد الدقيق وبهذه الجرأة. ومن هنا يتبين لنا معنى كلام هيبا المصري: مع ذلك شعرت بشيء ما في

---

785 - سليمان غانم : مدينة الرها عاصمة الثقافة 24/ 4 / 2013

786 - مقاييس 3 / 335

الأسقف ربولا غير مريح. وهو استشعار غامض لدى هيبا بالمطامح الدنيوية/ السياسية لدى ربولا .

قال نسطور: أما ربولا فلا أعرف ما ينويه .

تعليق: بالفعل لم يظهر رأيه صراحة إلا بعد الحكم على نسطور بالحرم الكنسي والنفي .

قام ربولا الرهاوي متثاقلاً ، معتذراً إليهم برغبته في المرور على حاكم إنطاكيا الروماني في منزله ، ثم الرجوع لحضور الصلاة.

تعليق: في أن ترتيب زيارته للحاكم قبل الصلاة دليل على تقديم ربولا الحياة الدنيا على الآخرة.

قال نسطور: يا هيبا ، لقد جنّ هؤلاء وجعلوا الله واحد من ثلاثة/

تعليق: في أن كيرلُس يميل للدمج، دمج جميع الأشياء بعضها ببعض، بالتالي هو لا يعطي للعلوم هامش تجاه الدين، فهو لا يعترف إلا بالطب اللاهوتي، فهو يدمج الطب[787] مع اللاهوت بشكل تعسفي أوامري مثلما يدمج يسوع مع الإله في صنم واحد. هذه سمة الطغاة والمستبدين في التاريخ. الفرق يؤرقهم والاختلاف يزيل النوم من جفونهم. في ظروف تاريخية كهذه لا بد من قتل الأب/

إن ربنا يسوع أيها الراهب هو بحر الطب، فتعلم منه ومن سير القديسين والشهداء ، واغترف البركات بيد تقواك وإخلاصك.

تعليق: في أن هذه النزعة الاختزالية للعلم ولجميع القطاعات ليست غريبة على الطغاة والمستبدين في التاريخ القديم والحديث من الآساقفة والحكام، إضافة إلى ما يتصفون به من "النزعة المُحقّة" في كل "حواراتهم" ولعناتهم. هذه "النزعة المحقة" مملوءة بالكراهية والعنف، فكيرلُس"لا يحيد لفظه **عما يراه حقاً ويقيناً**"

---

787 - طبّ: علم وفن مهارة

الرق الثامن عشر:

الحمار يحنّ إلى الأصل، ويبتهج بالرجوع إلى الموطن، وأنا ترعبني فكرة الرجوع إلى بلادي.

تعليق: في أن البهيمة تعود إلى الموطن، "كان أفلوطين الفيلسوف الذي أدركناه حياً ؛ كمستحي من كونه في جسد، وتلك حالة نفسية تحمله على ألا يذكر شيئاً عن أسلافه وأبويه وموطنه." بل وتجعله لا يطيق صبراً على رسّام يصوره أو نحّات يمثّله."[788] إن أوبة البهيمة أو الحمار إلى موطنه تدل بلا شك بأنه غير منشغل أو متأثر بالأفلاطونية المحدثة، وأن لديه نفور منها؛ وكيف لحمار، وهو العدو اللدود لها، كيف له أن يدرس الأفلاطونية المحدثة! أما هيبا الراهب فقد تأثر على ما يبدو بهذه الفلسفة السائدة في القرن الخامس الميلادي.

تحقيق: في أن إبليس هُدد بالنار وما رجع عن دعواه، وفرعون أغرق في اليم، وما رجع عن دعواه ولم يُقرّ بالواسطة البتّة. ولكن قال"آمنتُ أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل"، ألم ترَ أنّ الله قد عارض جبريل بشأنه، وقال: لماذا ملأت فمه رملاً"[789]

ولكن كيف يجوز لي الرجوع إلى الإسكندرية؛ إنه لن يقابلني أصلاً ، وإنه سيفتك بي . ولو نجوت منه فهل سأنجو من العوام ، ومن جماعة محبي الآلام. قتلوا هيباتيا على مرأى من سكان المدينة، ولم يعاقبوا، وقتلوا قبلها أسقف مدينتهم جورج الكبادوكي، ومزّقوه في الشارع الكبير، "فخنع" الإمبراطور جوليان وهو المرتدّ من المسيحية عن عقابهم، واكتفى بقوله في مرسوم إمبراطوري فاضح أنه سيعفو عنهم إكراماً لمعبود الإسكندرية سيرابيس!

قد يتشخص عزازيل حماراً يرشد هيبا في طريق عودته إلى الدير. الحمار يضطره للاستراحة والوقوف (خُلقت الأبدان من توقف الأرواح)، وعندها

---

788 - كتاب فرفوريوس : في حياة أفلوطين مقدمة التاسوعات ص 1

789 - الحلاج الأعمال ص 192-193

تظهر إشارة من عزازيل ليختبر رغبات هيبا الشهوانية المشينة. قال الشاب عند حواف سرمدة[790]. أنا أعمل أحياناً بالمعصرة التي بطرف البلدة الغربي . وهذه معزاة عمتي . أخذتها بالأمس لتبيت عند جار لنا لديه جدي قوي والآن أعيدها إليها ، بعدما قضت ليلة مع الجدي القوي .

تعليق: يشير الجدي بقرنيه الكبيرين إلى آلهة الخصوبة في الديانات الوثنية لآسيا الغربية. واقترنت عبادة ديونيسوس (إله الخمر عند الإغريق) في آسيا الصغرى وفي اليونان منذ البداية بلبس الأقنعة . ولما كان الحيوان الأثير لدى ديونيسوس والمقدس لديه هو الجدي فقد حرص المتعبدون على التقرب منه بطرح ملابس جلدية فوق أكتافهم أو وضع أقنعة على وجوههم تقربهم من شكل الجدي . ومن لفظ الجدي اليونانية *(tragos)* ركبت كلمة تراجوديا ، أي "أغنية الجدي" التي كانت تنشد للإله ديونيسوس في أعياده ثم تطورت على حوار بين المنشدين ارتقى بعد ذلك إلى فن تمثيل التراجيديا. وكان المحتفلون في الريف بعيد حصاد العنب يسيرون في موكب صاخب عابث ماجن *(kômos)* متنكرين في أزياء يتدلى منها ما يشبه عضو الذكورة *phallus*، رمز الخصب الذي كان ديونيسوس هو ربّه."[791]

قال هيبا: لم تعجبني النظرة التي **طفرت** بعيني الفتى، حين ذكر الجدي *(tragos)* الموصوف بالقوي .

الرغبات تنتأ ، و دوافع قديمة قد تعود للظهور نعتقد أنها اندثرت. فمع انحطاط الإمبراطورية الرومانية وطغيان استبداد كنيسة الإسكندرية المرقصية ، يطفر و ينتأ ما كان منتشراً من بقايا العقائد الوثنية .

---

790 - السرمد: الدائم والميم فيه زائدة ، وهو من سرد إذا وصل ، فكأنه زمان متصل بعضه ببعض. م3 / 160

791 - أريستوفانيس: السحب 1 ص 19 من المقدمة التاريخية أ. د عبد اللطيف أحمد علي .

تحقيق: طفر: وثب[792] و (نتأ)، خروج شيء عن موضعه من غير بنونة؛ من غير أن يبين[793]

في أن عزازيل يتشخص بالفتى من حواف سرمدة؛ لأن عزازيل مجاز مرسل لشهوات مكبوتة عند هيبا؛ صفات الولد صفات عزازيل كما تخيلها هيبا الراهب المكبوت. تُلحّ على هيبا شهوة جنسية ماجنة تجاه النساء، هذا هو الوجه المقموع لدى رهبان صحراء النطرون.

تربّع الفتى في جلسته بعدما حسر طرف جلبابه ، فظهرت ركبتاه ، وبدا بياض ساقيه الخاليتين من الشعر ، بعكس حال الرجال! حدقتُ في ملامحه فبدت لي إلى ملامح النساء أقرب ، خاصة أن لا لحية له . في شعر رأسه صفرة ، وفي عينيه ميل لاخضرار (حوّاء)، وعلى وجهه دمغة أو أثر لفحات شمس (أبقع قليلاً) وكانت يداه ناعمتان على غير العادة في أمثاله من الفقراء. أثار الفتى قلقي! أخرجت من مخلاتي نسخة المزامير المكتوبة بقلم يوناني دقيق ونظرتُ فيها ، فتململ وكأن لديه ما يريد أن يحكيه.

عزازيل يتشخص بولد يافع يشبه النساء من سرمدة يلحّ على هيبا سماع اعترافه، وفي هذا الإلحاح يتشخص إلحاح شهوات هيبا الجنسية ذاتها.

فاسمع أنت اعترافي، أرجوك يا أبتِ الطيب .

قل ما عندك.

ما حكاه الفتى كان بالغ الفحش والغرابة. وقد اعترف بعد ذلك بأن أمّه الأرملة التي في سن الأربعين (سن أوكتافيا الأرملة) ، وأنه ذات ليلة رأته وهو يفعل فعلته الفاحشة مع المعزاة فانخطف قلبها قلقاً عليه. ونهرته بشدة وهي تغسل ما بين فخذيه بالماء ، ثم جلست وبكت بكاء طويلاً ، وندبت فقرهم الذي منعهم من تزويجه (ومنعها هي من التمتع بجسدها).

---

792 - مقاييس 3 / 415

793 - مقاييس 5 / 388

تعليق: في أن كل هذا يحرّك ذكريات هيبا عن أوكتافيا في الإسكندرية، وهي الأرملة ذات الأربعين عاماً ، ويحرّك سفاح القربى الذي قمعته البشرية من آلاف السنين. ما هذا الفتى الشيطاني الذي حرّك باعترافه كوامن الشهوة عند هيبا الراهب!

قال: إن أمه ارتكبت معه خطية الخطايا! ففي قلب ليلة مقمرة من ليالي الصيف، كانت تنام بجواره في كوخهم متهدم السقف ، التصقا وحدث بينهما ما حدث.

كنت قد امتلأت بالقلق. لقد أعاد هذا الاعتراف هيبا إلى أحلامه التي اختلطت بها صورة أمه مع صورة أوكتافيا مع صورة هيباتيا، حينها أصابه الفزع. أيكون هذا الفتى الشيطان حرّك لديه الشهوة في قتل أمه انتقاماً لمقتل والده الوثني!؟

تعجبت من تبجّح الفتى ومن ابتسامة الارتياح التي شاعت في وجهه، فصارت ملامحه أشد غرابة مما كانت عليه.

تعليق: في أن الفتى قد لاحظ أن حديثه الشبق والشهواني الإباحيّ حرّك كوامن الشهوة لدى الراهب الزاهد ، وحرك قلقه ، وهذا التحريك هو ما يريده عزازيل بالضبط ، هكذا شعر الفتى بالزهو والانتصار على الراهب. لقد قال الفتى في نفسه: إذا كان الراهب رجل الدين الورع تتحرك لديه مثل هذه الشهوات لدى سماعه اعتراف من صبي مثلي، فكيف أنا الفتى المراهق الفقير وحيد أمه الأرملة ذات السنوات الأربعين المحرومة من المتعة والتي غسلت أعضائي بعد نكاحي المعزاة!

قال وهو يمضي ورائي حتى يكاد يلتصق بي ، وقد امتزج صوته بنبرة تبجّح فاحش ، أنه صار يستمتع فيما يفعله ! وأضاف أنه يفعل ذلك مع أخته!

بينما كنت أبتعد، صاح الفتى بغيظ شديد وغلّ مكتوم: لماذا تهرب أيها الراهب، قف لتسمع عن اللذات والمتع التي حرمت نفسك منها ، فعندي منها الكثير الكثير .

انطلق الحمار وقد أدرك مثلي أن هذا الفتى إنما هو الشيطان وقد تجسّد لنا في صورة آدمية ليعبث بي .

الرق التاسع عشر

أخبرت رئيس الدير بما جرى مع الشيطان المتجسّد في صورة الفتى عند حواف سرمدة . هزّ رأسه وهو يقول : قم يا هيبا واستريح، فما هذا الفتى إلا عابث من أولئك الذين يتلهّون بالسخرية من الرهبان. قبل خروجي من صومعته قال، وكأنه يحدث نفسه: عزازيل لديه حيل ومداخل أدق من ذلك وأمكر، فليشملنا الرب جميعاً برحمته العميقة.

تعليق: في أن الشهوة الجنسية مجرّد فتى عابث يسخر من الرهبان القلقين، أما شيطان "السلطة" والمال والنفوذ فمداخله أدقّ من ذلك وأعتى؛ وهو الشيطان الذي صارعه يسوع المسيح في الصحراء أربعين يوماً حتى تغلب عليه وغلبه. شيطان الجنس وشيطان الدين وشيطان السلطة وهذا الأخير هو الأكثر عتوّ وجبروتاً.

حديث عن الحمام الجبلي (اليمام)

في اليمام سكينة وسلام، لكنه كثير السّفاد ولا يكفّ طيلة نهاره عن التغزل والالتصاق، خاصة أوان العصر وقبيل الغروب! الحمام الزاجل يأتي بالأخبار، يقول المكزون السنجاريّ:

ولا شَدَتْ ساجعاتُ الوُرْق في وَرَقِ الأغصان إلا شجتني فوق أشجاني

وشرحه الشيخ سليمان الأحمد[794] بالقول: وترجيع هديرها إنما هو بتوحيد أميرها تذكر من سبقت له الحسنى بمقامه الأسنى فيزداد شجناً على شجنه مشفق القلب إلى وطنه" [795] قال الغزالي: وإذا بمنادي الغيب ينادي من وراء الحجب "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة". لازموا اماكنكم، ولا تفارقوا

---

794 - هو والد الشاعر المعروف بدوي الجبل .

795 - شرح ديوان المكزون ص 32

مساكنكم، فإنكم إن فارقتم أوطناكم، ضاعفتم أشجانكم، والتعرض للبلاء، والتحلل بالفناء.[796]

أضاف الفريسي، وكأنه يذيع سراً، أن الحمام يثير الشهوات ويبعث على ارتكاب الخطيّة، وأن على الناس ألا ينظروا إليه ما داموا أتقياء. قال هيبا: كونوا كالحمام.

قال فرجيل: "في وسط القصر (قصر بيرياموس ملك طروادة) كان يوجد في العراء، وتحت قبة السماء مذبح ضخم ، وكان يوجد بجوار المذبح شجرة غار عتيقة، تستند عليه وتحتضن بظلالها تماثيل البيناتيس[797]. هناك تجمّعت هيكوبا وبناتها في يأس حول مباني المذبح، مثل جماعة من اليمام تعرضت لعاصفة مظلمة[798] ، وجلسْن متزاحمات يحتضنّ تماثيل الآلهة."[799] هيكوبا وبناتها المائة مستسلمات كاليمام لا حول لهن ولاقوة إلا احتضان الأصنام، وهُنّ يراقبن مقتل الملك برياموس من قبل الإغريق؛ كالمتأمل للحسيات طوال الوقت فلن تجلب له سوى الياس. هذا المشهد اليمامي يذكر بمشهد كهنة معبد خنوم وهم يلوذون بأسوار المعبد ويراقبون بيأس مقتل والد هيبا الوثني على يد رعاع الكنيسة.

تعليق: في تداعي معاني العبارة؛ هيبا يدعوا البشر إلى مشاعة تامة في الثروة والنساء وكل شيء والعيش بسلام. فالملكية والأنانية لا تأتي إلا بالوبال والقلق و خسران الهناءة والسعادة. وتكون النساء كالحمامات لا يطلبن من الرجال غير الغزل ولحيظات الالتقاء .

وفي تداعي معاني العبارة، نذكر علاقة اليمام بالفقراء

---

796 - د. نذير العظمة: سفر العنقاء، منشورات وزارة الثقافة 1996 ص 127 . عن رسالة الطير للغزالي.

797 Penates : آلهة البيت عند الرومان (المورد 2010 ص844) قال عبد المطلب: إن للبيت رباً يحميه

798 - وداعة اليمام هي التي تجعل مجموعة منها تحط على الأرض لتشرب من كأس إيون فيكتشف الجميع أن كاس إيون كان مسموماً . (اليمام ودور الفادي /المخلص) راجع مسرحية إيون ليوريبيديس.

799 - فرجيل : الأينيدة ص 140

تحقيق: "جاء في انجيل لوقا حسب العقّاد: فلما تمّت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع .. فصعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب .. ويقدموا ذبيحة زوج يمام أو فرخي حمام" وهي القربان المقبول من الفقراء"[800]

كلما قاده تداعي الأفكار على الاستطراد والمبالغة فيه ردعه عزازيل ورده وأعاده إلى تدوين ما هو أساسي وضروري. ويا لها من مفارقة أن يقوم عزازيل بهذا العمل المقتضب المنتج، وهو شخص المبالغة والاستطراد والغوص في التفاصيل البعيدة. على كل حال يبدو أن الجناح الأبيض هو الذي يعمل في هذه الأوقات الملتبسة والعصور المتدهورة؛ عصور الانحطاط وسيطرة الطغيان والاستبداد. قال عزازيل: لا يزال أمامك الكثير مما تكتبه، ووقتك ضيق.

- معك حق أيها اللعين!

في يوم حار من شهور خريف العام الثلاثين بعد الأربعمائة للميلاد كنت أنظر كعادتي إلى السحاب محاولاً فك رموزه، أو استجلاء المعاني الكامنة بباطني بحسب ما أراه من هيئته. كان الأوان عصراً ، حيث سمعت أصواتاً آتية من جهة بوابة الدير.

تعليق: في أن تشخيص عزازيل بهيئة الصبي اليافع عند حواف سرمدة يشبه تشخيص هيئة الغيم وإعطائه المعاني التي تجول في باطن النفس.

تعليق: في ذكر العصر وأوانه، عصر انحطاط الإمبراطورية الرومانية وتصارع التيارات العقائدية في الكنيسة العالمية (الكاثوليكية)؛ خاصة الصراع بين النسطورية ومن خلفها الآريوسية من جهة وكنيسة الإسكندرية المرقصية المونوفيزية من الجهة الأخرى. صراع بين تيارين واحد توحيدي/ سوري وآخر مثقل بالماضي الوثني سكندريّ- يوناني / روماني

تحقيق: قال ابن عربي: فلولا العصر والمعاصر، والجاهل والخابر، ما عرف أحد معنى اسمه الأول والآخِر ولا الباطن والظاهر. وإن كانت أسماؤه

---

800 - العقّاد: عبقرية المسيح ص 184

الحسنى على هذا الطريق الأسنى، ولكن بينها تباين في المنازل، يتبين ذلك عندما تتخذ وسائل لحلول النوازل . فليس عبد الحليم هو عبد الكريم، وليس عبد الغفور هو عبد الشكور . فكل عبد له اسم (هو) ربّه ؛ وهو جسم ، ذلك الاسم قلبه" [801]

تعليق : في أوان العصر و معناه؛ أن التاريخ يحاول إعادة توجيه قواه حسب عناصره المتصارعة والمتناقضة والحدث قائم ومحتدم .

قلت: يا أبانا الجليل، بخصوص الآلات الموسيقية، ألم يمنع القديس يوحنا ذهبي الفم (فم الذهب) استعمالها في الكنائس ؟

- كان ذلك يا ولدي منذ أربعين سنة أو أكثر ، وهو لم يقم بمنعها ، وإنما قال أن الرب يحتقرها، ويجب أن يكون تسبيحه بأفواه البشر. وإخواننا في الرُها ونصيبين عنيوا في الأمر في عدة مجامع، وانتهوا إلى جواز استعمال الموسيقى في الكنائس.

تعليق: في أفضلية الكلمة المنطوقة على الموسيقى؛ ونفور آسيا الغربية من الموسيقى المجردة عن الكلمات المغناة .

تحقيق: كانت أسقفية الرُها جزء من الكنيسة المشرقية السريانية. كانت كنيسة المدينة تتبع تنظيمياً لإكليروس يقع ضمن أراضي الإمبراطورية الفارسية، سواء في كرسي المدائن أم في كرسي ساليق الكنسي (سلوقية جنوب بغداد)؛ الكرسي السيادي على كافة الكراسي السريانية في منطقة ما بين النهرين. كان موقع الرُها الجغرافي في أعالي الجزيرة السورية الفُراتية، يفرض تبعيتها السياسية أغلب الأحيان إلى الإمبراطورية البيزنطية، بينما كانت تبعيتها الروحية للكراسي الدينية في الإمبراطورية الفارسية. سبب لها هذا الوضع، الكثير من المشاكل والنزاعات، كانت الكنيسة دوماً تتأثر بالسياسة وبالعلاقة السياسية بين الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية. ففي سيطرة الفرس على المدينة، نلاحظ دوماً وجود أسقف مونوفيزي من أصحاب الطبيعة الواحدة على كرسي المدينة، بينما

801 - الفتوحات المكية- السفر الأول الجزء الأول ص 41-42

نرى في أوقات السيطرة البيزنطية وجود أسقف خلقيدوني من أصحاب الطبيعتين. تأثرت الكنيسة كثيراً بهذا الوضع ودفعت الكنيسة السريانية أثمان كبيرة، بسبب السياسية الدولية لذلك الزمن.

نصيبين: الاسم واللغة. مدينة نصيبين هي إحدى مدن مابين النهرين. إنها مدينة عريقة بالقدم، وجاء اسمها في العهد القديم. واسمها الخاص عند سكان ما بين النهرين صوبا أو نصيبين، وهي مشتقة من اسم " غلات " نصو ومعناها نصب أو زرع. وقد دُعيت بهذا الاسم لأجل ما فيها من البساتين والجنان. وقال عنها **مار أفرام** النصيبيني أنها هي أكاد المذكورة في سفر التكوين، وينسب تأسيسها إلى نمرود الجبار. ولنصيبين أهمية متميزة لأنها محطة قوافل، ومركز تجاري مرموق، وبقعة زراعية خصبة. وكانت عاصمة لمملكة وطنية، حتى جددها سلوقس الأول نيقاطور *(284- 305 ق. م)*، وقد دعاها اليونان إنطاكيا مقدونية. وأصبحت سنة *297* م بأيدي الرومان، فجعلها ديوقلسيانس *(284- 305 م)* قلعة الشرق الحصينة، ومقراً لقائد بلاد ما بين النهرين.

تقع نصيبين على سفح جبل إيزلا، ومعناه الشبكة. يخترقها نهر مقدونيا أو الهرماس، ويعرف اليوم بنهر الجغجغ. وإلى شمال مدينة نصيبين يقع وادي بونصرا، ويعتقد البعض أن تسمية الوادي جاءت من اسم الملك نبوخد نصر، الذي جمع في الوادي المذكور أعداداً كبيرة من سبايا اليهود. وبحكم موقعها كحد فاصل بين المملكتين الرومانية والفارسية قديماً، إذ كانت تارةً تقع بيد الفرس، وتارة بيد الرومانيين. دعيت مدينة الحدود، ثم أصبحت عاصمة ديار ربيعة، وفتحها المسلمون في القرن السابع، على يد عياض بن غنم سنة *640* م

في زمن انتشار المسيحية في نصيبين: بعد أن بشّر أدي الرسول مدينة الرُّها، انحدر إلى نصيبين وبلاد الجزيرة، وهدى سكانها إلى الإيمان المسيحي. ويقول ماري بن سليمان في كتاب المجدل: " وتوجّه أحي وماري إلى نصيبين وعمّد أهلها، وأنفذ ماري إلى المشرق، وأحي إلى "قردي دبازبدي". وعليه تكون المسيحية منتشرة في نصيبين منذ القرن الأول.

وهناك في متحف اللاتران بروما كتابة منقوشة على الحجر تعرف باسم " حجر ابرسيوس" يعود تاريخها إلى نحو سنة *200* م دوّنها أسقف هيرابوليس في فريجية الوسطى المدعو افيرسيوس مارسيللوس، فبعد أن طاف البلاد وسجّل ملاحظاته بشأن المسيحيين قال: " رأيت أيضاً السهل السوري وكل المدن ونصيبين وما وراء الفرات، في كل مكان وجدت "أخوة "، ويقصد بكلمة الأخوة المسيحيين.

برصوما *(415 – 496 م)* ولد في مقاطعة قردو، درس في الرُّها على الأستاذ هيبا، وأقام فيها حتى سنة *449*م ، ثم رحل إلى نصيبين. ولا نعلم متى سيّم مطراناً على نصيبين. لكن في سنة *457* م ، عندما ترك نرساي الرُّها، كان برصوما مطراناً لنصيبين، فأعاد فتح مدرستها وجعل نرساي مديراً لها. ويقال إنه نال حظوة عند فيروز الملك الفارسي. له عدة أعمال أدبية.

مدرسة نصيبين الشهيرة: يقول العلامة لابور: " إن المدينة الميتروبولية الكبيرة نصيبين شهدت ناشئة داخل أسوارها أول كليّة لاهوتية، وأول جامعة درس فيها علم الإلهيات ". ففي سنة *325*م فتح مار يعقوب النصيبيني مدرسة في نصيبين، وسلّم إدارتها إلى مار أفرام، فدبّرها بغيرة ونشاط حتى سنة *363*م حين سُلّمت نصيبين إلى ملوك الفرس. عندها ترك مار أفرام مع أساتذة المدرسة، المدينة وانطلق إلى الرُّها حيث فتح مدرسة لبني جلدته عوض مدرسة نصيبين، عرفت بمدرسة الفرس. واستمرت في الرُّها حتى سنة *457*م عندها هجر نرساي الملفان مدينة الرُّها وعاد إلى نصيبين، واتفق مع برصوما مطران نصيبين على تنظيم مدرسة نصيبين وافتتاحها. وخلال مدة قصيرة تقاطر إليها عدد كبير من الأخوة من جميع الجهات.

أما مدرسة الرُّها، فبعد هجرة نرساي إلى نصيبين أخذت تتراجع حتى أغلقت سنة *489* م من قبل أسقف الرها قورا. أما مدرسة نصيبين، فقد لمعت وازدهرت بشكل مذهل. وكانت مدرسة نصيبين جمعية حقيقية منظمة ومقيدة بقوانين وضوابط، يسوسها رئيس يدعى ربان، أما منهاج التدريس، فيقول عنه عبد يشوع الصوباوي في كتابه نوماقانون: " إن الدروس كانت تدوم ثلاث سنين. يقرأ التلاميذ فيها أسفار العهد القديم والجديد، ويتعلمون الهجاء

والقراءة والكتابة على اللوح، والألحان الكنسية وتراتيل القدّاس وفقاً للسُنّة الطقسية، وتراتيل البيم والقواعد والخطابة والجدل والموسيقى والهندسة والرياضيات، والفلك لاحتساب التقويم والأعياد والأصوام، كذلك التاريخ وكتب التصوف الروحي وسير القديسين وأعمال الشهداء وكتابات الآباء. أما الأمور المالية والاقتصادية للمدرسة، فكانت بيد رئيس البيت الذي كان مسؤولاً عن ممتلكات المدرسة كافة. وقد تم بناء حمّام في مدينة نصيبين، آلت أرباحه إلى سد نفقاتها، وتم بناء مستشفى لمعالجة المرضى، كما تم شراء قافلة جمال، آلت أرباحها إلى صندوق المدرسة. ومن هذه الواردات كان يتم تشييد أبنية جديدة للمدرسة، ومساعدة التلاميذ الفقراء والمرضى. كما شيدت دار للضيافة لاستقبال الضيوف العابرين من نصيبين، والاهتمام بهم.

لطالما كانت تبهرني في صغري صور العازفات بالآلات المرسومة على جدران المعابد، في بلادي الأولى (وادي النيل) ، لولا أنهم كرّسوا الموسيقى للعبادة ، ما رسموها على جدران المعابد.

قال رئيس الدير: انتظر يا ولدي ، سوف يكون الترتيل بالسريانية، فهي هنا لغة الأكثرية.

بالطبع يا أبتِ المبارك ، بالطبع.

كان نور القمر الخريفي يفرش الأرض ، ويعكس نوره على الحصى الأبيض، فيبدو مثل الجواهر المبثوثة بين رمال الساحة. النسمات الليلية كانت منعشة للروح المتوثب ، المحلّق في سماوات الغبطة، وما حياتنا على الحقيقة إلا هذه اللحظات الطيبة النادرة.

لسوف أمزج سطوري الشعرية التي تؤديها الفتاة، بالمزمور الذي يردده الصبية ، وأجعل ترانيمي من البحر الخامس في الشعر السرياني، فهو الذي يضم الأوزان الخماسية والسداسية التي أميل إليها أكثر من غيرها.

تعليق: راجع قراءة الرق الخامس والسادس والتعليقات على أعمال فرجيل خاصة الآينيدة. هيبا يميل إلى الجسدية (الوثنية) في اكتمالها الأربعيني،

ويميل إلى البرزخية (الوزن السادس؛ الكتاب السادس في الأينيدة: التحول من الأرضي إلى السماوي) ؛ هو المحتجز في البرزخ بين الأرض والسماء . هيبا محروم من غبطة حضور الهيمنة في النفس ؛ هيمنة الروح على الجسد ، لهذا استحضر المزمور (15) في ترجمته السريانية، الذي يقول: اللهم أحفظني فإني بك اعتصمت، وارحم ضعفي فلا نصير لي سواك "

تعليق: في اشتمال الهيمنة على شيء من مبدأ الحفظ. قال ابن قتيبة الدينوري: من صفاته: المهيمن وهو الشهيد قال تعالى: "وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ، ومهيمناً عليه"[802] أي شاهداً عليه. وروي عن ابن عباس قوله من غير هذه الجهة - أنه قال: "أميناً عليه"[803] والهيمنة فيها رفع وصعود وحفظ .

قال هيبا المصري: ألا تخبريني باسمك أيتها العذراء الطيبة ؟

لست عذراء يا ابتِ، وأسمي مرتا ، وهي كلمة قديمة تعني السيِّدة .

تعليق: السيدة العذراء/ الحبل بلا دنس/ النفس الناطقة؛ مرتا، مريم . السيدة العذراء أم يسوع المسيح وجسده؛ هي أربعة في الحروف، إذا أضيفت إلى عدد المزمور (15) كانت تسعة عشر وهو رقم الرقّ موضوع التعليق.

الرق العشرون

ما لي أنا بها؟عندي ما يشغلني ويملأ أوقاتي قلقاً ، كيف حال المبجل نسطور، ولماذا أخبرتني بهذا الحسم أنها ليست عذراء .

تعليق: لأنها ليست عذراء فقد سبق وأن زُوّجت من رجل أكبر منها ، ولأن مريم ليست عذراء بالمعنى البشري فقد ولدت عيسى ، أما بالرمز فهي عذراء، ومن هنا يبدو التناقض بين المعنوي والحسي في عبارة : السيدة العذراء/ مثل عيسى كمثل آدم خلقناه من تراب .

---

802 - المائدة 48

803 - عن سائر الروايات عن ابن عباس في الدر المنثور. ومؤيمن بمعنى مهيمن راجع تفسير غريب القران ص 11

قال هيبا: سأخصص الفترة ما بين صلاتي الساعة الثالثة والتاسعة لرؤية المرضى، وبين الصلاتين السادسة والتاسعة لتدريب مجموعة الإنشاد.

تعليق: في ان العددان المقدسان عند أفلوطين هما ستة وتسعة *(6، 9)* وحاصل ضربهما *(54)* وهي مجمل مقالات أفلوطين في كتاب "التاسوعات" الذي نظمه وأخرجه تلميذه فرفوريوس الصوري .

تحقيق: في أن الصلوات السريانية في الليل والنهار سبعة:

1- الرَّمْش *(رمشو: صلاة الغروب)* للعمل في الأرض *2-* سوترو *(الستر)* هي دائماً للتوبة *3-* الليل *(ليلو) 4-* الصباح *(صفرو) 5-* السادسة *(تلوث شعين) 6-* التاسعة *(تشاع شعين). 7-* وهناك صلاة سابعة مسجلة باسم قوقيون *(قوقنّا)*، والكلمة معناها: الفخّارون "[804]

تعليق: في التشابه الكبير، تصويتاص ومعنى، بين السريانية والعربية، وأن الصلاة السادسة رمزها العددي خمسة والصلاة التاسعة رمزها العددي ستة، والسابعة للراحة والإنشاد.

تحقيق: فرض ماني على أتباعه صلوات أربعة، يقوم الرجل فيمسح بالماء الجاري أو غيره ، ويستقبل النيّر الأعظم قائماً، ثم يسجد ويقول في سجوده مبارك هادينا الفارقليط رسول النور، ومبارك ملائكته الحفظة ، ومسبّح جنوده النّيرون. والصلوات هي: الصلاة الأولى عند الزوال(الظهر). والصلاة الثانية بين الزوال وغروب الشمس، ثم صلاة المغرب بعد غروب الشمس. ثم صلاة العتمة بعد المغرب بثلاث ساعات. ويفعل في كل صلاة ما فعل في الصلاة الأولى، وهي صلاة البشير"[805] وللصابئة الحرّانيين صلوات ثلاث مكتوبات أولها عند طلوع الشمس ثماني ركعات، والثانية قبل زوال الشمس عن وسط السماء خمس ركعات، والثالثة عند غروب الشمس خمس ركعات، وفي كل ركعة من صلاتهم ثلاث سجدات. ويتنفّلون بصلاة في الساعة الثانية من النهار، وأخرى في التاسعة من النهار، وثالثة في الساعة

---

804 - صبوثان (قضيتنا) ص 11 ..

805 - ماني والمانوية – مذكور ص 266

الثالثة من الليل، ويصلّون على طهر ووضوء. وهم أناس يوحدون الله وينزهونه عن القبائح، ويصفونه بالسلب لا بالإيجاب، كقولهم لا يحد ولا يرى، ويسمونه بالأسماء الحسنى مجازاً"[806]

الرق الحادي والعشرون

كان تدريباً مقدساً بين صلاتي السادسة والتاسعة؛ الصلاتين اللتين بين الظهر والعصر.

تعليق: في أن الوقت بين الظهر والعصر، يفهم رمزياً على أنه الوقت بين ظهور آدم وظهور يسوع المسيح. الظهر: الظهور؛ ظهور القائم، والعصر المعاصر؛ أو ظهورمعنى العصر بالقائم .

تحقيق: وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم"[807]. وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه."[808] و (ظهر): أصل واحد يدل على قوة وبروز، ظهر الشيء إذا انكشف وبرز. ولذلك سمي وقت الظهر والظهيرة ، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها . والأصل فيه كله ظهر الإنسان وهو خلاف بطنه. والظهور الغلبة.[809] وقفّينا: أتبعنا وآثرنا، وعفّينا على آثارهم بعيسى (يسوع) المسيح[810] ابن مريم.

مرتا آية من آيات الجمال الإلهي في الكون، في وجهها طفولية ونزق وفيه بهاء صورة العذراء، غير أن نظراتها جريئة جداً ومربكة لمن هو مثلي. أي جمال ذاك الذي كان مختفياً تحت حجابها، وأي نظرة تلك التي رأيتها بعينيها، لسعتني نظرتها ، وروّعني جمالها ، حتى كاد يغمى عليّ من "جلال" الجمال .

بدت لعيني بالستور والكلل ثم اختفت برفعها عن المقل

---

806 - ماني والمانوية – مذكور ص 292-293

807 - الأعراف 172

808 - المائدة 46

809 - مقاييس 3 / 471

810 - راجع المحيط 1325

محجوبة يظهرها حجابها كالشمس يجلوها على الطرف الطَّفَل

بدت بخمس واختفت بخمسة وأظهرت خمساً بها المرتاب ضلّ[811]

هذا الزيّ كله دمشقي ، كان لأمي أخذْته بعد وفاتها .

أنت إذن من عائلة عربية؟

قيل لي أن عائلتي كانت في الزمن القديم من أثرياء تدمر، ثم فرّوا منها وتركوها لما خرّبها أورليان عليه لعنة الربّ.

تعليق: في أن تدمر عربية

إذن أنت تعرفين العربية والسريانية. قالت. وأُغنّي باللغتين. استقرت أسرة أمي بحلب ثم هجروها إلى دمشق وقد صاروا فقراء، وهناك ولدت أمي التي تزوجت رجلاً دمشقياً .

الرجل المسن الذي زوجت إليه مرتا بالقوة كان في حدود الخمسين من عمره في زيّه الكردي.

تعليق: في أن الكرد والعرب من شعوب آسيا الغربية؛ هم في أصل هذا الكون من الشعوب .

قال هيبا. عرفت منهم أن قافلتهم تقصد إنطاكية من بلاد الأكراد الواقعة وراء الصحراء الشرقية، بين حدود الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية؛ شمال الجزيرة الفراتية وشرقها .

<u>الرق الثالث والعشرون:</u>

في مطلع الألفية الثالثة للميلاد والحاجة لشفاعة السيدة العذراء!

قال هيبا. نظرت ناحية الباب فرأيتها واقفة على عتبته العالية، يحيط بها الضوء الداخل من ورائها ، فكأنها حورية هبطت إلى الأرض ملفوفة بالنور

---

811 - شرح ديوان المكزون 1-6

السماوي لتمنحنا السلام، وتملأ الكون رحمة بعدما امتلأ جوراً وظلماً. كان الضوء يؤطرها، يحوطها من كل الجهات، ويطغى على أطرافها ، فتبدو كأنها مغلفة بالنور.

تعليق: في إحباط التاريخ وخواء عباراته بعد أن استولى عليها الطغاة وحرّفوها ومسخوها، والعودة إلى الطبيعة الأم المقدسة العذراء التي تنجب من غير حرث، هو حضور الأنثى المقدسة في معظم الرواية العالمية في الألفية الثالثة، وعودة الجسدية والنفور من حضور المعاني القوية/ النفور من العلوم النظرية المثعمّقة/

قال هيبا المصري: لم أكن في حقيقة الحال أشعر إلا بحضورها الطاغي الذي يسلبني ويسحبني منّي إليها . هذه الطبيعة جمالها ظالم لمن يعرفه، ظالم لأنه أعمق من أن يحتمل، وأبعد من أن ينال . فكيف بمن هو محروم منه بفعل قسوة حياة رهبنة صحراء النطرون المصرية.

قالت: عمري عشرون (أربعة مضروبة بخمسة)

تعليق: في ان فقدان الطبيعة يعني فقدان النفس، لأنه لا قيمة للنفس من دون طبيعة؛ فما قيمة العِفّة لدى رجل خصيّ/ من هنا فداحة جريمة قتل الأم/

في مونولوجه الداخلي قال هيبا بخصوص أوكتافيا: لم أعرف قيمتها وقتها، فانتهى الأمر بأن فقدتها ، وفقدت نفسي على النحو المفجع الذي كان . فقد خفت من حبها ، **ورضيت بالفرار منها** ، ثم ورثت بمقتلها أمام عيني جرحي الذي لم يندمل أبداً.

تعليق: في أن هذا هو موقف هيبا من أوكتافيا وهيباتيا ولاحقاً مرتا، وهو موقفه الانهزامي من قضية نسطور في صراعه مع كنيسة الإسكندرية المرقصية.

تعليق: أن المسيحية في جوهرها **فرار من الطبيعة ومن التاريخ**. العبارة المحررة من التاريخ ؛ المنطق في السماء، ملكية ملكوت الربّ.

أشعلتُ فتيل قنديلي، وعدت لقراءتي الثانية لنسختي الوحيدة من كتاب جالينوس "في النبض" آملاً في إيجاد حلول لاضطراب هذه النسخة المليئة بأغلاط النُسّاخ.

تعليق: في التدوين والتصحيف وتحريف الوحي الطبّي (وحي جالينوس وأبوقراط)

قال لي: إن رئيس القافلة والفتاة كانا منسجمين خلال الحفل، وأنها بعد الوليمة صحبته إلى خيمته. شبّت بباطني حرائق لا إطفاء لها .

تعليق: في فتنة الجسدية؛ وخيانة الجسد عبر تقلبات الطبيعة هبوطاً ونقصاً، وتعدديتها واستعصاءها أحياناً على من يعرفها ، فكيف بمن يعرف القليل عنها أو يجهلها. وهذه أيضاً إشارة إلى عجز فكر فارّ من الطبيعة ومن التاريخ في الهيمنة على الطبيعة وعلى الجسد والجسدية .

تحقيق: أُعطيت المسيحية منذ بدايتها في الرُّها وعلى الفور دوراً روحياً غنوصياً واضحاً من جانب "ابن ديصان"[812] و أتباعه ، وهذا هو السبب في أن كلمة مسيحي اعتبرت هناك بشكل رئيسي على أنها تعني الديصانيّة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى وجدت طوائف مرقيونية مزدهرة وهم أتباع مرقيون وهو عالم لاهوت غنوصيّ كبير، وكانت معظم هذه الطوائف في أعالي بلاد الرافدين، وخاصة في الرُّها، ولهذا لم تكن مهمة الأسقف ربُّلا (رابولا) سهلة على الاطلاق في طرد قوى الديصانية والمرقيونية، وذلك في بداية القرن الخامس الميلادي. وثبت ان مصاعب الكنيسة (الرسمية) ومشاكلها مع هاتين الطائفتين طويلة استمرت حتى العهد الإسلامي"[813] من المفيد والمثير في الوقت نفسه معرفة أن هذين الزعيمين الغنوصيين

---

812 - سعى مرقيون وابن ديصان إلى إزالة العناصر اليهودية من المسيحية، وقد جرى حرمانهما وطردهما من قبل الكنيسة المسيحية الرسمية، وقامت بعدهما عدد من الفرق التي دانت بتعاليمهما والتبشير بها. راجع : ماني والمانوية ص 230 ويلاحظ القارئ التحالف "الأبدي" بين اليهودية والإمبراطورية!

813 - جيو وايد نغرين: ماني والمانوية، نقله إلى العربية وقدم له وزاده بالملاحق الدكتور سهيل زكار ، دار حسان دمشق 1984 ص 24

البارزين-أي مرقيون وابن ديصان- قد ترعرعا في أجواء فارسية متشددة، فقد ولد مرقيون داخل حدود مملكة بونتوس الفارسية في ميناء سينوب في أسية الصغرى، ولم تكن لابن ديصان ارتباطاته الوثيقة مع بلاط الرُّها الذي هو بحد ذاته نبع من الحضارة الفرثية فحسب، بل كان له ارتباط مع اقطاعية أرمينية التي حكمها الفرثيون[814]. يمكن اعتبارهما من حيث المنشأ والمظهر من البشائر الدالة والمقدمة لظهور ماني، خاصة الثنوية التي ظهرت في أنماطهما العقائدية. على أية حال يمكن الافتراض أنه منذ أن تبنّى ماني خطة محددة للكتابة وطوّرها لخدمة أهدافه الخاصة فإن حروفه المكتوبة كانت معروفة بشكل عام في موطنه الأصلي في بابل الجنوبية، وانها كانت الأكثر مواءمة -فيما يبدو- لنشر كتابه المقدس. هذا ويمكن تسمية لغته باسم "اللغة الآرامية الشرقية"، وهي فرع لغوي متطابق مع السريانية الرهاوية إلى حد لا يمكن تمييزها فيه عنها، ونستطيع هنا أن نفهم بشكل جيد استحواذه على الكلام الذي قاله ابن ديصان ورغبة ماني بكل وضوح أن يحل محله، وذلك كيما يصبح معروفاً تماماً من خلال هذه الكتابات المتداولة. إن النقطة التي تسترعي الانتباه هي أن اللغة الآرامية التي استخدمها ماني وأتباعه لم تكن اللهجة المحلية للمنطقة البابلية، أي لم تكن متطابقة مع الكلام البابلي الشمالي الموجود في التلمود البابلي، ولا مع الكلام الجنوبي في الكتابات المندائية (المندعية). كما أن قطع الشعر المانوي التي احتفظ بها تيودور بارقونية من الجائز أنه نقلها عن خط ماني نفسه، فهي منطوقة باللهجة الرهاوية. وينطبق الشيء نفسه على البقايا الصغيرة من الأدب المانوي المكتشف بمصر"[815].

وهناك مصدر آخر أكثر غنى وفائدة حول النظرة الغنوصية المبكرة للمنطقة الناطقة باللغة السريانية، وهو أعمال الرسل، وهو عمل منتشر تحت اسم الرسول توماس، وهدفه عرض صورة مشرقة لنشاطه التبشيري في المناطق الشمالية الغربية للهند، وهو شديد التعلق وواضح الفائدة حول الفكر

---

814 - الفرثيون هم القبائل الهندو- أوربية الفارسية التي هاجرت من منطقة السهوب بين بحر قزوين وبحر الأورال إلى بلاد فارس واستقرت في الأقاليم التي كانت تعرف باسم بارتوا ومنه جاء اسم الفرثيون . يعتبر عام 247 ق.م بداية الحكم الفرثي في إيران بعد قتل الحاكم السلوقي هناك على يد أرشاق الأول مؤسس السلالة الفرثية.

815 - جو وايد غرين : ماني والمانوية ، مذكور ص 100-101

الروحاني لدى الفرثيين"[816] وهناك أدلة دامغة على الحيوية المستمرة للغة الإغريقية خلال هذه الفترة داخل حدود الإمبراطورية الفرثية حيث محتويات العديد من النقوش تدل على أنه كان لأفراد أسرة البلاط والحاشية أسماء إغريقية، بالإضافة إلى تكلّمهم اللغة الإغريقية بالاسلوب الاصطلاحي الذي تطور منذ أيام خلفاء الاسكندر"[817] وكانت بلاد بابل الجنوبية ملاذاً مفضلاً لدى عدد من الطوائف ذات الخلفيات البابلية - السريانية، واليهودية والمسيحية، ومن نماذجها طائفة الصابئة "المندائيين""[818]

إن الذي دعا "مار أفرام" إلى نظم الأغاني الروحية والميامر هو أن "بر ديصان" (ابن ديصان) كان قد نظم أغاني وقّعها على ألحان شجية ضمّنها أقولاً تفسد "المعتقد القويم والأخلاق" فعلقت بأذهان الشبان وألسنتهم . فجاء مار أفرام "بالأغاني النقية القدسية" فتغلبت عليها. علماً أن تلك الألحان كانت سابقة لذلك العصر، وهي من عهد الفيلسوف الآرامي "وفا"[819]. فمنذ مجمع نيقية شرع مار أفرام بوضع الأناشيد والمداريش ضد "أهل البدع" في زمانه ونبغ ملافنة آخرون، ألّفوا أناشيد دخلت إلى الطقس الكنسي ، مثل "مار اسحاق " و "مار بالاي " . وفي عهد مجمع أفسس ظهر أناس قوقيون قوقنّا أو جماعة الفخارين، واشتهر بينهم الشماس شمعون الفخاريّ. وقد دخلت أشعارهم الفروض الكنسية وكتاب الألحان. ألفّوا أناشيد كثيرة نبغ منهم اللاهوتي مارسويريوس الإنطاكي (538 م) الذي ألّف اناشيد روحية باليونانية ترجمت حالاً إلى السريانية. وفي عهد مار يعقوب الرهاوي وجرجس أسقف العرب دخلت التسابيح المعروفة بالقوانين اليونانية إلى الطقس السرياني. أهم الآباء والعلماء والفلاسفة الذين أدخلوا الأناشيد والتسابيح والتراتيل إلى الكنيسة.

---

816 - ماني والمانوية- مذكور ص 25-26

817 - ماني والمانوية – مذكور ص 18-19

818 - ماني والمانوية – مذكور ص 23

819 Wafa : فيلسوف آرامي قديم له أشعار أيضاً ، ومن لقبه الآرامي نفهم أنه لم يتنصّر.

1-الغنوصي/المسيحي السرياني برديصان أو ابن ديصان (222 م) صاحب الفرقة الديصانية التي اشتملت على مجموعة من شباب الطبقة المثقفة الثرية من سكان الرُّها. 2- مار أفرام الملفان أستاذ جامعتي نصيبين والرُّها السريانيتين، وهو في مقدمة الآباء الذين أدخلوا الأناشيد والمداريش إلى الكنيسة. وهو أول مؤلف جوقة الفتيات في الكنيسة السريانية .3- أما مار ربولا القنسريني المولد ومطران الرُّها (أسقف الرُّها) سنة 435 م فهو الذي دبّج بالسريانية التخشقتات أي الابتهالات، فنقل من اليونانية إلى السريانية بعض تصانيف الأسقف "القديس" كيرُلُّس السكندري ومار يعقوب الرهاوي (708 م). رتّب صلوات الفرض الأسبوعي المعروف بالأشحيم أو شحيما (البسيط اليومي العادي) ، وهي المستعملة اليوم في الكنائس السريانية .[820]

تحقيق: في المدراش والميمر

يقسم الشعر عند السريان إلى نوعين، الميامر، والمداريش

المدراش:

في البداية كان المدراش عبارة عن مجادلة في ثوب شعري ثم استعمل للشعر الذي ينشد بوجه عام، ويتكوّن المدراش من عدة أبيات تتساوى في عدد مقاطعها أحياناً وتختلف في عدد المقاطع أحياناً أخرى، وهذه الأبيات يرتلها فرد وتردّ عليه فرقة (كورس) بعد كل بيت بردود معينة، وكل بيت من أبيات المدراش قائم بنفسه، وليس من الضروري أن تكون له صلة بالبيت السابق أو اللاحق له.

وللمداريش أوزان وأنغام شتى، ويعدّ مار أفرام من خيرة ناظمي المداريش وقد حذا فيها حذو داود النبي في مزاميره، فنظم أبياتها تارة على ترتيب الحروف الأبجدية وتارة على ترتيب اسم يسوع أو حروف اسمه (أ ف ر ا م). فالمداريش تعني "الأناشيد" وهي أبيات من الشعر تصاغ على أوزان مختلفة وألحان شتى بلغ عددها الخمسمائة دبّجها مار أفرام، أما مستنبطها فهو برديصان.

واشتملت مداريشه مجموعتين في المجادلة مكونتين من 56 مدراشاً، ومنها مجادلته ضد أتباع برديصان ومرقيون وماني وعنوانها "الرد على المارقين"، و "معارضات ضد الآريوسية"، وسبعة مداريش عن "اللؤلؤة" أي عن المسيح وسر خلق الإنسان، وخمسة مداريش في "الرد على

---

820 - قضيتنا ص 9-10

يوليانوس" إمبراطور الروم الذي ارتدّ عن المسيحية إلى الوثنية، ومداريش جدلية أخرى كتبها في مدينة نصيبين في النصف الأخير من سنة *363*م بعد وفاة الإمبراطور يوليانوس.

وهناك بعض المداريش وجدت غير كاملة مثل "ميلاد السيد المسيح" و"الصوم" و"عيد الفطير" و"الصلب" و"شهر نيسان" بمناسبة الفصح، وكلها مداريش دينية تستعمل لإحياء أعياد الكنيسة.

أما القصائد الشعرية التي كتبها مار أفرام فيبلغ عددها واحداً وعشرين قصيدة كتبها في مدينة نصيبين، زادها في الرُّها إلى ست وخمسين ثم زادها حتى بلغت سبعاً وسبعين قصيدة، كانت كلها عن نصيبين، لذلك أطلق عليها جميعاً اسم: "نصيبيات" وهي قصائد تتناول موضوعات مختلفة عن تاريخ نصيبين في عصره.

ونظم مار أفرام أيضاً نوعاً آخر من القصائد سماه "السوغيثا" وزنها بسيط وتصلح في صياغة المآسي للمسرح الديني، وتبدأ السوغيثا عادة بمقدمة مكونة من فقرة أو أكثر يدخل بعدها الشاعر إلى لب الموضوع في أبيات يلقيها فرد، وقد تكون حواراً بين اثنين وترد الفرقة بالإنشاد بالتبادل بين نصفي الفرقة والفقرات الأساسية ينشدها اثنان من المجموعة يتقدمان للإنشاد.

الميامر: وهي شعر يقرأ ولا ينشد/ملحمة مكتوبة كالأينيدة/ وهي الملاحم المسهبة التي تعد أبياتها أحياناً بالآلاف، تسرد فيها القصص الروحية **وسير رجال** الكتاب المقدس والكنيسة، وتكون أبياتها متساوية المقاطع غالباً، وهي من ذات المقاطع السبعة، وتكون عادة ذات دعامتين تتكون الأولى من ثلاثة مقاطع والثانية من أربعة.

وقد نظم مار أفرام الشعر واستعمله سلاحاً ماضياً في جدله وكتب به مراثيه وعلم به سامعيه المسائل الدينية المختلفة، واستخدمه كذلك في كتابة الطقوس الدينية، ومن الملاحم التي ثبتت صحة نسبتها إليه ملحمة عن موعظة يونان النبي في نينوى (النبي يونس)، وموعظة "التوبة"، وله أيضاً *11* ميمراً عن الحصارين الثالث والرابع لمدينة نصيبين

والنظم قائم في كلا النوعين على اللحن لا على التفاعل، ومقيد بالنغم لا بالقافية، فيختلف في ذلك عن الشعر العربي ويقرب من الشعر المرسل، فهو في جوهره شعر غنائي ينشد على جميع الأوتار، متصاعداً من النبرة الخطابية إلى **النَفَس الملحمي**، ولذا فإنَّ أوزانه لا تحصى في حد ولا أبحره في عد، ذلك أن البيت لا يعتمد على تآلف المتحرك والساكن، ولا يتكون من

الأسباب والأوتاد والفواصل[821]، بل من تقاطع الكلم إلى أصوات متوازية تعادل التقاسيم الموسيقية، وقد تتراوح الأصوات بين المقطع الواحد والستة عشر مقطعاً، أو أكثر في البيت الواحد، تفصل بينها محطات وقف مما يجعل ضبط الأبحر متعذراً. ويذكر أنطون التكريتي *(840 م)* أن عدد البحور الشعرية لدى السريان هو ثمانية عشر بحراً بدءاً من ثلاث حركات حتى العشرين، ولكن ليس جميعها مستعملاً، ومن أشهرها ما جاء فيه البيت على خمسة مقاطع أو ستة أو سبعة أو ثمانية أو أحد عشر أو اثني عشر

لقد نظم مار أفرام الشعر السرياني على البحر السباعي خاصة، وارتأى بعضهم أنه قد استنبطه فسمي أيضاً بالأفرامي أو أنه أخذه عمن سبقه من الشعراء الذين فُقد شعرهم، وتعد أبيات بعض قصائده بالآلاف، ويكون الوقف عادة في البحر السباعي بعد المقطع الثالث أو الرابع، ويدخل على هذا الوزن ثلاثة أشكال مختلفة فيكون إما ثلاث حركات وأربع أو أربع حركات وثلاث أو حركتين وثلاث ثم اثنتين. ولم يعتمد مار أفرام القافية في نظمه، لأن السريان لم يدخلوها في شعرهم حتى صدر القرن التاسع متأثّرين بذلك بالعرب.

تعليق: في أن هذا إنما يدل على الحيوية الثقافية لآسيا الغربية العربية / الآرامية-السريانية في ابتكار و إدخال هذه الألحان في الطقوس الكنسية السريانية، على العكس من قسوة كنيسة الإسكندرية المرقصية ورهبنة صحراء النطرون المصرية المعادية لكل ما هو طري وجميل ورحيم في الإنسان : الأنثى والموسيقى والألحان .

ابتكر الآباء الأولون الألحان وبنوها على أربعة أركان أي: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. أما الموسيقيون الفرس فقد ابتكروا اثني عشر لحناً أساسياً، ولكن اليونان والسريان كانوا أكثر لطفاً ، اعتبروا اللحن المتطرف في العنف لحناً وقحاً لهذا اكتفوا بثمانية ألحان أساسية ، على سبيل المثال:

اللحن الخامس: إنه الحار، لهذا خُصّص لعيد الصعود لأن فيه فارق الرب تلاميذه فاحترقوا شوقاً إليه .

---

821 - يقوم كتاب العروض العربي على السبب والوتد والفاصلة؛ السبب الخفيف: /٥ والسبب الثقيل: // والوتد المجموع: //٥ والوتد المفروق: /٥/ والفاصلة الصغرى: ///٥ والفاصلة الكبرى: ////٥

اللحن السادس: يعزز البرودة والرطوبة ، فيه من الرطوبة الموافقة للحزن، لذا خصص ليوم خميس الأسرار وسبت البشارة ، لأنها ذكريات حزن وألم.

تعليق: في أن تزاوج حضارة اليونان مع حضارة مصر أنتج قسوة الإسكندرية ورهبنة أديرة صحراء النطرون ، في آسيا الآرامية / العربية أدى هذا التزاوج مع الحضارة اليونانية إلى الطراوة والليونة والأوكتاف الثماني وإلى دخول الألحان والموسيقى وجوقات الفتيات إلى الطقس الكنسي

الصلوات السريانية في الليل والنهار سبعة: 5-السادسة (شيث شعين) 6-التاسعة (تشاع شعين) .[822]

تعليق: في اعتماد مترجم سيرة عزازيل تقنية التكثيف المعتمدة في الأحلام وأنه يكفي أن يذكر كلمة "القوقيون " الفخارون ليجرّ وراءها كل هذا الحشد من التداعيات حول الكنيسة السريانية والتراث السرياني العظيم في الفكر والشعر والموسيقى والألحان . ويقود إلى ديالكتيك العلاقة بين ثقافة اليونان / الرومان والثقافة الآرامية / العربية وديالكتيك حضارة مصر مع هذه الثقافة اليونانية . ويقودنا إلى تذكر أن أوكتافيا كانت في الأربعين حين تعرّف عليها هيبا المصري بينما مارتا السورية العربية عمرها عشرين. وهذه إشارة إلى فتوة آسيا الغربية الآرامية / العربية ودليل للمستقبل الذي ينتظره تطور المسيحية الذي كان تحقيقه: أحمد يمسح يسوع بخاتم النبوة .

الرق الثالث والعشرون

في غيرة مصر من آسيا الآرامية/ العربية !

قال هيبا: ومع أنها جاءت في ثياب فقيرة ، إلا أنها كانت في ضوء الصباح الباكر جميلة ، وظالمة[823]. لمّا وقفت مرتا أمامي عقدت حيرة الغيرة لساني، فلم أستطع النطق . هي نطقت أولاً.

---

822 صابوثان (قضيتنا) نشرة فصلية داخلية تصدر عن حزب الاتحاد السرياني المتن -لبنان

823 - الجمال في زمن معوج ظالم؛ كالحق الذي جاءت به أنا الحلاج وأظهرته كفراً!

إن هذا التأله لن يقود إلى شيء منتج في التاريخ. ولسوف يقول عنهم النبي محمد بعد مائتي سنة "دعنا منهم ، فليس هؤلاء إلا جماعة من المتألهين"؛ فارون من الطبيعة و من التاريخ ؛ فهم ينهزمون عند أول مواجهة فعلية. وكما كان الصعود مع اللحن السادس السرياني؛ ومع الكتاب السادس في الأينيدة، صعود إلى السماء وطيران ، كان هبوطه الآن مع علمه "بحقيقة" مرتا مغنية القوقيون (أغنيات الخزافين وصناع الفخار الوقورة) .

قال هيبا: متثاقل الخطو نزلت الدرج كأنني أهبط من قمة جبل قسقام الموحش، إلى ناحية الصحراء الممتدة وراءه غرباً. كان هذا الهبوط يعود بهيبا المصري إلى يبوسة صحراء النطرون ، وجبل قسقام وقسوة مصر. كل صعود يأتي له فهو من آسيا الآرامية / العربية وطراوتها ونغمها السماوي وخضرتها ، وحلب وأراضي الفرات الممتدة شرقاً.

الرق الرابع والعشرون

لقد ظهرت أولى نتائج المفارقة بين وادي النيل وصحرائه الممتدة غرباً وبين خضرة حلب والسهل الممتد شرقاً، مع "أفق العشق" و نسمات الوله الفواحة. قال هيبا: للمحبة في النفس أحوال لا قبل لي بها، ولا صبر لي عليها ولا احتمال! وكيف لإنسان أن يحتمل تقلب القلب ما بين أودية الجحيم اللاهبة وروض الجنات العطرة ، وأنا لا خبرة لي بارتياد بلاد العشق.

تعليق: في الربط بين قسوة صحراء وادي النطرون وبين نمط الإنتاج الآسيوي/ المائي ، وفي ابتعاد السريان واليونان عن الأوزان القاسية العنيفة عند الفرس والاكتفاء بثمانية. وهي عدد حروف اسم أوكتافيا (الثماني). وفي ان إمبراطورية الفرس كالدولة المصرية في وادي النيل هي دولة قائمة على أساس نمط آسيوي/ مائي، بينما تقوم آسيا الآرامية / العربية في سهوب آسيا الغربية على نمط الإنتاج الآسيوي/ التجاري؛ و أن ذلك أساس الطراوة والرحمة والمتعة؛ والنفور من الشح والتقشف والرهبنة المفرطة. فهذه الزيادة أو المبالغة في التقشف واحدة من الأشياء التي قادت هيبا إلى حضن عزازيل.

ما إن سمع منها كلمة: أحبك جداً يا هيبا ، حتى ظهرت كلمة الصعود بدلاً من الهبوط- بعدما سمعته منها صعدت إلى صومعتي ورنّات قولها أحبك جداً تجول في أرجائي. وتظهر كلمة النزول لتأخذ دلالة أخرى ذات بعد وظيفي بحت (بُعد غير وجودي): "مرّ الشماس يومها على مرتا عند نزوله مجمع الصبية". ونزل هنا بمعنى حلّ وأقام.

الرق الخامس والعشرون

لابد أنها انحدرت من سلالة ملكية غابرة فقدت سلطانها مع تقلبات الزمان، وبقيت ملامحها متوارثة في الأحفاد

تعليق: في هبوط النفس وانحدارها من سلالة ملكية؛ إنه الأسى على سلالة الصورة الجسمية الفيزياوية البهيمية، وانقراضها مع التضحية بها وصعودها إلى السماء ونزولها بالرمز، مع بقاء بعض أحفادها وما ورثوه من تلك الصورة من مواضع محرمة، نهديها وصدرها وعنقها السامق نحو خدودها؛ هذا التكوين الخلاب والقاسي؛ هذا "الحجر الأسود"؛ رب كيرُلُس "المسيحي".

وفي ما قاله المتنبي في "الشاميات":

كم قتيلٍ - كما قُتلتُ- شهيدٍ ببياض الطُّلى[824] وورد الخدودِ[825]

وعيونِ المها ولا كعيونٍ فتكت بالمتيّم المعمودِ

عمرك الله هل رأيت بدوراً قبلها في براقع وعقود

يترشفْنَ من فمي رشفات هُنّ فيه أحلى من التوحيدِ

تحمل المسك من غدائرها الريـــ ـحُ وتفترُّ عن شتيت برود.[826]

---

824 - الطُّلى : الأعناق

825 - حمرة الخدود

826 - معجز أحمد شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري في أربعة مجلدات

وقد جمع المعري قصائد المتنبي وصنفها على النحو التالي: *1-* العراقيات الأولى *2-* الشاميات *3-* السيفيات (الحلبيات)*4-* الكافوريات وهي المصريات وما نظمه وهو على طريقه من مصر إلى العراق *5-* العراقيات الأخيرة *6-* العميديات *7-* العضديات. إنها ميثرا حاملة السنبلة ورمزها العددي سبعة، وهي السبع صلوات السريانية.

لقد حُرم هيبا من التمتع بهذا الجسد الجميل نتيجة حياة الرهبنة المصرية القاسية.

هذا الحضور للجسد وفتنة الصورة الجسدية، ومراقبتي لها بصمت، حرك سؤالها ومعه حنيني: هيبا، ألا تشتاق لبلادك، التي كان فيها مولدك ؟

مرتا من أصول عربية وثنية ؛ فأبوها الدمشقي حرفي صانع السيوف ، وأمها وثنية من أصول ملكية تدمرية .

تعليق: في أنه من الطبيعي أن يحضر الحديث عن الوثنية مع حضور الصورة الجسمية ؛ وهذه الصورة لم تفارق هيبا يوماً.

كانت المسيحية ومعها أفلوطين تعتبر النفس حمامة هبطت من السماء ؛ حمام زاجل ينقل رسالة من السماء؛ بينما كان يعتبرها هيبا امرأة جميلة صعدت إلى السماء وتسامت، ولكن هيبا المسكون بالوثنية والمفتون بها بشكلها المثقف (هيباتيا) وهو الراهب المسيحي الذي يحاول أن يؤكد مسيحيته ظاهراً ، يقول: وهل كانت مرتا إلا حمامة بيضاء هبطت على هذا العالم من فوق السحاب.

ومن شعره في النفس، وهي من أجلّ قصائده وأشرفها، يقول الشيخ الرئيس ابن سينا:

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

محجوبة عن كل مقلة عارف وهي التي سفرت ولم تتبرقع

حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها في ميم مركزها بذات الأجرع

علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت بين المعالم والطلول الخضع

تبكي إذا ذكرت ديار بالحمى[827] بمدامع تهمي ولمّا تقطع

وتظل ساجعة على الدمن التي درست بتكرار الرياح الأربع

إذ عاقها الشرك الكثيف وصدها قفص عن الأوج الفسيح الأريع

حتى إذا قرب المسير إلى الحمى ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع

سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ما ليس يدرك بالعيون الهُجَّع[828]

فهبوطها إن كان ضربة لازب لتكون سامعة بما لم تسمع [829]

لماذا لم أحمها، لقد كانت معذبة تبكي أباها، تبكي نفسها تبكي خراب العالم. عالم الديانات الوثنية ونفسها الصورة البهيمية في تلك الديانات من صور وتماثيل وإيقونات وصلبان خشبية ومعدنية. مرتا تزوجت من أحد قتلة أبيها، ربما يشبه هذا مصير والدة هيبا التي وشت بابيه وتزوجت بأحد قتلته، أتكون قسوة هيبا قد قدمت من هذه الناحية ؟

في تعاطي التجار الكرد مع الصورة البهيمية ، يبدو أن المبجل زيدان يحاول أن يصور فظاظة الشوانكاراه (الرعاة الكرد) في التعامل مع الصورة البهيمية، وكيف بدء فرجيل في أناشيد الرعاة (شعر الرعاة) في الاستعاضة عنها بصورة بتولية، ومن ثم تعمّق هذا الاتجاه مع ظهور المسيحية في آسيا الغربية.

إن المسافة المقطوعة بين شكل تعاطي الرعاة الفظ مع الجسد إلى شكل التعاطي الفرجيلي/ المسيحي السماوي المستبطن لحقيقة الصورة الظاهر النازل رمزاً لغوياً مقدساً؛ هو المسافة بين شعر هوميروس الشفوي

---

827 ـ حنين النفس إلى أصلها السماوي

828 ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء-مذكور ص 446 يذكر ابن أبي أصيبعة حين الحديث عن طبقات الأطباء المشهورين من أطباء ديار مصر ، يذكر الطبيب الرئيس هبة الله . في القرن السادس الميلادي،

829 ـ هبوط النفس عند ابن سينا لحكمة ؛ والحكمة من الإحكام والاستواء

الإنشادي "الإباحي" و شعر فرجيل المكتوب مُراجع عدة مرات، الذي قدمه ببطء وتردد للجمهور .

سكتت برهة وهي تنظر باتجاه ركبتها اليسرى . راحت بخيالها نحو ذكريات بعيدة مؤلمة، ورحت أنظر بحنوّ إلى خديها وأهداب رموشها الطويلة. لما انسال من عينيها خطان جديدان من الدمع، واكتسى خداها بحمرة خفيفة، **صار لوجهها سمت بتولي** ، يذهب بصفائه العقل، ويعصر القلب. آه لو أنني يومها قمت ، فمسحت خديها الناعمتين ، **بباطن** كفي ، ثم ضممت صدرها **لصدري** . ومسحت بيدي على شعرها **وأغمضت عيني**، ورحت أتنفس الهواء المطيب **بنسيم باطنها**. كانت ستميل إلى صدري برأسها، فأحيطها بذراعي حتى أدخلها فيّ وتسكن ، تثبت تصير تمثالاً من الرخام الأبيض، تكون فيه آيات للناس .

تحقيق: في أن الصورة هي التمثال والصنم؛ وثن يعبد. صنّم: صوّر؛ صوّت: الصوت والصورة أصنام .

قال الشاعر في وصفها:

بيضاء لا كدر يشوب صفاءها كالياسمين نقاوة و عبيرا
ألوت عليَّ فضمّني من شعرها ليلٌ رأيت البدر فيه منيرا
وسكرت من خمرين: خمر لحاظها ورضاب ثغرٍ قد تألق نورا
وشعرت لما مسّ صدري صدرها أني أذوب صبابة وحبورا

بتل: أصل واحد يدل على إبانة الشيء من غيره (إدراكه بتمييزه عن غيره) يقال بتلت الشيء إذا أبنته من غيره (أفردته). ويقال لمريم العذراء "بتول" لأنها انفردت فلم يكن لها زوج [830] . والصنم كلمة واحدة وكان شيئاً يتخذ من خشب أو فضة أو نحاس يتعبد. [831]

قال المكزون:

---

830 - مقاييس 1 ص 195
831 - مقاييس 3 ص 314

ليس لها بالحسن مِثْلٌ إنّما تمثّلت عند الظهور بالمِثْل [832]

والإيقونة *ikon* هي الصورة والتمثال .

ميمر: في ذكر هروب مارتا وهي عارية وفزعها في شوارع البلدة وكيف يذكرنا هذا بفزع هيباتيا وهي عارية في شوارع الإسكندرية، وكيف تنتقل البشرية من عبادة الصورة الكونية الطبيعية ، إلى الصورة النفسية المستبطنة؛ البتول ، بعد أن هوجمت وهي عارية من التاريخ (أسماء من دون سلطان) ووكيف هددت الصورة الكونية بالتدمير؛ تدمير المعابد الوثنية.

عند الباب أحكمت غطاء رأسها وأسدلت على خديها الحجاب الحريري الشفاف. لما توارت عني تماماً، قمت من فوري لأرقبها. ثم من نافذتي الوحيدة، لما غابت عني تماماً غبت عني تماماً (إنها نفسي)

قال المكزون السنجاري الأمير:

بدت لعيني بالستور والكلل ثم اختفت برفعها عن المقل

وقال المتنبي الحسين بن أحمد:

فما أمرّ برسم لا أسائله ولا بذات خمار لا تريق دمي .

وحين انتبهت ورأسي مستند للجدار، حدثت نفسي طويلاً ، لأثنيها عما تشتاق إليه ؛ وأقلع جذور التوق من قلبي. تمنيت أن أموت على حالي هذه، فأخلص من حيرتي .

هبطت النفس لحكمة كما قال ابن سينا؛ توق النفس والحيرة ؛ خلقت الحيرة (حواء) من نفس آدم. التوق إلى الأشياء من النفس ؛ النفس تتوق وتتحير.

تحقيق: في أن توق: أصل واحد هو نزاع النفس. والتوق نزاع النفس إلى الشيء. ونفس تائقة مشتاقة. قال ابن السكيت: تقت وتئقت: اشتقتُ. قال ابن الإعرابي: تاق يتوق إذا جاد بنفسه.[833]

---

832 - شرح ديوان المكزون- مذكور ص ص 3

لدى هيبا المصري توق للعودة إلى بلاده الأولى؛ أخميم ونجع حمّادي. قالت مرتا: تعال لنعمِّر البيت ونعيش هناك. كانت مرتا معذورة فهي لا تعرف أي شيء . قال هيبا: دعوة مرتا للعودة بي إلى دياري الأولى هي مراودة نفسي أنا.

لم انتبه من استغراقي فيما جرى مع مرتا إلا حين قال الجميع وراءه بصوت واحد: آمين، سألت نفسي ساعتها؛ أترانا نردد في كل صلواتنا اسم الإله المصري القديم " آمون" مازجين في اسمه بين الواو والياء وسألت نفسي لماذا تعود إلى مصر أصول الأشياء كلها ، لا أصول الديانة فحسب ، وسألت: لماذا لا أعود إلى بلادي الأولى للعيش هناك ، ما دمت لم أعد صالحاً لحياة الرهبنة! اعتراني حنين مفاجئ إلى النيل الممتد كذراع الإله في الأرض!

تعليق: و سألت نفسي لماذا تكون الألف في اسم الحرف (و) منفصلة من الجهتين عن الواو ولماذا تكون الياء متصلة من الجهتين مع الميم في اسم الحرف (م)؛ ميم ! وسألت هل يكون الانتقال من آمون إلى آمين هو انتقال من واو إلى ميم ؛ انتقال من الكوني الطبيعي إلى النفسي الكلي البتولي! وقلت: ألم يقل هيبا من قبل بعد اعتناقه المسيحية أن النيل نهر ككل الأنهار، وكيف أصبح الآن ذراع الله الممتدة في الأرض! ، أيكون هو الحنين للوثنية في جنوب الوادي بعد سماعه الأخبار غير السارة عن نسطور وصراعات الكنيسة .

قلت لرئيس الدير: إنني مشغول البال بأشياء ، أشعر بحنين يجرفني

-هذا يا ولدي قلق الروح ، يثور ثم يهدأ ، قلق مما يحدث في القسطنطينية

- لقد وافق الإمبراطور على طلب كيرُلُّس عقد اجتماع لرؤساء الكنائس في العالم للنظر في عقيدة الأسقف نسطور .

---

833 - مقاييس 1 ص 358

تعليق: في الإحباط؛ إحباط العصر واشتداد الحنين والاشتياق للماضي و ظهور النزعة السلفية.

الرق السادس والعشرون

قال الفريسي: الآب السماوي أقنوم مفارق محتجب خلف هذه الاعتقادات كلها ، وهو لا يظهر لنا بتمامه ، لأننا لا نقدر على الإحاطة بظهوره التام ، وهو فوق لفظ الأقنوم ، وفوق كلمة الطبيعة ، وفوق إدراكنا، وهو بعيد عنا ونحن بعيدون عنه.

تعليق: في ان هذا العربي الأنزع البطين يمهّد لفكرة الأحدية القرآنية؛ "قل هو الله أحد.." ولفكرة التنزيه للإله المتعالي .

تعليق ثان وتحقيق: في نمط الإنتاج الآسيوي وتعالي الدولة المركزية عن المشاعات القروية والإنتاج الأسري في الاقتصاد المنزلي؛ تعالي الملك (الإمبراطور؛ المالك الوحيد) نظراً لغياب الملكية الخاصة. يكتب ماركس في رسالة إلى انجلز (لندن 2 حزيران 1853): كان بيرنيه يعتبر بحق أن الشكل الأساسي لجميع الظواهر في الشرق - وأنه ليقصد تركيا وإيران وهندستان - هو انعدام الملكية الخاصة للأرض . هذا هو المفتاح الحقيقي ، حتى للسماء الشرقية.."[834] ويرد أنجلز برسالة في 6 حزيران 1853 بالقول: إن انعدام ملكية الأرض هو في الحقيقة مفتاح الشرق بمجموعه ، سواء بالنسبة إلى تاريخه السياسي أم تاريخه الديني. لكن كيف حدث أن الشرقيين لم يتوصلوا إلى الملكية العقارية ، حتى في شكلها الإقطاعي؟ أظن أن مردّ ذلك بصورة رئيسية إلى **المناخ**[835] ، مأخوذاً بعلاقته بطبيعة التربة، وعلى الأخص بتلك الرقع الصحراوية العريضة التي تمتد من الصحراء عبر الجزيرة العربية وإيران والهند وبلاد التتار حتى أعلى الهضاب الآسيوية. إنّ الري الاصطناعي هو هنا شرط الزراعة الأول ، وهو من شأن الجماعات أو

---

834 - مراسلات ماركس أنجلز ص 86

835 - دور العامل الجغرافي في التاريخ ، خاصة في أنماط إنتاج ذات قوى إنتاج ضعيفة التطور .

الأقاليم أو الحكومة المركزية (الشكل الآسيوي المائي).[836] أما السهوب فتعتمد على الزراعة البعلية ومياه المطر.

في هامش ترجمة عزازيل تعليق طويل من تلك التعليقات المكتوبة بالقلم الدقيق باللغة العربية، اقتطفنا منه الفقرة التالية: يظهر لي أن هذا الراهب المسمى بالفريسي كان مباركاً حقاً فقد مرت علينا الآن ألف سنة من الحرب بين الكنائس، وما خروجي من بلادي الشرقية إلا بسببها ، ومعروف أن أنهار الدم قد تدفقت في الإسكندرية بعدما تنيّح أسقفها كيرُلُّس، وأمعن أهل الصليب في تخريب المدينة، وقتل غير المسيحيين من اليهود والوثنيين، بل ثار الاسكندرانيون على أسقف مدينتهم بروتيريوس ومزقوه إرباً وأحرقوا جثته، وقاتلوا أيضاً أسقف الإسكندرية طيموثاوس وكان قتل كثير بهذه المدينة العظمى. ثم ترون اليوم أخبارها بعد وقوعها في قبضة المسلمين.

تعليق: في أن الملاحظة من أواخر القرن الخامس الهجري قريب من حروب الصليبيين ومن مأساة السهروردي المقتول.

الرق السابع والعشرون

مرتا ليست مثل كل النساء (بتول)، لكنها لو ذهبت للغناء في حانات حلب وسط السكارى من أرذال التجار العرب والأكراد فلن تكون إلا امرأة هابطة تتقاذفها أحضان الرجال العابرين.

تعليق: من لا يستطيع حماية مرتا وبيتها لا يستطيع الدفاع عن قضية نسطور الدينية/ السياسية.

تعليق: في هبوط النفس من عالم العقل عبر تعلقها بالحسيات؛ وعكرها بالجسدية. في إنجيل متّى الرسول مكتوب : من يتزوّج مطلّقة فهو يزني!

خاطِرة: لماذا خطر ببالي أن الأمر هنا يتعلق بحياة تنظيمية/حزبية ، وبتلمذة ذات بعد عقائدي. فمن يطرد من حزب إيديولوجي (عقائدي) ، بعد اتهام

---

836 ـ مراسلات ماركس أنجلز-مذكور ص 86

مثبت بالخيانة ، لا يجوز إرجاعه إلى الحزب نفسه عن طريق تبني معلم آخر في الحزب أو المدرسة.

تحقيق: زنى؛ الزِّنى معروف[837] زنى يَزْني: فَجَرَ (ضَعُفَ فأفشى سراً)... زن: يقال أزننت فلان بكذا؛ إذا اتهمته[838] (اتهام كادر حزب بالخيانة والتجسس لصالح الأعداء وإفشاء الأسرار ، وعقوبة ذلك). من هنا كان تشدّد الإسلام في الحكم على الزاني؛ أي التشدد قبل توجيه الاتهام. جاء في سورة الحجرات: "يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين."[839] ومعنى فجر: فسق وكذب وكذّب وعصى وخالف. وفجر عن الحق: عدل (عنه).. وفجر أمرهم : فسد..[840] وأيام الفُجّار حضرها النبي وهو ابن عشرين عاماً.

الرق الثامن والعشرون

يوحنا أسقف إنطاكية نصير نسطور في محنته ، أرسل إلى الأساقفة والقسوس المجتمعين بأفسوس يعلمهم أنه سيتأخر أياماً بسبب خطورة الرحلة، البحر هائج ، والطريق البري غير آمن وقطاع الطرق ناشطون، والاضطراب يعم النواحي .

تعليق: في ان هذا الاضطراب علامة انحطاط الإمبراطورية الرومانية وتفككها. يقول هيبا المصري: جلست في الظلام حيناً ، ثم تمددت على ظهري، دون أن ابسط على الأرض ذراعي، أغمضت عيني فرأيت مرتا غير باسمة، غطيت وجهي بذراعي فرأيت أوكتافيا وهي تموت، ثم رأيت نسطور وهو يسير مطرقاً وحوله جنود عابسون، ثم رأيتني وحيداً فوق جبل قسقام .

---

837 - مقاييس 3 ص 26

838 - مقاييس 3 ص 5

839 - الحُجُرات/ 6

840 - المحيط.. ص 454

تعليق: يا لوحشة هذا العصر وقسوته! إنه زمن خارج محاوره ؛ زمن معوج.

نهضت من رقدتي وقد ملأني خوف لم أعرف له مصدراً. أنا لا أعرف الكثير عن مرتا، لم أرها من الداخل ، ولم أرى أي شيء من داخله ، أنا أطوف دوماً بظاهر الأشياء ، ولا أغوص فيها ، بل أراني أخشى الغوص في باطني ، لكن أعرف حقيقة ذاتي الملتبسة. كل ما فيّ ملتبس؛ عمادي، رهبنتي، إيماني أشعاري، معارفي الطبية ، محبتي لمرتا . أنا التباس في التباس! والالتباس نقيض الإيمان مثلما إبليس نقيض الله.

تعليق: في أني أطوف دوماً بظاهر الأشياء؛ مثل طوفان المتألهين حول الكعبة قبل ظهور الإسلام، جاهلاً بأعماق نفسي؛ بعيداً عن حكمة دلفي: اعرف نفسك!

تحقيق: من المهم الإشارة إلى أن المسعودي رجع صراحة إلى هذه الحكمة التي ترجموها له وشرحوها في حرّان، وكان رجوعه هذا في كتاب آخر من تأليفه . فها هو في "كتاب التنبيه ولإشراف" الذي كتبه قبيل وفاته بفترة وجيزة *(345 هـ/ 956 م)* والذي هو بمثابة "مراجعات واستدراكات " يشير إلى ذلك المبدأ بالتعبير التالي :"وما يذهبون إليه من قول أفلاطون أن من عرف نفسه تألّه ومن قول صاحب المنطق(أرسطو) من عرف نفسه فقد عرف بها كل شيء""[841]

لا شقاء مع المعرفة الحق؛ الانفراد درجة من درجات العرفان. الفزع من المعرفة؛ فزع يوحنا المعمدان وانفراده بنفسه في البرية وصراخه وتمزيق ثيابه. "طوبى لك يا ابن العاقرة، فقد صارت يدك أهلاً لتوضع على هامته [المسيح]، وإنك عمّدت من عمّد الأمم بتعليم النار والروح القدس، **طوبى لعقلك إذا ارتعب ولم يقو على الدنوّ**، ولفهمك حيث إنك لم تعصِ عندما أمرت، لقد شُقّت السماء، واندهشت الملائكة ومجدت لأن مطهر الكل قد

---

841 - صابئة القرآن وصابئة حران-مذكور ص 17

اعتمد."[842] وهو الفزع الذي أشار إليه هايدغر **لحظة تفريد الأشياء (بتولية) قبل جمعها وربطها**. الفزع من الموجود لحظ اكتشافه، قبل اكتشاف العلاقة؛ قبل اكتشاف الروابط بين الأشياء وسكينة اليقين. التفريق من دون ربط وتجميع أمر مفزع ومخيف، وقد يقود إلى الجنون إذا زاد في التفريق وبالغ، وهذه الزيادة من عمل عزازيل. وهذا مآل نيتشه إلى الجنون. فرّق الجانّ ولم يجمعها.

كم أتمنى أن استجمع قواي وأطير إلى نسطور، لا بد أنه يصلي الآن منفرداً. ولا بد أنه سيفرح لرؤياي.

في تجاذب الأفكار وتنازعها *ambivalence* والشعور بالبرد.

تحقيق: مرت: الفلاة القفر، ومكان مرت : لم يكن فيه خير، و اشتقاق ماروت منه."[843]

قال هيبا: راحت الأفكار النزقة تسحبني نحو السرداب المظلم الذي بجوف النفوس ، وتبقيني في قعر هاوية سحيقة لا رجوع من عندها .

تعليق: في غياب التوجه والهاوية (تعامة ؛ الهولة؛ هولة البحر)، قال: شعرت ببرد يغوص في عظامي

طالت جلستي عند بوابة الدير، وتطاولت علي الأفكار، غالبتها حتى ضعفت عن دفعها، فتركتها تجتاحني أبحرت إلى عوالم بعيدة ، وراء هذا العالم (عالم الكون) غصت في أزمنة سحيقة لم تعرف الشقاء البشري، أزمنة أسبق مما يحكيه سفر التكوين عن بدء الخليقة ، هل كان هناك الله وعزازيل ؟

تعليق: في تهدم أسوار كياني وتكويني ودخولي في يمّ تعامة؛ عماء ما قبل التكوين؛ العماء الأصلي الأولي (عماء ما قبل الخلق)، قبل ظهور آدم.

---

842 ـ تعريب مدراش في يوحنا المعمدان لمار أفرام

843 ـ مقاييس 5 ص 315

بدء الخيط الأول من نور الفجر (العمود الكاذب للصبح). لحظتها شعرت لأول مرة ، أنني لست وحدي، وأن هناك من يراني من حيث لا أراه. لا أعني الله بالطبع.

تعليق: الجناح الأبيض لعزازيل؛ عمود الصبح الكاذب. فمع انهيار أسوار كيانه واندحارها أمام بحر من الأفكار المتنازعة حضر شيطانه حضوراً فعلياً مفزعاً ؛ حضر انقسام نفسه وتصدعها وتبعثرها؛ إنه النكوص نحو مرحلة ما قبل التكوين؛ العماء الأصلي . قال هيبا المصري: وقفت وسط الساحة الخالية، فوقف. تابعت سيري المضطرب، فسار سيراً مضطرباً، وسرتْ بباطني رعدةٌ. بين أخذات النوم وانتباهات الأرق ، شعرت بأن الذي كان معي لا يزال معي ، غير أنني لم أعد خائفاً من إحساسي به مثلما كنت.

كنت متأكداً من إغلاق الباب ، ومن أنني بالغرفة وحدي، ومتأكداً من أن شيئاً ما موجود بالقرب مني .

تعليق: في الخوف والذعر من عدم اليقين وعدم التأكد. وفي أن الجهل أحد مصادر الخوف الكبرى، حتى الانقسام لم يخفه عندما تأكد له أنه انقسام نفسه، وأنه حضور من داخله؛ حضور نصفه الداخلي المغيّب المهمش بفعل القمع والإرهاب الفكري للكنيسة .

تعليق ثان: في أن هذا الحضور للانقسام هو عمل مفارق وهو سمة أساسية من سمات الأحلام ؛ وهو حضور أطراف النفس وعناصرها المتنازعة بشكل حر بعيداً عن مراقبة العقل أو عمليات الترابط.

- هيبا

الصوت الذي ناداني كان مسموعاً فمن أين جاء، لم يأت من ناحية بعينها، وإنما أتاني من كل الجهات.

تعليق: " قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها."[844] هذا موجه للمتحير من الناس.

في غياب التوجه وذعر التبعثر، وحضور الانقسام واختلاط الحلم بالواقع، أو تحول الواقع إلى حالة كابوس أو حلم مروع ؛ حضور الشيطان: الشيطان هذه البئر الشطون البعيدة الغور التي لا قرار لها ولا أمر .

هامش: يسمي شوبنهور الحلم جنوناً قصيراً والجنون حلماً طويلاً. أما هاجن فيصف الهذيان بقوله: إنه حياة حالمة أدخلها المرض لا النوم. الارتباط المغرب (البعيد) بين الأفكار مع ضعف الحكم هما الخاصتان الرئيستان للحلم والجنون . ففي كليهما نرى الشخص يغالي في تقدير قدراته العقلية مغالاة تلوح جوفاء للعين المتزنة . ثم إن سرعة جريان الأفكار في الحلم يوازيها انسياب الأفكار في الجنون؛ ففي كليهما يغيب كل معيار زمني. وانقسام الشخصية في الحلم - مثلما يقع حين تتوزع معرفة الحالم نفسه بين شخصين يصحح أحدهما، وهو الغريب، خطأ أنا الحالم الخاص - يطابق انفصام الشخصية الذي نعرفه في البارانويا الهلوسية كل مطابقة . ثم إن الحالم يسمع أفكاره هو تنطق بها أصوات غريبة.[845]إن أشخاصاً آخرين غرباء يتحدثون باسمه!

حضور الشيطان:

تحقيق: قال حمزة بن علي بن شعبة الحرّانيّ: أما الشيطان فهو اسم يقع على كل بارز في الكفر وهذا الاسم مأخوذ من الطول والنهاية في شيء ألا ترى إذا قيل فلان حاذق في صناعته على سبيل المزح ما هو إلا شيطان والشيطان في لغة العرب هو الرجل الطويل الأسود وهو مأخوذ من الشطن الذي هو حبل البئر البعيدة وكل إبليس فهو شيطان وليس كل شيطان إبليس لأن الأبالسة استحالوا ظلمة ولم يبق فيهم شيء من أسباب الهُدى إلا وقد جحدوه وأنكروه ولم يبق شيء من الأسباب إلا وقد عُرض عليهم

---

844 - البقرة / 144

845 - راجع تفسير الأحلام لفرويد ، فقرة العلاقة بين الحلم والأمراض العقلية .. ص 119

والشياطين قد بقي لهم شيء من الأسباب يعرض عليهم وقد يقع عليهم الحمد في بعض المواضع وإبليس لا يقع عليه حمد ، قال تعالى: "ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين"[846] ومع أن إبليس لا يقع به حمد إلا أن له استطاعة ومثل ذلك "خبره مع النيل وقد نقص حتى شكى الناس إليه فكتب على خِرْقة[847] من الحجارة ورمى بها في الماء فجرى لوقته وهو يعمل جميع ذلك بالاستطاعة التي كانت معه في الأصل"[848]

نظرت حولي فلم أرى شيئاً، ونظرت في باطني، فرأيت من بين حجب الخوف والقلق وجهاً باهتاً. أهو الفتى الذي لقيني عند حواف سرمدة ؟ أم هو الرجل المتأنق الماكر الذي رأيته على طريق العودة إلى أسيوط من جبل قسقام؟ العين عين الفتى والبسمة الساخرة التي على الشفاه بسمة الرجل. كنت محقاً حين جعلت منهما شيطانا. لم يصدقني رئيس الدير لما قلت له أنني قابلت الشيطان في وضح النهار .

تعليق: كيف تظهر عملية التكثيف الحلمي هنا بوضوح بظهور شخص جمعي يمزج الملامح الحقيقية لشخصين أو أكثر في صورة واحدة[849]. على هذا النحو تراكب شخص الفتى بقرب سرمدة مع شخص الرجل على طريق أسيوط . كيف تُظهر هذه العملية عملية **تعيين الذات بصورة الآخر** في ديالكتيك الأعراض الهستيرية. هذه العملية هي التي تمكّن المرضى من أن يعربوا بأعراضهم لا عن خبراتهم أنفسهم فقط ، بل عن خبرات عدد كبير من الناس فوق ذلك، حتى لكأنهم يألمون بوساطتها نيابة عن جمهور بأكمله من الناس، يلعبون بمفردهم أدوار المسرحية جميعها؛ قال فرويد: إنها تضع نفسها في موضع صديقتها؛ تُعيّن ذاتها بصورة صديقتها."[850]

---

846 - حمزة بن علي بن شعبة الحرّانيّ: كتاب حجة العارف في اثبات العدل على المباين والمخالف ص 52 الأنبياء/ 82

847 - الخِرْقة : القِطْعة

848 - كتاب حجة العارف – مذكور ص 51-52

849 فرويد: تفسير الأحلام-مذكور ص 306

850 فرويد: تفسير الأحلام-مذكور ص 173-174

الشيطان، ولكن ماذا عساه أن يفعل بي ؟ بعد كل ما حصل لي ، وبعد كل ما تم سرده في هذه الترجمة ؟

تحددت صورته أكثر في الظلام ، حدقت في ملامحه التي بدت لي أولاً، فوجدتها قد تغيرت . لم يعد الرجل المتأنق المبقّع وجهه بالبهاق، ولا الفتى الذي التقيته. صار أرقّ وجهاً وأقلّ حجماً ، وبدا وجهه أشبه ما يكون بوجه مرتا.. غبت قليلاً فرأيت مرتا ثانية"

تعليق: كيف يستطيع شيطان الحلم أن يدمج صورة مرتا الجميلة ويظهرها على صورته. وأن الذي رأيته كان لا رائحة له وهو وجه تتبدل ببطء ملامحه، يتخذ في كل حين شكلاً جديداً. إنه **فيروس كمبيوتري** يمكن أن يأخذ شكل أي برنامج أو صورته بعد تعطيل عمله ووظيفته أو تخفيضها وعرقلتها. هذا هو الشيطان الإلكتروني .

تعليق وتحقيق: في أن ظهور وجه مرتا بلا رائحة ولا لون ثابت يدل على عمل الحلم الثاني وهو **النقل**: هناك قوة نفسية تفصح عن نفسها في أثناء عمل الحلم، قوة تُجرّد العناصر ذات القيمة النفسية العالية (قيمة وجه مرتا الحقيقي النفسية لدى هيبا) من شدتها، هذا من جهة، وهي من جهة أخرى، و بواسطة التحديد *determination* المضاعف، تخلق من العناصر ذات القيمة النفسية المنخفضة قيماً جديدة ، تلج بعد ذلك محتوى الحلم . وإذا كان الأمر كذلك كان معناه أن **تحويلاً ونقلاً في الشدات النفسية** التي لمختلف العناصر يقعان في أثناء تكوين الحلم. وأن التباين بين صورة الحلم الظاهر وبين باطن الحلم يأتي نتيجة لهذا التحويل وهذا النقل."[851]

لم يعد هناك هبوط أو صعود للنفس على طريقة أفلوطين وإنما هناك دوران على طريقة الليتورجيا الفلكية البابلية؛ دوران مدوّخ مماحك رهيب، حيث تميل شمس العقل للأفول والانطفاء في بحر العماء والظلام الهابط. إنه بحر الإسكندرية ودواماته التي لا قرار لها .

"واختفى ألق هذه الشمس وراء حجاب

---

851 ـ فرويد تفسير الأحلام-مذكور ص 319-320

وانتشرت متاهة الفوضى في هذا الذكاء

وهذا الهيكل الذي كان في الماضي حياً، مليئاً بالنظام والثراء

والذي كان يتألق تحت سقوفه كثير من العظمة

انتشر فيه الصمت والليل."[852]

اكتسى المبنى الغامض بحمرة خفيفة، بينما أهبط الدرج بدت لي الكنيسة الكبيرة القريبة بعيدة، فاستكملت النزول وعدت إلى صومعتي وعاودت النوم.

تعليق: في أن إبليس بعدت عليه الشُقّة، بحيث لا يستطيع الربط بين الحوادث التي تطرأ له، فلُعن وطرد وحرم من نعمة السكينة. هي بئر شطون بعيدة الغور.

في جوف الليل عادت الأفكار الجامحة لتجتاحني، الطيف المخايل صار يتكلم، كلامه أبهت صورته وغيب عنها الملامح التي كانت تتبدل بين وجوه شتى. لم أعد خائفاً من حضوره حولي.

قال عزازيل: أنا لست حولك ؛ أنا فيك

قَدّرت أن الجنون انتزعني من عالمي المضطرب فصرت أهذي. لقد صرت قلقاً من كل ما حولي، والقلق يثير المخاوف.

كان الصوت يأتي هذه المرة هامساً، واضح النبرات، ثم صارت ملامح الوجه، أبين وأظهر، كان يشبهني، وكان الصوت صوتي هذا أنا ـ الآخر، غير محجوب بداخلي . لا بأس لو حادثتُ نفسي قليلاً، وصارحتها بما يجب السكوت عنه[853] . اشتياقي لمرتا ، وخشيتي عليها ، وخشيتي منها ، وأنا تائه في صحراء الذات وغير مستبشر بضربة الأسقف كيرلّس المتوقعة في أفسوس، فسوف تكون مروعة، كيرلس هو رأس كنيسة الإسكندرية

---

852 ـ بودلير: عقاب الكبرياء.. أزهار الشر ترجمة محمد عيتاني

853 ـ المسكوت عنه في الخطاب نتيجة القمع والتكفير

المرقصية ، وكلمة مرقص تعني ضمن ما تعني: المطرقة الثقيلة التي نسميها في بلادنا المزربّة ."

تعليق: صرت أنا ـ هو، وهو ـ أنا؛ أليس هذا هو حال الحلاج الشهيد والسهروردي "المقتول/ الشهيد" من بعده !

أيها الوجود المخايل ؛ ما اسمك أنت ؟

ـ أنا عزازيل !

تعليق: وأعوذ هنا من كلمة أنا لأن عزازيل (عدمُ أنا؛ عدم ذات)

الرق التاسع والعشرون:

في حضور عزازيل حسب شهادة صاحبه هيبا المصري

سوف نركز في هذا التعليق على طريقة وصف هيبا لعزازيل معتمدين على الترجمة التي قدمها المبجل الدكتور يوسف زيدان.

قال هيبا: جاء عزازيل بوجه ناصع (الجناح المضيء) بدا وسط الظلام مضيئاً (الطارق). بدا سقف الصومعة عالياً وبعيداً عني. كانت أحلامي هنا تقتات من المنبهات الحسية الخارجية التي ظهرت لي بعيدة ونائية، ومن التهييجات الحسية الداخلية (النفسية).

سمعت صلصلة أجراس تدق بلا انقطاع، فتكاد تفتت عظامي. سكتت الأجراس وجاء عزازيل مبتسماً . جلس ساكناً قبالتي، ثم تزحّف حتى اقترب مني، تحسست وجهه بأناملي فكان رطباً زلقاً (أصله في الخارج؛ جلبابي الذي أتحسسه وأنا في حلمي وهو مبلل بماء دافئ) ارتعدت من ملمسه. بعد حين مدّ يده الباردة إلى جبهتي فأتاني برد غاص في رأسي وهدأ من روعي (كمادة باردة على جبهتي وضعها الشماس الذي كان بقربي يعتني بي من الحمى)

تعليق: كيف يستولي عزازيل على الجناح الأبيض لجبريل ويسخره لمصلحته ويظهر على صورته مضيئاً، ويعمل به ومن خلاله لتنفيذ مآربه.

ويقدم معلومات دقيقة ويدعو هيبا الراهب إلى ضرب من العلمانية الليبرالية ذات الملمح الوجودي الملحد، و يوحي له أن الإنسان هو مخترع الأديان والآلهة متناسياً الشرط التاريخي/الاجتماعي.

انتبهت فوجدت الشماس يعصر بين شفتي قطعة من قماش أبيض مبلولة بماء بارد ثم يفردها على جبهتي؛ فما السرج الذي جلست عليه إلا الكمادة التي أعانتني على النوم ."[854]

في أصل عزازيل آراء وأقاويل، أما في ديانة المسيح فالمذاهب كلها تؤكده، ولا تقبل الشك فيه. فهو دوماً في مقام عدو الله وعدو المسيح. ولا يعرف مقامه من الروح القدس أو جبرائيل!

قال هيبا: أحببت أن اسمع من صوتي فسألته أي أسمائه أحب إليه ؟ فقال: كلها عندي سواء؛ إبليس ؛ الشيطان، أهريمان ، عزازيل ، بلعزبوب ، بلعزبول. قلت إن بلعزبول تعني في العبرية سيد الزبالة، وبلعزبوب تعني سيد الذباب (محب الزبالة)، قال الفروق في الأسماء لا في المعنى. سألت عزازيل عن المعنى الواحد لأسمائه الكثيرة ، فقال: النقيض

عزازيل نقيض الله المألوه ؛ أو الضد اللعين.

تعليق وتحقيق: في أن عزازيل اسم "سلف" إبليس، أقدم في الطبقة؛ كان في السماء يشير إلى الحسن وبعد أن غدا اسمه إبليس وهبط مع آدم إلى الأرض صار يشير إلى القبيح. (جناحان واحد مضيء والآخر مظلم). كان له اسم عزازيل حين لم تكن الأبدان تحجب المعنى وتستره(الدين الطبيعي/ الكوني)، وحين ظهرت الأبدان مع توقف الأرواح و ظهور آدم والأنبياء او الديانات التاريخية ، تحول اسم عزازيل إلى اسم إبليس؛ الجيل الأحدث الظاهر بظهور الجسدية واحتجاب المعنى .

---

854 - تفسير الأحلام –مرجع مذكور ص 249 .. هذه إشارة من فرويد إلى المصادر الجسمية للحلم، أو دور المنبهات الحسية في تشكيل الحلم؛ فالإحساس الحاضر الناشط إنما ينسج في حلم لكي يُسلب واقعيته. ولنابليون أن يمضي في نومه..(ص 252)

أما اسم الشيطان فهو من الشيطنة وهي صفة لإبليس صارت اسماً لشيوع الاستعمال. تمرد إبليس على الأمر الإلهي فتشيطن، وبهذا المعنى سمي إبليس شيطاناً. وهو كل عات متمرد على الأمر الإلهي، وكل **مشتغل بأمر ذاته** على النقيض من الأمر الإلهي .

ونقض: أصل صحيح يدل على نكث شيء، وربما دل على جنس من الصوت (انتقاض المفاصل وصريرها من خشونة فيها كأنها تنتقض) ونقضت الحبل والبناء، ونقْض العهد منه.[855]

ضد: ضد الشيء، والمتضادان شيئان لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد كالليل والنهار [856] نقول ضدان عندما يصدع النقيضان الوحدة التي كانت تجمعهما وينكثانها (يبعثرانها). يقول المحيط: النَّقْضُ في البناء والحبل والعهد وغيره؛ ضد الإبرام، كالانتقاض والتناقض وبالكسر: المنقوض، والمهزول من السير ناقة أو جملاً، وما نكث (نفش) من الأخبية والأكسية فغزل ثانية (العهن المنفوش أو المبثوث)، والذي أنقض ظهري أثقله حتى سمع نقيضه (تحميله فوق طاقته) وتنقّض البيت تشقق فسمع له صوت . والمناقضة في القول: أن يتكلم بما يتناقض معناه ، أي يتخالف "

في أن عزازيل نقيض الإله الذي عرفناه، وعرّفناه بالخير المحض، وأن لكل شيء نقيضاً، فأفردنا للشر كياناً (تشخيص الشر) وسميناه عزازيل. قال عزازيل: الشرور هي التي تبررني وتشخصني وتظهرني، أنا أقترف ولا أعترف. تذكر جذاذة "لعنات الشيطان وجماعته" اسم الشيطان المحدد وهو ملكيريشا (ملكي شرير) وهو الاسم المضاد ملكيزدك (ملكي صادق) أمير جيش النور.. ولتحل اللعنة بكل من يرفض الدخول في ميثاقه ويسير متبعاً هواه وعناد قلبه "[857]. لكن، كل من الخير والشر مشروط، فقد يتحول الواحد إلى الآخر في ظروف محددة.

---

855 - مقاييس 5 ص 470

856 - مقاييس 3 ص 360

857 - النصوص الكاملة لكحطوطات البحر الميت – مذكور ص 343

تحقيق: يقول عبد الرحمن بدوي؛ نرى أن كتاب "الخير المحض" هو كتاب "الخير الأول" الذي ذكره ابن النديم في الفهرست من بين مؤلفات ديذوخس برقلس وأن اسمه "الخير الأول" جاء مما ورد في النص. كما وقع له تماماً في العالم اللاتيني إذ سمي أولاً باسم "الخير المحض" ثم سمي باسم "في العلل" وكلاهما مأخوذ مما ورد في متن الكتاب. وتبعاً لهذا نرى أن الكتاب قد ترجم أو صنف قبل سنة 377 هـ (987 م) وهي السنة التي عمل فيها كتاب "الفهرست" لابن النديم. وتبعاً لهذا نظن أن الذي استخلص هذا الكتاب من كتاب "عناصر الثاؤلوجيا" لبرقلس هو أحد تلاميذه أو أحد رجال الأفلاطونية المحدثة المتأخرين ونسبه إلى برقلس نفسه. أما ترجمته إلى العربية فيغلب على ظننا أن يكون أحد كبار المترجمين المتمكنين من اللغة العربية ، ونرجح هنا اسحق بن حنين أو عيسى بن زرعة، إذ أسلوب المترجم أقرب إلى أسلوبيهما. أما نسبة الكتاب إلى الفارابي فنستبعدها كما استبعدنا ابن داوود المزعوم.[858]

كلهم قالوا أنك ستموت ، لكنني كنت أعرف أنك ستبرأ من الحمى. كنت جائعاً جداً وأتوق للخروج إلى النهار لكنني لم أقو على النهوض من رقدتي .

الماء بدء الحياة، كان بدني يابساً، مثل أرض شققها جدب طويل وحرمان. حين فتحت الباب آلم عيني ضوء الشمس فحجبتها عني بكمّي لاحتمل ضوءها.

تعليق : في المقارنة بين الكمّ والكُمّ، فالجسدية تحجب المعنى.

تحقيق: الكُمّ: مدخل اليد ومخرجها من الثوب (وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء.) الجمع أكمام. الكِمّ بالكسر وعاء الطلع، وغطاء النور. أكِمّة وكِمّ الفسيل: أُشفق عليه فسُتر حتى يقوى. وتُكُمُّوا: أُغمي عليهم وغُطوا. وكَمّه: غطّاه... كَمْ: اسم ناقص مبني على السكون (أو سؤال عن

858 - الأفلاطونية المحدثة عند العرب-مذكور ص 29-30

العدد، ويعمل في الخبر عمل رُبّ). وهي للاستفهام وينصب ما بعدها تمييزاً."[859]

سألت رئيس الدير: ما ذاك يا أبت الذي جرى في أفسوس ؟

هو صخب الدنيا وأطماعها التي أمالت القلوب فالشيطان يصطخب في أفسوس. قبل أن يباركني فاجأني رئيس الدير بقوله: عليك يا ولدي بعد صلاة الرَّمْش ، بصلاة سوتورو ، فهي تطرد عزازيل اللعين وتهدم قوى أعوانه من الأبالسة، وإبليس من أبلس: يئس وتحير، وفي حجته ليس له حجة.

في هامش للمترجم: الصلوات السريانية والقبطية أيضاً عددها في اليوم والليلة سبع صلوات . وصلاة الرّمْش تؤدى عند الغروب (مع دخول الليل) ، وكلمة سوتورو تعني باللغة السريانية السِّتْر والستَّار.

تعليق: يا ستّار !!

تعليق آخر: كيف أن رئيس الدير كان يعرف أن حمى كهذه ما هي إلا علامة على حضور عزازيل (حضور الغياب؛ حضور الآخر في الأنا) وما يعنيه من التناقض والأبلسة.

الرق الثلاثون

كيف تركت مرتا معه رسالة من كلمة واحدة: مضطرة!

والحلاج كان مضطراً ، لأن الزمن خارج محاوره؛ كان مضطراً أن يُظهر توحيده كفراً!

قال هيبا: تركتني لموتي، وذهبت لتبحث لها عن حياة، بينما ترك الحلاج للأغيار حق التصرف بدمه لكي يحقق توحيده.

---

859 ـ المحيط ص 1155-1156

وكيف أن وجع النوم علامة رديئة ، كما هو معروف عند الأطباء. ومن كلام ابوقراط: إذا كان النوم في الأمراض المزمنة يحدث وجعاً ، فذلك من علامات الموت .

تعليق: في أن النفس التي تموت في منامها هي علامة على الموت الفاسد أو الموت الباطن والانمساخ.

قال هيبا: آلام النوم عندي من أوجاع الروح لا من آثار الحمى .

هامش أول: في الحمى كما في الحلم تنبعث ذكريات من الماضي السحيق، فالنائم والمريض يذكر كلاهما أشياء تبدو نسياً منسياً عند المستيقظ والمعافى.

يبدو أن عزازيل هيبا مُعنّد ومقاوم لعقار سوتورو؛ لم ينفع معه تكرار صلاة التوبة هذه في إبعاد عزازيل، كما يبدو أن لا نية عند هيبة في التوبة. هو إذن عزازيل لم يكن حلماً ولا طيفاً مر بي عند اختلاط ذهني . هو الآن قريب أشعر به ينظر نحوي ولا يتكلم ، أتراني ألقيت نفسي في غيابت الجنون؟

تعليق: في أن هذه الموجات من مجيء عزازيل مرتبطة على ما يبدو بتواتر ورود الأخبار من أفسوس، الأساقفة تخلّوا عن نسطور عدا يوحنا أسقف إنطاكية، ولم يشأ الإمبراطور وبابا روما أن يغضبا الإسكندرية للأسباب المعروفة. قمح مصر وعنبها وخمرها. المجمع المقدس برئاسة الإمبراطور أعاد كيرُلُّس إلى رتبته الأسقفية، وأقرّ عزل نسطور ونفيه! ولمّا رأى الأسقف ربولا والذين معه ، أن كفة الميزان تميل لصالح كيرلُّس، انقلب على نسطور وأدانه. وقد صاغ المجمع قانوناً جديداً للإيمان فيه إضافات على القانون الذي أقر قبل مائة عام في نيقية *(325 م)* .

تعليق: قال يسوع لبطرس: ستنكرني ثلاث مرات قبل صياح الديك!!! فمائدة يسوع حمراء! لم يكن قمر السماء منيراً ، فقد كان أوان المحاق.

تحقيق: مَحَق: كلمات تدل على نقصان ، ومحقه: نقصه *(hypo)* تعني نقص أو هبوط. والمحاق آخر الشهر إذا تمحّق الهلال ، ومحقه الله : ذهب ببركته. و ماحق الصيف: شدة الحر يمحق النبات ، يوبسه.[860]

قال عزازيل: تحيى يا هيبا لتكتب ، فتظل حياً حتى حين تموت في الموعد، وأظل أحيا في كتاباتك. **اكتب يا هيبا، فمن يكتب لن يموت أبداً**

تعليق: في أن حياة عزازيل في الكتابة؛ وفي إمكان تحريف الوحي الذي يأتي به جبرائيل، عن طريق الكتابة والتدوين؛ إنه التدوين والتصحيف وتحريف الوحي.

قال الجاحظ: القرآن جسد يمكن أن يتحول إلى رجل ويمكن أن يتحول إلى حيوان. عزازيل مجاز مرسل على عواهنه، أو حبل ملقى على الغارب؛ وهو تشخُّص حضور انقسام النفس.

قال عزازيل: أنا لا وجود لي مستقلاً عنك؛ أنا يا هيبا أنت، ولا أكون إلا فيك، ولكن ألا يتجسد عزازيل في أشخاص بعينهم ؟

يقول عزازيل: تجسدي هو إسقاط لشكوكك وحيرتك وانقسامك ، ما إن ترى مظهراً ما حتى تسقط عليه شهوتك ورغباتك المقموعة ، وينتأ الجانب الخفي المهمش المحروم والمقموع في نفسك ويطالب بحقوقه، الجانب المغلوب على أمره بأمر العصر، خاصة عندما يهتز الإيمان وتضطرب القلوب وتتداعى الهيمنة ويكثر الاستبداد والطغيان.

قال رئيس الدير: قد رأيت أن الكثيرين منكم قد فجعوا بما جرى في أفسوس، واهتز إيمانهم ، واضطربت قلوبهم.[861]

قال عزازيل: اذهب إليها خذها وارتحل عن هذه البلاد، اسعد بها ودعها تفرح، ثم صب عليّ اللعنات لأنني أغويتك ، فنكون **نحن الثلاثة** (آدم وحواء وإبليس) قد تحققنا وحققنا ذواتنا. وقال "اهبطوا منها جميعاً" ؛ " أنّه لما كان

---

860 ـ مقاييس 5 ص 301

861 ـ قارن تداعيات تفكك الدولة السوفياتية وأثاره الأيديولوجية والنفسية.

العجب الذي خامر الأنفس في الذرو وأوقعها بالشك والحيرة [هبطت] من أعلى إلى أسفل."[862]

تعليق: لكن عزازيل ليس ذاتاً، بل ثالث ثلاث؛ انعدام ذات هيبا وتشتتها ونكثها. ومرتا هي حيرته وشكوكه وشهوته وميوله الكامنة في نفسه.

ابتذل اليهود الإله وحولوه إلى توت يومي مبتذل، أو محاسب في متاجرهم، لقد انخرط الإله اليهودي في المنافع المادية اليومية لدرجة استدعاء مخلص يخلص العبارة من رجس هذه المنافع المبتذلة والمذلة للإنسان. وجاءت النتيجة أن تم تحرير العبارة أو المنطق من التاريخ والطبيعة ورفعها إلى السماء المتعالية.

تختم الترجمة بنقاش بين هيبا وعزازيل حول اليهودية والمسيحية ومسألة الخلاص الديني أصلاً وموت الإله المستعار من التراث الوثني المصري والآسيوي الغربي في العراق وسوريا وفارس والأناضول.

وكان هيبا قد باع نفسه لعزازيل أربعين يوماً مكث فيها يدوّن سيرته كاملة منذ خروجه أيام أخميم إلى وقت مغادرته الدير بعد انقضاء الأجل؛ أجل الكتابة. فلما قضى الأجل وأتم سيرته خرج في الصباح الباكر من الدير واضعاً الرقوق في صندوق حيث وارى سوءته تحت التراب والحجارة الكبيرة عند بوابة الدير، وقد دفن معه خوفه الموروث وأوهامه القديمة كلها ، ثم رحل مع شروق الشمس حراً .

وتسدل ستارة النهاية مع غياب عزازيل، وتسدل معها ستارة اللامبالاة الرهيبة لتمحي كل شيء.

تحقيق أخير: الكتاب الأول؛ العهد القديم أو كتاب التكوين أو حياة إنسان. يتعلل القديس ماكس هنا بأنه يكتب سيرة عدوه الميْت (الإنسان)، لا كسيرة "أوحد" أو "فرد واقعي" ، وإنه ليتعثر من جراء ذلك في تناقضات مسلية.

---

862 - التذكرة الروحية -مذكور ص 282

اقتصاد العهد القديم: لا بد هنا أن نترك لبرهة كتاب "الناموس" كي ننتقل إلى كتاب "الأنبياء" مميطين اللثام من الآن عن سر **الاقتصاد المنزلي** الأوحد في السماء وعلى الأرض. لذا كان الكتاب الأول "حياة إنسان" قد سمي كذلك "كتاب التكوين" لأنه يتضمن بصورة وصفية كل الاقتصاد "الأوحد" ولأنه يعطينا نموذجاً عن كل التطور اللاحق حتى اللحظة التي يجيء فيها الأوان (آخر الأيام) والتي تحل بها نهاية العالم [مجيء المخلص وقيامة العالم]

العهد الجديد ؛ "الأنا"؛ اقتصاد العهد الجديد: بينما كان موضوع تهذيبنا في العهد القديم **المنطق** "الأوحد" **في إطار الماضي** فإننا نواجه الآن **الحاضر في إطار المنطق** "الأوحد".

إن العهد الجديد الذي يضمحل سلفاً مع العهد القديم باعتباره مقدمة له ، يبرهن بصورة حرفية على قدر مساو من الحكمة في اقتصاده يعني الاقتصاد نفسه (الاقتصاد المنزلي) مع تحولات متنوعة.

العهد القديم (الكتاب الأول/ التكوين) هو التاريخ في إطار المنطق، الكلمة المقيدة إلى الماضي (الشريعة؛ السُنّة). والكتاب الثاني (العهد الجديد) هو المنطق في التاريخ ، الكلمة المحررة تناضل ضد الحاضر وتتغلب عليه بصورة ظافرة بالفرار منه."[863]

---

863 ـ الأيديولوجية الألمانية- مذكور ص 115-116

مراجع القراءة

1- يوسف زيدان: "عزازيل" رواية ، الطبعة الخامسة يناير *2009* م ، الطبعة الأولى *2008* م دار الشروق القاهرة ـمصر.

2- يوسف زيدان: اللاهوت العربي وأصول العنف الديني دار الشروق القاهرة الطبعة الثالثة *2010* الطبعة الأولى *2009* م

3- الفتوحات المكيّة ؛ محي الدين بن عربي ، السفر الأول ، تحقيق د. عثمان يحيى تصدير ومراجعة د. إبراهيم مدكور ، المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع معهد الدراسات العليا بالسوربون. الهيئة المصرية العامة للكتاب *1405* هـ - *1985* م

4- الفتوحات المكيّة ؛ محي الدين بن عربي ، السفر الرابع ، تحقيق وتقديم د. عثمان يحيى تصدير ومراجعة د. إبراهيم مدكور ، المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع معهد الدراسات العليا بالسوربون. الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى *1412* هـ - *1992* م

5- فصوص الحكم للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي المتوفى سنة *638* هـ والتعليقات عليه بقلم أبو العلا عفيفي ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت الإسكندرية *1946* م *1365* هـ

6- تفسير ابن عربي في مجلدين دار صادر من دون تاريخ

7- جاك ديريدا: صيدلية أفلاطون ، ترجمة كاظم جهاد دار الجنوب للنشر- تونس/فلسطين *1998* ، الطبعة الفرنسية الأصلية نشر سيول *1972*

8- جاك ديريدا: أطياف ماركس ، ترجمة د. منذر عياشي الطبعة الأولى *1995* دار الحاسوب حلب ، الطبعة الأصلية غاليلي *1993*

9- الفيروز آبادي: القاموس المحيط ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد العُرقسوسي الطبعة السادسة مؤسسة الرسالة 1419 هـ -1998 م

10- معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى395 هـ) بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون دار الجيل- بيروت 1420 هـ 1999 م

11- شرح قطر الندى وبل الصدى، تصنيف أبي عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري المتوفى سنة 761 هـ ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى تأليف محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع من دون تاريخ.

12- ابن هشام الأنصاري(متوفى 761 هـ) : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، قدمه ووضح حواشيه وفهارسه حسن حمد، أشرؤف عليه وراجعه د. إميل بديع يعقوب منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1418هـ - 1998 م

13- ماركس، انجلز؛ منتخبات في ثلاثة مجلدات ، المجلد 3 الجزء 2 ، ترجمة الياس شاهين، دار التقدم 1981 .

14- كارل ماركس، فريدريك أنجلز: الإيديولوجية الألمانية ، ترجمة الدكتور فؤاد أيوب دار دمشق 1976

15- ماركس: رأس المال /نقد الاقتصاد السياسي ، المجلد الأول ، الكتاب الأول عملية إنتاج الرأسمال الجزء 1(الفصول 1-13)، ترجمة الدكتور فهد كم نقش دار التقدم موسكو 1985 م

16- مراسلات ماركس أنجلز ترجمة الدكتور فؤاد ايوب دار دمشق طبعة أولى 1981 م

17- كارل ماركس: الغروندريسّة/ أسس نقد الاقتصاد السياسي في النقود ترجمة عصام الخفاجي دار ابن خلدون بيروت الطبعة الأولى 1984

18- ماركس: مطارحات عن فيورباخ (فروض عن فيورباخ)؛ الإيديولوجية الألمانية ـ مرجع مذكور

19- سيرة حياة كارل ماركس دار الفارابي بيروت نيسان 1978 م

20- كارل ماركس: حول المسألة اليهودية ، ترجمة د. نائلة الصالحي ، كتبه ماركس في خريف 1843 م

21- لينين دفاتر عن الديالكتيك 1 ، ترجمة وتقديم إلياس مرقص ، دار الحقيقة بيروت 1983

22- هيغل : أصول فلسفة الحق ، ترجمة أ. د. إمام عبد الفتاح إمام ، مكتبة مدبولي القاهرة 1996

23- ارنست ماندل: الاتحاد السوفياتي إلى أين في ظل غورباتشوف؟، ترجمة كميل داغر، دار الفارابي 1991 م

24- د. رمزي زكي: المحنة الآسيوية قصة صعود وهبوط دول المعجزات الآسيوية ، دار المدى الطبعة الأولى 2000 م

25- دراسات لا إنسانوية من لويس ألتوسير وجورج كانغليم ، ترجمة وتقديم د. سهيل القش المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1981 م

26- حول نمط الإنتاج الآسيوي : جان شينو ، يوجين فارغا ، موريس غودلييه ، دار الحقيقة بيروت نقله إلى العربية جورج طرابيشي . الطبعة الأولى 1972 م

27- إيف لاكوست (الاستاذ بجامعة باريس): العالم الثالث أو جغرافية التخلف ، نقله إلى العربية الدكتور عبد الرحمن حميدة (الاستاذ بجامعة دمشق) دار الحقيقة للطباعة والنشر تاريخ الطبعة الفرنسية 1969 .

28- إيف لاكوست: العلاّمة ابن خلدون ، ترجمة الدكتور ميشال سليمان ، دار ابن خلدون الطبعة الثالثة 1982 م

29-غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي ؛ مساهمة في التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية، ترجمة د. خليل أحمد خليل المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع والنشر بيروت ،الطبعة الأولى 1981 الطبعة الثانية 1982

30- هنري كوربان : بالتعاون مع السيد حسين نصر وعثمان يحي: تاريخ الفلسفة الإسلامية-من الينابيع حتى وفاة ابن رشد (1198) ترجمة نصير مروة ، حسن قبيسي ، راجعه الإمام موسى الصدر ، الأمير عارف تامر . عويدات للنشر والطباعة بيروت الطبعة 31- رينيه جيرار: العنف والمقدس ترجمة جهاد هواش ، عبد الهادي عباس دار الحصاد للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1992 م ، الثانية 1998

32- فريدريك نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها تعريب : حسن قبيسي المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت الطبعة الأولى 1400هـ -1981م

33- كورنيليوس كاستورياديس: تأسيس المجتمع تخيلياً ترجمة وتقديم ماهر الشريف ، دار المدى الطبعة الولى 2003 م

34- سيجموند فرويد: تفسير الأحلام ، ترجمة مصطفى صفوان راجعه مصطفى زيور ، الطبعة الثانية للترجمة العربية دار المعارف بمصر 1969 ، الطبعة العربية الأولى 1958 الطبعة الأولى للأصل الألماني 1900 م

35- أفلوطين عند العرب : حققها وقدم لها عبد الرحمن بدوي ، الطبعة الثالثة، الناشر وكالة المطبوعات الكويت 1977

36- الأفلاطونية المحدثة عند العرب ؛ أبرقلس : الخير المحض ، في قدم العالم ؛ في المسائل الطبيعية . هرمس: معاذلة النفس . أفلاطون : الروابيع حققها وقدم لها عبد الرحمن بدوي مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1955م

37- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين ألف بينها وترجمها عن الألمانية والإيطالية : عبد الرحمن بدوي ، الناشر وكالة المطبوعات الكويت من دون تاريخ.

38- شخصيات قلقة في الإسلام، تأليف وترجمة د. عبد الرحمن بدوي دار سينا للنشر جمهورية مصر العربية الطبعة الثالثة 1995 م

39- تاسوعات أفلوطين نقله إلى العربية عن الأصل اليوناني الدكتور فريد جبر ، مراجعة الدكتور جرار جهامي ، الدكتور سميح دغيم ، مكتبة لبنان ناشرون الطبعة الأولى 1997

40- علي فهمي خشيم: اللاتينية العربية ، دراسة مقارنة بين لغتين بعيدتين قريبتين ؛ مقدمة ومعجم ، مركز الحضارة العربية القاهرة، الطبعة العربية الأولى 2002 م

41- أدمون جاكوب: رأس شمرا والعهد القديم ، نقله إلى العربية جورج كوسى، دار الفن بيروت من دون تاريخ.

42- أرنولد توينبي: مختصر دراسة للتاريخ ، ترجمة فؤاد محمد شبل ، مراجعة محمد شفيق غربال ، اختارته وانفقت على ترجمته الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية الطبعة الأولى القاهرة 1961 في أربعة أجزاء

43- روجيه غارودي: وعود الإسلام ترجمة د. ذوقان قرقوط ،دار الرقي بيروت ، مكتبة مدبولي القاهرة الطبعة الثانية 1985

44- ميشيل تارديو: صابئة القران وصابئة حران، ترجمة سلمان حرفوش ، الطبعة الأولى 1999 م دار الحصاد للنشر والتوزيع-دمشق ، دار الكلمة للنشر والتوزيع دمشق .

45- تاريخ اللغات السامية : تاليف أ. ولفنسون ، دار القلم لبنان الطبعة الأولى 1980 م

46- ميخائيل باختين: خطان أسلوبيان للرواية الأوربية الكرمل العدد 19-20/ 1986

47- تزفتان تودوروف : المبدأ الحواري ، ترجمة فخري صالح طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة بغداد الطبعة الأولى 1992

48- أبو نصر الفارابي: كتاب الحروف ، حققه وقدم له وعلق عليه: محسن مهدي أستاذ الدراسات العربية بجامعة هارفارد ، دار المشرق بيروت ، التوزيع: المكتبة الشرقية بيروت، الطبعة الثانية 1990 م

49- مارتن هايدغر : مالفلسفة ؟ ما الميتافيزيقا؟ -هيلدرلين وماهية الشعر ترجمة فؤاد كامل ، محمود رجب ، وراجعها على الأصل الألماني وقدم لها عبد الرحمن بدوي دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة 1974 م

50- بيير روسي: مدينة إيزيس/التاريخ الحقيقي للعرب ترجمة فريد جحا ، الجمهورية العربية السورية- وزارة التعليم العالي ، مطابع مؤسسة الوحدة دمشق 1980 م

51- هرمس المثلث العظمة ؛ أو النبي إدريس ، ترجمة كاملة للكتب الهرمسية مع دراسة عن أصل هذه الكتب . تأليف لويس مينار ، ترجمة عبد الهادي عباس دار الحصاد للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 1998 م

52- هاينس هالم: الغنوصية في الإسلام ترجمة رائد الباش مراجعة : د. سالمة صالح منشورات الجمل الطبعة الأولى 2003

53- فرجيليوس: الإنيادة الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة 1971 ترجمة: كمال ممدوح حمدي ، دكتور عبد المعطي شعراوي، فاروق فريد، محمد حمدي إبراهيم ، دكتور عبد الله المسلمي، أحمد عثمان. مراجعة وتقديم دكتور عبد المعطي شعراوي. الجزء الثاني

1977 ترجمة د. عبد المعطي شعراوي د. محمد حمدي إبراهيم، د. أحمد فؤاد السمان مراجعة وتقديم دكتور عبد المعطي شعراوي.

54- فرنان بروديل: البحر المتوسط؛ المجال والتاريخ" ترجمة يوسف شلب الشام دار التوحيدي للنشر الطبعة الثانية 2001 م

55- بول روزون : الحريم الفرويدي. ترجمة وتقديم ثائر ديب دار كنعان للدراسات والنشر دمشق الطبعة الأولى 1995 م

56- مرسيا إلياد: المقدس والدنيوي ، ترجمة نهاد خياطة ، الطبعة الأولى 1987 م العربي للطباعة والنشر والتوزيع دمشق.

57- مرسيا إلياد: مظاهر الأسطورة ، ترجمة نهاد خياطة دار كنعان للدراسات والنشر الطبعة الأولى 1991 م

58- الدكتور ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس (585 ق.م) إلى أفلوطين (270 م) وبُرقِلس(485 م) دار العلم للملايين الطبعة الأولى آذار / مارس 1991

59- يمليخا: فيثاغورث حياته-فلسفته ترجمة زياد الملا دار الينابيع الطبعة الأولى 2003 م

60- جابر بن حيّان بقلم الدكتور زكي نجيب محمود ، الناشر مكتبة مصر من دون تاريخ.

61- الثالوث في مصر القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة ، رسالة مقدمة من الطالبة هبة عبد المنصف ناصف لنيل درجة الماجستير في الآداب من قسم الآثار بكلية الآداب جامعة طنطا إشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد الحليم نور الدين ، والاستاذة الدكتورة شافية عبد اللطيف بدير 2000 م -1421 هـ

62- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية طبعة رابعة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة 1378هـ - 1958 م

63- سيد القمني : قصة الخلق -منابع سفر التكوين الناشر مؤسسة عيبال للدراسات والنشر الطبعة ألولى 1994 م

64- محمد حسين هيكل : حياة محمد الناشر مكتبة النهضة المصرية- القاهرة الطبعة الخامسة عشرة 1968 م

65- الدكتور محمد عابد الجابري : تكوين العقل العربي مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الثالثة 1988 م الطبعة الأولى 1984 م بيروت

66- الدكتور خليل أحمد خليل : جدلية القرآن ، د. رشيد خيون : جدل التنزيل مع كتاب خلق القرآن للجاحظ دار الطليعة للطباعة والتنشير بيروت الطبعة الأولى 1977، الطبعة الثانية 1981

67- محمود الهندي: ذو النون المصري؛ التفسير العرفاني للقران الكريم ، مكتبة مدبولي القاهرة ، الطبعة الأولى 2007 م

68- قاسم محمد أمين: الحلاج/الأعمال الكاملة(التفسير، الطواسين، بستان المعرفة، نصوص الولاية، المرويات، الديوان) دار الريس الطبعة الأولى ، آذار /مارس 2002 م

69- أحمد عثمان: مخطوطات البحر الميت ، مكتبة الشروق ،القاهرة 1996

70- مخطوطات نجع حمّادي ، مخطوطات قبطية صعيدية غنوصية، الأستاذ الدكتور عبد الحليم نور الدين أستاذ اللغة المصرية القديمة بكلية الآثار جامعة القاهرة ومستشار مكتبة الإسكندرية ، إعداد الباحث مهاب درويش ، مكتبة الإسكندرية صفحات مصرية.

71- خليل عبد الكريم : قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية ، دار سينا للنشر القاهرة ، الطبعة الأولى 1993

72- خليل عبد الكريم : دولة يثرب -بصائر في عام الوفود وفي أخباره الطبعة الأولى 1999 دار سينا للنشر دار الانتشار العربي .

73- كيركيجور رائد الوجودية. تأليف دكتور إمام عبد الفتاح إمام ، الجزء الأول حياته ومؤلفاته 1982 دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة .

74- أ. د. إمام عبد الفتاح إمام . نساء فلاسفة دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع 2009م

75- ابن قتيبة الدينوري ك تأويل مشكل القران ، شرحه ونشره السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية ـبيروت الطبعة الثالثة 1401 هـ -1981 م

76- أدب الكاتب : تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة 213-276 هـ حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد الدّالي مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية 1405هـ -1985 م

77- تفسير غريب القرآن أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (213-276 هـ) بتحقيق السيد أحمد صقر . دار الكتب العلمية بيروت 1978 م 1398 هـ

78- الاختصاص: تأليف فخر الشيعة عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد المتوفى سنة 413 هـ صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري ، رتب فهارسه السيد محمود الزرندي منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت 1982 م

79- الشيخ ابن إياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، دار الكوثر دمشق ، الطبعة الثانية 1420هـ -1999م واعتمدنا على طبعات أخرى من الكتاب: بدائع الزهور في وقائع الدهور تأليف محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري، مطابع الشعب 1960 في ثلاثة مجلدات، وعلى : مختصر بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ابن إياس اختصار وتقديم د. مدحت الجيّار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 2007 م

80- كتاب الجمل في النحو ، صنفه أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي المتوفى سنة 340هـ حققه وقدم له الدكتور علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، دار الأمل الطبعة الأولى 1404هـ-1984 م

81- كتاب اللامات للزجّاجي ، تحقيق الدكتور زكي مبارك مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق 1969

82- معاني القرآن للأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي ، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب بيروت 1985 في مجلدين.

83- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (350-429 هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف . سلسلة ذخائر العرب.

84- الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم، تأليف العارف بالله تعالى الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي المتوفى سنة 832 هـ اعتنى به الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي .

85- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تأليف موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بـ ابن أبي أصيبعة ، شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت من دون تاريخ

86- القانون في الطب تأليف الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن علي بن سينا المتوفى سنة 428هـ في ثلاثة أجزاء طبعة جديدة بالأفست عن طبعة بولاق . مكتبة المثنى بغداد من دون تاريخ .

87- مبادئ الطب الباطني هاريسون المجلد الثاني بإشراف الأستاذ فيصل الصباغ ، وزارة التعليم العالي 1984م كلية الطب جامعة دمشق

88- الشاعر أوفيد: مسخ الكائنات (ميتامورفوزس) التحولات، ترجمه وقدم له د. ثروت عكاشة ، راجعه على الأصل اللاتيني د. مجدي وهبه. الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992 م

89- أوفيد: التحولات نقلها إلى العربية أدونيس الطبعة الثانية 2011 دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر دمشق سوريا.

90- سان جون بيرس : منفى وقصائد أخرى ترجمة أدونيس منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق 1978 م

91- سان جون بيرس: منارات، ترجمة أدونيس ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق 1976

92- شارل بودلير الأعمال الشعرية الكاملة ترجمة : رفعت سلام دار الشروق القاهرة الطبعة الأولى 2009 م

93- بودلير: أزهار الشر نقله إلى العربية محمد عيتاني دار الفارابي بيروت 1987

94- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العَكْبَري المسمى بالتبيان في شرح الديوان ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقى ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، في أربعة مجلدات الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت من دون تاريخ

95- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، لأبي العلاء المعري (363-449 هـ)"معجز أحمد" في أربعة أجزاء ، تحقيق ودراسة الدكتور عبد المجيد دياب دار المعارف الطبعة الثانية 1992 للجزء الأول.

96- ديوان أبي نواس الحسن بن هاني الحكمي المجلد الأول تحقيق غريغور شولر ، في أربعة مجلدات الناشر المدى الطبعة الأولى خاصة 2002

97- شرح ديوان الأمير حسن بن مكزون السنجاري للعلامة المغفور له الشيخ سليمان الأحمد في جزئين .

98- ديوان بشار بن برد الجزء الأول جمع وتحقيق وشرح فضيلة العلامة سماحة الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، وزارة الثقافة الجزائر عاصمة الثقافة 2007 م

99- وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري المتوفى سنة 212 هـ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل بيروت 1990 م

100- د. ماجد مصطفى الصعيدي: هرمس في المصادر العربية ، دار الكرزة للنشر والتوزيع القاهرة 2007 م

101- جيو وايد نغرين: ماني والمانوية . نقله إلى العربية وقدم له وزاده بالملاحق الدكتور سهيل زكارز . دار حسان للطباعة والنشر من دون تاريخ.

102- كتاب حجة العارف في اثبات العدل على المباين والمخالف لمصنفه : حمزة بن علي بن شعبة الحراني اعتنى بضبطه وتصحيحه الشيخ الفاضل عبد اللطيف إبراهيم مرهج

103- مجموعة الجلّي أبو الحسين محمد بن علي الجلّي : الرسالة المسيحية

104- شرح القصيدة اللامية (قصيدة الشيخ سلمان بيصين) للشيخ يوسف علي الخطيب

105- كتاب التذكرة الروحية تأليف الشيخ بعقوب الحسن

106- نايف سلوم: شخص باختين في النقد الأدبي الحديث، موقع الحوار المتمدن ، موقع دروب، والحوار المتمدن.

107- نايف سلوم: حواشي بيان الحزب الشيوعي ، موقع الحوار المتمدن

108- نايف سلوم: "نقد النساء" قراءة في عابدات باخوس ، مخطوط غير منشور

109- إنجيل يهوذا... رؤية!! مع مقدمة عن الغنوصية ومخطوطات نجع حمّادي ، إعداد مينا فؤاد توفيق الإسكندرية حزيران 2007

110- إنجيل توما الغنوصي

111- الموقع الإلكتروني لكنيسة الأنبا تقلا

112- موقع مكتبة الاسكندرية صفحات مصرية

113- سليمان غانم : مدينة الرها عاصمة الثقافة والتقاليد السورية الشرقية، موقع صوت العقل 2013 م

114- الشماس نوري إيشوع مندو: نصيبين في تاريخ كنيسة المشرق قديماً وحديثاً مقالة إلكترونية

115- صبوثان(قضيتنا) نشرة فصلية داخلية تصدر عن حزب الاتحاد السرياني المتن لبنان العدد 14 ديسمبر 2011 م

116- الملفان مار أفرام السرياني ، منتدى أصدقاء فيروز الإلكتروني . 13 آذار 2012 م

117- لوكيوس أبوليوس: تحولات الجحش الذهبي ، ترجمة د. علي فهمي خشيم ، مركز الحضارة العربي الطبعة الرابعة مارس 2000 م

118- باولو كويلهو: إحدى عشرة دقيقة ، ترجمة روز مخلوف ، دار ورد دمشق، الطبعة الأولى 2004 م

119- أُمبرتو إيكو: اسم الوردة ، ترجمة أحمد الصّمعي دار أويا الطبعة الثانية 1997 الطبعة الأولى 1991

120- دان براون: شيفرة دافنشي -رواية ترجمة سمة محمد عبد ربه الطبعة العربية الأولى

121- ميخائيل بولغاكوف: المعلم ومرغريتا ، رواية ترجمة : يوسف حلاق مراجعة عبد الله حبة، دار رادوغا موسكو الاتحاد السوفياتي 1990 م

122- السُّحُب : تأليف أريستو فانيس ، ترجمة وتقديم أدبي : د. أحمد عثمان مراجعة وتقديم تاريخي: د. عبد اللطيف أحمد علي . أول أغسطس 1987م تصدر عن وزارة الإعلام الكويت . من المسرح العالمي 215

123- يوريبيديس: عابدات باخوس ، إيون ، هيبولوتوس، ترجمة ودراسة وتقديم دكتور عبد المعطي شعراوي ، الطبعة الأولى 1997 عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية ، مصر

124- ستيفن فيزينشيي: في مديح النساء الأكبر سناً ترجمة صلاح صلاح ، الانتشار العربي بيروت الطبعة الأولى 2002

125- سعد الله ونوس: طقوس الإشارات والتحولات ، مسرحية دار الآداب- بيروت الطبعة الثالثة 2005 م

126- وليم شكسبير: هاملت أمير الدانمرك ، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا دار القدس بيروت

127- طه حسين: الأيام- الجزء الثاني دار المعارف بمصر القاهرة من دون تاريخ

128- القرآن الكريم

129- الكتاب المقدس -دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط وقد ترجم عن اللغات الأصلية.

130- ويكيديا موسوعة عالمية

131- منير البعلبكي المورد دار العلم للملايين 2005 وأيضاً المورد 2010 م 2004 م

132- الرائد، معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقاً لحروفها الأولى ؛ تأليف جبران مسعود نيسان 1965 م دار العلم للملايين -بيروت .

133- *KARL MARX AND FREDERICK ENGELS selected works in two volumes , volume1 fifth impression. Moscow 1962*

134- *DORLAND,S ILLUSTRATED , MEDICAL DICTIONARY , Twenty-sixth Edition , 1981*

فهرست

القسم الأول:

الباب الأول؛ أزيز أجنحة جبريل ---------- ص 5

الباب الثاني؛ إمكان تحريف الوحي "بالكتابة" والترجمة والتدوين- ---------- ص 49

الباب الثالث؛ أوامر نمط الإنتاج الآسيوي---------- ص 109

الباب الرابع؛ الثقافة الآرامية/ العربية ---------- ص 125

الباب الخامس؛ بدء التدوين ---------- ص 149

الباب السادس؛ بيت الرب ---------- ص 189

القسم الثاني:

كتاب سيرة حياة هيبا الراهب من أخميم بصعيد مصر نقلاً عن المبجل الدكتور يوسف زيدان ---------- ص 201

القسم الثالث:

تعليقات ، تحقيقات وهوامش ---------- ص 307

مراجع ---------- ص 419

135- د. نذير العظمة: سفر العنقاء؛ حفرية ثقافية في الأسطورة ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1996

136- عباس محمود العقّاد: عبقرية المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث المكتبة العصرية بيروت ، صيدا

هذا الكتاب

يتكون هذا الكتاب من ثلاثة أقسام: متن الكتاب وهو القسم الأول، وشروح على الرواية وهو القسم الثاني، وحواشي وتحقيقات وتعليقات وهو القسم الثالث، وقد يشير ذلك إلى التأليفات الدينية القديمة . وقد افتتح القسم الأول على ستة أبواب في محاولة للإحاطة بجميع مداخل الرؤية التي تقدمها رواية "عزازيل" والتي يعتمد السرد فيها على مبدأ التداعي الحر الفرويدي، حيث تظهر تقنية الكتابة في الرواية (الترجمة) بما يشبه عمليات الحلم في التكثيف والنقل و حيث تغمرها العبارة الدينية ذات الشعرية العالية المسفوحة على وجه الوجدان والمخضبة بجمرة الفجر. فلما قضى الأجل وأتم سيرته خرج في الصباح الباكر من الدير واضعاً الرقوق في صندوق حيث وارى سوءته تحت التراب والحجارة الكبيرة عند بوابة الدير، وقد دفن معه خوفه الموروث وأوهامه القديمة كلها، ثم رحل مع شروق الشمس حراً

الكتاب الذي أقدمه لك فسيح وصعب، حيث لا يخلو من الإهمال واللامبالاة تجاه القارئ المتعجل!

* من مقدمة المؤلف

كيرلس عمود الدين متهم بمقتل هيباتيا